شؤون فلسطينية

آب (اغسطس) ١٩٩٠ ٢٠٠

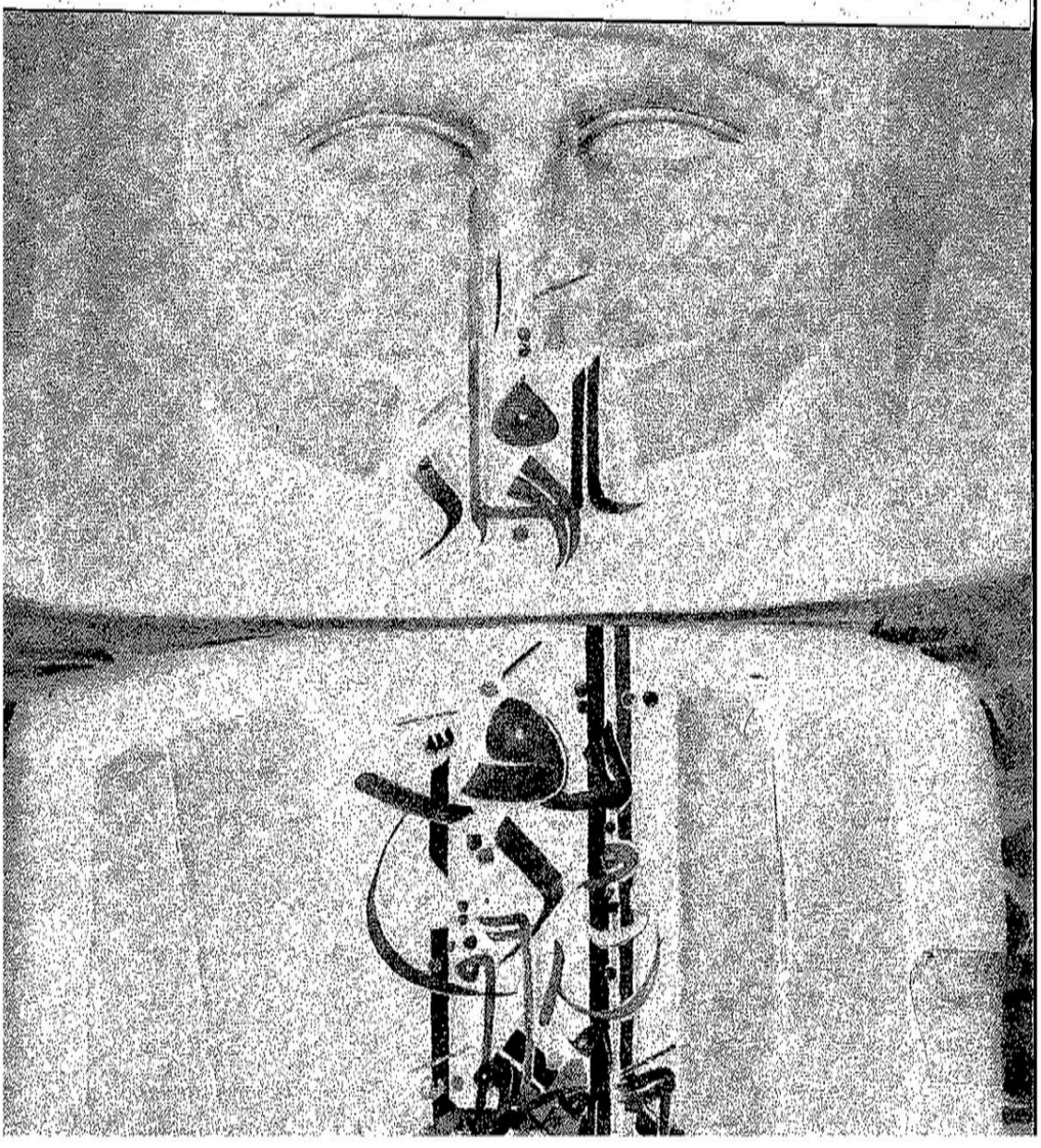

شؤون فلسطينية

٢٠٩ آب (اغسطس) ١٩٩٠

شهريّة فكريّة لمعالجة أحداث القضيّة الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدُر عن مركز الأبحاث في منظمّة التحرير الفلسطينيّة

المحتويات

٣ العرب والانتفاضة ..... عبدالاله بلقزيز
٩ مبادرة السلام الفلسطينية ..... سميح شبيب
١٥ «أسْرَلة» الجغرافيا العربية لفلسطين ..... د. غازي فلاح
٢٧ قراءة في موقف ديغول من القضية الفلسطينية ..... د. أحمد سعيد نوفل
٣٨ معركة القرار الدولي الرقم ٣٣٧٩ ..... د. عبدالحسين شعبان
٥٤ التماثل والتعاون بين الصهيونية والنازيّة ..... يوسف حدّاد
٧٨ أ. ب. يهوشع والمصالحة مع العربي ..... رياض بيدس

تقارير

٩٢ حدود التباين في العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية ..... صلاح عبدالله

مراجعات

١٠٥ دور نهضوي في سيرة صحفية ..... راسم المدهون
١١٠ الحقيقة النووية الاسرائيلية ..... فايز ساره

شهريات

١١٤ المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً:
مواجهة سلبيات الموقف الاميركي ..... س. ش.
١١٨ المقاومة الفلسطينية ـ عربياً:
القمّة المصريّة ـ السوريّة ..... أحمد شاهين
١٢٤ المقاومة الفلسطينية ـ دولياً:
مرحلة التسويف الجديد ..... د. نبيل حيدري
١٢٩ المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً:
مواجهة الخطط الاسرائيلية الجديدة ..... د. يزيد صايغ
اسرائيليات:
١٣٣ اعتماد «رسمي» على المستوطنين
في قمع الانتفاضة الفلسطينية ..... محمد عبدالرحمن

١٤٠ **بيرس، مجدداً، رئيساً لـ «العمل»** ..... مها بسطامي
١٤٦ المناطق المحتلة:
هجـرة المسيحيين ومخاطرها ..... ربعي المدهون
يوميات
١٥٠ **موجـز الوقـائع الفـلسطينية**
من ١٦/٦/١٩٩٠ الى ١٥/٧/١٩٩٠
بيبليوغرافيا
١٦٧ **القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي** ..... اعداد: ماجد الزبيدي

لوحة الغلاف من اختيار الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين للفنان **عزيز عمّورة**

الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها؛ ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين

ISSN 0258 - 4026

المدير العام : **صبري جريس** مدير التحرير : **محمود الخطيب**

المراسلات
Al-Abhath Publishing Co. Ltd
16 Artemidos Street, Strovolos
P. O. Box 5614
Nicosia, Cyprus
Tel 429396, Fax 312104, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

الاشتراك السنوي
[بـريـد سطحي] في الدول العـربيـة واوروبـا ـ للأفـراد ٤٠ دولاراً، للمـؤسسـات والدوائـر الحكـوميـة ٥٠ دولاراً (يضـاف ٣٠ دولاراً للبريد الجوي) □ في باقي دول العالم ـ للأفراد ٥٠ دولاراً، للمـؤسسـات والدوائـر الحكـوميـة ٦٠ دولاراً (يضـاف ٥٠ دولاراً للبـريـد الجـوي)

العرب والانتفاضة

عبد الاله بلقزيز

كيف يتعامل معظم النظام العربي مع الانتفاضة في الارض المحتلة؟ وما حصيلة سياسته تجاهها؟

ليس في وسع المتابع لما يجرى من تطورات على ساحة الشرق الاوسط الاّ ان يسجل حقيقة دامغة ومريرة، هي انه بعد اثنين وثلاثين شهراً من الانتفاضة، يعني اثنين وثلاثين شهراً من الموت والاعتقال والتشريد والتجويع والارهاب الصهيوني، واثنين وثلاثين شهراً من المقاومة المدنية المذهلة للاحتلال، لا يزال معظم النظام العربي مستغرقاً في غيبوبة سياسية تمنعه من ان يصحو صحوة كاملة، كي يقرأ الابعاد والعناصر الاستراتيجية الجديدة التي ادخلها حدث الانتفاضة في معادلة الصراع في المنطقة؛ وهي العناصر والابعاد التي عدّلت كثيراً في بنية تلك المعادلة، وفي علاقة القوة في اطارها، واتاحت للنظام العربي، لاول مرة بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، ان يحسّن موقفه التفاوضي، أو موقعه القتالي، في الصراع العربي ـ الاسرائيلي. كما انه لا يزال دون مستوى ادراك خطورة ما تحمله المتغيرات الدولية، والاقليمية، الجارية على الامن القومي العربي، وعلى وجود، واستمرار، النظام العربي ذاته، كنظام اقليمي، اذا لم يتمّ استيعاب آثارها بصورة ايجابية مقبولة، وتحييد فعل نتائجها السلبية.

هل نقول ان هذه الغيبوبة هي من باب سياسة اللامبالاة واضاعة الفرص المعهودة؟

ليت الامر كان كذلك؛ على الاقل لكان النظام العربي سيكتفي بتنظيم انسحابه من دائرة الصراع، أو، على الاقل، كان سيتوقف عند حدود تأكيد حقيقة شبه الشلل المزمن والعجز البنيوي عن تنمية دفاعاته الذاتية الحيوية لمقاومة الاخطار الخارجية. المشكلة، هنا، تكمن في ان معظم هذا النظام يذهب الى ابعد من ذلك؛ يذهب الى المشاركة في تنظيم وتهيئة مناخ يعطل فاعلية الانتفاضة، وينال من نتائجها. انه، هنا، يندرج، طوعاً، ضمن العوامل النابذة، لا الجاذبة؛ العوامل التي تلعب ضد تأمين سيرورة تصاعدية للانتفاضة.

والغريب ان معظم النظام العربي، حين يمارس هذه العملية من الفعل السلبي تجاه الانتفاضة، فهو يمارسها بموازاة سياسة اعلامية اجادت، وتجيد، «مناصرة» الانتفاضة، و«تأييد» مطالبها! ومع ذلك، فانه لا يفعل، هنا، شيئاً جديداً سوى انه يكشف، مجدداً، عن طبيعة غالبية الخطاب السياسي العربي الرسمي التي تدمن الازدواجية، ادمانها السلبية.

كيف يمكننا، اذاً، ان نفهم منطق هذه السياسة التي تتبنى، لفظاً، قضية الانتفاضة، وتتخلى، فعلاً، عنها، بدعوى ان الانتفاضة قادرة، وحدها، على ان تقرر مصيرها؟

لن يكلفنا فهم هذا «التناقض» كثيراً. فهو، بالتعريف، ضرب من التبرير؛ تبرير التقاعس عن نصرة الشعب الفلسطيني في هذه اللحظة من تطور نضاله الوطني، وتبرير التقاعس عن تحمّل الحد الادنى من الاقساط القومية في الصراع العربي ـ الصهيوني، كما انه ضرب من ركوب موجة التأييد العام للانتفاضة والمطالب الوطنية الفلسطينية.

اذا كان هذا حال التناقض بين الخطاب والممارسة، فكيف نفهم، من حيث المبدأ، ان يقدم نظام عربي ما على المساهمة في تهيئة مناخ غير صحي لعمل الانتفاضة، على الرغم من انها فرصته الايجابية؟

هذا، في نظرنا، هو السؤال الاهم. وتتوقف معرفة الجواب عنه على ادراك السؤال التالي: ماذا تعني الانتفاضة عند النظام العربي، وكيف يعرّفها؟ انّ في الاجابة عن هذا السؤال المدخل الاساس لتناول السؤال السابق.

ثمّة ثلاثة معطيات اساسية مستجدة تمثلها الانتفاضة، وتستند اليها، في مفهوم معظم النظام العربي، وتشكل، في مجموعها، تحدياً له، هي:

١ ـ العودة بالقضية الفلسطينية الى مركز الصدارة في اهتمام النظام الاقليمي العربي. وهي عودة لا يريدها معظم الدول العربية، بعد ان حققت اطراف وازنة فيه رصيداً هائلاً من النجاح في ازاحة هذه القضية من سلّم الاولويات، مستثمرة في ذلك متغيرات اقليمية جديدة لم تكن في صالح القضية، كتوقيع اتفاقيتي كامب ديفيد، وخروج مصر من مدار المواجهة، وتراجع الخيار العسكري، وغزو لبنان العام ١٩٨٢ وخروج قوات م.ت.ف. من بيروت، وبداية الانشقاق في المنظمة. ولقد كانت ذروة ذلك الاسلوب من استثمار المتغيّرات الجديدة لاحتواء القضية الفلسطينية واضعاف مركزيتها هي الاقبال العربي المتحمّس على ملف الحرب العراقية ـ الايرانية، بحسبان انها التحدي والتهديد الاكبر للامن القومي العربي، واندفاع بعض اطراف هذا النظام الى التدخل في تناقضات الازمة الافغانية «دفاعاً» عن الاسلام في وجه «الخطر الشيوعي». ولم تكن القمة العربية في عمان، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧[١]، الاّ مثالاً لهذا التتويج السياسي العربي لاستراتيجية ازاحة القضية الفلسطينية من اهتمامات النظام العربي.

لماذا مال، ويميل، بعض النظام العربي الى ممارسة هذه الازاحة في حق القضية الفلسطينية؟ ولماذا هو يقاوم، الآن، عودتها الى صدارة الاولويات؟

لا نحتاج الى كثير شرح لتبيان ان هذه المقاومة ليست الاّ فعلاً دفاعياً ضد ان يجد البعض في هذا النظام العربي نفسه في موقع يتجدد معه سؤال الشرعية، شرعية النظام ذاته، ذلك انه اذا كان الدفاع عن مصالح الامّة العربية وحماية حقوق شعوبها (ومنها الحقوق المهضومة، كالحقوق الوطنية الفلسطينية) من المصادر الاساسية والهامة التي اشتق، ويشتق، منها النظام العربي شرعيته، فان عودة القضية الفلسطينية الى مركز صدارة الاحداث في المنطقة تضع النظام العربي امام امتحان جدي، امتحان اهليته للدفاع عن الامن العربي المهدّد من قبل اسرائيل، وللدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، خصوصاً وانها عودة تتمّ عبر مدخل جدّ حساس: المقاومة المدنية؛ حيث يصعب، انْ لم نقل يستحيل، تبرير السكوت على الاستفراد الاسرائيلي الوحشي بمدنيين عزّل، وعلى ارضهم (اذا كان سهل، للاسف، تبرير ذلك السكوت في حالة استفراد العدو بالمقاومة الفلسطينية المسلحة في غير ارضها، في لبنان مثلاً!).

٢ ـ استدراج النظام العربي مجدداً الى ساحة الصراع مع اسرائيل. ان هذا الاستدراج له، أو هذا الزج به في معترك صراع خرج بعضه منه دون رصيد سوى ابتلاع الهزيمة كاملة، لا يمكن الاّ ان يكون المطاف الاخير لاستمرار الانتفاضة الفلسطينية، خصوصاً حينما يحصل ذلك في ظل مزيد من الصلف والتعنّت الاسرائيليين والميوعة الاميركية. ولا يستطيع النظام العربي، بعد او وطّن بعضه نفسه على حماية الهدنة مع العدو من الانتكاس، وبعد ان اقتنع بأن العقاب الاسرائيلي لا حدود له، وبعد ان تبيّن له ان فرص السلام التي راهن عليها بالحصانين، السوفياتي والاميركي، تتبخر تباعاً، لا يستطيع ان يقبل التعايش مع حالة ثورية مستديمة قادرة على ان تتخطى حدود الازعاج الامني الى خلق مناخ حرب اقليمية جديدة، يشعر كثيراً، وفي ظل الازمة المتفاقمة، بأنها تهدّد أمنه، تهديداً جدياً.

٣ ـ مخاطر انتقال «عدوى» الانتفاضة الى داخل بعض الكيانات العربية ذاتها. وهو انتقال يمكن، بحسب البعض، ان يتخذ أحد شكلين: امّا استثارة ضغوط شعبية واسعة على نظام ما، باعتبار اتساع نطاق تأثير الانتفاضة في الرأي العام، وامّا توليد قيم نضالية جديدة لدى الجيل الفتي والشاب نتيجة تفاعله مع وقائع الانتفاضة، وتحديداً مع مشاركة الاطفال والشباب فيها في الارض المحتلة. ان طريقة اداء الشبيبة في بعض الدول العربية، في بعض احداث السنتين الاخيرتين، من استعمال الحجارة الى استعمال اللثام على طريقة «القوات الضاربة»، لا يمكن ان يمر بسهولة امام عيون استراتيجيي عدد من الدول العربية دون ان يعني اشياء كثيرة، ودون ان يدفعهم الى استخلاص الخلاصات المطلوبة منه. وسواء تعلق الامر بنشوء حالة من الضغط السياسي، والشعبي، المباشرين على بعض النظم العربية، او بنشوء حالة من الثقافة الانتفاضية ومن المسلكية الانتفاضية تنتج «اطفال حجارة» عرباً، فان البعض من العرب يجد نفسه ازاء وضع أمني داخلي محرج يدفعه الى اعادة توزيع سلطته في المجتمع من جديد، لمواجهة الاحتمالات.

هذه الوضعية، التي حبلت بها الانتفاضة، وولدتها، هي التي دفعت عدد من النظم العربية الى ممارسة اسلوب ترك الانتفاضة لقدرها تواجه الاحتلال منفردة، والمشاركة، بشتى الاشكال، في حرمانها من فرص تعزيز مقاومتها له.

يمكننا ان نصف هذه الاستراتيجية التي نسجتها سياسات بعض الدول العربية تجاه الانتفاضة بأنها استراتيجية ردع، لانها تقاوم مفاعيل هذا الحدث الضخم قبل، بل دون، الصدام المباشر معه. وتتشكل عناصر ومستويات هذه الاستراتيجية من، وتتراوح بين، اسلوب التكيّف، واسلوب الاحتواء واسلوب المقاومة[٢].

اسلوب التكيّف: وهو ما يتمّ من خلال الجهاز الاعلامي. ونعني بالتكيّف، هنا، خلق حالة من التعايش مع الانتفاضة، يصير الحدث معها أمراً مقبولاً وغير ذي اثر سلبي في النظام. ولمّا كان ايجاد هذه الحالة مشروطاً بابداء النظام قدراً كبيراً من التضامن معها، فان النشاط الاعلامي الرسمي لم يتوان عن اداء هذه الوظيفة، وذلك من خلال التحدث المستمر عن بطولات الانتفاضة، وعن قدراتها الخلاقة على ايقاع الهزيمة بالعدو، الخ. يريد هذا النمط من التكيّف مع الانتفاضة تحقيق جملة من الاهداف:

- ايهام الرأي العام العربي بالتجاوب مع الانتفاضة، ومع مطالبها الوطنية، والمشاركة

في «دعمها» لتحقيق هذه المطالب.

○ تبرير التقاعس عن المشاركة الفعلية في معركة الانتفاضة ضد الاحتلال، تحت ستار انها امتلكت قدراً من الاكتفاء الذاتي من القوة يتيح لها مقارعة اسرائيل دون حاجة الى دعم خارجي.

○ تحويل احداث الانتفاضة الى طقس يومي عادي؛ الى حالة روتينية تفقد، بالتدريج، قدرتها على شحن الاهداف والنفسيات والارادات، لتتحول الى واقع عادي يتعايش معه «المواطن» العربي، كما يمكن ان يتعايش مع أي شيء آخر.

ويستطيع المرء ان يقول، بكل موضوعية، وبكل اسف ايضاً، ان هذا التكيّف نجح، الى حدّ بعيد، في بلوغ ما رسمه لنفسه من الاهداف. فمَن يمكنه، اليوم، ان ينفي ان الانتفاضة لم تعد تترك في «النفوس»، في أحسن الحالات، الّا الحسرة؟ ومَنْ يمكنه ان ينفي ان كثافة المناصرة الاعلامية نجحت في امتصاص الكثير من الاحتمالات في الشارع العربي؟

اسلوب الاحتواء: ونعني به مجاراة الانتفاضة سياسياً، ومحاولة استيعاب مطالبها بصورة لا تُفتَقد فيها السلطة او التنازل عن الثوابت الاستراتيجية. أو بتعبير آخر، محاولة ادراج بعض مطالب الانتفاضة ضمن نطاق لا يتجاوز سقف السياسة المرسومة، او يدفعها، كسياسة، الى رفع درجة توجهاتها.

ان هذا الاحتواء السياسي يتخذ مظهرين اساسيين:

المظهر الاول هو ممارسة الضغوط المستمرة على منظمة التحرير الفلسطينية، بهدف خفض سقف مطالبها وشروطها السياسية، بما لا يدفع الى «التورط» اكثر في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وبما لا يجبر على اطلاق سياسات اكثر حزماً وتشدداً تجاه الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل. وليس الضغط على م.ت.ف. للتجاوب مع ما دعي بـ «خطة بيكر» وتليين موقف المنظمة من موضوع حساس، كموضوع التمثيل الفلسطيني، ودرجته، الّا أحد عشرات الامثلة الدالّة على مقدار ما تعرضت، وتتعرض، له م.ت.ف. من ضغوط في سبيل التمكين من استيعاب الانتفاضة في اطار نظام السيطرة القائم.

أمّا المظهر الثاني لذلك الاحتواء، فيمثله الميل المتعاظم لبعض النظم العربية نحو التصديق (غير المشروط) على سياسات م.ت.ف. الجديدة كما تبدّى ذلك منذ «قمة الجزائر» (حزيران ـ يونيو ١٩٨٨) الى الآن. وعلى الرغم من ان هذا الميل قد يوحي بأن بعض السياسات العربية انتهى، فعلاً، الى الاعتراف الصريح باستقلال القرار الوطني الفلسطيني، وخطى نحو ممارسة فعّالة لما يعرّف بأنه قومي (اي ممارسة لا تصادر الوطني باسم القومي)، الّا أن الحقيقة الاليمة هي ان هذا الميل ليس الّا الاسم الحركي للانسحاب العربي من المشهد «الشرق أوسطي»، والتخلي، تماماً، عن تحمّل الحد الادنى من موجبات الصراع العربي ـ الاسرائيلي، والقائها على كاهل الانتفاضة وم.ت.ف. ومرة اخرى، لا يسع المرء الّا ان يعترف، مجدداً، بأن بعض العرب نجح، الى حدّ بعيد، في ممارسة هذه السياسة الاحتوائية.

اسلوب المقاومة: نعني به رفع درجة التأثير في الانتفاضة لفك تعبئتها، او على الاقل للتقليص من قدراتها على احداث آثار معاكسة في الوضع العربي الداخلي، وعلى احداث حالة من الازمة، اقليمياً، قد يكون من شأنها ان تطيح بالهدنة، وتفتح الحدود للحرب[٣]. ويميل بعض

السياسات العربية الى هذا النمط من المقاومة كلما تبيّنت محدودية اسلوب الاستيعاب والتكيّف في التمكين من وضع اليد على الانتفاضة، والتحكّم في مقاليدها. وهكذا، فحينما لا يعود ممكناً التأثير في الانتفاضة من مدخلها القيادي الوطني (م.ت.ف.)[٤]، يصبح وارداً البحث من طريق اخرى.

ليست هذه الطريقة سوى القوت اليومي للارض المحتلة. فمعظم النظام العربي يمارس على الانتفاضة ما يشبه الحصار الاقتصادي، والمالي، من خلال امتناعه عن دعم الانتفاضة مالياً، أو حتى الالتزام بدفع ما عليه من التزامات مالية تجاهها، حسب ما تمّ الاتفاق عليه في قمتي الجزائر والدار البيضاء. ان هذا النمط من الضغط لا يمكن ان يكون مبرراً بأي حال، خصوصاً بعد ان اضاف القرار الاردني بفك الارتباط الاداري والقانوني بالضفة اعباء مالية جديدة (مرتبات الموظفين). ثمّ هل هناك من حرب على الانتفاضة ـ وفي ظروفها الناس المزرية ـ اشد واقسى من الحرب الاقتصادية؟ وهل لهذه الحرب من هدف، ودلالة، سوى انها تريد ايقاف الانتفاضة، أو تطويعها الى حيث تنضمّ، هي الاخرى، الى حصيلة الوضع العربي؟ أفلا يحق لاي «مواطن» عربي، بعد هذا كله، ان يسأل عن «لغز» هذا النوع من العروبة الرسمية الذي يرفض بعناد ان يمارس الضغط الاقتصادي والعالمي على الولايات المتحدة الاميركية، بينما هي تمارسه على الضفة والقطاع؟

نملك ان نستنتج، في ضوء ما عرضناه سابقاً من عناصر، جملة من الاستنتاجات حول طريقة فهم عدد من النظم العربية للانتفاضة، اي طريقة بنائه للاستراتيجيات السياسية، وحول كيفية ادارته العملية السياسية التي يعبر عنها شكل تعامله مع الانتفاضة واستثماره لنتائجها.

○ ما يزال معظم النظام العربي دون مستوى ادراك الابعاد الحقيقية العليا للقضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي، بصفتها ابعاداً تتصل بـ ، وتقرر في، مصير الامن القومي العربي. فمن خلال مفهومه للانتفاضة يتأكد، من جديد، انه لا يزال، فكرياً وسياسياً، في حدود تعريف القضية الفلسطينية كقضية أمنية في بعديها، الخارجي والداخلي: اي تتصل بأمن الدولة العربية المهددة من الخارج (اسرائيل) ومن الداخل (شعبها). اي انه لم يصر، بعد، الى حيث يعرّفها كقضية تحرر وطني وتحرير قومي، يشكل تقييدها ـ لا الافراج عنها ـ اكبر تهديد للامن القومي العربي. والنظام العربي بهذا التعريف الامني الضيق للانتفاضة والقضية الفلسطينية، انما يضع الدولة ـ في الوطن العربي ـ في مواجهة المجتمع المدني، ويقزّم مفهوم الامن ومجاله، من امن المجتمع (الارض والناس والسيادة) الى أمن الدولة والنخب ومجال المصالح المرتبطة بها.

○ لا يزال معظم النظام العربي دون مستوى ادراك العناصر الاستراتيجية الجديدة التي ادخلتها الانتفاضة في لوحة الصراع في المنطقة. فهي قامت بما كان مفترضاً بالجيوش والسياسات العربية ان تقوم به من نقل للمعركة الى داخل مناطق سيطرة العدو، الى استنزاف يومي لقوّته القتالية، واقتصاده، ووحدة مكوّناته، الى استثارة اوسع دعم عالمي للحقوق الوطنية الفلسطينية، الى احداث خلل في علاقات الغرب باسرائيل، الخ. وبالجملة، فانها خلقت ظروفاً جديدة من شأنها لا تهديد الدول العربية، بل، بالعكس، دعم موقعها في مواجهة اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية. وكان النظام العربي، الذي اعفته الانتفاضة من الدخول في حرب جديدة، يستطيع، لو اجاد ادراك هذه المتغيرات الاستراتيجية الهامة، استثمار هذه الظرفية

جيّداً، والمساهمة في الدعم السياسي والمادي الفعلي للانتفاضة، وفي الضغط الاقتصادي والمالي على الولايات المتحدة الاميركية، لاحداث المزيد من التطوير في كفاءة وأداء الانتفاضة، وللتقدم أكثر نحو تحصيل مكاسب اقليمية جديدة، ما كان يحلم بها قبل سنوات، حين كانت الهدنة شاملة والسلاح يصدأ في مستودعاته.

---

(١) يعرف عن «قمة عمان»، في الكثير من الكتابات السياسية، انها قمّة المصالحة، والتوافق، ورأب الصدع في النظام العربي. هذا صحيح. لكننا نعرف عنها، أيضاً، انها القمة التي لم يتسع صدرها لاحلال القضية الفلسطينية المكانة التي تحتل، موضوعياً، بحيث لم يكلفها الامر الاّ بضع جمل عنها، مع اغفال تام لمنظمة التحرير الفلسطينية. فهل يحق لنا ان نستنتج ما نريد من هذا التلازم بين تهميش القضية الفلسطينية وبين التوافق العربي؟ أم ان الامر مجرد صدفة؟

(٢) استعرنا هذه المفاهيم الاجرائية الثلاثة من **التقرير الاستراتيجي العربي**، ١٩٨٨: القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ مؤسسة «الاهرام»، وتحديداً بالمعنى الذي وردت فيه في سياق التقرير: «تحليل انماط استجابة النظام العربي للضغوط الداخلية الممارسة عليه».

(٣) في خطاب جماهيري للرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في طرابلس ـ ليبيا، في ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٩٠، وفي معرض استعراضه للقيود المفروضة على العمل الفلسطيني، صرخ احد الحضور: «افتحوا الحدود لنقاتل». فأجابه عرفات: «لا أملك أوامر؛ لكنني اقول لك ان اسرائيل ستفتحها، حتى ولو لم ترد الدول العربية».

(٤) حين قال الرئيس الفلسطيني، عرفات، وقادة آخرون في منظمة التحرير الفلسطينية، ان لا احد من الفلسطينيين يملك القدرة على مطالبة الشعب الفلسطيني بايقاف الانتفاضة، فانة لا يوجه الخطاب الى الولايات المتحدة الاميركية فقط، وانما، ايضاً، الى الدول العربية. وهو حين فعل ذلك، انما استحضر تجربة الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، ودور الحكومات العربية في الضغط عليها لايقاف الاضراب والانتفاضة، نزولاً عند رغبة بريطانيا، ونيتها في الحوار لتسوية مشكلة الهجرة اليهودية.

مبادرة السلام الفلسطينية

(الانجازات والتوقعات)

سميح شبيب

تتبدى صورة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بعد مضي أكثر من عشرين شهراً على اعلان الاستقلال الوطني الفلسطيني، من خلال متغيّرات دولية، ومعطيات اقليمية، شهدت تزايد هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين، وازدياد حدّة التشدّد الاسرائيلي، وتعليق الولايات المتحدة الاميركية حوارها مع م.ت.ف. ونتيجة لذلك، راوح هجوم السلام الفلسطيني في مكانه، الأمر الذي يدعو، مجدداً، الى قراءة الاحداث السياسية، ومناقشة بعض قضاياها الساخنة.

ان مشروعية القراءة النقدية للاحداث تتأتى، أساساً، من محاولة التوصل الى نتائج محدّدة بشأن مكنونات المبادرة السلمية الفلسطينية ومقوّمات هجوم السلام الفلسطيني، وآفاقه، في ضوء المعطيات الراهنة، والحصيلة الاجمالية للحركة الفلسطينية.

ولعلّ البدء باعادة قراءة الملامح الرئيسة للانتفاضة الفلسطينية، وآفاقها، كأساس واضح في المتغيّر السياسي الفلسطيني، وايصاله الى طرح المبادرة السياسية الفلسطينية، يشكّل المدخل الأكثر ملاءمة في هذا السياق. فالانتفاضة الفلسطينية استندت، منذ انطلاقتها، الى حقائق ميدانية تمكّنت، من خلالها، ان تخطو، بسرعة، الى أمام، وان تحقق ثلاثة أهداف أساسية، شكّلت، وما زالت تشكّل، قاعدة قيامها، واستمرارها. هذه الأهداف هي تعزيز الدور الاجتماعي ـ الاقتصادي للسكان المحليين، واعتمادهم على ذاتهم، أولاً وقبل كل شيء؛ وتشكيل قيادة وطنية موحّدة تعبّر عن حقيقة التشكيل السياسي ـ الاجتماعي القائم؛ واستيعاب، وتعميق، الاعلان الاردني عن فك روابطه الادارية والقانونية بالمناطق المحتلة، على اعتبار ان فك الارتباط الاداري لا يشكّل اقراراً اردنياً باستقلالية الحركة السياسية الفلسطينية، فحسب، بل انه اقرار عربي، واقعي، وعملي.

من خلال تلك الانجازات، تمكّنت الانتفاضة من احداث تحوّلات على غير صعيد داخل اسرائيل. فبالاضافة الى الخسائر المادية والمعنوية التي تنتج عنها، ثمّة الخسائر في الجانب الاقتصادي. الّا ان التحوّلات والخسائر لا تزال دون حدّ اجبار اسرائيل على الانحسار والانكفاء عن الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، والاعتراف بحقوق الفلسطينيين المشروعة. فعلى الرغم من الخسائر الاقتصادية الاسرائيلية، فان ميزانية اسرائيل للعام ١٩٩٠ تبلغ حوالى ٣٥ مليار دولار، أي بزيادة ملحوظة عمّا كانت عليه في العام المالي ١٩٨٨/١٩٨٩. وهذا، في الواقع، لا يشكّل عامل تشاؤم مستقبلياً؛ ذلك ان الانتفاضة قائمة، أساساً، على استراتيجية عدم التكافؤ فيما بينها وبين اسرائيل؛ الّا انها قادرة،

من خلال بنائها الاجتماعي ـ السياسي، على تحييد أسلحة التفوّق الاسرائيلي الاستراتيجية، دون ان تتمكّن من أخذ المبادرة العسكرية، بمعناها الهجومي، والذي لا يزال يُعتبر عملاً انتحارياً بالنسبة اليها، كونه يقوم على تقديم الذرائع والمبررات الى العدو الاسرائيلي لارتكاب المزيد من المجازر وحملات القمع الدموية، والتي تشكّل، في جوهرها، خطراً على استمرار الانتفاضة ذاتها. وفي ضوء هذه المعادلة، فالانتفاضة قد تعني، في التفسير المستقبلي الاسرائيلي، استحالة السيطرة على الفلسطينيين واستيعابهم، كلية، في المشروع الاسرائيلي، الاّ ان ذلك لا يعني، في المقابل، وصول الفكر الاسرائيلي الى الاقتناع باستحالة سيطرته على الارض الفلسطينية في الضفة والقطاع، واستبعاد أي حل سياسي، أو عسكري.

وفي سياق تغيير هذه المعادلة، لا بدّ من خلق ظروف جديدة، من شأنها دفع الاسرائيليين الى الانسحاب من المناطق المحتلة، من طريق تهديد سيطرتهم العسكرية، وذلك بمزاوجة العمل السياسي ـ الدبلوماسي الفلسطيني مع استمرار الكفاح المسلّح.

لا بدّ لنا، هنا، من العودة، قليلاً، الى وراء، للتذكير بأن ظروف اللجوء الفلسطيني كانت أعطت امكانية قيام العمل المسلّح؛ اذ شكّلت المخيمات الفلسطينية، في البلدان العربية المحيطة باسرائيل، قواعد تدريب ونقاط ارتكاز لهذا العمل الوطني، في الوقت الذي أعطت تجربة الاحتلال للضفة الفلسطينية وقطاع غزة، اشكالاً كفاحية أخرى، اتخذت طابع المقاومة المدنية الشعبية، أو ما اصطلح على تسميته «الانتفاضة».

وعلى الرغم من ان اسلوب المقاومة المدنية يختلف عن أسلوب الكفاح المسلّح، الاّ ان الأول ارتكز على ما راكمه الثاني من معطيات، عبر الممارسة الطويلة منذ العام ١٩٦٥. بل ان تفجّر الانتفاضة جاء مواكباً، ومتلائماً، بل وتتويجاً لنضالات م.ت.ف. كافة.

لذا، فان المقاومة المدنية والكفاح المسلّح هما أسلوبان متكاملان، ولا تعني ممارستهما، في آن، التقليل من أهمية الانتفاضة، والافتراض دونية مستواها الكفاحي، ذلك انه من الصعب اعتبار الانتفاضة الشكل الوحيد للصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، على الرغم من كونها تمثّل المكانة الأبرز في دائرة الصراع، في الوقت الراهن.

ان التقليل من شأن الأشكال الكفاحية الأخرى، أو اسقاط بعضها لحساب الآخر، من شأنه الاخلال بصورة الصراع والعناصر اللازمة لاستمراره. وتتأتى صحة ذلك من ان حالة عدم الحسم هي الحالة التي تعيشها الانتفاضة. فالفلسطينيون، في المناطق المحتلة، مستمرون، حتى الآن، في الوتيرة اياها في مواجهة الاحتلال، دون تصعيدها الى حدّ السيطرة التامّة على مناطق، أو تحقيق العصيان المدني؛ والاسرائيليون، من جهتهم، غير قادرين على قمع الانتفاضة، للعودة بالمناطق المحتلة الى الوضع الذي كانت عليه قبل الانتفاضة.

وفي الواقع، ان هذه الحالة، في الاساس، هي التي أفرزت، في السنة الاولى من عمر الانتفاضة، وقائع سياسية مستجدة، ترتب عليها، موضوعياً، اعلان قيام الدولة الفلسطينية، والاعلان عن بدء هجوم السلام الفلسطيني.

لقد جاء اعلان الاستقلال وقيام الدولة الفلسطينية، في دورة المجلس الوطني الفلسطيني التاسعة عشر، في الجزائر، في ١٥/١١/١٩٨٨، استجابة حيّة لتطورات، وانجازات، الانتفاضة

ذاتها، من جهة، ومبادرة لنقل مركز الثقل في الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني الى داخل الوطن المحتل، واعطاء قيادة م.ت.ف. المجال للتحرك، في ضوء معطيات الانتفاضة ومتطلباتها. وعليه، فان طرح مبادرة السلام لم يولد من فراغ، أو بناء على رغبات وتمنيات، بل انه جاء في سياق عوامل موضوعية، هي المتغيّرات الدولية والظروف والنتائج التي حققتها الانتفاضة، والتي أدّت الى احداث تقديرات جديدة لدى قيادة م.ت.ف. في ضوء توفّر معلومات ووعود دولية.

ان التقليل من شأن المبادرة السلمية الفلسطينية، ومن تأثيرها في الصعيدين، الدولي والاسرائيلي، يوازي في خطورته تضخيم هذا التأثير، وتصوير المجتمع الاسرائيلي كأنه على شفير الهاوية، أو ان تأثير المبادرة الفلسطينية أدّى الى انشقاق حادّ في هذا المجتمع والى تعاظم دور قوى السلام فيه على نحو سيؤدي، قريباً، الى دفع اليمين الى الزاوية.

بعد مرور أكثر من تسعة عشر شهراً على الشروع بمبادرة السلام الفلسطينية، استجدت أمور كثيرة وحلّت مرحلة أملتها العوامل الدولية والاقليمية، ممّا يستدعي، بالتالي، تقويم عناصر هذه المبادرة على نحو يحفظ حيويتها وقدرتها التكتيكية على مهاجمة النقاط المعادية. ولاجراء عملية التقويم هذه، ينبغي الأخذ في الاعتبار القدرة الذاتية، أولاً، والقدرة العربية ثانياً، والمتغيّرات الدولية. وعلى صعيد هذه الأخيرة، تتميّز التحوّلات المتسارعة في دول المنظومة الاشتراكية (الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه) نحو الانشغال بالقضايا الداخلية على حساب الدور المعهود لهذه الدول في المعادلة الدولية، وبالتالي استُبدلت المعايير، ولم تعد الايديولوجيا هي الأساس في السياستين، الداخلية والخارجية، بل المصالح المحلية والاقليمية.

وأبرز الأمثلة على هذا التبدل هو فتح باب هجرة اليهود السوفيات، على نحو يتناقض مع أبسط قواعد التحالف والصداقة، التي تمّ ارساء أسسها بين م.ت.ف. والاتحاد السوفياتي، من ناحية، وبين نهج الاتحاد السوفياتي السابق ونهجه الجديد، من ناحية أخرى.

ان التحوّلات الدولية الراهنة، بما تحمله من تبدلات كونية كبيرة، ستترتب عليها خارطة العالم السياسي مستقبلاً، وستكون مؤشراً الى ان ثمّة مرحلة تاريخية بدأت بالانطواء، وثمّة مرحلة جديدة آخذة بالتشكّل.

ومن نافل القول ان هذه التحوّلات حملت معها تحديات طاولت القضايا الدولية عموماً، وقضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي خصوصاً. وقد انعكس هذا، بدوره، على مسيرة السلام الفلسطينية التي باتت تواجه ثلاثة أبعاد هامّة: الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، وهجرة اليهود السوفيات، وازدياد الرفض الاسرائيلي لكافة مبادرات السلام الدولية لاحلال السلام في المنطقة.

لقد شكّل بدء الحوار الفلسطيني ـ الاميركي، بحدّ ذاته، مكسباً وطنياً؛ اذ تأكد، من خلاله، وصول السياسة الاميركية الى درجة لم تعد قادرة على تجاهل وجود م.ت.ف. ومدى تأثيرها. وعلى الرغم من ان بعض التصريحات الفلسطينية، ومن مواقع الحرص الوطني، طالب برفع مستوى الحوار ـ اميركياً ـ وضرورة قطف ثماره سريعاً، فان أياً من تلك الاصوات، لم يطالب بوقفه، ذلك ان القوى السياسية الفلسطينية، رأت فيه انعكاساً لموازين قوى قائمة سمحت ببدئه، وبالمستوى والآفاق التي توضحت من خلال جلساته، والتي أكدت، بدورها، عدم حرص الولايات المتحدة الاميركية على رفع سويّته، واتخاذها الحوار أداة ضغط على المنظمة، تلوّح بها كلما دعت الحاجة الى ذلك.

لذا، فانه يمكن القول، ان تراكماً جديداً للانجازات الفلسطينية السياسية، والعسكرية،

من شأنه المساعدة على اعادة الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، بل والانتقال به الى دائرة الاقرار الاميركي بالصفة التمثيلية لـ م.ت.ف. وبالتالي التمهيد، جدياً، لعقد مؤتمر دولي خاص بانجاز تسوية شاملة ومتوازنة في الشرق الاوسط. وفي هذا السياق، فان السؤال الراهن لا يتعلق بجدوى استمرار الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، أو عدمه، بقدر ما يتعلق بتحديد، ورفع، مستوى الضغط الفلسطيني على المحاور الاميركي، والبحث في الموازين الدولية المتحكمة بسيرورة هذا الحوار، وما الذي تريده م.ت.ف. من وراء استمراره.

وعلى الجانب الآخر، فلا تزال هجرة اليهود السوفيات تتفاعل، لترسم آفاقاً ضبابية، بحيث يصعب الاستنتاج من خلالها. ولعلّ أكثر الاحتمالات خطراً هو ترافق الهجرة السوفياتية مع بدء اتخاذ السلطات الاسرائيلية اجراءات من شأنها تهجير الفلسطينيين الى خارج الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وتحديداً الى شرق الاردن. وتتبدّى مخاطر ذلك بعد مجيء الليكود الى سدة الحكم الاسرائيلي، الامر الذي سيعطي المخاوف الاردنية بُعداً جدياً؛ اذ ان زيادة هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل، وتهجير الفلسطينيين الى خارج الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، سيكونان المحورين الاساسيين في محاولة اسرائيل تحقيق شعار «الاردن هو فلسطين». ولعل ما يرجّح هكذا احتمالات، هو ما تشكّله الانتفاضة من مخاطر جدية على مستقبل الهجرة اليهودية، الأمر الذي حمل الاوساط السياسية الاسرائيلية على الدعوة الى الاسراع في الحدّ من نشاط الانتفاضة، تمهيداً لاقامة مستوطنات جديدة، لاستيعاب المهاجرين الجدد في المناطق المحتلة.

وفي هذا السياق، فان الحكومة الاسرائيلية، وكما هو واضح من خلال برامجها، وأدائها الاداري والعسكري في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، تعمل للحؤول دون تصاعد الانتفاضة؛ بل انها تكرس جلّ نشاطها لمحاصرتها، ودفعها الى المراوحة في مكانها، وعدم التعاطي، كلياً، مع قيادتها الموحّدة.

من جهة أخرى، فان اسرائيل لم تزل على موقفها ذاته بشأن م.ت.ف. وشرعية تمثيلها للفلسطينيين في الداخل والخارج، على حدّ سواء. فهي لا تقر بشرعيتها مطلقاً، بل باتت تدعو الى ضرورة «حل المنظمة» كخطوة أولية نحو تحقيق «السلام» في المنطقة.

عبر اجواء التشدّد والرفض الاسرائيلي الرسمي، تتصاعد حدّة التشدد على مستوى المزاج الشعبي، أيضاً؛ اذ أخذ هذا المزاج يميل نحو التشدد والرفض لأية تسوية سلمية. ولعل أكثر الشواهد وضوحاً هو نتائج انتخابات الكنيست الثاني عشر، والانتخابات البلدية؛ الأمران اللذان يدلّان على ان الفهم الاسرائيلي العام لمبادرة السلام الفلسطينية يقوم على أساس التخوف من نتائجها، وعدم النظر اليها ايجابياً. ومن خلال وقائع العامين الماضيين، فقد بات واضحاً ان اتفاقات الائتلاف الاسرائيلي لا تنبىء، بأي حال من الاحوال، بأية تغييرات في موقف اسرائيل تجاه المنطقة، حتى ولو كان من ذلك تسوية الامور ثنائياً بين اسرائيل وجاراتها، سوريا والاردن ولبنان.

في ضوء ذلك، يمكن القول ان حالة الركود باتت تهيمن على الاوساط السياسية كافة في المنطقة. وبالقدر الذي تحاول م.ت.ف. وبعض الدول العربية الخروج من تلك الحالة، فان اسرائيل تحاول الحفاظ عليها، ولو الى حين، متوخّية من وراء ذلك التوصل الى هدفين: الاول محاولة تهميش أي دور لـ م.ت.ف. في اطار العلاقات التفاوضية بينها وبين أي من الدول العربية، وخاصة بينها وبين الاردن ومصر؛ والثاني العمل على تمهيد الاوضاع في المنطقة بما يتناسب والقيام بعدوان محدّد بهدف

اعادة ترتيب الاوضاع، بما يتناسب ومصالحها. ولعل أبرز ما يؤكد ذلك هو انه على الرغم من الضغوط الدولية، ومساعي جمهورية مصر العربية السلمية، وتجاوب م.ت.ف. معها، فان الحكومة الاسرائيلية ما زالت تواصل رفضها اشراك المنظمة في أية مفاوضات سلام خاصة بالشرق الاوسط، سواء أديرت هذه المفاوضات في سياق متعدد الطرف، أو في سياق ثنائي. ولا يزال هذا الرفض هو الجامع المشترك فيما بين القوى الاساسية في اسرائيل.

ان الرفض الاسرائيلي القاطع للتفاوض مع م.ت.ف. لم يزل يشكل الاساس في عرقلة عملية السلام، واستمرار حالة التوتر قائمة. ومن خلال تجربة العامين الماضيين، فانه بالامكان القول ان موقف الولايات المتحدة الاميركية يشكّل داعماً أساسياً لموقف التعنّت الاسرائيلي. فلقد أكدت الاحداث الاخيرة عدم قدرة، وجدية، الولايات المتحدة الاميركية على الضغط على اسرائيل، ودفعها الى الاشتراك في مفاوضات مباشرة مع م.ت.ف. وكذلك عدم رغبة الولايات المتحدة الاميركية في الاعتراف بـ م.ت.ف. ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، انتظاراً منها لـ «انجازات» اسرائيلية محتملة في المناطق المحتلة، من شأنها اخراج ممثلين محليين عن السكان، يقبلون بالتفاوض حول حكم ذاتي.

بناء على ما تقدم، فان ثمّة أسئلة متداخلة تبرز للعيان حول مستقبل السلام في المنطقة، خاصة في ما يتعلق بهجوم السلام الفلسطيني وآفاقه.

وقبل البدء في طرح تلك الاسئلة، فانه لا بدّ لنا من التفريق، أساساً، ما بين «المبادرة» و«الهجوم». ان مبادرة السلام الفلسطينية تشكّل، في جوهرها، استراتيجية متكاملة الابعاد، ولا يمكن ادخالها في نطاق العمل التكتيكي ـ المرحلي لـ م.ت.ف. وان «هجوم السلام الفلسطيني» ما هو الاّ مرحلة من مراحله، ووجهاً من وجوهه. ولذلك، فانه لا يمكننا النظر الى نتائج هذا الهجوم بشكل معزول عن استراتيجية السلام الفلسطينية، ومعطيات الواقعين، الدولي والمحلي. وبالتالي، فان تناول المبادرة السلمية من أساسها، ومحاولة تشريحها، لا يدخلان في نطاق هذه القراءة. الاّ ان مراجعة عناصر ومقوّمات هجوم السلام الفلسطيني، وما تمّ استخدامه منها، وما تستلزمه المرحلة في ضوء المتغيّرات والمعطيات الدولية، والمحلية، من شأنه تدعيم المبادرة السلمية ذاتها، والتي أضحت بُعداً أساسياً من أبعاد السياسة الشرق أوسطية. وعليه فان الخطوة الحاسمة في الانتقال بالصراع من مدار الى آخر، تتطلب رسم تخوم جديدة لعملية هجوم السلام الفلسطيني، وادخال عناصر ومقوّمات جديدة فيه. وفي هذا السياق لا بد من السؤال، أولاً: هل يمكننا، وفقاً لامكاناتنا الراهنة، وتحالفاتنا القائمة، من تطوير الموقف الاميركي، كموقف أساس ورئيس في عملية التسوية في المنطقة؟ فاذا كانت الاجابة عن هذا السؤال سلبية، فما هو المطلوب، اذاً، فلسطينياً؟ وهل ان الاوضاع الراهنة، فلسطينياً، والمتمثلة بمراوحة عملية هجوم السلام وتعليق الولايات المتحدة الاميركية حوارها مع م.ت.ف. ونجاح الليكود في الوصول الى سدة الحكم، واطلاق المزيد من التهديدات الاسرائيلية، قابلة للاستمرار؟

ان الدلائل باتت تشير الى ان الظروف، كافة، تنذر باحتمالات خطرة، من شأنها استخدام العنف من اجل اعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة، بما يتناسب والرؤية الاميركية ـ الاسرائيلية، ارتكازاً على الغياب السوفياتي، من جهة، واعادة دول أوروبا الشرقية الاعتبار الدبلوماسي الى اسرائيل، من جهة أخرى.

وسط هذه الصورة القاتمة، نسبياً، فان أوضح ما يتبدّى في الأفق الفلسطيني هو التفكير، جدياً، بقراءة هجوم السلام، على نحو يتلاءم مع المبادرة السلمية، والحفاظ على مقومات الوجود

السياسي والعسكري لها؛ الأمر الذي يتطلب بدوره:

○ زيادة دعم الانتفاضة، باعتبارها مركز الثقل الرئيس في الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني، وتوفير المستلزمات الضرورية لتطوير وسائل كفاحها المدني، وبالشكل الذي تمليه مهامها، قبل أي اعتبار آخر.

○ الاستمرار في ممارسة الكفاح المسلّح، وتطوير وسائله وأشكاله، وبشكل يكفل مقاتلة العدو الاسرائيلي عسكرياً، الامر الذي تكفله القوانين الدولية، من جهة، والذي أبدى نجاعة ملموسة، استندت اليها انجازات م.ت.ف. من جهة أخرى. وم.ت.ف. على هذا الصعيد، تمتلك جميع مقوّمات القدرة على مواءمة اساليبها السياسية والعسكرية مع متطلبات الواقع ومستجداته المستقبلية.

○ الاستفادة من موازين القوى العربية المستجدة، والتي أدّى بروزها الى ان تعيد اسرائيل النظر في نواياها العدوانية اعادة قائمة على حسابات دقيقة، والعمل، أيضاً، على احياء الجبهة الشرقية، ومجلس الدفاع العربية المشترك.

ان المرحلة الراهنة، شأنها شأن المراحل التاريخية المتتالية، فيها من نقاط الضعف ومن نقاط القوة. وتتوقف قدرة استيعابها وتجاوز مصاعبها على درجة استيعاب المرحلة ضمن اطار الائتلاف والاختلاف الداخلي، والحفاظ على الجسم السياسي والتنظيمي، والذي عليه يتوقف مستقبل المسار الفلسطيني.

ان استيعاب ظروف العمل السياسي المستجدة، على الصعيدين، الدولي والمحلي، يتطلب تجاوزاً للخلافات الاقليمية الراهنة، والبحث في جوامع العمل المشترك، بما يكفل للوضع العربي مكانه الملائم في عالم التكتلات الكبرى الراهنة. كما ان الوضع الفلسطيني، بكل خصوصياته وتشابكاته في الوسطين، العربي والاسرائيلي، يتطلب، بدوره، قراءة جديدة تقويمية لما أنجزه هجوم السلام، ولما ينبغي ان يتخذ من سبل لتعزيزه على نحو يؤهله لانجازات أخرى في المراحل اللاحقة.

«أسْرَلة» الجغرافيا العربية لفلسطين

د. غازي فلاح

نستعمل، أحياناً، في كتابتنا الجغرافية مصطلحي de-Arabization (طمس المعالم العربية) و Judaization (تهويد)، وذلك للتدليل على السياسات والممارسات الصهيونية التي تنتهجها السلطات الاسرائيلية لتحويل فلسطين، أو أجزاء منها، الى مناطق استيطان يهودي مكثّف، إمّا من طريق التفريغ الجسماني للسكان العرب من هذه المناطق، أو من طريق غلق هذه المناطق ومنع العرب من استعمالها فعلياً، أو حتى من طريق زيادة استيطان يهودي. وفي الوقت عينه، تقوم السلطات الاسرائيلية بمحو الملامح العربية والحضارية لهذه المناطق، واستبدالها باستعمالات وملامح يهودية جديدة؛ وتستمر في هذه العمليات حتى تطمس الهوية العربية الأصلية للمنطقة.

تهدف هذه الدراسة الى الاشارة الى نوع آخر من محاولات طمس الهوية العربية لفلسطين، ليس من خلال جغرافيا التراب الفلسطيني، بل من خلال الكتابات الجغرافية الاسرائيلية الخاصة بفلسطين. وبودّي، هنا، ان استعمل مصطلح «أسْرَلة» (Israelization) للتدليل على النهج المميّز والانتقائي للكاتب الجغرافي الاسرائيلي؛ ولا يختلف هذا المصطلح، بروحه ومفهومه، عن مصطلحي de-Arabization و Judaization المذكورين أعلاه.

تدور هذه الدراسة حول سؤالين محوريين: الاول، لماذا اختار الباحث الجغرافي الاسرائيلي موضوعات معيّنة عند درسه لجغرافيا البلاد البشرية، وكيف تتداخل موضوعات الجغرافيا العربية للبلاد في هذه الدراسات؟ الثاني، ماذا يسأل الجغرافي الاسرائيلي، عندما يبحث في الجغرافيا العربية لفلسطين، وكيف يختار المقاييس والمصادر كي يجيب عن أسئلته؟

يرتبط هذان السؤالان ببعضهما البعض ارتباطاً عضوياً، ويشكّلان القاعدة المفاهيمية للفكر الجغرافي الاسرائيلي الخاص بجغرافية فلسطين البشرية.

لعل أفضل مدخل لمناقشة موضوع «أسْرَلة» الملامح الجغرافية العربية لبلادنا فلسطين، وما يتبعه من محاولات طمس الهوية الجغرافية العربية للبلاد من قبل مجموعة الجغرافيين الاسرائيليين، هو ما قُدِّم من أوراق عمل في اثناء انعقاد مؤتمر الجغرافيين العالمي الثالث والعشرين، في الاتحاد السوفياتي، في صيف العام ١٩٧٦، حيث وُضِعَت العشرون ورقة عمل في كتاب واحد يحمل عنوان «الجغرافيا في اسرائيل» (١٩٧٦)؛ ويقع هذا الكتاب في ٣٩٦ صفحة، بالاضافة الى ١٦ صفحة أخرى تحمل مناظر جغرافية مختلفة، وضعت في آخره.

ان تدقيقاً سريعاً وعابراً في عناوين المناظر المرفقة قد يغني عن قراءة كل الكتاب؛ بل ويكفي لرسم خارطة ذهنية مميّزة للبلاد كما رسمها الجغرافيون الاسرائيليون، حيث يتضح من هذه الصور

العنصر الاسطوري الصهيوني؛ كما وتهدف هذه الصور (مثلها مثل غالبية مضامين مقالات الكتاب) الى تزويد ذهن القارىء بأفكار، ومعلومات، منتقاة ومحدّدة. فمثلاً نرى جزءاً كبيراً من المناظر يشير الى مناطق زراعة صحراوية للتدليل على المجهودات الاسرائيلية المكثّفة لاستغلال موارد البلاد الطبيعية، وتحويل الصحراء الى جنّة خضراء. هنالك إشارة واضحة الى توجيه ذهن القارىء الى مناظر ذات مورفولوجية سكانية يهودية، مثل مناظر مدينتي تل ـ أبيب وايلات. فوضع صور مدينة القدس في صدر المجموعة، ووضع صور حائط المبكى خلفها مباشرة، جاءا ليظهرا أهمية هذه المدينة وقدسيتها لليهود.

لم تُبْرَز المناظر العربية بشكل واضح في هذه الصور. والصورة الوحيدة التي اختيرت لتصف الملامح العربية للبلاد كانت الصورة الأخيرة، وهي صورة المدرّجات المتروكة. فبدلاً من وصفها بأنها أحد الأوجه الحضارية والاجتهادية للفلاح الفلسطيني في استغلاله كل شبر يصلح للزراعة في المناطق الجبلية، واهتمامه البالغ في حفظ التربة من الجرف، أعطت هذه الصورة انطباعاً عكسياً ودعمت الاسطورة الصهيونية القائلة ان البلاد كانت خالية من السكان العرب، أو ان العرب أهملوا استغلال أرضهم. وبالاجمال، يمكننا القول ان مضامين هذه الصور تعكس، الى حدّ بعيد، مضامين المقالات التي خُصصت لهذا الكتاب، وتعكس، الى حد أبعد، اتجاهات البحث الجغرافي الاسرائيلي الخاص بفلسطين، حيث تتمخّض هذه الاتجاهات عن اختيار متعمّد وإبراز مبالغ فيه لجوانب معيّنة من البحث، وفي الوقت عينه تجاهل، أو تقليل أهمية، موضوعات وجوانب أخرى لا تقل أهميتها عنها في ابراز الجغرافيا البشرية الحقيقية لفلسطين.

الاطار النظري

تتعرّض الكتابات الجغرافية، مثلها مثل باقي كتابات العلوم الاجتماعية، لجوانب بارزة من النظرة اللاموضوعية، وذلك لأنها تُعبّر عن تجربة كاتبها، وتخيّلاته ورؤيته الفردية الى المحيط القريب والعالم الأوسع. فكلما ازدادت تجربة الكاتب بالمكان، واندمجت أحاسيسه بالموضوع الذي يبحث فيه، ازداد احتمال تعرّضه للنظرة اللاموضوعية. وهنالك تفسيرات مختلفة لمفاهيم الموضوعية، واللاموضوعية، والقيم الانسانية وعلاقتها بالعلوم الطبيعية، والاجتماعية، حيث تتداخل هذه التفسيرات المختلفة في اطار واهتمامات فلسفة العلوم.

أمّا الجغرافيون، فقد اهتموا بالتخيّل (imagination)، والذي، بدوره، يقود الى اللاموضوعية. وقد حذّر ج. ك. رايت، قبل أكثر من أربعين عاماً، من خطر اللاموضوعية في الجغرافيا، والناجمة عن شدة التخيّل. هذا وقد ميّز رايت بين ثلاثة أنواع من عمليات التخيل، والتي يقود كل منها، بشكل أو بآخر، الى اللاموضوعية في الكتابات الجغرافية: تخيّل انشائي (promotional imagination)؛ وتخيّل بديهي (intuitive imagination)؛ وتخيّل جمالي (aesthetic imagination)[1]. كذلك، فان جغرافيا أي بلد، حسب ج. دبليو. واتسون، تقع في «داخل أحلام شعبها؛ انها جغرافية ماذا يرون، وماذا يريدون، وماذا يفعلون ببلدهم»[2]. وهكذا، فان جغرافيا الذهن ليست الجغرافيا الحقيقة للمكان. أشار أ. كابلان الى انه حتى الكتابات العلمية ليست معصومة عن تأثير اللاموضوعية، على الرغم من ان طرق البحث العلمي تقلل، عادة، من تأثير اللاموضوعية، وذلك باتباعها الاساليب والمقاييس العلمية[3]. أمّا حسب نظرة ج. م. بلوت الماركسية، فان هنالك تأثيراً كبيراً للظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بالكاتب (مثل انتماء عرقي، طبقي، جنسي)، حيث ان هذه الظروف

لا تبقي الجغرافيا محايدة[٤]. وعن معالجة المشكلة الجغرافية، أشار د. هارفي الى انه عند اتخاذ القرار بالبحث في مشكلة معيّنة، يجب التقيّد بكيفية ابراز المشكلة واختيار حجم الدراسة؛ وكذلك يجب التقيّد بكيفية اختيار اساليب التحليل[٥].

هنالك أهمية كبرى بأن يقوّم الباحث كتاباته بنفسه ويضعها تحت مجهر اللاموضوعية. كذلك يجب ان يقوّم مدى دوره، وموضع عمله، بالنسبة الى تكوين فكرة مسبقة، أو فرض أفكاره على القارىء. فالدراسات الخاصة بالصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي أفضل مثال، من حيث تعبيرها عن موقع كاتبها بالنسبة الى قضية الصراع، حيث ان ما يمكن ان يسمّى موضوعياً عند طرف، ربما يكون غير موضوعي عند الطرف الآخر[٦].

لقد قمنا نحن في تقويم دراساتنا عن بدو الجليل، فأشرنا الى احتمال وقوع اللاموضوعية في تحليلنا للاحداث، وقلنا ما يلي: «وربّما كان في التصاقه العميق بالشؤون البدوية [أي التصاق المؤلف]، فكراً وجسداً، ما يقود الى شيء من اللاموضوعية. ولكن هذه اللاموضوعية، على كل حال، تجد ما يعوّض عنها في كشف حقائق معيّنة قد يسقطها الكاتب غير البدوي، أو يتجاهلها عامداً متعمّداً، كما هو الحال مع بعض الكتاب الاسرائيليين»[٧].

وعند تقويمنا للدراسات الجغرافية الاسرائيلية الخاصة بالجغرافيا البشرية لفلسطين، بشكل عام، والجغرافيا العربية لفلسطين، بشكل خاص، فاننا نجد أمثلة ناصعة من النظرة اللاموضوعية في وصف الملامح البشرية والحضارية للبلاد؛ نجمت هذه اللاموضوعية، بشكل مباشر، من سيطرة الاحلام الصهيونية على دماغ الكاتب الاسرائيلي. فهو وصف وحلّل التغييرات والاحداث في الماضي كما أرادها ان تكون، خدمة لفكرة بناء وانشاء وطن لليهود في فلسطين. كذلك، فهو حلّل وأعطى «مصداقية» للتخطيطات الاسرائيلية، ونظر الى الجغرافيا المكانية في الحاضر كما أرادها ان تكون، وكما رسمها منفّذو القرارات من السياسيين.

تعتبر مقالة اس. ووترمان حول الايديولوجيا والاحداث في الملامح البشرية الاسرائيلية مقالة فريدة ووحيدة، كونها كتبت من قبل احد الجغرافيين الاسرائيليين، والذي يصف فيها الكتابات الخاصة بتغيير الملامح والبيئة، كذلك الخاصة بباقي نواحي المجتمع، بأنها بنيت على أساطير غير واقعية. والاسطورة، كما هو معروف، عبارة عن تخيّل يسيطر عليه التحيّز والمصلحة الشخصية[٨].

تكوين جغرافيا اسرائيلية بديلة

تحوّلت الجغرافيا الاسرائيلية الى منهج تدريسي جامعي في سنوات الخمسين، في الجامعة العبرية، بمبادرة ثلاثة أساتذة يهود حاملي شهادة الدكتوراه من الجامعات الاوروبية (عميران، شطنر، وكارمون). وقد انعكس الكثير من اهتمامات واتجاهات فكر أولئك الجغرافيين الثلاثة في غالبية البحوث الاسرائيلية اللاحقة، والتي كتب غالبيتها تلاميذهم، أو تلاميذ تلاميذهم. فحتى العام ١٩٨٥، بلغ عدد حاملي شهادة الدكتوراه في الجغرافيا البشرية، في اسرائيل، ٧٠ شخصاً، ٧٠ بالمئة منهم من خريجي الجامعات الاسرائيلية، للقب الاول والثاني؛ وان ٣٣ جغرافياً منهم يشكّلون ٤٧,٢ بالمئة من حملة شهادة الدكتوراه من الجامعات الاسرائيلية، ومن بينهم ٣٢ (أي من بين الـ ٣٣) من خريجي الجامعة العبرية[٩]. من هنا يظهر تمركز الفكر والبحث الجغرافي الاسرائيلي في داخل مؤسسة واحدة. ولهذا التمركز أثر كبير في اختيار مواضيع البحوث وأساليب البحث للدراسات الاسرائيلية،

وذلك تلاؤماً مع تخصصات الاساتذة، وربما رغباتهم الشخصية.

لعبت دراسات، وتدريس، الجغرافيا الاسرائيلية دوراً كبيراً في ديناميكية بناء الدولة اليهودية الحديثة. لقد أُخضعت المواضيع والكتابات الجغرافية لخدمة احتياجات ملحّة داخلية، واعطاء «شرعية» و«مصداقية» عالمية لهذه الدولة، من خلال ابراز انجازاتها.

لقد كرّس الجغرافيون الاسرائيليون، في البداية، جهداً كبيراً لبناء معرفة جغرافيا يهودية مستقلة لملامح البلاد. وأرادوا لهذه المعرفة ان تكون بديلة ممّا كُتب حتى الآن في كتب الرحالة والمستشرقين والكشافين السابقين[١٠]، حيث تُستغل هذه المعرفة الجغرافية على الصعيدين، الداخلي والخارجي. فجاءت وظيفة الجغرافيا، على الصعيد الداخلي، لتقريب السكان اليهود، الذين هم، بغالبيتهم، من المهاجرين الجدد، الى المكان الذي يعيشون فيه؛ وبذلت جهود مكثّفة لاقناع أولئك المهاجرين بأن مكانهم الحالي هو «مسقط الرأس». وعن ذلك، ذكر كتاب «مناظر في بلادنا»، «ان زرع شعور مسقط الرأس صعب بشكل خاص في بلادنا؛ فالتقارب للطبيعة والشعور بالانتماء للمكان، لمجموعة مناظر... لا يمكن ان يكون متطوّراً في بلاد، جزء كبير من مواطنيها لم يولدوا فيها»[١١].

ان دور الجغرافيا في مجال تقريب المهاجر (القادم الجديد) الى المكان، جاء بشكل البحث والتنقيب عن العناصر التوراتية، والبشرية، اليهودية، وابرازها وحيدة وذات قيمة كبرى في وصف جغرافيا البلاد. هذا التوجّه، بحد ذاته، غير موضوعي، لأنه، سوف يُسقط، متعمّداً، عناصر غير يهودية أخرى في المكان؛ تلك العناصر قد لا تساهم في تقريب المهاجر الى المكان. هنالك أمثلة عديدة حول اخضاع الجغرافيا للأهداف الاسرائيلية الداخلية. فمثلاً، ان الهدف من اعداد «أطلس اسرائيل»، بالاضافة الى اهميته النظرية، حسب ما ذكر، «له أهمية تطبيقية، وذلك لأغراض التخطيط والتطوير المستقبليين، حيث ان مستقبل الدولة ومستقبل مشروع مزج الجاليات متعلق بنجاح هذا التخطيط»[١٢]. كذلك الأمر بالنسبة الى أهداف كتاب منشه هارئيل ودوف نير «جغرافيا اسرائيل». ففي هذا الكتاب ذكر المؤلفان ان الهدف من تعليم جغرافيا البلاد هو الربط بين دراسة تاريخ اسرائيل والتوراة وبين دراسة جغرافيا البلاد المتمثّلة بالمناخ والنبات واقتصاد البلاد[١٣]. رافقت هذا التوجّه، في الدراسات الجغرافية الاسرائيلية، عمليات مكثّفة من ابتداع وتركيب لغة ومصطلحات جغرافية اسرائيلية، حيث استبدلت الاسماء العربية على جميع الخرائط، وفي جميع الكتب، بأسماء جديدة؛ وفي بعض الاحيان، كان استبدال هذه الاسماء بشكل تحريف بسيط للفظ، أو الأحرف المكوّنة للأسم العربي الاصلي.

ان العلاقة بين الفكر واللغة مرتبطة، ارتباطاً وثيقاً، ببلورة اللاموضوعية في البحث الجغرافي الاسرائيلي. كتب هارفي: «ان أي مجموعة علمية تطور لغة، تستعملها عادة لتبادل الافكار في داخل هذه المجموعة، حيث ان اللغة تُعرَّف كجزء من البحوث». ومن هنا، فان «الحديث عن الموضوعية هو، فقط، في داخل مفهوم هذه المجموعة العلمية»[١٤]. بالاجمال، فان استعمال المصطلحات الاسرائيلية في بحث الجغرافي الاسرائيلي شكّل الاطار لتبديل هوية جغرافيا فلسطين العربية و«أسرَلتها».

وعلى الصعيد الخارجي والعالمي، لعبت الجغرافيا الاسرائيلية دوراً هامّاً في ابراز شخصية (image) الدولة الاسرائيلية الحضارية والمتقدّمة، وابراز مهارات ومقدرة سكانها اليهود. ومن هذا المنطلق، اتجهت البحوث الجغرافية الاسرائيلية الى ابراز العنصر الاستثنائي المميّز في جغرافيتهم (uniqueness). ان اظهار هذا العنصر الاستثنائي، والمميّز، في الجغرافيا الاسرائيلية، جاء

لدافعين مرتبطين ببعضهما البعض: الاول، جذب اهتمام أسرة الجغرافيين العالمية الى الاهتمام بجغرافيا اسرائيل، وبالتالي الاعتراف، ضمناً، بما أنتجه الجغرافي الاسرائيلي، والذي سوف يشكّل قاعدة لكل من يريد ان يبحث، لاحقاً، في جغرافيا البلاد. لقد استغل الجغرافيون الاسرائيليون، بصورة منهجية، ظواهر جغرافية طبيعية وحضارية متنوّعة، تتميّز بها جغرافيا البلاد الطبيعية والبشرية، وعرضوا هذه الظواهر بغرض اجتذاب اهتمام أسرة الجغرافيين العالمية. ففي مقدمة الكتاب الذي عَرَض مجموعة أوراق العمل الاسرائيلية في مؤتمر الجغرافيين العالمي الثالث والعشرين، في الاتحاد السوفياتي، العام ١٩٧٦، أشار عميران، بوضوح، الى تلك العناصر المميّزة والتي تُكوِّن جغرافيا البلاد المميّزة؛ «بفارق ملحوظ للمناطق الواسعة والابعاد القارّية للاتحاد السوفياتي، فان الالتقاءات المتقاربة للطوبوغرافيا المتنوّعة، والمتمثّلة في غور الاردن، الذي ينخفض في البحر الميت الى أوطأ نقطة في الارض، نوعان من المناخ، تاريخ استقرار بشري غني، وسكان مغامرون [طلائعيون]. هذا ما يجعل جغرافيا اسرائيل موضوعاً ساحراً، على الرغم من حجم البلاد الصغير. أكثر من ثلاثة آلاف سنة من سجل تاريخي، وأهمية البلاد الروحية، وخاصة القدس عاصمتها، ذات الديانات التوحيدية الثلاث؛ كل هذا يعطي لجغرافيا اسرائيل أبعاداً ومقاييس خاصة مميّزة»(١٥).

أمّا الدافع الثاني الى ابراز العنصر الاستثنائي في الجغرافيا الاسرائيلية، فربما يعود الى عوامل ايديولوجية عقائدية وتربوية تؤثر في نمط التفكير الاسرائيلي. فأسطورة كون اليهود «شعب الله المختار»، الذي ينتظر العودة الى «أرض الميعاد»، تدفع الباحث الاسرائيلي الى استخلاص نتيجة استثنائية مميّزة لحالته الدراسية؛ وتنعكس هذه الاسطورة في بحوثه بصورة واضحة، عندما يحاول اتباع أسلوب المقارنة مع شعوب أخرى، أو بلدان أخرى. فالبحوث الجغرافية التي كتبت حول زراعة المناطق الصحراوية، وتجفيف المستنقعات، واستغلال الموارد الطبيعية، والمحافظة على المحميات الطبيعية، أو توطين البدو، لم تأت لغرض اظهار انجازات الدولة فحسب، بل جاءت لاظهار «العنصر المميّز» لليهود في استغلال قدراتهم، والتي «أخفق غيرهم» في استغلالها. وهنا تجدر الاشارة الى ان احدى الدعائم المركزية التي ارتكز عليها وعد بلفور، منذ العام ١٩١٧، باقامة «وطن قومي» لليهود في فلسطين، انبثق من روح الاسطورة الصهيونية الخاصة بمقدرة اليهود على استغلال ثورة البلاد بصورة أفضل، الامر الذي يعود بالمنفعة على جميع السكان. وهكذا، فان البحوث الاسرائيلية التي نُشرت، بعد قيام اسرائيل، حول الزراعة في الصحراء، وحول فكرة الكيبوتس وتنشيط الزراعة، جاءت لتقول للعالم «ان اليهود يستحقون دولة، وقد أنجزوا ما وعدوا به». وفي كلام آخر، فقد كتب الجغرافي الاسرائيلي نصوصاً جغرافية حسب ما أراد ان تكون الجغرافيا، وليس كما هي عليه في الحقيقة. ان نظرية تحويل الصحراء الى جنّة خضراء هي مجرد اسطورة؛ والعكس هو الصحيح، فان ما يستغل، اليوم، من أرض زراعية في النقب هو حوالى مليون وثلاثمئة الف دونم؛ بينما ما توصلنا اليه من تجميع معلومات واحصائيات وثائقية حول مجموع الاراضي التي استغلها بدو النقب للزراعة، قبل العام ١٩٤٨، أكثر من ذلك بكثير، وقد تصل الى ضعف، وضعفي، ما يُستغل اليوم في النقب للزراعة، وذلك حسب المصادر المختلفة. وعليه، فان الاسرائيليين، عملياً، لم يحوّلوا أراضي جيدة في النقب الصحراوي الى أرض زراعية اضافية، بل أهملوا أرضاً واسعة تصلح للزراعة، وبقيت بدون استعمال زراعي، أو انها حُوِّلت لاستعمالات أخرى غير زراعية.

لعبت الجغرافيا التاريخية الاسرائيلية دور الأسد في «أسرلة» جغرافيا فلسطين البشرية ودعم الاسطورة الصهيونية الخاصة بالاستعمار الصهيوني لفلسطين، قبل العام ١٩٤٨. فحتى

تضعف الصبغة السلبية لسمة الاستعمار، وما يتبعه من مآس تلحق بسكان البلاد المحليين، فقد دأبت الجغرافيا التاريخية الاسرائيلية على اقناع العالم بأن هذا النوع من الاستعمار هو استثنائي، من حيث ان اليهود والمستوطنين «يعودون الى أرض الآباء والاجداد، وليس الى منطقة جديدة». كذلك، فقد ركّز الجغرافيون الاسرائيليون على ان هذا الاستعمار ما هو الاّ ظاهرة تحديث وتحضُّر، مثلها كمثل المستعمرات الالمانية التي أُنشئت في شمال فلسطين والساحل، منذ نهاية القرن التاسع عشر. لقد تجاهلت الجغرافيا الاسرائيلية، كلياً، أهم سمة سلبية للاستعمار، وهي الخاصة بالاستيلاء على أخصب المناطق الزراعية في البلاد، بعد تجريدها من اصحابها المحليين، بصورة أو بأخرى. وبدل ذلك فقد وُصف هذا الاستعمار بالعمل «الطلائعي» والعمل الايديولوجي، وحتى عمل مشاركة جماعية تمثّلت بنمط استيطان خاص، مثل الكيبوتس والموشاف.

هنالك عامل آخر موضوعي، وله دور هامّ في دفع الجغرافيا التاريخية الاسرائيلية للنظر الى فلسطين بصورة تعكس فيها الاحلام الصهيونية والنظرة اليهودية بشكل ملحوظ. هذا العامل يعود الى طبيعة أسلوب البحث الجغرافي التاريخي. ففي الجغرافيا التاريخية يُبحث، عادة، في تغييرات مكانية في فترة زمنية عابرة. وعليه، فان الباحث يجب أن يَبْني استنتاجاته على معطيات متواجدة، وعلى قدرته على تخيّل «الحقيقة النسبية». فمثلاً، قد يكون بعض المعلومات عبارة عن «معالم مادية» (historical relicts)؛ وعندها يحاول الباحث ان يقوّم هذه المعالم، ويقوّم دورها في معرفة الظروف والمتغيرات المكانية التي أحاطت بهذه المعالم في الفترة الزمنية المدروسة. من هنا، فقد يقع الباحث الاسرائيلي، وبسهولة، في خطأ، عندما يحاول ان يبرز قيمة بعض المعالم اليهودية المقدسة بصورة مبالغ فيها، وبهدف ابراز الهوية الجغرافية اليهودية للمكان. وبالتالي، فان هذا الامر يؤدي الى نتيجة غير موضوعية لوصف التغييرات المكانية. ومثال آخر على انتهاج طرق بحث في الجغرافيا التاريخية، والتي قد توقع الباحث الاسرائيلي في موقع من اللاموضوعية والتحيّز، هو عند انتهاجه طريقة التوصل للتغييرات المكانية لفترة زمنية، من طريق درس المناخ الاجتماعي، من معتقدات وعادات سكان المنطقة الاصليين الذين عاشوا في تلك الفترة، وفي ذلك المكان. فاذا كان عند الكاتب نظرة سلبية مسبقة، او ايجابية، عن سكان، أو شعوب، المنطقة، فانه لن يتمكّن، عندها، من تقديم تحليل موضوعي للمناخ الاجتماعي. وعليه، فان نتيجة بحثه سوف تكون غير موضوعية أيضاً.

التعامل مع الجغرافيا العربية

نبدأ، هنا، بالسؤال المركزي لهذه الدراسة، وهو كيف يبحث الجغرافي الاسرائيلي في الظواهر الجغرافية المتعلقة بالانسان العربي الفلسطيني؟ ان مجموعة الاسئلة التي يسألها، ومجموعة الاجوبة التي يجيب عنها، تشكل النهج الاسرائيلي (paradigm) الخاص في «أسرلة» الجغرافيا العربية لفلسطين.

يمكننا تحديد ثلاثة مجالات مختلفة من الدراسات الجغرافية البشرية لفلسطين، التي يستخدمها الباحث الاسرائيلي لدرس ملامح الجغرافيا والظواهر الجغرافية العربية، بشكل أو بآخر، بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وفي كل من هذه المجالات تُسأل أسئلة مختلفة، حسب الاهداف التي تُحدد مسبقاً، وعند الاعداد لهذه الدراسات.

ونحن، هنا، لا نزعم اننا قد فحصنا جميع الدراسات الاسرائيلية الخاصة بجغرافيا فلسطين البشرية؛ ولكننا اطلعنا على الجزء الاكبر منها، وخاصة ما كتب عن الوسط العربي في

اسرائيل كدراسات منفردة. ومن هنا يمكننا رسم خطوط عريضة تبرز عند غالبية الجغرافيين الاسرائيليين؛ وقد أخذنا بعين الاعتبار الحالات الاستثنائية القليلة، والتي حاول بها بعض الجغرافيين الاسرائيليين التعامل مع الجغرافيا العربية لفلسطين من منطلق نظري ومحض علمي.

أمّا المجالات الثلاثة التي تتداخل فيها دراسة الجغرافيا العربية لفلسطين، فهي: مجال الدراسات الاقليمية لفلسطين؛ ومجال الدراسات الخاص بالجانب اليهودي؛ ومجال الدراسات المنفردة حول مواضيع وظواهر جغرافية عربية.

نلاحظ، في المجال الاول، ان هنالك سلسلة من الدراسات الاقليمية الخاصة بالمناطق الطبيعية المختلفة لفلسطين، ويظهر فيها الاستقرار البشري العربي كأجد العناصر الهامّة التي تكوّن الملامح الجغرافية للمنطقة. حتى نهاية الستينات، تخصصت غالبية الدراسات الاسرائيلية الجغرافية في هذا المجال، حيث أعطت تفسيرات ووصفاً عقلانياً لنمط الانتشار السكاني وعلاقته بالطوبوغرافيا، أو بالتربة، أو بشبكة المواصلات، أو بالبعد، أو القرب، من مراكز عمرانية[١٦]. الهدف من بحث الملامح الجغرافية العربية، في هذا المجال، لم يكن لغرض ابراز الهوية العربية، والعلاقة الوطيدة للانسان بالمكان، أو كيف استطاع الانسان العربي، بجهده وقوة خياله وبما تسمح له الامكانات آنذاك، ان يخضع عوامل جغرافية طبيعية ليبني له حضارة مادية، واستقراراً أبدياً؛ بل ان النظرة الاسرائيلية، هنا، تختلف. فهنالك من رأى في درس الملامح العربية للمنطقة كخطوة لدرس، واستنباط، الملامح التوراتية القديمة للبلاد[١٧].

أمّا غالبية الدراسات الاقليمية الخاصة بالجغرافيا العربية، فقد جاءت لتظهر التغييرات المكانية في الانتشار السكاني في المنطقة، وفي استعمالات الارض، مقارنة هذه التغييرات مع فترة لاحقة بعد قيام اسرائيل. والنتيجة المركزية التي أراد ان يتوصل اليها الباحث الاسرائيلي هي ان الانسان الفلسطيني لم يفلح في استغلال الموارد الطبيعية، وذلك بسبب عدم الاستقرار، أو بسبب عقائد خاصة بالسكان، أو بسبب صراعات بين بعضهم البعض. وعندما جاءت دولة اسرائيل، فان الأمن قد ساد في المنطقة، والحياة الاقتصادية ازدهرت، وارتفع مستوى الحياة. وهنالك أمثلة كثيرة على ذلك. فمثلاً استخلص آرييه بيتان، في دراسته عن الجليل الأسفل، ان عدم تطور الزراعة، في هذا الجزء من الجليل، يعود الى هجمات القبائل البدوية على هذه المنطقة، وان هذه العوامل البشرية أهمّ من العوامل الطبيعية المتمثلة بتواجد أرض زراعية صالحة للاستعمال، أو تواجد مصادر مياه[١٨]. ولعلّ كتابات يهودا كارمون، ووصفه لعرب الحولة، تفوق بصهيونيتها أية كتابات أخرى في تلك الفترة، حيث يتهم كارمون عرب الغوارنة بأنهم عارضوا الحكومة البريطانية في جهودها لمكافحة الملاريا في تلك المنطقة، وذلك لأنه، على حدّ ادعاء الكاتب، يتعارض مع تقاليدهم! واستخلص الكاتب «عجز» العنصر العربي في تغيير الواقع البيئي، أي تجفيف المستنقعات في هذه المنطقة، حيث تُرك الامر لليهود، الذين جاءوا اليها منذ العام ١٩٣٦[١٩].

ومن الجدير بالذكر ان التفكير، والاهتمام، بتجفيف بحيرة الحولة قد بدأ في نهاية القرن التاسع عشر. ففي العام ١٨٨٧، قدّم المهندسون الأتراك الى منطقة الحولة. وقد عمّقوا مياه نهر الاردن، فانخفض مستوى سطح مياه البحيرة بمتر واحد. وهكذا تمّ استصلاح آلاف الدونمات للزراعة. فعرب الغوارنة وعرب الحسينية (من أصل مغربي) استصلحوا مناطق شاسعة في غرب بحيرة الحولة، مستعملين أساليب ري مكثّف. وفي العام ١٩٠٠، تأسّست شركة خاصة لتجفيف بحيرة الحولة

سجّلت تحت اسم Societe Agricole De Houle . وقد حاولت هذه الشركة الحصول على امتياز لمنطقة الحولة. وكل هذه المحاولات جاءت لتغيّر الواقع البيئي قبل ان يصل اليهود المستعمرون الى الحولة بزهاء نصف قرن تقريباً.

أمّا في مجال البحث في الجانب الخاص باليهود، فتتداخل الجغرافيا العربية، وتُذكَر إمّا بشكل هامشي وامّا بشكل يعزّز ويبرز الكاتب الاسرائيلي بها الملامح اليهودية والعنصر اليهودي «الفعّال والمميّز»، مقابل طمس، أو تشويه، العنصر العربي، والموصوف، عادة، بمواصفات معاكسة ومتناقضة. فمثلاً، يوصف العنصر اليهودي بالحداثة والمشاركة والنظام والعقلانية والانفتاح، مقابل العنصر العربي الذي يوصف بالمجتمع التقليدي، والمغلق، وغير العقلاني باستغلاله للكنوز الطبيعية، بالاضافة الى كونه مجتمعاً يتصارع مع نفسه. قد تظهر هذه المواصفات للقارىء غير الجغرافي بأنها من تخصص باحث علم الاجتماع؛ ولكن عندما يكون لها تأثير مكاني، فانها تصبح من اهتمام الجغرافيا.

تجدر الاشارة، هنا، الى ان هذا المجال من الدراسات يشكل الجزء الاكبر من الدراسات الخاصة بجغرافيا فلسطين البشرية. وبما ان محور الدراسة الرئيس هو جغرافيا الموضوعات اليهودية، فان ما يكتب عن الجغرافيا العربية، في هذا المجال، يكون عادة بشكل اجمالي، وليس مدروساً بعمق، وعادة ما يعبّر عن ضحالة وتقويم غير دقيقين. ومن خلال هذه الدراسات، يظهر، بوضوح، الاتجاه العام وموقف الباحث الجغرافي الاسرائيلي من الجغرافيا العربية. هنالك أمثلة عديدة تظهر سطحية البحث في الجزء العربي من هذا المجال من الدراسات. فمثلاً كتب باروخ كيبنس (١٩٧٦) أطروحة دكتوراه عن كريات شمونه. وعندما وصف موقع كريات شمونه، في مقالة له، ذكر حرفياً: «أُقيمت كريات شمونه في العام ١٩٤٩ على أنقاض الخالصة»؛ وعرّف الخالصة بأنها A deserted small Arab hamlet (٢٠).

فالمصطلح الجغرافي hamlet يقابله في اللغة العربية «بلدة صغيرة»، «نزلة»، «عزبة»، «خربة مأهولة»، ويمكن ان يكون مجموعة من البيوت. ولو فحصنا حجم الخالصة الحقيقي، قبل تدميرها العام ١٩٤٨، فاننا نجد انها كانت أول، وأكبر، قرية عربية في قضاء صفد، وعدد سكانها ١٨٤٠ نفراً، ومساحة أراضيها ١١٢٨٠ دونماً (الارقام لعام ١٩٤٥)(٢١).

ان التصغير في حجم الاحصائيات الخاصة بالقرى العربية المدمَّرة والقرى العربية الفلسطينية في فترات تاريخية قبل العام ١٩٤٨، هو عبارة عن توجّه مقصود عند الجغرافي الاسرائيلي، وغيره من الاسرائيليين. وعلى ما يظهر، فان سبب ذلك يعود الى الطرح الاسرائيلي الذي يُعطي ارقاماً صغيرة لحجم النزوح الفلسطيني العام ١٩٤٨، وذلك من منطلق تصغير حجم، وقيمة، النكبة التي أصابت الشعب الفلسطيني.

تعتبر دراسات يهوشع بن آرييه في الجغرافيا التاريخية عن مدينة القدس، في القرن التاسع عشر، من أبرز الامثلة لطمس أهمية دور العنصر العربي في تطوير المدينة في تلك الفترة. فهو استعمل العديد من المصادر والوثائق العبرية الاسرائيلية، وكذلك استعمل اقتباسات مستشرقين ورحّالة زاروا المدينة في تلك الفترة، حيث عرض هذه المصادر بشكل شهود عيان لاحداث تلك الفترة. وهذا التوجّه يمثّل احدى طرق بحث الجغرافيا التاريخية. ان النتيجة النهائية التي توصل اليها (أو أراد ان يتوصّل اليها) بن آرييه، في خاتمة كتابه، هي: «ان الاستيطان اليهودي في مدينة القدس كان العامل

الاساسي الذي جلب أكثر التغييرات والتطوّرات في وضع المدينة»[٢٢]. فعندما تناول بن آرييه سكان مدينة القدس في القرن التاسع عشر، فقد نظر اليهم كطوائف وديانات، وكل ديانة منقسمة على نفسها الى عائلات، أو مذاهب، بدل اعتبارهم عرباً. وفي تطرّقه الى القرى العربية المحيطة بالقدس، وبالذات قرى سلوان وأبو ديس والعيزرية والطور ولفته والمالحة وبيت صفافة وعين كارم، اقتبس المؤلف شهادات من كتب ومذكرات الرحالة والمستشرقين بصورة منهجية وانتقائية، حيث أظهرت هذه الاقتباسات انطباعاً سيئاً ومتخلّفاً، لا بل همجياً، عن تصرفات وطرق معيشة سكان هذه القرى. وهذه المواصفات، طبعاً، تلائم نظريته، التي يُظهر بها العنصر اليهودي في القدس بالطابع الحضاري الذي جلب، على حدّ قوله، غالبية التغييرات والتطوّرات. كتب المؤلف عن سكان سلوان، مثلاً: «ان غالبية مصادر القرن التاسع عشر تشير الى ان أهالي سلوان أناس قاسون وذوو مستوى متخلّف، يعتاشون على النهب؛ يشاكسون الحجاج الاوروبيين؛ النساء وقحات جداً، ولا يدرن وجوههن ولا صدورهن؛ لسانهن غير مصون، يشتمن النصارى ويعلمن أولادهن ذلك؛ وهن يلدن الكثير من الاولاد. سلاح أهالي القرية من مقاليع الحجارة، ولا يخيفهم سوى طلقات المسدسات التي تمنعهم من قذف الحجارة» (ص ٧١). كذلك أضاف الكاتب ان التطورات الهامة التي حدثت في منطقة القرية جاءت في نهاية القرن التاسع عشر، عندما أقامت السلطات مستشفى للجذام (مرض الجرب)؛ وكذلك أُقيمت ضاحية يهود اليمن (ص ٧١). بمثل هذه المواصفات اقتبس المؤلف ووصف باقي القرى العربية آنفة الذكر. وعندما جابه المؤلف الحقائق وشهادات ايجابية عن القرية، وحجم القرية، مثل قرية لفته، والتي شُبِّهت على يد غيرين، العام ١٨٦٣، بأن لها شكل مسرح، وان عدد سكانها يصل الى ٦٠٠ نفر، قال بن آرييه ان هذا الرقم مبالغ جداً فيه، وذلك لأن هناك مصادر لاحقة ذكرت ان القرية صغيرة، وتعيسة، وفقيرة (ص ٧٣). ان هذا التوجّه في بحوث بن آرييه حول الجغرافيا التاريخية لعرب فلسطين يمكن فحصه عند باقي الكتابات الجغرافية التاريخية الاسرائيلية؛ لا سيما وان المؤلف هو مؤسس الجغرافيا التاريخية الاسرائيلية، وانه أرشد، بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، كل من درس جغرافيا فلسطين التاريخية من بين الاسرائيليين.

أمّا المجال الثالث، وهو دراسات منفردة حول ظواهر وموضوعات عربية، فان نهج الجغرافي الاسرائيلي في ابران، أو طمس، الجغرافيا العربية اختلف بالنسبة الى الفترتين الزمنيتين، ما قبل، وما بعد، العام ١٩٤٨. فعندما بحث الاسرائيلي في هذه المواضيع لفترة ما قبل قيام اسرائيل، فانه اتبع النهج ذاته وسأل الاسئلة عينها التي يسألها فيما لو درس المنطقة من وجهة نظر الجغرافيا الاقليمية، أو درس المواضيع اليهودية. أي ان المجتمع العربي الفلسطيني، حسب تصوره، كان مجتمعاً تقليدياً؛ وقد بدأ يتغيّر مع التطور الاقتصادي والتحديث الذي جلبته الصهيونية الى البلاد، ومع استقرار الوضع الامني الذي جلبه حكم الانتداب البريطاني الى فلسطين.

وعندما عالج موضوعات جغرافية عربية بعد اقامة اسرائيل، فان الاسئلة اختلفت، حيث ان الاهداف الصهيونية ومتطلبات الدولة اليهودية اختلفت. فعلى صعيد النشر الخارجي، أبرز الجغرافي الاسرائيلي، في كتاباته، روح تطبيق الديمقراطية والمساواة لكافة المواطنين، وعكس فيها حسن نيّة السلطة ومجهوداتها في التخطيطات الاقليمية، والمحلية[٢٣]. واذا حدث هنالك تذمّر أو تشكيك في نيّة السلطة[٢٤]، فان واجبه ايجاد المبررات الاكاديمية لذلك. واذا عجز عن ذلك، فانه يتّبع أسلوب المقارنة مع الدول العربية المجاورة له، ليعطي الفرق النسبي بين المعاملات الايجابية والسلبية. فمثلاً، عندما صادرت السلطة أرضاً عربية، قام الباحث الاسرائيلي وشكك في مصداقية ملكية العربي لهذه

الارض، أو قال ان السلطة تصادر من العرب كما تصادر من السكان اليهود، وذلك حسب متطلبات التطوير. فمثلاً، برهنّا في دراستنا المنشورة العام ١٩٨٣[٢٥] على ان من أهداف توطين البدو ـ حسب التخطيطات الاسرائيلية ـ هو الاستيلاء على الارض العربية، وتحويلها الى استعمالات الاستيطان اليهودي، حيث تتداخل، هنا، أهداف الايديولوجيا الصهيونية، المتمثلة في وضع جميع أراضي فلسطين تحت تصرّف اليهود، ردّ علينا الجغرافيان سوفير وبارغال بقولهما: «لقد فشل فلاح في ان يذكر انه توجد في اسرائيل سياسة واحدة تجاه الاراضي الخاصة، سواء أكانت بملكية العرب أو اليهود. وحسب هذه السياسة، فانه بالامكان مصادرة الارض للاحتياجات العامة، والتطويرية، مقابل أرض بديلة، أو تعويضات». وأضافا أيضاً، «ان مثل هذه السياسات متبعة في الدول المتطورة»[٢٦]. أمّا وظيفة البحث الجغرافي للقضايا العربية، على الصعيد المحلي، فهو أبرز، بشكل مباشر، نمط الانتشار العربي في البلاد من وجهة نظره الخاصة، وأبرز التغييرات المكانية، وذلك من منطلق محاولة الضبط واعطاء المصادقة الاكاديمية للمخططات المستقبلية، أو الدفاع عمّا أحرز حتى الآن.

ولو فحصنا، مثلاً، كتابات الجغرافيين الاسرائيليين كارمون واليشع افرات[٢٧]، وتعريفهما لنمط الانتشار السكاني العربي في اسرائيل في مراكز تجمّعهم الثلاثة، وهي الجليل، والمثلث، والنقب، فاننا نرى، بوضوح، كيف ان الرؤيا الاسرائيلية السلبية تجاه العرب تجعل من نمط انتشارهم نقمة عليهم. فمثلاً، كون تجمّع السكان العرب في الجليل المركزي بشكل قرى متقاربة بينها وكونهم يشكّلون أكثرية سكانية، فان هذا ـ حسب تقويم الجغرافي الاسرائيلي ـ يسيء للدولة؛ ولذا، تعطى «شرعية» لمزيد من الاستيطان وعزل التقارب أو التحام البناء الاسكاني العربي. هذا وكون القرى العربية في منطقة المثلث تنتشر بخط طولي على مقربة من حدود «الخط الاخضر»، فان الامر، أيضاً، في غير مصلحة الدولة لاحتمال التحام العرب مع بعضهم البعض في طرفي الحدود. وهنا، أيضاً، تُعطى «مصداقية» أكاديمية لممارسات السلطة من «نقل» (ترانسفير)، وغلق مناطق، ومصادرة أرض عربية بجانب الحدود، للأغراض العسكرية، أو الاستيطانية. أمّا انتشار عربان النقب في مناطق واسعة، بعد نزوح غالبيتهم بعد نكبة العام ١٩٤٨، فانه، أيضاً، حسب مفهوم السلطة والجغرافيا الاسرائيلية، خطر ومضرّ في مصلحة الأمن. ولذا، فقد رأت السلطة في تجميعهم في منطقة مغلقة أمراً لا بدّ منه.

اجمالاً، يمكننا القول ان توجّه الجغرافي الاسرائيلي العام هو اعطاء «شرعية» للوضع القائم، وبدون البحث في المسببات لهذا الوضع. ومن هذه النقطة، فهو بدأ بوصف النمط الجغرافي العربي الذي تبلور، ومدى علاقته بمصلحة الكيان اليهودي في البلاد.

يمكننا ان نلخّص ما درس حول المواضيع العربية المنفردة بقولنا ان غالبية الدراسات كانت حول جغرافيا القرية العربية[٢٨]؛ وان هنالك القليل من الدراسات حول سكان المدن والمدن المختلطة، حيث اتبعت الجغرافيا الاسرائيلية الاتجاه المورفولوجي، وفسّر الجغرافيون الاسرائيليون النمط والشكل الهندسي للبناء المكوّن للقرية؛ وكذلك اتبع الاتجاه الوظائفي، حيث ان محور البحث تمثّل بالتنظيم الاقتصادي والاجتماعي. وفي هذين الاتجاهين تمركز محور التحليل حول ابراز العوامل الداخلية الخاصة بالمجتمع، كعوامل معوّقة للتغيير والتقدّم، مقابل ابراز العوامل الخارجية الخاصة بسياسة السلطة، كعوامل مشجّعة ومنشّطة للتغيير.

الخلاصة

جاءت دراستنا هذه ليس لغرض كشف، وتأكيد، الجغرافيا العربية لفلسطين، بل لكشف حقيقة

جغرافيا فلسطين في ذهن ومخيّلة باحث الجغرافيا الاسرائيلي. اننا نعتبرها مقدمة متواضعة من اجل بناء اطار بحث جغرافي فلسطيني مستقبلي. ان ما كتبه طالب الجغرافيا الالماني، في رسالة الينا، في العام ١٩٨١، عقب زيارته الاولى لبلادنا، وقوله: «لقد فوجئنا بأن نجد كم ان اسرائيل هي عربية»، في صميم دراستنا، من حيث ان ما يصوره الاسرائيلي في كتاباته الجغرافية عن البلاد، وما يقرأه القارىء الاجنبي عنّا، يختلف، تماماً، عمّا تراه العيون والتجربة المكانية. لقد لاحظنا نهج الباحث والكاتب الجغرافي الاسرائيلي الخاص بابراز أمور خاصة تخدم أهدافه، وفي الوقت عينه التنكّر لأمور أخرى قد لا تخدم، أو تناسب، نظرياته. فالكتّاب الاسرائيليون تراهم يقتبسون عن بعضهم البعض؛ وكل جيل يأتي يثبّت ما قاله سابقه بصورة أو بأخرى. والنتيجة هي طمس المعالم الحضارية العربية للبلاد، أو تشويهها؛ وهذا الامر قد يكون محتملاً بانعدام وجود باحثين آخرين يناقضون نتائجهم.

فمن تصنيفات رايت لأنواع التخيّل الثلاثة التي تؤدي الى اللاموضوعية في الجغرافيا، يمكننا ان نتبنّى التخيّل الانشائي (promotional imagination) كاطار نظري للجغرافيا البشرية الاسرائيلية الخاصة بتحليل، وتقويم، الملامح العربية الفلسطينية.

ان ما يؤثر في هذا النوع من التخيّل هو الرغبة الشديدة في التشجيع أو الدفاع عن أي مصلحة شخصية، أو سبب آخر، أكثر من الرغبة في البحث عن الحقيقة الموضوعية، ولأجل الحقيقة نفسها. ومن هنا، فان التخيّل اللاموضوعي مسيطر عليه من قبل احاسيس في اتجاه معيّن، حكم مسبق، تحيّز، طمع، خوف، أو حتى حب. وكل هذا يؤدي الى تكوين مفاهيم وهمية مضلّلة تطابق ما يرغب فيه الفرد، وليس، بالضرورة، يطابق الحقيقة(٣٩).

ان اندفاع الجغرافيا البشرية الاسرائيلية الى هذا التوجّه اللاموضوعي بسبب سيطرة الاحلام الصهيونية والدوافع السياسية قد أدّى، بدوره، الى اهمال مواضيع بحث جوهرية في كشف «تتابع الاشغال المكاني» (sequent occupance) للاستقرار البشري في فلسطين. وفي الوقت عينه، فقد حُصر الفكر الجغرافي الاسرائيلي في اطار وتجربة ضيّقين، الامر الذي سوف يُكلف الاسرائيليين جهداً كبيراً للوصول الى العمومية (generality) وموازية دراساتهم الجغرافية مع نهج جغرافيا باقي الشعوب.

بقي علينا، نحن الجغرافيين الفلسطينيين، ان نستمر في كتابة نصوص جغرافية أمينة؛ وليس هنالك خوف من ان نتهم باللاموضوعية، لأن جغرافيا التراب الفلسطيني ناصعة، عربية، تحمينا.

---

(١) Wright, J.K.; "Terrae Incognitae; The Place of the Imagination in Geography", *Annals of the Association of American Geographies*, Vol. 37, No. 1, 1947, pp. 5 - 6.

(٢) Watson, J.W.; "Image Geography; The Myth of America in American Science", *Advancement of Science*, Vol. 27, No. 131, 1970, p. 71.

(٣) Kaplan, A.; *The Conduct of Inquiry*, Scranton: Chandler, 1964, p. 387.

(٤) Blaut, J.M.; "The Dissenting Tradition", *Annals of the Association of American Geographies*, Vol. 69, No. 1, 1979, pp. 157 - 158.

(٥) Harvey, D.; *Explanation in Geography*, London: Edward Arnold, 1969, pp. 51 - 61.

(٦) قارن الأمر بالرجوع الى Newman, D. and J. Portugali; "Israeli - Palestinian Relations as Reflected in the Scientific

Literature", *Progress in Humann Geography*, Vol. 11, No. 3, 1987, p. 317.

(٧) د. غازي فلاح، **النظرة الاسرائيلية لقضايا البدو في الشمال: تناول بديل**، نيقوسيا: «اوراق فلسطين الثورة ـ ٢»، منشورات بيسان برس، ١٩٨٦، ص ٦.

(٨) Waterman, S.; "Ideology and Events in Israeli Human Landscapes", *Geography*, Vol. 64, 1979, p. 178.

(٩) ـــ، ـــ ; "Not Just Milk and Honey Now a Way of Life; Israeli Human Geography Since the Six - Day War", *Progress in Human Geography*, Vol. 9, No. 2, pp. 194 - 195.

(١٠) Reichman, S. and R. Gerson; "Uniqueness and Generality in Israeli Geography", in Amiran, D.H.K. and Y. Ben-Arieh (Eds); *Geography in Israel*, Jerusalem: Israel National Committee, International Geographical Union, 1976, p. 25.

(١١) أ. بن يسرائيل، **مناظر من بلادنا** (بالعبرية)، القدس: بلا ناشر، ١٩٧٧.

(١٢) **أطلس اسرائيل** (بالعبرية)، القدس: دائرة المساحة الاسرائيلية ووزارة العمل ومؤسسة بيالك والوكالة اليهودية، ١٩٥٦.

(١٣) منشه هاريئيل ودوف نير، **جغرافيا اسرائيل** (بالعبرية)، تل ـ أبيب: عام عوفيد، ١٩٨٤.

(١٤) Harvey, **op. cit.**, p. 58.

(١٥) Amiran, D.H.K.; "National Parks and Nature Reserves in Israel; The Case of a Country with a Long Record of Occupation", in Amiran and Ben - Arieh (Eds), **op. cit.**, p. 7.

(١٦) Reichmans and Gerson, **op. cit.**

(١٧) Amiran, "National Parks and Nature Reserves...", **op. cit.**, p. 261.

(١٨) آرييه بيتان، **تغييرات في الاستيطان وفي استعمالات الارض في الجليل الاسفل الشرقي منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى أيامنا**، القدس: الجامعة العبرية، ١٩٦٩، ص ٥٣.

(١٩) يهودا كارمون، «أرض اسرائيل»: **جغرافيا البلاد ومناطقها** (بالعبرية)، تل ـ أبيب: دائرة نشر بينه، الطبعة الرابعة، ١٩٧٨، ص ٢٣.

(٢٠) Kipnis, B.; "The Functioning of a New Town as a Regional Center; A Case Study in Northern Israel", in Amiran and Ben - Arieh (Eds), **op. cit.**, p. 241.

(٢١) Hadawi, S.; *Village Statistics, 1945*, Beirut: PLO Research Center, 1978, p. 70.

(٢٢) يهوشع بن آرييه، **مدينة في مرآة الفقرة: القدس الجديدة في بدايتها** (بالعبرية)، القدس: يد بن تسفي، ١٩٧٩، ص ٦٢٩.

(٢٣) جدعون غولاني، **تغييرات في المبنى الجغرافي للقرية التقليدية في القرن العشرين**، القدس: الجامعة العبرية، ١٩٦٦، ص ١٠٩؛ و Shmueli, A.; "Bedouin Rural Settlement in Eretz - Israel", in Amiran and Ben - Arieh (Eds), **op. cit.**, p. 326.

(٢٤) Falah, G.; "The Development of the 'Planned Bedouin Settlement' in Israel, 1964 - 1982; Evaluation and Characteristics, *Geoforum*, Vol. 14, No. 3, 1983, pp. 311 - 323.

(٢٥) **المصدر نفسه**، ص ٣٢٢.

(٢٦) Soffer, A. and Y. Bar - Gal; "Planned Bedouin Settlement in Israel; A Critique", *Geoforum*, Vol. 16, No. 4, 1985, p. 424.

(٢٧) كارمون، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨٨؛ واليشع افرات، **الجغرافيا والسياسة في اسرائيل** (بالعبرية)، تل ـ أبيب: احياسف، ١٩٨٤، ص ١٨٣.

(٢٨) Waterman, **op. cit.**, p. 284.

(٢٩) Wright, **op. cit.**, pp. 5 - 6.

قراءة في موقف ديغول من القضية الفلسطينية

د. احمد سعيد نوفل

في تاريخ الأمم قادة يتركون أثراً كبيراً بعد رحيلهم، ليس في شعوبهم فقط، بل في شعوب الدول الاخرى. ومن هؤلاء القادة الجنرال شارل ديغول، مؤسس الجمهورية الفرنسية العام ١٩٥٨، ومحرر بلاده من الاحتلال الالماني العام ١٩٤٥. وتصادف، في هذا العام، ثلاثة تواريخ هامّة تتعلق بديغول: الاول، الذكرى المئة لولادته؛ والثاني الذكرى الخمسون لندائه الشهير من اذاعة لندن، في الثامن عشر من حزيران (يونيو) ١٩٤٠، الذي دعا فيه الشعب الفرنسي الى مقاومة النازية في بلاده؛ والثالث، الذكرى العشرون لوفاته.

ولهذا أطلقت فرنسا على هذا العام «عام الجنرال ديغول»؛ وعقدت ندوات عدة واحتفالات بهذه المناسبة. وما يهمّنا، في الواقع، ليس التحدث، في هذه المناسبة، عن ديغول، بصفته زعيماً فرنسياً ساعد بلاده على مقاومة الاحتلال النازي، ولا بصفته صاحب نظرية بناء اوروبا موحّدة، التي تستعد الدول الاوروبية الى تحقيقها خلال العامين المقبلين، ولا درس شخصية مؤسس الجمهورية الفرنسية الخامسة، الذي وافق على استقلال الجزائر؛ بل ما يهمنا هو اعادة البحث في سياسة الجنرال ديغول من القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني. تلك السياسة التي ابتدأها ديغول في العام ١٩٦٧؛ واستمرت فرنسا في انتهاجها حتى الآن؛ وهي سياسة التوازن بين أطراف الصراع في الشرق الاوسط، بعد ان كانت فرنسا، في زمن الجمهورية الرابعة الاشتراكية، من أكثر الدول المؤيدة لاسرائيل، وشاركت في العدوان الثلاثي على مصر، في العام ١٩٥٦. وسنحاول التركيز على التطوّر في الموقف الفرنسي من القضية الفلسطينية في عهد ديغول، والأسباب التي دفعت الزعيم الفرنسي الى اختيار هذا النهج، مخالفاً الخط السياسي الذي سارت عليه بلاده من قبل، لأن موقف التحالف مع اسرائيل بدأ يتبدل، تدريجاً، في عهد ديغول، وأصبح الموقف الفرنسي أكثر تفهّماً لطبيعة الصراع العربي ـ الصهيوني، ممّا دعاه الى الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. وفي المقابل، تطوّر التبادل الاقتصادي الفرنسي مع الأقطار العربية، نتيجة موقف فرنسا السياسي الجديد من القضية الفلسطينية.

سنقسم البحث الى أربع مراحل مرت بها سياسة ديغول من القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني.

المرحلة الأولى؛ موقف ديغول من العرب واليهود قبل العام ١٩٥٨

من المعروف ان ديغول زار المشرق العربي، بما فيه القدس، العام ١٩٢٩، عندما كان

قائداً لقوات فرنسا في سوريا ولبنان، وتأثر بموقف العرب الداعي الى الاستقلال. وكانت تتنازع الزعيم الفرنسي نزعتان: الاولى، الرغبة الاستعمارية الداعية الى بقاء فرنسا في مستعمراتها من اجل المحافظة على عظمة فرنسا في صراعها مع الدول الاستعمارية الاخرى، كبريطانيا؛ والثانية، تفهّمه لرغبة العرب في الاستقلال. وكان يعتقد بأن هناك دوراً تاريخياً عليه ان يلعبه في الشرق، يشبه الدور الذي لعبه، من قبل، نابليون بونابرت. في العام ١٩٣١، كتب: «ان فرنسا، التي ورثت حماية دول الشرق، هي، بشكل خاص، مهيّأة له، بسبب دورها التاريخي في هذه الدول. وخلال الحملات الصليبية والمملكة المسيحية، التي دامت قرنين، كانت المنطقة تحت النفوذ الفرنسي، وعلى طول لبنان وجبال العلويين، وكذلك فلسطين. هناك قلاع قوية تشهد على القوة التي استعملها مواطنونا في العصور الوسطى»[١].

كما ان ديغول كان يجد في الشرق الاوسط أهمية استراتيجية كبيرة لبلاده؛ فربط أمن فرنسا بأمن دول البحر المتوسط، على أساس الموقع الجغرافي. قال في العام ١٩٤٤، ان «مستقبلنا مرتبط، بشكل مباشر، مع حوض البحر المتوسط، لأننا، على ضفاف البحر، أقمنا قاعدة امبراطوريتنا الافريقية؛ وعلى ضفافه يعيش، بصداقة، البلقان والأتراك والعرب والمصريون، حيث كانوا متلازمين مع تاريخنا، الذي نعتبره أساساً لمستقبلنا»[٢]. وكان موقف ديغول من العرب، في ذلك الوقت، موقف المستعمر الرافض الاعتراف بالوحدة العربية التي كانت تتطلع اليها الشعوب العربية. بل انه كان يربط بين الدعوة العربية الى الوحدة وبين المخططات البريطانية، على أساس ان بريطانيا هي التي كانت تدفع العرب الى ذلك، من خلال تأييدها السابق للثورة العربية الكبرى، بقيادة الشريف حسين. وكان يعتقد بأن بريطانيا تهدف، من وراء ذلك، الى طرد فرنسا من الأقطار العربية. وقد أوضح ديغول موقفه من العرب، في ذلك الوقت، بقوله: «العرب هم شعب، منذ أيام محمد [صلعم] لم ينجحوا في انشاء دولة. هل شاهدتم سدّاً أقامه العرب؟ هذا غير موجود في أي مكان. والعرب يقولون انهم ابتكروا علم الجبر، وأنشأوا مساجد عدّة؛ ولكن كان هذا من اجل استعباد المسيحيين الذين أسروهم؛ والعرب لا يستطيعون عمل أي شيء لوحدهم»[٣]. كما قال للسفير الاسرائيلي الأسبق في باريس، جاكوب تسور: «منذ أيام انحطاط دولة الخلفاء، لا توجد دولة عربية في هذا القسم من العالم. الدولة العربية أُنشئت بعد الحرب العالمية الثانية؛ و [العرب] عبر تاريخهم كله خضعوا، لسيطرة أجنبية، امتداداً من الرومان والبيزنطيين الى المماليك والاتراك. ولهذا، لا يحق لهم، اليوم، المطالبة بالسيطرة على كل أقاليم الشرق الاوسط»[٤].

وبالنسبة الى موقف ديغول من القضية الفلسطينية، فيرجع أول اتصال له بفلسطين عند زيارته للقدس، في العام ١٩٢٩. ولكن في خلال الحرب العالمية الثانية، عندما كان الجنرال ديغول يقود المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الالماني لبلاده، قدّم بعض اليهود في فلسطين المساعدات الى قوات فيشي في لبنان، من طريق العملاء اليهود. كما اشترت منظمة الهاغاناه الصهيونية محطة اذاعة من قيادة فرنسا الحرة، بدأت تذيع من منزل دافيد كوهين، الرئيس السابق للجنة الدفاع والعلاقات الخارجية في الكنيست الاسرائيلي. وحدثت اتصالات بين الحركة الصهيونية ومسؤولين في قيادة فرنسا الحرة (كوليه وشميتيلين وفلوريو)؛ الى جانب مشاركة اليهود الفرنسيين في المقاومة المسلّحة مع الفرنسيين التابعين لقيادة فرنسا الحرة، برئاسة ديغول. وكان للمؤتمر اليهودي العالمي ممثل خاص، هو البرت كوهين، لدى قيادة الجنرال في لندن. ويبدو ان ديغول تحمّس، في تلك الفترة، لقيام اسرائيل، على أساس انه اعتقد بأن قيام هذا الكيان سيحل محل الوجود البريطاني في فلسطين. وكان يطمح الى ان تصبح سوريا ولبنان وفلسطين تحت النفوذ الفرنسي؛ وأيّد اقامة دول طائفية عدّة في بلاد

الشام لحل مشكلة الاقليات. وعبّر عن أفكاره هذه بقوله: «ان المشكلة هي الأقليات المحاطة بالأغلبية، والقضية نفسها مع لبنان المسيحي، ومع دولة يهودية في فلسطين... وهذا سيضمن وجود دول للأقليات»(٥).

وعند اصدار قرار تقسيم فلسطين، لم يكن ديغول في السلطة؛ الّا انه دعا حكومة بلاده، في ذلك الوقت، الى الموافقة على قرار الأمم المتحدة، بدلاً من الامتناع عن التصويت. ووصف قيام اسرائيل بأنه «ضرورة تاريخية»، زاعماً ان «الشعب اليهودي له الحق تماماً في المطالبة باصلاح ما وقع عليه منذ قرون عدة»(٦).

وفي الوقت الذي كان ديغول يؤيد قيام اسرائيل، من أجل المحافظة على النفوذ الفرنسي في المنطقة، كان، أيضاً، غير راغب في اثارة الشعب العربي في المغرب، الذي كانت تربطه بفلسطين علاقات عاطفية، بسبب وجود القدس، وبسبب اعتبارات دينية وقومية. ولكن ديغول خسر، في النهاية، المعركتين، حيث خسرت فرنسا نفوذها في المشرق العربي، بسبب مشاركتها اسرائيل وبريطانيا في العدوان الثلاثي على مصر، سنة ١٩٥٦، لاسقاط الزعيم جمال عبدالناصر، كما وجد اسرائيل، فيما بعد، ترتمي في أحضان الولايات المتحدة الاميركية، ويزداد النفوذ السوفياتي في المنطقة العربية على حساب انحسار النفوذ الفرنسي. وفي المغرب العربي، خسرت فرنسا، كذلك، نفوذها، بعد استقلال دول المغرب العربي، واستمرار معركة تحرير الجزائر.

وكان ديغول، ومعه الديغوليون، من المؤيدين للعدوان الثلاثي على مصر، على الرغم من وجود حكومة غي موليه في السلطة، وهو الذي كان يعارض سياستها العامة. وبخصوص حرب السويس، فان النقد الوحيد الذي وجّهه ديغول الى الحكومة الاشتراكية كان اعطاء قيادة العدوان لبريطانيا. الّا انه كان يعرف ان فشل العدوان الثلاثي يعني نهاية الوجود الفرنسي في الشرق الاوسط، وهو ما حاول اعادته عندما وصل الى السلطة، في العام ١٩٥٨.

المرحلة الثانية؛ بداية قيام الجمهورية الخامسة

كانت العلاقة الرسمية بين فرنسا واسرائيل، في السنوات العشر الاولى على قيام الأخيرة، علاقة تحالف تامّ، حيث ساهمت حكومة غي موليه بتسليح الجيش الاسرائيلي، وساعدت في بناء المفاعل النووي الاسرائيلي في ديمونا، في النقب، وشاركت ـ كما ذكرنا ـ في العدوان الثلاثي على مصر. وفي المقابل، كانت علاقتها سيئة مع الدول العربية، ومعظم العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بين العاصمة الفرنسية والعواصم العربية، بسبب العدوان الثلاثي وحرب التحرير الجزائرية.

وعندما وصل ديغول الى رئاسة الجمهورية الفرنسية، وجد ان النفوذ الفرنسي قد انحسر في المشرق العربي، وحلّ النفوذان، الاميركي والسوفياتي، محل الوجود الفرنسي. وبما انه كان يبحث لفرنسا عن دور كبير تلعبه على الساحة الدولية، الذي لا يمكن ان يتمّ مع استمرار حرب الجزائر التي تسيء الى علاقات فرنسا مع دول عدم الانحياز، وانحيازها الى جانب اسرائيل على حساب المصلحة العربية، فقد وجد لزاماً على حكومته، لمصلحة فرنسا، ان تُحل، أولاً، العقبة الاولى أمام عواصم دول العالم الثالث، ألا وهي القضية الجزائرية. وقد نجح، فعلاً، خلال السنوات الاربع الاولى من وجوده في قصر الاليزيه (١٩٥٨ ـ ١٩٦٢)، ان ينهي حرب الجزائر، على الرغم من وجود معارضة داخلية لاعطاء الجزائر استقلالها.

أمّا العقبة الثانية، فهي الانحياز الفرنسي الى جانب اسرائيل. وعلى هذا الصعيد، حاول ديغول ان يستمر في تأييد الكيان الصهيوني، ولكن ليس على حساب العرب. وعرف انه بعد حلّ المشكلة الجزائرية أصبحت العواصم العربية مفتوحة لفرنسا، ولكن عليه، قبل ان يطرق الابواب، ان يبدي حسن نيّة بلاده بالنسبة الى القضية الفلسطينية، لأنه وجد ان فلسطين تشكّل القضية المركزية في الوطن العربي، وليس من المنطق ان يستمر التأييد الفرنسي لاسرائيل في الوقت عينه الذي يسعى الى تحسين علاقته مع العواصم العربية. ولكنه كان حذراً، في هذه المرحلة، من ألّا يكون تطوير فرنسا لعلاقاتها مع الدول العربية على حساب علاقاتها مع اسرائيل. ولهذا، فقد استمرت فرنسا في تقديم السلاح الى اسرائيل؛ كما صدرت عن ديغول اشادات عدّة باسرائيل في بداية الجمهورية الخامسة؛ وأكد ضرورة المحافظة على أمنها وسلامتها ووجودها. وقال للسفير الفرنسي في تل ـ أبيب: «منذ البداية، وأنا معجب بأعمال الشعب الاسرائيلي؛ وأرجو ان تخبر الاسرائيليين بأنني سأبقى، دائماً، الى جانبهم، من اجل المحافظة على وجودهم»[٧].

ومع ذلك بدأ يطفو على سطح العلاقات الفرنسية ـ الاسرائيلية، في السنوات الاربع الاولى لوصول ديغول السلطة، بعض الخلافات، أهمها الخلاف الذي حدث في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٩، اثر قرار شركة سيارات رينو الفرنسية بانهاء أعمالها في اسرائيل، بسبب المقاطعة العربية، بعد ان كان مشروع تجميع السيارات بدأ في العام ١٩٥٥، بالقرب من حيفا. ويبدو ان الشركة الفرنسية كانت تطمح الى انشاء مصنع لتجميع السيارات في مصر، يفتح لها الاسواق العربية. وردّت فرنسا على الانتقادات الاسرائيلية لهذا القرار بأن الشركة الفرنسية قامت به لأسباب اقتصادية، وليس لأسباب سياسية[٨].

وفي العام عينه، قامت شركة الطيران الفرنسية بالغاء الاتفاقية التي كانت معقودة بينها وبين شركة العال الاسرائيلية، خوفاً من ادراج الشركة الفرنسية في قائمة المقاطعة العربية.

وعليه، شعر دافيد بن ـ غوريون، في ذلك الوقت، ببوادر تغييرات في السياسة الفرنسية، في عهد ديغول، تجاه اسرائيل. ولهذا طلب ان توجّه اليه دعوة رسمية لزيارة باريس، فتريّث الرئيس الفرنسي في ذلك، حتى لا يثير الأمر العواصم العربية. ولكن الزيارة تمّت، في اطار غير رسمي، في حزيران (يونيو) ١٩٦٠. وعلى أثر ذلك، نشأت صداقة متينة بين ديغول وبن ـ غوريون. وفي الزيارة الثانية، التي تمّت بعد عام على الزيارة الاولى، أكد الرئيس الفرنسي، عند استقباله بن ـ غوريون، تضامن، وصداقة، فرنسا مع اسرائيل، «صديقتنا وحليفنا». وعلى الرغم من الصداقة التي جمعت فيما بينهما، الّا ان ديغول رفض استقبال بن ـ غوريون بعد خروج الاثنين من السلطة، لدى زيارة الأخير لباريس، في العام ١٩٦٩.

ومع نهاية هذه المرحلة، كانت العلاقات الفرنسية ـ الاسرائيلية ما زالت قوية، على الرغم من حدوث تطوّرات عدّة أثرت في تلك العلاقات.

المرحلة الثالثة؛ استقلال الجزائر، والعلاقات مع العالم العربي

أدّى استقلال الجزائر، العام ١٩٦٢، الى تحسين العلاقات بين فرنسا والدول العربية. وبدأت صورة فرنسا تتغيّر من دولة معتدية وحليف لعدو العرب ومستعمِرة، الى دولة تحاول ان يكون لها سياسة توازن في الشرق الاوسط، وتريد ان تصبح صديقة للعرب. وكانت هذه المرحلة فترة تكوين

اتجاه جديد في السياسة الخارجية في الشرق الاوسط. لقد دامت هذه المرحلة من العام ١٩٦٣ الى العام ١٩٦٦. ووجد ديغول ان احد الاسباب التي من أجلها كان لفرنسا علاقات تحالف مع اسرائيل هو حرب السويس، وهذا السبب لم يعد قائماً. ولهذا أراد، باستقلال الجزائر، ان يزيل العقبة الثانية التي تقف في وجه تحسين العلاقات مع الدول العربية، خاصة مع مصر عبدالناصر.

كانت السياسة الخارجية الفرنسية، في عهد ديغول، توضحت أكثر، وبرز موقف فرنسي جديد تجاه الولايات المتحدة الاميركية، وحلف شمال الاطلسي، ووحدة أوروبا، والعالم الثالث. وأيقن ديغول ان الدول العربية تمثّل كتلة هامّة داخل العالم الثالث، وان التعامل مع هذا «العالم» لا بدّ من ان يمرّ عبر الدول العربية، وخاصة عبر مصر. في هذا الوقت، رفع الوزير الفرنسي جان مارسيل جنيني (Jeanneney) تقريره (تموز ـ يوليو ١٩٦٣)، الذي عرف باسمه («تقرير جنيني»)، الى ديغول، موضحاً بـ «انه لا بدّ من الابتعاد من اسرائيل من اجل التقرّب من الدول العربية». ومع ان التقرير دعا الى عدم تشجيع الوحدة العربية التي يتبعها عبدالناصر، الّا انه طالب بعدم العمل ضد الرئيس المصري، والدول العربية، ونصح الحكومة الفرنسية بأن يكون الموقف الفرنسي قائماً على ركيزتين أساسيتين في الشرق الاوسط، هما اسرائيل والدول العربية.

لقد اهتم ديغول بالتقرير. ورأى ان على فرنسا، التي طُردت من الشرق الاوسط من نقطة غرب قناة السويس، ان تعود الى المنطقة من شرقها، لأهميتها النفطية. ولذلك، بدأ الرئيس الفرنسي بتحسين علاقات بلاده مع دول الخليج العربي. والسبب الذي دفع ديغول الى ان يبدأ بدول الخليج العربي قبل مصر، هو، أولاً، العلاقات الوثيقة التي كانت تربط عبدالناصر بالاتحاد السوفياتي؛ وثانياً، ان جنرالات الجيش الفرنسي كانوا لا يزالون ينظرون الى مصر على انها ساعدت ثوار الجزائر ضدهم، علماً بأن ديغول كان يعرف ان مصر هي الأساس في التعامل مع العالم العربي. لقد أعادت فرنسا علاقاتها الدبلوماسية المقطوعة مع سوريا والاردن والسعودية في العام ١٩٦٢، ومع العراق في العام ١٩٦٣، ومع مصر في العام ١٩٦٤. وبدأت الزيارات الودّية بين الوزراء الفرنسيين والعرب، بينما لم يقم أي وزير فرنسي بزيارة رسمية لاسرائيل حتى هذه الفترة.

ويبدو ان أهمية الموقع الاستراتيجي للوطن العربي القريب من فرنسا، والعلاقات التاريخية بين الجانبين، وتبعية اسرائيل للولايات المتحدة الاميركية التي كان ديغول على خلاف معها، الى جانب أهمية النفط العربي لفرنسا؛ كل هذه العوامل دفعت الرئيس الفرنسي الى تغيير موقفه من القضية الفلسطينية واسرائيل.

وتأكد للرئيس الفرنسي، بحنكته السياسية، ان مصلحة بلاده تتطلب تحسين علاقاته مع الدول العربية، وان تحقيق ذلك مستحيل ما دامت فرنسا متحالفة مع عدو العرب الرئيس. وقال رئيس وزراء فرنسا آنذاك، ميشيل دوبريه، ان «فرنسا ليست موالية للعرب ولا لاسرائيل، ولكنها موالية لمصالح فرنسا»(٩).

كما ان أمن فرنسا كان مرتبطاً بأمن البحر المتوسط. فرأى ديغول في تحرك الاسطول السوفياتي في الموانىء العربية، القريبة من الموانىء الفرنسية، خطراً على أمن بلاده، فدعا الى خروج الدول الكبرى من مياه المتوسط. كذلك رأى، في أعقاب انسحاب فرنسا من حلف شمال الاطلسي ومناصبة السياسة الاميركية العداء، تناقضاً اساسياً في دعم فرنسا لاسرائيل، بعد ان اصبحت حليفاً للولايات المتحدة الاميركية. وعليه، أمر بقطع العلاقات الخاصة بين المخابرات الفرنسية والمخابرات

الاسرائيلية التي كانت نشطة خلال الثورة الجزائرية، حتى لا يؤثر ذلك في أمن فرنسا، الذي أراد ديغول ان يحافظ عليه.

ولم تكن اسرائيل مرتاحة من التقارب الفرنسي ـ العربي، خاصة بعد الزيارات المتعددة التي قام بها رؤساء الدول العربية لباريس، والمساعدات الاقتصادية التي قدّمتها فرنسا الى مصر والاقطار العربية الاخرى. ولهذا، زار رئيس الوزراء الاسرائيلي، ليفي اشكول، العاصمة الفرنسية، في نهاية حزيران (يونيو) ١٩٦٤، لاستشراف موقف فرنسا في ما يتعلق بمستقبل العلاقات الفرنسية مع اسرائيل والدول العربية. وكان همّ اشكول، حينذاك، ان يعمل على ان تبقى العلاقات الفرنسية ـ الاسرائيلية، وان يبقى الموقف الفرنسي ملتزماً البيان الثلاثي، الذي أعلنته فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية في العام ١٩٥٠، الضامن لحق اسرائيل في الوجود؛ وان تستمر فرنسا في ارسال الاسلحة، خاصة طائرات الميراج، الى اسرائيل، وفي تقديم المساعدات الاقتصادية اليها.

وبشكل عام، استمرت فرنسا في مساندة السياسة الاسرائيلية وتقديم الأسلحة المتطوّرة اليها؛ وفي الوقت عينه عملت على توثيق علاقاتها مع الاقطار العربية. ولهذا عملت الحكومة الفرنسية على طمأنة اسرائيل بأن فرنسا مستمرة في مساعدتها، ولكن ليس على حساب علاقاتها مع العواصم العربية.

والواقع، انه لم يحدث، في تلك المرحلة، ما يهدّد العلاقات الفرنسية ـ الاسرائيلية سوى حادثتين، كانت لهما تأثيرات هامّة في تطوّر الموقف الفرنسي في الشرق الاوسط: الاولى، الاعلان عن زيارة وزير خارجية فرنسا، كوف دي مورفيل، للقاهرة، وخوف اسرائيل من قيام ديغول نفسه بزيارة مماثلة، في حين لم يقم أي وزير فرنسي بزيارة لتل ـ أبيب، على الرغم من الدعوات المتكررة التي كانت اسرائيل توجّهها الى المسؤولين الفرنسيين؛ والثانية، تصويت فرنسا، في مجلس الامن الدولي، على القرار الداعي الى شجب الاعتداءات الاسرائيلية على قرية السمّوع الفلسطينية، في العام ١٩٦٦، وهو ما لم تكن تتوقعه اسرائيل من الجانب الفرنسي.

ومع نهاية العام ١٩٦٦، انتهت العلاقة الخاصة التي كانت تربط بين باريس وتل ـ أبيب، منذ العام ١٩٥٥. في المقابل، شهدت العلاقات العربية ـ الفرنسية تطوّراً هامّاً، خاصة على الصعيد الاقتصادي. وبدأت الصحافة الاسرائيلية والمسؤولون الاسرائيليون يبدون تخوّفهم من ان تؤدي سياسة ديغول الجديدة الى الاضرار بـ «أمن اسرائيل ووجودها»، ممّا دفع وزير خارجية فرنسا، كوف دي مورفيل، الى مخاطبة ابا ايبن بقوله، ان «اسرائيل سريعة الانفعال والعصبية، ونوعية الروابط بين اسرائيل وفرنسا لا تبرّر بأن يقوم الجنرال ديغول بوضع يده على كتفكم لكي تطمئنوا»(١٠).

المرحلة الاخيرة؛ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وما بعدها

بعد ان عادت العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين باريس والعواصم العربية، وتحسّنت العلاقات بين فرنسا ومصر عبدالناصر، حاول ديغول ان يلعب دوراً مميّزاً في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، لأنه كانت لفرنسا علاقات جيدة مع طرفي الصراع، بعكس الدول الكبرى الاخرى، كالاتحاد السوفياتي اللتين كانت علاقته قوية مع الجانب العربي وسيئة مع اسرائيل، والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا اللتان كانت علاقاتهما جيدة مع اسرائيل ومتوترة مع الدول العربية، خاصة مع مصر. ولهذا، فالظروف كانت مهيّأة، بالنسبة الى ديغول، لكي تلعب بلاده دوراً حيادياً، ووسيطاً، بين طرفي الصراع في

الشرق الاوسط. ومع اقتراب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، اتجهت السياسة الفرنسية الى محاولة تهدئة أطراف الصراع، لكي لا ينفجر الموقف في المنطقة. وبعد ازدياد حالة التوتر في المنطقة، وغلق خليج العقبة ومضائق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية، وانسحاب قوات الطوارىء الدولية من خطوط الهدنة، لم تشارك فرنسا الدول الغربية في انتقادها مصر، خاصة سحب القوات الدولية وغلق مضائق تيران؛ بل قلّل وزير الخارجية الفرنسية من أهمية غلق المضائق، فقال: «ان غلق المضائق لا يمثّل خطورة على اسرائيل، وبالتالي لا يبرّر الحرب»(١١). ومع اقتراب الحرب في الشرق الاوسط، اقترب الموقف الفرنسي من المجابهة مع اسرائيل، بسبب تطوّر موقفها من الصراع. وكانت المخابرات الفرنسية تعلم بالحشود الاسرائيلية على الحدود العربية، وتعتقد بأن اسرائيل ستقوم بتوجيه الضربة الاولى ضد مصر وسوريا والاردن. ولهذا، حاولت الحكومة الفرنسية ان تضغط على الحكومة الاسرائيلية، من اجل عدم البدء بالحرب. وخلال لقاء ديغول الشهير مع وزير خارجية اسرائيل، ابا ايبن، في ١٩٦٧/٥/٢٣، ركّز الرئيس الفرنسي على ضرورة عدم اقدام الجيش الاسرائيلي على البدء باطلاق النار، ونصح اسرائيل بضبط النفس، متعهداً، في الوقت عينه، عدم السماح بتدمير اسرائيل، في حال مهاجمة الدول العربية لها. وخلال مؤتمره الصحافي، في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧، كشف ديغول عن فحوى لقائه مع وزير الخارجية الاسرائيلية، وقال انه نصح الاسرائيليين بعدم مهاجمة الدول العربية، وأكد لأبا ايبن انه «لو هوجمت اسرائيل، فاننا لن نسمح بتدميرها. ولكن اذا بدأتم الهجوم فسندين عملكم. فعلى الرغم من قلّة عدد شعبكم، الّا انكم منظّمون ومجنّدون ومسلّحون أكثر من العرب، وسوف تصبحون محتلين»(١٢). أمّا ايبن، فقد اعترف، في مذكراته، بأن الرئيس الفرنسي قال له، في ذلك اللقاء: «لا تبدأوا بالضربة الاولى في ظل أي ظرف من الظروف، لأن ذلك سيؤدي الى كارثة». فردّ ايبن عليه بأن «اسرائيل لن تبدأ بالحرب. ولكن بما ان الحرب بدأت بالفعل، باقدام عبدالناصر على غلق مضائق تيران، فان من حق اسرائيل ان تردّ». ولكن ديغول لم يقتنع بوجهة نظر ايبن هذه، وقال له: «انني أعرف مخاطر عدم التحرك؛ وأنا انصحكم، الآن، بعدم العناد ولا تبدأوا الحرب»(١٣).

في اليوم التالي من لقاء ديغول ـ ايبن، أبلغ الرئيس الفرنسي الى مجلس الوزراء، انه على فرنسا ان تقف موقفاً محايداً من النزاع العربي ـ الاسرائيلي. ولكن التطوّر الهامّ الذي حدث في الموقف الفرنسي من الصراع العربي ـ الاسرائيلي، هو تخلّي فرنسا، لأول مرة، عن البيان الثلاثي آنف الذكر، حينما أعلنت ان هذا البيان لم يعد يلائم الوضع في الشرق الاوسط، على أساس ان الدول العربية الثلاث لم يعد في امكانها ان تحل الأزمة من دون مشاركة الاتحاد السوفياتي. ولهذا دعت فرنسا، لأول مرة، الى ضرورة اجراء مباحثات رباعية للبحث في الوضع المتفجّر في المنطقة، يشارك فيها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا.

وفي الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٦٧، أعلن ديغول عن ان «فرنسا لن تنحاز، بأي صورة، ولا بالنسبة الى أي موضوع، الى أي دولة معيّنة في المنطقة؛ وانها تعتبر ان لكل دولة الحق في الحياة؛ ولكنها ترى الخطر في البدء بالحرب. ولهذا، فان الدولة التي تستخدم السلاح في البداية لن تحظى بمساندتها»(١٤).

ولم ترض اسرائيل بموقف الحياد الذي أعلنه ديغول، بعكس الدول العربية التي رحّبت بالموقف الفرنسي المحايد. وفي رسالة وجّهها الى ديغول، قبل أيام من الحرب، شكر عبدالناصر الرئيس الفرنسي على موقفه غير المنحاز الى اسرائيل.

وعندما تأكدت الحكومة الفرنسية من ان اسرائيل مصمّمة على الحرب، قامت بفرض حظر على ارسال الاسلحة الى منطقة الشرق الأوسط، قبل يومين من بدء العدوان. ومع ان اسرائيل انتقدت هذا القرار، الّا انها لم تأبه له، وقامت بشنّ الحرب على مصر وسوريا والاردن في صباح الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧.

موقف ديغول من العدوان

تأثّر ديغول كثيراً بسبب عدم أخذ اسرائيل بنصيحته؛ فقد كان يعتقد بأن تأييده الطويل لاسرائيل سوف يكون عاملاً قوياً في جعل الاسرائيليين يستمعون اليه. ولهذا دان العدوان الاسرائيلي وطالب القوات الاسرائيلية بالانسحاب الفوري من على الاراضي المحتلة؛ كما تحدث، لأول مرة، عن «اللاجئين الفلسطينيين» وضرورة ايجاد حل لقضيتهم، وظهر هذا الموقف بوضوح في المؤتمر الصحافي الشهير الذي عقده ديغول في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧. ونظراً الى أهمية التطوّر الكبير في الموقف الفرنسي، نذكر، في ما يلي، تفاصيل ما ورد في المؤتمر الصحافي. لقد استعرض ديغول، في البداية، ملابسات انشاء اسرائيل. قال: «ان اقامة وطن صهيوني ما بين الحربين على أرض فلسطين، ثمّ اقامة دولة اسرائيلية بعد الحرب العالمية الثانية، أثارا، حينئذٍ، بعض التخوّفات، وطرحا التساؤل حتى بين الكثيرين من اليهود حول ما اذا كان توطين هذه الفئة على أرض تمّ الاستيلاء عليها في ظروف يمكن تبريرها، ووسط شعوب عربية معادية في الصميم، سوف لا يؤدي الى احتكاكات، او نزاعات، لا تتوقف ولا تنتهي؛ بل ان البعض تخوّف من ان يقوم اليهود... بتحويل أمانيهم، التي تتفاعل فيهم منذ ١٩ قرناً، الى طموح جامح وتوسّعي، بعد ان يتجمّعوا» على هذا النحو. وعن موقف فرنسا من اسرائيل، قال ديغول: «ان فرنسا كانت تتمنّى لو ان اسرائيل تستطيع ان تتعايش سلمياً مع جيرانها، باستعمالها بعض التواضع، ولكنها، وبفضل الحملة الفرنسية ـ البريطانية على السويس، بدت للناس بمظهر الدولة المحاربة والمصمّمة على التوسّع. كما لوحظ النشاط الذي تقوم به لمضاعفة عدد سكانها بواسطة هجرة العناصر الجديدة اليها، ممّا دفع الى التفكير في ان الارض التي احتلتها لن تكفيها طويلاً؛ وانها قد تميل الى توسيعها باستغلال كل الارض التي احتلتها». وأشار الرئيس الفرنسي، لأول مرة، الى المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلي، وقال ان احتلال الاراضي سيصاحبه، بالتأكيد، «اضطهاد وقمع واقصاء». ودعا ديغول اسرائيل الى الانسحاب من جميع المناطق التي احتلتها بالقوة، وانهاء حالة الحرب، واعتراف جميع الدول المعنيّة بعضها بالبعض الآخر[١٥].

أثارت تصريحات ديغول اسرائيل وأصدقاءها في فرنسا، الى حدّ اتهام الرئيس الفرنسي بمعاداة السامية. وتوتّرت العلاقات بين فرنسا واسرائيل، دون ان يبلغ هذا التوتر حدّ قطع العلاقات بين الجانبين. الّا ان قرار فرض حظر على شحن الاسلحة الى اسرائيل بقي ساري المفعول؛ واستمرت فرنسا، كذلك، في المطالبة بعقد مؤتمر رباعي للدول الكبرى لحل مشكلة الشرق الاوسط، الأمر الذي ظلّت اسرائيل ترفضه.

وعندما أُصدر القرار الدولي الرقم ٢٤٢، أيّدته فرنسا وطالبت بتطبيقه. وذهبت أبعد عندما طرحت، من جانبها، مشروعاً لحل مشكلة الشرق الاوسط يتألف من ثلاث نقاط، هي:

١ ـ تنفيذ عاجل، وخصوصاً «اعلان نيّة» من قبل اسرائيل، بشأن رغبتها في الانسحاب من على الاراضي العربية المحتلة في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، واعلان عربي بانهاء حالة الحرب، والاعتراف بوجود اسرائيل.

٢ ـ تطبيق قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢، الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢، على عدة مراحل، وانسحاب اسرائيل من على جميع الاراضي المحتلة.

٣ ـ تبنّي مبادىء عامة، بالنسبة الى المشكلات الاساسية في الصراع العربي ـ الصهيوني، كمصير اللاجئين العرب من حرب العام ١٩٤٨ ووضع العرب الفلسطينيين والقدس.

لم توافق اسرائيل على المشروع الفرنسي، واعتبرته منحازاً الى العرب. ولكن فرنسا استمرت في طرح فكرة عقد المشاورات الرباعية، على الرغم من رفض اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا لها، وترحيب السوفيات والعرب.

وفي الامم المتحدة، وقفت فرنسا الى جانب القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الامن الدولي والجمعية العمومية، الداعية الى انسحاب اسرائيل من على الاراضي المحتلة. وأصبح الموقف الفرنسي أكثر اقتراباً من الدول العربية، وأكثر ابتعاداً من اسرائيل، في المنظمة الدولية.

وبعد معركة الكرامة، أيّدت فرنسا الاقتراح الاردني ضد اسرائيل لعدوانها على الاردن. ورفض المندوب الفرنسي، ارمان بيرار، الاقتراح الاميركي بوضع الاعتداءات الاسرائيلية وأعمال المقاومة الفلسطينية على مستوى واحد من التقويم. قال المندوب الفرنسي: «ان فرنسا عرفت الاحتلال الاجنبي، وما يلازم هذا الاحتلال من آلام وردود فعل حتمية، ويعرف انه يتوجب التمييز، تمييزاً واضحاً، بين عمليات عسكرية تنفّذ عن سابق عمد وتخطيط دقيق، وأعمال ناجمة عن أفراد ومجموعات تحركهم مشاعر واضحة». وقارن بيرار بين «المقاومة العربية في الاراضي المحتلة وأعمال المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي»[١٦]. وقد جوبهت هذه المقارنة بانتقادات شديدة من قبل اسرائيل، ومن اصدقائها في فرنسا.

وبعد ان قامت اسرائيل بغارة على مطار بيروت، ليلة ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨، واستعملت، في هجومها، طائرات فرنسية، فرضت فرنسا حظراً شاملاً على تصدير الاسلحة الى اسرائيل، بما فيه الحظر على تسليم ٥٠ طائرة ميراج فرنسية، كان الجيش الاسرائيلي أوصى عليها قبل حرب حزيران (يونيو).

وفي تلك الفترة، حدثت اتصالات عدّة بين ديغول وياسر عرفات، وكذلك بين مسؤولين في الكي دورسيه ومسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية، خاصة بعد تصاعد أعمال المقاومة الفلسطينية والجو العام الذي فجّرته الثورة الفلسطينية في الوطن العربي، وظهور الفدائي الفلسطيني رمزاً لمحو الهزيمة التي لحقت بالعرب في حرب العام ١٩٦٧. وبتبدل الموقف الفرنسي التدريجي من اسرائيل، تبدّلت نظرة الفرنسيين الى الفلسطيني، من «لاجىء» الى «ارهابي» الى «فدائي». وبعد عودة الوزير الديغولي، جورج غورس، من زيارة له لمصر والاردن العام ١٩٦٩، قال ان «المراقب العائد من الشرق الاوسط يلاحظ عاملاً جديداً في المنطقة، هو دخول الفلسطينيين الى مسرح الاحداث. وهم لا يقومون فقط بنشاطات مسلّحة هامّة وبشكل جيد؛ بل يقومون، أيضاً، ببعث أمّة جديدة، محاطين بزعماء شباب من الفدائيين؛ وهم يرفضون الانفعال والخطابة. وفي المستقبل القريب، بسترغم المقاومة الفلسطينية اسرائيل على الاعتراف بها. ومن المؤكد انه، في المستقبل، ومن خلال حل سلمي للفلسطينيين، سيكون ثمّة قوة معجزة، من الصعب تحديدها، ولكنها قوة قادرة على انارة المنطقة في الشرق الاوسط»[١٧].

واستمرت الاتصالات بين الفرنسيين ومنظمة التحرير الفلسطينية في عهد الجنرال ديغول؛ ولعبت الجزائر دوراً هاماً في تطويرها. ومع ان الفلسطينيين كانوا يطمحون الى موقف فرنسي أكثر تفهّماً من ديغول تجاه قضيتهم، الّا انهم رحّبوا بالموقف الفرنسي من القضية الفلسطينية.

وعندما ترك الرئيس الفرنسي قصر الاليزيه، في ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٦٩، بسبب الاستفتاء على الاصلاحات الداخلية التي ارادها، ولم يقتنع بها الفرنسيون، قيل ان الطائفة اليهودية، وعددها ستمئة ألف، لعبت دوراً هاماً في افشال الاستفتاء؛ ولهذا قدّم ديغول استقالته. وحول هذا، اعترف رئيس الوفد الفرنسي في الامم المتحدة، ارمان بيرار، بأن أموال أصدقاء اسرائيل «تدفّقت بغير حساب في الاستفتاء، لتكون النتيجة ضد ديغول»[١٨]. وبعد استقالة ديغول، عبّرت اسرائيل عن فرحتها، وتوقّعت ان يأتي رئيس جديد لفرنسا يعيد العلاقات التي كانت قائمة من قبل بين باريس وتل ـ أبيب. امّا في الوطن العربي، فقد كان ما جرى لاستقالة ديغول اثر شديد الوقع، وتخوّف البعض من ان يأتي رئيس جديد يبتعد، في سياسته، من السياسة التي سار عليها ديغول بشأن الصراع العربي ـ الاسرائيلي. ولكن تبيّن ان مؤسس الجمهورية الفرنسية قد أسّس بداية نهج جديد من الصراع العربي ـ الاسرائيلي، سار عليه جميع رؤساء الدول الذين جاءوا من بعده، وطوّروه، لأن في ذلك خدمة لمصالح فرنسا.

الخلاصة

يلاحظ ان تطوّراً كبيراً حدث في موقف فرنسا من القضية الفلسطينية خلال العشر سنوات تقريباً التي قضاها ديغول في قصر الاليزيه. واذا كانت السياسة قد خدمت فرنسا ومصالحها في المنطقة، الّا انها أفادت، أيضاً، قضية النضال العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني منذ أكثر من أربعين عاماً، لأن فرنسا، التي تعتبر من الدول العظمى، كانت السبّاقة الى تفهّم القضية الفلسطينية، والى فتح حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. ونظراً الى أهمية الساحة الفرنسية في اوروبا، فقد اهتمت منظمة التحرير الفلسطينية في اقامة علاقات وثيقة مع المسؤولين الفرنسيين، وعملت على تطوير هذه العلاقات بما يخدم القضية الفلسطينية.

ولا شك في انه كان لديغول الدور الكبير في تثبيت الخط السياسي الذي اختارته فرنسا من الصراع العربي ـ الاسرائيلي، في وقت كان معظم دول اوروبا الغربية ينظر الى منظمة التحرير الفلسطينية نظرة شك، ويتبنّى الموقف الاسرائيلي منها. ولا نعتقد بأن شخصاً غير ديغول كان قادراً على البدء في التغييرات التي حصلت في السياسة الفرنسية من القضية الفلسطينية، لأن انتقاد اسرائيل كان، في وقت من الاوقات، من المحرّمات في قاموس الدبلوماسية الغربية.

ومع ان الوقت لم يسمح لمؤسس الجمهورية الفرنسية الخامسة بأن يطوّر، بنفسه، موقف بلاده من الصراع العربي ـ الاسرائيلي، الّا ان خلفاءه ساروا على الخط السياسي عينه الذي بدأه، وطوّروه على أساس ان هذا الموقف يخدم، في النهاية، المصالح الفرنسية. واذا كان جورج بومبيدو، الذي عمل في فترة من الفترات، مع أسرة روتشيلد اليهودية، قد أكمل سياسة ديغول، بصفته من الديغوليين، الّا ان فاليري جيسكار ديستان، وهو من غير الديغوليين، اعترف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وبحقه في اقامة دولة مستقلة، ووافق على فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في العاصمة الفرنسية، في العام ١٩٧٥. وبعد ديستان، جاء فرانسوا ميتران، الذي يعتبر من الدّ أعداء ديغول

السياسيين. وعلى الرغم من ان ميتران وضع في برنامجه الانتخابي غلق مكتب م.ت.ف. في باريس، اذا تمّ انتخابه، الاّ انه، بعد فوزه وتسلّمه السلطة، لم يغلق المكتب؛ بل وأكثر من ذلك، كان ميتران أول رئيس غربي يستقبل ياسر عرفات، بصفته رئيساً لدولة فلسطين.

ولا يزال الموقف الفرنسي متميّزاً عن سائر مواقف دول السوق الاوروبية المشتركة، حيث اتخذت فرنسا سلسلة اجراءات مؤيدة للشعب الفلسطيني والانتفاضة البطولية في الاراضي المحتلة.

---

(١) de Gaulle, Charles; *Histoire des Troupes du Levant, en Collaboration avec le Chef de Bataillon*, Tron, 17 Aôut 1931, p. 67.

(٢) ——, —— ; *Discours Prononce à l'Assemblée Consulative*, 22 November, 1944.

(٣) Sulzberger, Cyprus; *Les Derniers des Geants, 1954 - 1963*, Paris: Albain Michel, 1972, p. 106.

(٤) Ysur, Jacob; *Perlude a Suez*, Paris: Presses de la Cité, 1986, p. 200.

(٥) Lazare, David; *L'Opinion Francaise et la Naissance de L'Etat d'Israël*, Paris: Ed. Calmann - Levy, 1972, p. 238.

(٦) Ysur, **op. cit.**, p. 200.

(٧) Waysman, P. et R.F. Teissedre, *Nos Politiciens Face au Conflit Israelo - Arabe*, Paris: Ed. Fayard, 1969, p. 115.

(٨) د. احمد سعيد نوفل، **العلاقات الفرنسية - العربية**، الكويت: دار كاظمة للنشر، ١٩٨٤، ص ٧٢.

(٩) *Le Monde*, 3/5/1970.

(١٠) Seguev, Semuel; *Israël, Les Arabes, et les Grandes Puissances, 1963 - 1968*, Paris: Ed Calmann - Levy, 1968, p. 226.

(١١) Bar-Zohar, Michel; *Histoire Secrete de la Guerre d'Israël*, Paris: Ed. Fayard, 1968, pp. 86 - 101.

(١٢) de Gaulle, Charles; "Conference de Presse, 27 Novembre, 1967", *Discours et Messages, 1968*, Paris: Ed. Plon, 1970, Tom XIV, p. 232.

(١٣) من مذكرات ابا ايبن نشرتها **الصنداي تايمز**، ونقلتها **القبس** (الكويت)، ١١/١/١٩٧٨.

(١٤) *L'Année Politique, Économique, Sociale et Deplomatique en France*, Paris: 1967, p. 186.

(١٥) de Gaulle, "Discours et Messages...", **op. cit.**, pp. 227 - 235.

(١٦) *Le Monde*, 9/10/1968.

(١٧) *Ibid.*, 11/1/1969.

(١٨) موسى شحادة، **علاقات اسرائيل مع دول العالم، ١٩٦٧ - ١٩٧٠**، بيروت: مركز الابحاث - م.ت.ف. ١٩٧١، ص ١٣٠.

معركة القرار الدولي الرقم ٣٣٧٩

د. عبد الحسين شعبان

يوم أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار الرقم ٣٣٧٩، في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥، فقد الرئيس الاسرائيلي، حاييم هيرتسوغ، صوابه. وبطريقة غير بروتوكولية، وخالية من اللياقة، أقدم على تصرّف لم يلق الارتياح من أحد، حين مزّق القرار في المحفل الدولي، حيث كان، حينذاك، يمثّل اسرائيل في الامم المتحدة.

ويوم أصبح هيرتسوغ رئيساً لاسرائيل فيما بعد، عاهد نفسه على ألّا تنقضي مدة رئاسته (١٩٩٠) الّا ويكون القرار المذكور قد قضى نحبه!

ولم تكن تلك مجـرّد لحظات غضب، أو انفعالات عابرة، لهيرتسوغ، وغيره من حكام اسرائيل، الذين صمّموا على القيام بتحرك واسع ضد القرار، من أجل الغائه، مدعومين من الولايات المتحدة الامـيركية، وخصوصاً في عهد الرئيس رونالد ريغان، الذي لم يترك مناسبة الّا وهاجم فيها القرار شخصياً، محدداً العام ١٩٩٠ موعداً أقصى لاعدامه.

ولم تتورع الصهيونية، في حملتها الهادفة الى الغاء القرار، عن الصاق تهمة «النازية» بالامين العام السابق للامم المتحدة مستشار النمسا الحالي، كورت فالدهايم، انتقاماً منه على مواقفه في الامم المتحدة ومن اصدار القرار الرقم ٣٣٧٩، اضافة الى العديد من القرارات الهامّة التي أُصدرت من الجمعية العامة، في عهده، والتي ناصرت حق الشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة، ودانت الصهيونية باعتبارها «شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري»، وشجبت استمرار احتلال اسرائيل للاراضي العربية المحتلة، ودعت الى انسحاب قواتها منها.

واذا كان ما يدفع الصهيونية واسرائيل والدوائر الامبريالية الى الاستفزاز والسخط مفهوماً، فماذا فعلنا نحن العرب، على الرغم من غبطتنا وارتياحنا لاصدار القرار؟ لقد حصلنا على القرار في ظروف عربية، ودولية، مؤاتية؛ ثمّ ماذا؟ لم نتقدم خطوة باتجاه الحفاظ عليه، وتعزيزه، وتعميمه، وكأن الامر لا يعنينا. ولعلّ لسان الحال يقول: لقد تحقق المبتغى وكفى الله المؤمنين شر القتال! في حين بدأت اسرائيل، بعد ان أفاقت من هول الصدمة مباشرة، بالعمل، وتنظيم جهودها، وتخطيط تحركها، لتطويق القرار، وحصره في أضيق نطاق، والسعي الى تسويفه عبر تعزيز علاقاتها مع دول أميركا اللاتينية، واستعـادة علاقـاتها الدبلوماسية مع عدد من الدول الافريقية، بينها ليبريا وزائير وساحل العاج والكاميرون، والتغلغل في القارة السوداء، في حين كانت علاقاتها الدبلوماسية مقطوعة مع نحو ٣٠ دولة (بعد عدوان العام ١٩٦٧ وأوائل السبعينات)؛ ثمّ واصلت مشوارها لتخطي القرار وتجاوز تبعاته، فاستـطاعت اعادة علاقاتها الدبلوماسية مع بعض الدول الصديقة للعرب، مثل اسبانيا؛ ومؤخراً

مع بعض دول اوروبا الشرقية، كالمجر وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا، وتستعد بولونيا ويوغسلافيا لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل خلال العام الحالي.

ويحق هنا السؤال: اذا كان القرار الرقم ٣٣٧٩ حصل، في العام ١٩٧٥، على ٧٣ صوتاً، مقابل ٣٥، وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت، فانه، في ظروف التحرك الصهيوني الحالي ونشاط اسرائيل لاستعادة زمام المبادرة وحصولها على وعود من جانب بعض الدول وبرلماناتها بالعمل على الغاء القرار، كما حصل من قبل البرلمان الاسترالي، فانه قد لا يحوز على الاغلبية المطلوبة في الظروف الدولية الراهنة، خصوصاً في ظل غياب تحرك عربي جماعي وخطة مشتركة وفاعلة على النطاق الدبلوماسي؟

ان «اعادة التصويت»، أو التصويت على مقترح جديد بالغاء القرار، أو باعتبار الصهيونية «حركة التحرر للشعب اليهودي» و«حركة انسانية»، كما تسعى الى ذلك الصهيونية واسرائيل والولايات المتحدة الاميركية، وليس باعتبارها «شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري»، كما قررت الجمعية العامة قبل عقد ونصف العقد من الزمان، يشكّل سابقة قانونية خطرة بالنسبة الى الامم المتحدة، وجمعيتها العامة، وميثاقها، واهانة للمجتمع الدولي، حيث لم يحدث ان أصدرت الامم المتحدة قراراً، ثمّ قامت بنقضه، أو عدلت عنه، أو ألغته. كما يشكّل مثل هذا القرار (لو اتخذ فعلاً) هزيمة للعرب على المستويين، النظري والعملي. فالنصر الذي حققوه في الأمم المتحدة بدمغ الصهيونية بالعنصرية ينتهي الى تراجع ونكوص في حالة الغائه؛ والتأييد الذي حصلوا عليه باقناع العالم وأغلبية الدول الأعضاء في الامم المتحدة بحقيقة الصهيونية العنصرية ومخاطرها على الصعيد النظري (الفكري) وعلى الصعيد العملي (الممارسة)، لم يستطيعوا الحفاظ عليه، وهو، باختصار، تقهقر كبير في حقل من حقول الصراع، سبق وان استطاع العرب ان يحرزوا فيه نجاحاً غير قليل.

أيكفي القول ان اندلاع الانتفاضة الباسلة والاعتراف الدولي من جانب حوالى مئة دولة باعلان استقلال دولة فلسطين اعترافاً قانونياً كاملاً *De Jure* كفيل بتقدم القضية الفلسطينية، خصوصاً في ظل السياسة العقلانية المرنة والخطة الهجومية السلمية التي تقودها م.ت.ف.؟

ان الانتفاضة بالقدر الذي شكّلت فيه رافعة جديدة وهامّة للنضال والحق الفلسطينيين على المستوى الدولي، كاسبة المزيد من العطف والتأييد في أوساط واسعة من الرأي العام، لكنها، من جهة أخرى، استنفرت الحركة الصهيونية العالمية التي بدأت تتحرك، على نحو جديد، لاحتوائها واحباطها، من طريق مؤامرة دولية كبرى، بعد ان فشلت في محاولات كسر شوكتها والقضاء عليها بأساليب الارهاب والقمع.

ويعتبر احد أركان المؤامرة التي تستهدف دعم المشروع الصهيوني، من جهة، وتقويض الانتفاضة، من جهة أخرى، كمهمة مباشرة هو هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل، والاستيطان في الاراضي العربية المحتلة، خصوصاً بعد وضعهم أمام خيار وحيد بسدّ أبواب الهجرة بوجههم الى الولايات المتحدة الاميركية، وغلق المحطات الاوروبية الوسيطة (فيينا وروما)، ممّا يعني رفد اسرائيل بعنصر بشري طالما ظلّت بحاجة اليه.

ان استمرار الانتفاضة، ورفض اسرائيل الاستجابة لارادة المجتمع الدولي، وخصوصاً لقرارات مجلس الأمن الدولي ٦٠٥ و٦٠٧ و٦٠٨ (الصادرة في ٢٢ كانون الاول ـ ديسمبر ١٩٨٧ و٥ كانون الثاني ـ يناير، و١٤ شباط ـ فبراير، ١٩٨٨، على التوالي) والتي تؤكد كون الاراضي التي تحتلها اسرائيل هي أراض فلسطينية، يضع الصهيونية وممارساتها في قفص الاتهام الدولي، باعتبارها

خطراً على السلام العالمي، وشكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وهو ما أكده القرار الرقم ٣٣٧٩، ومـا ينبغي استثمـاره في هذه الظروف على أحسن وجـه، لمنع تمرير الخطة الصهيونية ـ الامبريالية بالغاء القرار، واحباط الانتفاضة، والتوغّل في المشروع الصهيوني. ولذلك، فان أية هزيمة تتمكّن الصهيونية والقوى المؤيدة لها من ان تلحقها بالعرب من طريق الغاء القرار في هذا الوقت بالذات تعتبر ضربة موجعة للانتفاضة، وخصوصاً في ميدان محتدم من ميادين الصراع (الدبلوماسي الدولي).

ان البحث الذي نضعـه بين أيـدي القراء يستهدف التنبيه الى المخاطر التي تحيط بالنضال العربي عموماً، والفلسطيني بشكل خاص، جرّاء المساعي المحمومة لالغاء القرار الرقم ٣٣٧٩. فهو يبيّن جوانب هامّة من المعركة الفكرية ـ السياسية ـ الحقوقية ضد الصهيونية، التي ينبغي استيعابها وخـوضهـا بجدارة، حيث يسلط الضوء على الابعاد والدلالات الفكرية، والاستنتاجات السياسية، والاشتقاقات القانونية، للقرار، وبالتالي ماذا يعني الغاؤه، وهو ما يفسر القلق الاسرائيلي الدائم والأرق الصهيوني المستمر ازاء استمراره وتطويره. ان البحث يتوجّه بدعوة مفتوحة الى جميع المعنيين من المفكرين والمثقفين العرب، والى القوى والاحزاب والمنظمات، لتكثيف جهودها للحؤول دون الغاء القرار، ولتفويت الفرصة على اسرائيل والحركة الصهيونية والأوساط الامبريالية.

ان البحث يلفت نظر جامعة الدول العربية وجميع الاجهزة والهيئات العربية المختصة والعاملين في الحقل الدبلوماسي، والاعلامي، العربي، وحكومات الدول العربية عموماً، لبذل كل ما هو ممكن، وحفز كل ما هو مناسب، واستنفار كل ما هو مفيد، وحشد كل الطاقات والامكانات لدخول المعركة التي ستبدأ في أيلول (سبتمبر) المقبل، حيث ستعقد الدورة الخامسة والاربعون للجمعية العامة للامم المتحـدة، والتي تنوي اسرائيل، ومَنْ وراءها، استثمارها لالغاء القرار، وتبرئة الصهيونية من تهمة العنصرية والتمييز العنصري.

الابعاد الفكرية والسياسية والقانونية للقرار الرقم ٣٣٧٩

في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥، وقفت الصهيونية في قفص الاتهام الدولي؛ ولم يكن المـدعي، هذه المـرّة، الشعب العربي الفلسطيني والامة العربية وحدهما، اللذان اكتويا بنار الصهيونية منذ عقود من الزمان، وذاقا مرارة الارهاب والعسف والعدوان الصهيوني، بل كان المجتمع الدولي وضميره الحي هو صاحب الدعوى في أكبر «محاكمة» دولية، حيث ظهرت الصهيونية عارية أمام الملأ، وعلى حقيقتها. وأُصدر «قرار الحكم» من الجمعية العامة للامم المتحدة بالرقم ٣٣٧٩، الذي دان الصهيـونية، ودمغها بالعنصرية، وكذلك حين أكد ان الصهيونية «شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري»، مسدّداً، بذلك، ضربة عنيفة الى الفكر الصهيوني، والى كل ركام الديماغوجيا الصهيـونيـة وتشـدقاتها حول «التفرّد التاريخي»، و«انبعاث الأمة اليهودية العالمية ـ اللامكانية» (Exterritoriale) و«التفوّق على الشعوب الاخرى»، أو تلك التي حاولت تزيين الوجه القبيح للحركة الصهيونية العنصرية، باضفاء طابع «التحرر الوطني» عليها.

ولم يكن قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الرقم ٣٣٧٩، قبل خمسة عشر عاماً، سوى إقرار بواقع أليم عانى منه الشعب العربي الفلسطيني طيلة سبعة عقود من السنين، وما زال يعاني، ومعه الأمة العربية، من الصهيونية، ومن العدوان الصهيوني المتكرر.

ولم يكن القـرار الرقم ٣٣٧٩ تجنّياً على الحركة الصهيونية، أو اسرائيل وليدها الطبيعي، بل

كان تسجيلاً لحقيقة بدأت تتلمّسها على نحو أعمق شعوب الارض قاطبة، خصوصاً بعد ان تكشفت، على نحو ساطع، العقيدة الصهيونية، باعتبارها عنصرية ورجعية بالمطلق، ليس من خلال النظرية وحسب، بل ومن خلال الممارسة والتطبيق؛ لا ضد الامة العربية وحدها، بل وضد حركة التحرر الوطني العالمية. وقد برزت هذه الحقيقة في ربع القرن الاخير من خلال أعمال التخريب والتآمر والتجسّس التي قامت بها اسرائيل ضد حركات التحرير الوطني في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية، وبالتعاون مع الامبريالية وأجهزة مخابراتها، وبخاصة الـ CIA ، وكذلك عمليات التخريب في دول اوروبا الشرقية وفي الاتحاد السوفياتي، حيث نظّمت الصهيونية العالمية، وبدعم وضغط أميركيين، أوسع حملة دعائية وسياسية حول «اضطهاد» اليهود السوفيات، في محاولة لسلخهم عن وطنهم، والسعي الى منع اندماجهم في مجتمعاتهم وتشجيعهم على الهجرة الى اسرائيل[1].

وقد أخذ النشاط الصهيوني في الاتحاد السوفياتي طابعاً شبه علني باستثمار اجواء «الدمقرطة» و«العقلانية» التي أشاعتها البيريسترويكا منذ تسلّم ميخائيل غورباتشيوف دفّة القيادة، حيث تمّ تأسيس جمعيات واتحادات للصهيونيين واليهود؛ وذهب الامر الى أبعد من ذلك حين تمّت الاستجابة للهجرة الجماعية لليهود السوفيات، متخذة الطابع شبه الاكراهي باسقاط حق الاختيار. وقد استهدفت اسرائيل من الهجرة الجماعية لليهود السوفيات توطينهم في الاراضي الفلسطينية المحتلة واحداث تغيير في الاوضاع السكانية (الديمغرافية) والسياسية للاراضي العربية المحتلة، تمهيداً لضمّها الى اسرائيل.

ان الهجرة الجماعية لليهود السوفيات هي هجرة أقرب الى القسرية منها الى الطوعية، خصوصاً بعد الغاء المحطات الاوروبية الوسيطة (فيينا وروما) واصدار الكونغرس الاميركي (تشرين الاول - اكتوبر ١٩٨٩) قانوناً يضع القيود والعراقيل أمام هجرة اليهود السوفيات الى الولايات المتحدة الاميركية، ممّا يعني وضعهم أمام خيار واحد وحيد، هو الهجرة الى اسرائيل.

واذا كان حق الهجرة والسفر والتنقل واختيار مكان الاقامة حقاً طبيعياً للانسان، تكفله الشرائع الدولية، وبخاصة «الاعلان العالمي لحقوق الانسان»، الصادر في العام ١٩٤٨، فان من غير المنطقي ان يكون هذا الحق على حساب الشعب العربي الفلسطيني، الذي تعرّض، خلال أكثر من أربعين عاماً، للترحيل والاقتلاع وطمس الهوية الوطنية على يد الصهيونية.

ان وصم الصهيونية بالعنصرية من قبل أكبر هيئة دولية يعدّ تطوّراً هامّاً في الرأي العام العالمي، وخصوصاً في أروقة الامم المتحدة التي شهدت ولادة اسرائيل. هذا التطوّر الذي أخذت فيه الامم المتحدة تنظر الى الصهيونية باعتبارها ظاهرة مشينة في عالمنا المعاصر، تجد تجلياتها في كونها مساوية للعنصرية.

ولقد دشّن القرار مرحلة تاريخية جديدة من مراحل النضال ضد الصهيونية، على المستوى الدولي، بدمغها بالعنصرية. ولم يحصل هذا التطور بصورة عفوية، بل جاء عبر نضال دبلوماسي دولي عنيد، لعبت فيه الثورة الفلسطينية وم.ت.ف. الممثل الوحيد والشرعي للشعب العربي الفلسطيني، دوراً هامّاً في كسب الرأي العام العالمي. فاضافة الى البندقية الفلسطينية التي ظلّت مشرعة على الرغم من النكبات، والكفاح العادل (المسلّح والسياسي)، كان الكفاح (الدبلوماسي)، على المستوى الدولي، لا يقل شأناً. وكان لدعم الدول العربية، وتأييد وتضامن البلدان غير المنحازة والدول الاسلامية والاشتراكية، أثره البالغ في الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني وممثله الشرعي

والوحيد، وفيما بعد الاعتراف بدولة فلسطين التي أُعلنت في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، في المجلس الوطني الفلسطيني، في دورته التاسعة عشرة الطارئة في الجزائر، وفي ظل الانتفاضة الباسلة؛ كما لعبت ممارسات الصهيونية داخل اسرائيل، وخارجها، وتحدياتها السافرة لقرارات الامم المتحدة والهيئات الدولية، دوراً بارزاً في كشف القناع الذي ظلّت تتستّر به الصهيونية طيلة الفترة الماضية.

لقد ترافق قرار ادانة الصهيونية مع التطور الذي حصل داخل المنظمة الدولية التي أقرّت بعضوية م.ت.ف. بصفة مراقب دائم، في العام ١٩٧٤ (الدورة التاسعة والعشرون) واعترفت بحقها في الاشتراك والمناقشة في جميع المؤتمرات المتعلقة بقضية الشرق الاوسط، وقررت انشاء لجنة خاصة للبحث في السبل المناسبة لتمكين الشعب العربي الفلسطيني من تقرير مصيره بنفسه، بما في ذلك انشاء دولة مستقلة خاصة به(٢).

ومنذ العام ١٩٧٤، أُعيد البحث في القضية الفلسطينية، لا باعتبارها قضية لاجئين لهم «الحق» في «العودة» أو «التعويض»، بل بوصفها قضية شعب له حقوق ثابتة وغير قابلة للتصرف(٣). ومنذ ذلك التاريخ، أُعيد ادراج القضية الفلسطينية كبند مستقل في جدول أعمال الجمعية العامة، بعد ان اختفت قرابة ٢٢ عاماً(٤).

القرار الرقم ٣٣٧٩ وردود الافعال الصهيونية ـ الامبريالية

ان المعركة الحاسمة لالغاء القرار الرقم ٣٣٧٩، التي ستبدأ في الشهر المقبل هي تتويج للحملة التي بدأتها الصهيونية، منذ ١٥ عاماً، لاعدام القرار. فقد حاولت ان تصوّر القرار بكونه معادياً للسامية. وبشكل مختلف، وديماغوجي، شنّت حملة ظالمة ضد الامم المتحدة، متّهمة اياها بالعداء لليهود والسامية، زاعمة ان الامم المتحدة، بقرارها، انما «تشجّع الارهاب ضد اسرائيل».

قال اسحق رابين، في الكنيست الاسرائيلي، واصفاً القرار الرقم ٣٣٧٩، ما يلي: «ان العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥، سوف يسجّل أشد قرارات الامم المتحدة مدعاة للاشمئزاز». وبهستيرية وصلف، دعت غولده مائير صهيونيي العالم الى حمل ميداليات على صدورهم يكتب عليها «أنا صهيوني»، تحدياً لقرار الجمعية العامة. وقررت الوكالة اليهودية العالمية اعتبار قرار الجمعية العامة «عنصرياً» و«معادياً للسامية».

وبمناسبة مرور عقد من الزمان على اصدار القرار، نظّمت القوى الصهيونية في الولايات المتحدة الاميركية تظاهرة عند مبنى الامم المتحدة، في نيويورك. وعقدت في مقر المنظمة الدولية مؤتمراً هاجمت فيه المجتمع الدولي على قراره «المشؤوم»(٥).

وبعث الرئيس الاميركي السابق، ريغان، الى المؤتمر الصهيوني، عشية الذكرى العاشرة للقرار، رسالة عبّر فيها عن غضبه ازاء المنظمة الدولية، قائلاً: «قليلة هي الاحداث التي هزّت ضمير الشعب الاميركي الى هذا الحد مثل القرار الذي يجعل الصهيونية في مصاف العنصرية». ووصف مندوب الولايات المتحدة الاميركية في الجمعية العامة، فرنون وولترز، الذي حضر المؤتمر الصهيوني، القرار الرقم ٣٣٧٩ بأنه «اهانة وكذبة ودعارة». وقال المندوب الاميركي، رداً على مطالبة العديد من اعضاء الامم المتحدة بطرد اسرائيل من عضويتها: «اذا شغر مقعد اسرائيل، فان الولايات المتحدة الاميركية ليست مستعدة للجلوس في الجمعية العامة». وأضاف مكرراً موقف بلاده التي انسحبت من منظمة اليونسكو «تضامناً» مع اسرائيل: «ان مهاجمة مشاركة اسرائيل لنشاطات الامم المتحدة، أو

المنظمات الدولية المتخصصة التابعة لها، يعطّل مشاركتنا»[٦].

وكانت الاوساط الصهيونية أعدّت مذكرة قُدِّمت الى الامين العام للأمم المتحدة، تطالب فيها بالغاء القرار الرقم ٣٣٧٩، وقّعها أكثر من ٨٠٠ شخصية سياسية وعلمية وأدبية، بينهم عدد من حملة جائزة نوبل؛ كما اشتملت المذكرة على تواقيع شخصيات، مثل رئيس وزراء فرنسا الاسبق ريمون بار، والرئيس الفرنسي الاسبق، جيسكار ديستان، ورئيس وزراء فرنسا السابق، جاك شيراك، ورئيس وزراء استراليا، بيل هايدن، ووزير خارجيتها، والرئيس البرازيلي السابق كواردوس[٧].

وقد اتخذ الكونغرس الاميركي قراراً مشتركاً، في آب (اغسطس) ١٩٨٥، ندّد فيه بقرار الجمعية العامة الرقم ٣٣٧٩، معتبراً القرار شكلاً واضحاً من أشكال «التعصب الأعمى»، وداعياً برلمانات العالم الى رفضه[٨]. وقد اختارت الولايات المتحدة الاميركية تقديم مذكرة الى الدورة الثانية والاربعين للامم المتحدة، التي عقدت في أيلول (سبتمبر)، تطالب فيها بالغاء القرار[٩].

ونشطت القوى الصهيونية على النطاق العالمي، خلال السنوات الاخيرة، للحصول على أوسع قدر ممكن من التأييد ضد القرار، سواء باعادة وتنشيط علاقاتها الدبلوماسية مع عدد من الدول الافريقية، منها ـ كما ذكرنا ـ ليبريا وزائير وساحل العاج والكاميرون، أو بتعزيز علاقات اسرائيل مع دول اميركا اللاتينية، وخصوصاً بعد قرار الجمعية العامة، متخذة طابع «مساعدات» اقتصادية، وفنية، وعلاقات تجارية وأمنية. اضافة الى ذلك، لقد مهّدت اسرائيل لقبولها عضواً مراقباً في منظمة دول اميركا اللاتينية، اضافة الى كونها عضواً مراقباً في السوق الاوروبية المشتركة، والدولة الاكثر رعاية بالنسبة الى حلف شمال الاطلسي (NATO). وقد استطاعت، في العام ١٩٨٧، اقامة العلاقات الدبلوماسية مع اسبانيا؛ ومؤخراً أُعيدت العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل وهنغاريا (أواخر العام ١٩٨٩)؛ وبينها وبين تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا (العام الجاري)؛ وتجرى الترتيبات لاعادتها مع بولونيا ويوغسلافيا.

وبذلت الصهيونية جهوداً كبيرة من اجل اتخاذ قرار يصدر عن البرلمان الاسترالي يدعو الى الغاء قرار الجمعية العامة الرقم ٣٣٧٩، وذلك قبيل زيارة الرئيس الاسرائيلي، هيرتسوغ، لاستراليا. وفعلاً، أُصدر مثل هذا القرار عن البرلمان الاسترالي بالاجماع، بتاريخ ١٩٨٦/١٠/٢٣، حيث نصّت مادته الثانية على ان البرلمان «يوصي الحكومة بتقديم دعمها لمحاولات نقض القرار الرقم ٣٣٧٩، المتخذ في الدورة الثلاثين للجمعية العامة...»[١٠]. كما قام هيرتسوغ بسلسلة زيارات شملت بعض البلدان الآسيوية، في محاولة للتأثير في مواقفها وكسب التأييد لالغاء قرار الجمعية العامة. كما تقدّم عدد من النواب في البرلمان الاوروبي بمذكرات يطالبون فيها حكومات الدول الاوروبية بالغاء القرار.

ان كل تلك الجهود وردود الأفعال والنشاطات الصهيونية والامبريالية هدفها «اعدام القرار الرقم ٣٣٧٩»، الذي يعتبر أول قرار يصدر عن الامم المتحدة يدمغ الصهيونية بالعنصرية بهذا الوضوح، ويكون مكرساً لذلك. ولم يصادف ان اتخذت الامم المتحدة قراراً ثمّ نكصت عنه، أو أقدمت على الغائه. ويشكّل الغاء القرار، فيما لو حدث، سابقة خطرة، لها أبعادها النظرية والعملية من الناحية الحقوقية، ومن ناحية آلية عمل الامم المتحدة والجمعية العامة نفسها.

حيثيات القرار بين الفكر والسياسة والقانون

يمكن القول، ان القرار الرقم ٣٣٧٩ هو قرار تاريخي بكل معنى الكلمة. وقد جاء نتيجة

تراكم كمّي في الموقف الدولي أدّى الى ادانة الصهيونية باعتبارها عقيدة عنصرية كاذبة وخاطئة. والعنصرية أدينت منذ العام ١٩٦٣ في قرار الجمعية العامة الرقم ١٩٠٤، في ١٩٦٣/١١/٢٠، حيث أكدت «تصفية العنصرية بكل أشكالها»، خصوصاً عندما حدّدت ان «كل عقيدة تنادي بالتفرقة، أو التفوّق العرقي، هي عقيدة كاذبة وخاطئة، من الناحية العملية، وتستحق الادانة من الناحية الاخلاقية، وهي جائرة وخطرة من الناحية الاجتماعية»(١١).

وأعرب قرار الجمعية العامة عن القلق المشروع ازاء تعابير «التفرقة العنصرية» التي ما زالت موجودة في مناطق عدة من العالم؛ تلك التعابير التي فُرض بعضها من طريق حكومات معيّنة، بواسطة اجراءات تشريعية، أو ادارية أخرى.

وذكّرت الجمعية العامة، في قرارها الرقم ٣١٥١ (الدورة الثامنة والعشرون)، بتاريخ ١٩٧٣/١٢/١٤، بالتحالف الظالم بين العنصرية في جنوب افريقيا والصهيونية.

وأشارت الجمعية العامة، في معرض عرض أسبابها الموجبة لوصم الصهيونية بالعنصرية، الى الاعلان العالمي الصادر في المكسيك بصدد مساواة النساء، حيث تمّ تأكيد ضرورة «القضاء على الاستعمار الجديد والاحتلال الاجنبي والصهيونية والتمييز العنصري والعرقي بجميع أشكاله»؛ كما نوّهت بقرار مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية، الذي عقد في كمبالا في العام ١٩٧٥، وبقرار مؤتمر وزراء خارجيات دول عدم الانحياز، الذي عقد في ليما في العام ١٩٧٥ أيضاً. واستناداً الى جميع تلك المعطيات والحيثيات، قررت الجمعية العامة اعتبار الصهيونية «شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري».

وتكمن الاهمية الفكرية والسياسية لقرار الامم المتحدة الرقم ٣٣٧٩ في انه ساوى الصهيونية بالعنصرية، واعتبرها أحد أشكالها. وهو ما يقود الى استنتاج مفاده: لمّا كانت العنصرية والتمييز العنصري أمرين مدانين، وينبغي ازالتهما بمقتضى قرارات الامم المتحدة، وخصوصاً تلك القرارات التي تعتبرهما «جريمة ضد الانسانية»، فالصهيونية هي احد أشكال العنصرية؛ بل تشكّل الفكرة والممارسة العنصرية جزءاً بنيوياً في الايديولوجيا والممارسة الصهيونية، فضلاً عن صلة القربى الروحية بين النظام العنصري في جنوب افريقيا واسرائيل، الأمر الذي يضع العقيدة الصهيونية، وامتداداتها، وتجلياتها السياسية العنصرية، في مصاف الجرائم الدولية ضد الانسان كما هي العنصرية(١٢).

واستناداً الى ذلك، فالصهيونية والعنصرية تعنيان الارهاب والعدوان وابادة الجنس البشري وتهديد سلم وأمن الشعوب، وتتعارضان مع ميثاق الامم المتحدة، وقواعد القانون الدولي المعاصر. لذلك ينبغي ادانتهما والحؤول دون انتشارهما على النطاق العالمي، لأنهما من تراث الماضي البغيض، وهو ما يمكن استدلاله من منطوق القرار الرقم ٣٣٧٩. وهكذا، فان اسرائيل، التي تعتبر الصهيونية عقيدتها السياسية، قد وضعت، بموجب هذا القرار، موضع الشك من قبل أكبر هيئة دولية.

لقد أثار القرار تساؤلاً قانونياً حول «شرعية» وجود اسرائيل، خصوصاً وانها وليدة الصهيونية التي اعتبرها قرار الامم المتحدة شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وهما محرّمان دولياً، وينبغي وضع حدّ لهما في العالم المعاصر(١٣).

ويعادل القرار الرقم ٣٣٧٩، من حيث حجّته القانونية، القرار الرقم ١٨١، القاضي

بتقسيم فلسطين، الصادر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧. فكلاهما أُصدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة، على الرغم من اختلاف تركيب الامم المتحدة في حين اصدار القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ عن مجلس الامن الدولي.

واذا كان قرار التقسيم أُصدر في ظل توازن القوى الدولي، المختل آنذاك، وغياب تمثيل العديد من الدول الآسيوية والافريقية التي أحرزت استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية وفي سنوات الخمسينات والستينات، فان القرار الرقم ٣٣٧٩ حظي باجماع دولي أكبر، فضلاً عن التبدّل في تركيب الجمعية العامة التي أخذت تشكل فيها دول عدم الانحياز مكانة كبيرة، علماً بأن القرار حظي بـ ٧٣ صوتاً، مقابل معارضة ٣٥، وامتناع ٣٢ عن التصويت.

وهكذا تتبيّن الاهمية الاستثنائية الفائقة للقرار الرقم ٣٣٧٩، وتتكشف، في الوقت عينه، أهداف الهجوم الشرس الذي تشنّه الاوساط الصهيونية، والامبريالية، ضد القرار الذي تميّزه بهذه الحدّة من العداء من بين مئات القرارات التي أُصدرت، وهي تدين ممارسات اسرائيل، والتي لم تذعن لها ولم تعطها مثل هذه الاهمية الكبرى التي حظي بها القرار الرقم ٣٣٧٩، وهو ما يثير السؤال المشروع: ترى، اذا كانت اسرائيل لا تستجيب لأي قرار من قرارات الامم المتحدة، وتستخف بها الى درجة تحرج، أحياناً، حليفها الاكبر الولايات المتحدة الاميركية، التي غالباً ما اعترضت طريق مجلس الامن الدولي الى اتخاذ قرارات بادانة اسرائيل، باستخدام حق النقض (الفيتو)، فلماذا قامت بحملتها المنفلتة من عقالها ازاء القرار الرقم ٣٣٧٩، اذا كانت هي لا تكترث بأي قرار يصدر بحقها؟

ان الاشتقاقات القانونية التي يمكن التوصل اليها، استناداً الى هذا القرار التاريخي، هي ما يخيف اسرائيل، ويثير نقمتها وغضبها ضد القرار؛ اذ، بموجبه، يمكن وضع وجود اسرائيل موضع التساؤل القانوني المشروع، من الناحية النظرية على أقل تقدير، وهو ما تدركه اسرائيل جيداً، وتحتاط له، وتستخدم جميع الوسائل لاحباطه، لأنها تعي أهمية هذه المعركة الفكرية ـ السياسية التي لا تهملها على الاطلاق. وهو ما نودّ ان نلفت الانتباه العربي اليه في هذا البحث، خصوصاً وان المعركة أصبحت وشيكة الوقوع، وتستعد اسرائيل والاوساط الامبريالية لها، مجنّدة كل طاقاتها لابتزاز الامم المتحدة بالدرجة الاولى، وبخاصة من جانب الولايات المتحدة الاميركية، للضغط عليها باستثمار الظروف الصعبة التي تمر بها؛ وكذلك للضغط على عدد من الدول لكي تصوّت لصالح الغاء القرار، ومن أجل ارغام الامم المتحدة على الاعتذار من اسرائيل بطريقة مناسبة، كالتصويت على قرار جديد يعتبر الصهيونية «حركة تحرر وطني ذات أهداف انسانية» مثلاً، بالضد من ميثاق الامم المتحدة وقرارات جمعيتها العامة وقواعد القانون الدولي المعاصر.

ان أهمية القرار الفكرية، والسياسية، واشتقاقاته القانونية، هي التي تفسّر الحملة المسعورة الصهيونية، والامبريالية، ضده، خصوصاً وان تصعيد الحملة، في هذه الفترة بالذات، ضد القرار وضد الامم المتحدة، يستهدف الضغط أكثر على العديد من البلدان، لاقناعها بالتخلّي عن القرار، وبالتالي اجبار المنظمة الدولية على الغائه.

لقد فسّرت المندوبة الاميركية السابقة في الامم المتحدة، جين كيركباتريك، القرار في تعليق نشرته في صحيفة «الواشنطن بوست»، بمناسبة مرور عقد على اتخاذه، بأنه يعني «ان دولة تقوم على العنصرية هي دولة خارجة على القانون، ولا تملك حق الدفاع عن النفس». ثمّ أضافت: «عندما تعتبر الاغلبية في الامم المتحدة ان الصهيونية هي عنصرية، فانها تعلن عن ان انشاء اسرائيل هو

عمل لاأخلاقي»[١٤].

لقد كان القرار الرقم ٣٣٧٩ تسجيلاً واقعياً لحقيقة قائمة، وليس مجاملة دبلوماسية للشعب العربي الفلسطيني، والامة العربية، للتخفيف من وطأة المأساة التي سبّبتها الصهيونية لهما.

ان الصهيونية المعاصرة هي التعبير الاكثر وضوحاً عن العنصرية في التاريخ المعاصر. وان قرار الامم المتحدة بتوصيف الصهيونية بالعنصرية ما هو الّا تعبير عن استهجان العالم المتحضّر للعنصرية. فالصهيونية تتعدى التعريف الخاص بالعنصرية[١٥] كثيراً، وتتجاوزه الى حدود بعيدة، وذلك من خلال ما تطرحه الايديولوجيا الصهيونية ذاتها، بكون اليهود يمثلون «شعب الله المختار»، أي تفوّقهم على الشعوب الاخرى، وكونهم «أرقى عرق متمدن»، وموطن هذا الشعب هو الارض المصطفاة و«لغته أحسن اللغات»[١٦]. وذهب منير كهانا الى اعتبار «الشعب» اليهودي «قلب العالم ودماغه»، وانه «اختير» لاداء دور عظيم، ولا بدّ من تطهير «الامة اليهودية» من جميع الشوائب التي علقت بها، والمحافظة على العرق اليهودي الصافي[١٧].

وتتفرد الصهيونية في تعريف غريب للامة، حيث تعتبر اليهود، حيثما يكونون، منتمين الى «أمة واحدة»، على الرغم من اختلاف اللغة والعرق؛ فهم قاوموا «خطر» الاندماج والتذويب. ومنذ وقت مبكر، أورد الاب الروحي للحركة الصهيونية، ثيودور هرتسل، تعريفاً «خاصاً» للامة، عندما قال: «أنا لا أطلب من الامة لغة مشتركة واضحة وجلية؛ فان تعريفاً متواضعاً وبسيطاً يكفي لاجل الامة. نحن وحدة تاريخية من أناس ينتمي احدهم الى الآخر بصلة واضحة وجلية، وتبقى لحمتنا بحكم وجود العدو المشترك»[١٨].

ووفقاً لمزاعم النقاء والتفرّد، يطلق الصهيونيون مصطلح «الأمة اللامكانية» على «الامة اليهودية العالمية»، أي الامة الموجودة خارج نطاق المكان والارض، مع انه ليس لهذه «الامة» لا أرض مشتركة، ولا لغة مشتركة، ولا اقتصاد مشترك، ولا ثقافة مشتركة، ولا تاريخ مشترك، ولا أمزجة مشتركة[١٩]. وتميّزت الايديولوجيا الصهيونية بالطابع الشوفيني المتعصّب ونظرة الاستعلاء «القومي»، حيث شكّلت احد العناصر البنيوية في تكوينها، سواء ضد العرب، أوضد الشعوب الاخرى. ومنذ وقت مبكر، عبّر هرتسل عن حقيقة الطابع العنصري الشوفيني الاستعماري للصهيونية، عندما وصف اليهود بأنهم «شعب مستعمِر»؛ وحاول، في كتابه «الدولة اليهودية»، الذي أصدر العام ١٨٩٦، ان يتهم جميع الشعوب باللاسامية ومعاداة اليهود، وذلك حين كتب: «ان الشعوب التي يعيش اليهود بين ظهرانيها، امّا ضمناً أوصراحة لاسامية؛ وان اليهود هم شعب واحد... جعلهم أعداؤهم هكذا وبدون موافقتهم، كما يحدث مراراً وتكراراً في التاريخ...»[٢٠]. واستنتج هرتسل ان اليهود «بقوا شعباً واحداً وجنساً متميّزاً»؛ واليهود، على هذا الاساس، «أمة منفصلة» لا يمكن لافرادها الاندماج.

وتهمة اللاسامية وجّهتها الحركة الصهيونية الى القرار الرقم ٣٣٧٩ والى الامم المتحدة، بعد اصدار القرار.

ان قرار الامم المتحدة بدمغ الصهيونية بالعنصرية واعتبارها شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري يستند، اضافة الى ما ذكرنا من تعريف للعنصرية وتجلياتها المعاصرة، الى جملة من الحقائق والمعطيات، حيث ترفض المنظمات الصهيونية انتساب غير اليهود اليها؛ أي انها تجسّد حقيقة من حقائق المنظمات العنصرية، وتعني بها الانغلاق، فضلاً عن حق الادعاء بتمثيل يهود العالم، ممّا يعني اثارة الضغائن والفتن والاحقاد العنصرية بين اليهود وسكان البلاد التي يعيشون فيها، فضلاً

عن ان مثل هذا الادعاء يعني تعميم ازدواجية الولاء للمواطن اليهودي؛ تلك التي لا تجيزها الغالبية الساحقة من قوانين الجنسية في العالم؛ اضافة الى انها تغرس فكرة التفوّق على بقية الاجناس والقوميات والشعوب والامم.

وتلتقي الصهيونية على صعيد واحد مع الحركة العنصرية في جنوب افريقيا؛ وتتجسّد الصلة الوثيقة بين حكومة اسرائيل وحكومة بريتوريا العنصرية. ولذلك، لم يأت عبثاً وصم الصهيونية بالعنصرية؛ وفوق كل ذلك التنكّر الصارخ لحقوق الشعب العربي الفلسطيني، وحرمانه من وطنه وحقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة، فضلاً عن تنكّرها لأبسط حقوق المواطن الفلسطيني، المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، في حين تتحدث عن «حقوق اليهود» في فلسطين، تلك التي صاغها الكنيست الاسرائيلي في ١٩٧٢/٣/١٦ بقرار خاص، حين أكد «بديهية حقوق اليهود التاريخية في فلسطين»؛ وهو القرار الذي لم يكن سوى تجسيد بشع للعنصرية والتمييز العنصري ضد الشعب العربي الفلسطيني وحقوقه الثابتة غير القابلة للتصرف حسب قرارات الامم المتحدة، ورفض مطلق لحقه في الوجود والعيش بسلام على أرض وطنه وتقرير مصيره بنفسه.

القرار الرقم ٣٣٧٩؛ المقدمات والنتائج

شهد العقدان الماضيان سلسلة من القرارات الهامّة لصالح قضية الشعب العربي الفلسطيني ونضاله التحرري وضد الصهيونية، من أبرزها، ان لم يكن أبرزها على الاطلاق، القرار الرقم ٣٣٧٩، الذي دمغ الصهيونية بالعنصرية. وقد أثارت اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية ضجة اعلامية ضد الامم المتحدة ومنظماتها الفرعية والمتخصصة التي اتخذ بعضها قرارات مماثلة. وقد شجّعها على ذلك الهبوط المتسارع في الموقف العربي الرسمي في ما يتعلق بالصراع العربي ـ الصهيوني، على الرغم من اندلاع، واستمرار، الانتفاضة منذ التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، مع بعض الاستثناءات الاخيرة في الرد على التحدي الصهيوني قبيل القمة العربية الاخيرة، وبعدها (أيار ـ مايو ١٩٩٠)، التي عقدت في بغداد؛ وهي القمة الثالثة منذ اندلاع الانتفاضة، حيث عقدت القمة الاولى في حزيران (يونيو) ١٩٨٨، في الجزائر، والتأمت القمة الثانية في الدار البيضاء، في أيار (مايو) ١٩٨٩؛ وجاءت القمة الثالثة في بغداد (أيار ـ مايو) من العام الجاري، في ظل حملة صهيونية ـ امبريالية وهجوم شرس تجلّى في الهجرة الجماعية لليهود السوفيات الى اسرائيل لدعم المشروع الاستيطاني الصهيوني في الاراضي الفلسطينية المحتلة، تمهيداً لضمّها، تدريجاً، كما حدث بالنسبة الى القدس العربية والجولان، تمشّياً مع سياسة القضم التدريجي والامر الواقع التي تمارسها اسرائيل، وفي تفجير «معمل الرابطة» في الجماهيرية الليبية، وفي التهديدات التي أطلقتها اسرائيل والامبريالية ضد العراق والأمة العربية.

ان أي مراجعة للظروف التي تمّ فيها اتخاذ قرارات للامم المتحدة، تتعلق بالقضية الفلسطينية أو بالصراع العربي ـ الصهيوني عموماً، تظهر، بوضوح، ان القرارات الايجابية كانت تصدر عندما يكون الموقف العربي، والموقف الفلسطيني بشكل خاص، صلباً وموحّداً. وان القرارات المائعة التي لا تلبّي الطموح المشروع للشعب العربي الفلسطيني والامة العربية كانت تصدر في حالة التراجع والنكوص العربي الرسمي.

لقد شجّع النكوص الاوساط الامبريالية والصهيونية على الضغط على الامم المتحدة والمنظمات الدولية الاخرى للتأثير في مواقف بعض الدول من أجل الغاء القرار الرقم ٣٣٧٩، الى درجة ان

الرئيس الاميركي السابق، ريغان، أعلن عن تصميم الولايات المتحدة الاميركية على ازالة هذه «اللطمة»، على حدّ تعبيره. وكان، ولا يزال، ضعف الموقف العربي يشكل عقب اخّيل في حماية القرار والحؤول دون نجاح القوى الصهيونية والامبريالية من الغائه. ولو كان الموقف العربي متماسكاً وموحّداً لأمكن ليس صون القرار وحسب، بل وتطويره باتجاه توقيع اتفاقية دولية لتحريم الصهيونية. ففي الدورة الرابعة والثلاثين، اتخذت الجمعية العامة قراراً يدين «الهيمنة»، ويعتبر الصهيونية والعنصرية والامبريالية والاستعمار الجديد، و«الابرتايد» شكلاً من أشكالها، تتناقض مع مبادىء الميثاق الذي يدعو الى المساواة التامة بين الدول، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، واحترام السيادة وحق تقرير المصير، ويمنع استخدام القوة، أو التهديد بها، في العلاقات الدولية[٢١].

وفي تموز (يوليو) ١٩٨٠، خُصصت الدورة الطارئة للجمعية العامة للبحث في القضية الفلسطينية، حيث وصمت سياسة اسرائيل بالعنصرية والاغتصاب. وفي الدورة السابعة والثلاثين، في ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٢، وبعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان، اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة قراراً لا يقل أهمية عن القرار الرقم ٣٣٧٩ حول الصهيونية، وذلك بادانة «دولة اسرائيل»، باعتبارها عدواً للسلام، وعضواً تجاوز، وتجاهل، جميع الواجبات والالتزامات التي ينص عليها الميثاق. وتأتي أهمية مثل هذا القرار في كونه، لأول مرة، يضع علامة استفهام حول كيان الصهيونية السياسي (اسرائيل) مشككاً في شرعيته الدولية، بل يضعه في تعارض مع الامم المتحدة وأهدافها. ولولا «الفيتو» الاميركي، لما بقيت اسرائيل في الامم المتحدة وفي المنظمات المتخصصة والفرعية.

وقد أدّى النشاط الواسع الذي لعبته اللجنة الدولية للتحقيق في الجرائم التي ارتكبتها اسرائيل بحق الشعبين، اللبناني والفلسطيني، الى تحوّلات في الرأي العام العالمي، أخذت تزداد سخطاً ضد الصهيونية والعدوان الاسرائيلي، حيث باتت أوساط واسعة، لم تكن حتى وقت قريب مناصرة للحق الفلسطيني والعربي، تقر بـ : حق الفلسطينيين بالعودة الى ديارهم التي اجبروا على مغادرتها بالقوة؛ والحق في تقرير المصير، من دون أي تدخل خارجي؛ والحق في اقامة دولة مستقلة ذات سيادة؛ والحق في وطن موحّد ووحدة وطنية[٢٢].

ودعت الجمعية العامة للامم المتحدة، في قرار اتخذته بتاريخ ١١ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٤، بأغلبية ١٢١ صوتاً، وامتناع ٢٣ دولة عن التصويت، ومعارضة الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل وكندا، الى «انشاء دولة فلسطينية مستقلة»، وذلك باقتراح من حركة عدم الانحياز.

وانتقدت الجمعية العامة، في قرارات لاحقة، رفض الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل لعقد المؤتمر الدولي حول الشرق الاوسط[٢٣].

ومنذ اندلاع الانتفاضة، أخذ بعض مفاصل الرأي العام العالمي بالتحرك باتجاه دعم حقوق الشعب العربي الفلسطيني. الّا ان غياب موقف عربي موحّد، وفعّال، حال دون استثمار التطوّر في الرأي العام العالمي لصالح القضية الفلسطينية والأمة العربية. فقد اعترفت بقرار اعلان استقلال دولة فلسطين حوالى مئة دولة، اعترافاً قانونياً كاملاً، وهو يعني «الاعتراف بالسيادة الفلسطينية المحتجبة حالياً بفعل الاحتلال الصهيوني للارض الفلسطينية التي حددها (بصورة راهنة) اعلان الاستقلال بالضفة والقطاع والقسم الشرقي من مدينة القدس». وهو ما تناولته القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الامن ذات الارقام ٦٠٥ و٦٠٧ و٦٠٨، في ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧ و٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨، و١٤ شباط (فبراير) ١٩٨٨، على التوالي، حيث أكدت

السيادة الفلسطينية على الاراضي الواقعة، حالياً، تحت الاحتلال الاسرائيلي، وهو ما يطرح على المجتمع الدولي مسألة انسحاب القوات الاسرائيلية المحتلة بدون قيد أو شرط، كضرورة لا غنى عنها لتطبيق قرارات مجلس الامن الدولي واقرار اعتراف المجتمع الدولي، حقيقة، بالدولة الفلسطينية، ليس باعتبارها «شعاراً سياسياً»، أو هدفاً بعيداً، بل باعتبارها «واقعاً ملموساً واجب الاداء والتحقيق»، واكسابها الشخصية الدولية، كعضو في المجتمع الدولي، بكامل الحقوق، بتوفير مستلزمات مشاركتها الفعّالة.

ان أهمية القرارات المذكورة كونها تصدر بُعيد الانتفاضة، وفي ظل انتعاش فلسطيني يفترض فيه ان يمتد الى الوضع العربي، خصوصاً وان تلك القرارات أُصدرت بدون «فيتو» اميركي، بل ان بعضها أُصدر دون اعتراض، أو امتناع، عن التصويت، ممّا يعني ان تقدّماً ملحوظاً على الصعيد الدولي لم يكن بالامكان احرازه بدون وجود الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، حيث أكدت تلك القرارات كون الاراضي التي في حوزة اسرائيل هي أراض فلسطينية محتلة، وهو ما يطرح مسألة الانسحاب واحترام حق تقرير المصير وحقوق الانسان الفلسطيني والغاء التمييز العنصري على بساط البحث بقوة كبيرة.

القرار الرقم ٣٣٧٩ وتحريم الصهيونية

ان المحافظة على القرار الرقم ٣٣٧٩ وادانة الصهيونية على أوسع نطاق يتطلب اتخاذ مواقف حازمة تضع القضية القومية، والمصالح الوطنية العليا، فوق كل اعتبار، وذلك من خلال التعامل مع الدول والحركات التي تندفع في علاقاتها مع اسرائيل والعمل على تحديد مصالحها وامتيازاتها مع البلدان العربية وفي المنطقة.

ان تصاعد النشاط الصهيوني والضجة الكبرى التي أثارتها اسرائيل، ومن ورائها الولايات المتحدة الاميركية وبقية الدول والقوى الامبريالية والرجعية العالمية، ضد الامم المتحدة ومنظماتها الفرعية والمتخصصة لا ينبغي ان تقابل بالسخط والشجب فحسب، بل بالعمل على فضح أهدافها، والتصدي لها، وكشف حقيقة الصهيونية، وتنشيط، وتشجيع، الجمعيات والجهات التي أخذت على عاتقها مكافحتها؛ ويتطلب ذلك وضع الحقائق والمعطيات تجاه الرأي العام العالمي باستمرار، ومناشدته، وحثّه، على احباط محاولات الصهيونية لالغاء القرار الرقم ٣٣٧٩؛ بل والعمل على تطويره ليتّخذ طابع اتفاقية دولية لمكافحة الصهيونية.

ان قرار الامم المتحدة بوصم الصهيونية بالعنصرية قد وضع الصهيونية على مشرحة التاريخ وأمام محكمة الشعوب المحبة للسلام. فالعنصرية جزء بنيوي من الصهيونية. وقد اعتبرت التفرقة العنصرية جريمة دولية تستحق انزال العقاب، كما جاء في الاتفاقية الدولية حول القضاء على «جريمة الابرتايد» الصادرة عن الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٩٧٣/١٢/٣٠. وطبقاً لذلك، فان هذه الجريمة تشمل «الاعمال اللاانسانية المتّخذة بهدف اقامة، وتعزيز، سيادة مجموعة عرقية من البشر على مجموعة عرقية أخرى، واضطهادها بصورة منظمة»، وهو ما ينطبق على الصهيونية وكيانها العنصري الاستيطاني؛ اذ انهما لا يستهدفان سيادة مجموعة عرقية على أخرى فحسب، بل نفي وجود الشعب العربي الفلسطيني بالكامل، ومحو الشخصية الوطنية الفلسطينية، وطمس تراثها وتاريخها.

لذلك، فان العمل على توقيع اتفاقية دولية على غرار اتفاقية تحريم جريمة «الابرتايد» تجرّم الصهيونية باعتبارها شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، ومظهراً من مظاهر

الهيمنة، وعدواً للسلام (كما ورد في قرارات الامم المتحدة)، يعيد الاعتبار ليس الى قرار الامم المتحدة الرقم ٣٣٧٩ فحسب، بل ويحميه من محاولات الصهيونية والامبريالية الهادفة الى الغائه، ويساعد على التمسّك به وتطويره، ويجعل الامم المتحدة أكثر مصداقية مع نفسها في اقرار ميثاقها، وأهدافها، ومبادئها.

وتبرز، اليوم، على نحو ملحّ وعاجل، مسألة الحفاظ على القرار الرقم ٣٣٧٩، وهو ما يتطلب تكثيف جهود م.ت.ف. وبقية الدول العربية لاتخاذ مواقف موحّدة في المحافل الدولية، والاستعداد لمنازلة التحدي الصهيوني، سواء في المنظمة الدولية، أو خارجها، ولوضع قرارات مؤتمر القمة العربي الذي عقد في بغداد، في أيار (مايو) ١٩٩٠، موضع التطبيق الفعّال، وتجميع الجهد العربي المشترك لمواجهة الضغوط الصهيونية، والامبريالية.

ويقع قسط غير قليل من هذه المهمات على عاتق جامعة الدول العربية للحؤول دون الغاء القرار اولاً، ومنع التآكل التدريجي الذي قد يعتريه، بسبب الهجوم الامبريالي ـ الصهيوني ثانياً، والعمل على تعزيز حماس الدول المؤيدة للحقوق العربية ولحق الشعب العربي الفلسطيني والمعادية للصهيونية ثالثاً، وكبح جماح بعض الدول التي بدأت باعادة علاقاتها مع اسرائيل، والتي تندفع باتجاهات خاطئة، تعويضاً عن الفترة الماضية، تحت تبريرات وذرائع مختلفة، ودفعها الى اتخاذ مواقف «متوازنة» ومعتدلة على أقل تقدير رابعاً، وبذل المساعي مع الدول التي ما تزال مترددة، أو التي تقف في منتصف الطريق، وتحسب الحساب للضغوط الامبريالية ـ الصهيونية لكسبها في المعركة الدائرة حول التمسّك بالقرار وتطويره، أو الرجوع عنه والغائه خامساً.

ان كسب التأييد للانتفاضة، وفضح، وتعرية، الهدر الفاضح لحقوق الانسان الفلسطيني الذي تمارسه اسرائيل يومياً، ودعم الاعتراف الدولي، سواء بالدولة الفلسطينية أو بقبولها في المنظمات الدولية، وشرح أبعاد المبادرة الهجومية السلمية الفلسطينية، وتبيان التعنّت الاسرائيلي، وخصوصاً رفض اسرائيل لقرارات مجلس الامن الدولي ذات الارقام ٦٠٥ و٦٠٧ و٦٠٨؛ كل ذلك يصبّ في مسألة حماية القرار والحؤول دون الغائه، ويؤدي الى عزل الصهيونية، ويكشف، أكثر فأكثر، طابعها العنصري التوسّعي الاستيطاني، وهو ما يساعد في الدعوة الى تحريمها على نطاق دولي.

ان جهداً عربياً مشتركاً ينبغي ان ينصب لدعم القرار الرقم ٣٣٧٩، والدفاع عنه في المحافل والهيئات الدولية، والكشف عن حقيقة الصهيونية، ووضع ممارسات وجرائم اسرائيل بشكل مستمر تجاه الرأي العام العالمي(٢٤). وينبغي اثارة موضوع تحريم الصهيونية، باعتبارها جريمة دولية ضد الانسانية، والدعوة الى توقيع اتفاقية دولية بشأن ذلك، سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي؛ كما ينبغي ان تضطلع جامعة الدول العربية بهذا الامر، وتعطيه حيّزاً يستحقه. وكان للجهد الطيب الذي قام به بعض الوفود العربية في مؤتمر القمة الاسلامية، الذي عقد في الكويت، في ١٩٨٧/١/٢٨، اثر هامّ في استصدار قرار ينصّ على تنسيق جهود الدول الاسلامية في الامم المتحدة، لمواجهة الحملة الاميركية ـ الاسرائيلية لالغاء القرار الرقم ٣٣٧٩.

وبعد كل ذلك، فالقرار الرقم ٣٣٧٩، من حيث أهميته السياسية، يعتبر ادانة صريحة وواضحة من الامم المتحدة ضد الصهيونية، وهي ادانة أشبه بادانة محكمة نورمبرغ، وهو ما ينبغي استثماره على أوسع نطاق في الميدان الدولي، خصوصاً في ظل الظروف التي هيّأتها الانتفاضة.

نص القرار الرقم ٣٣٧٩

«ان الجمعية العامة، اذ تستشهد بقرارها الرقم ١٩٠٤ (XVII)، بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣، الذي ينشر اعلان هيئة الامم المتحدة بالقضاء على التمييز العنصري بجميع أشكاله، وخاصة التصريح الوارد فيه، والقائل ان كل عقيدة للتفريق العنصري، او للتفوّق العرقي، كاذبة على الصعيد العلمي، وجديرة بالادانة على الصعيد الاخلاقي، وجائرة، وخطرة، على الصعيد الاجتماعي، وبالقلق المعبّر فيه بصدد ظواهر التمييز العنصري، التي ما تزال تتبدّى في بعض مناطق العالم، ناهيك ان حكومات بعض البلدان تعزّز التمييز العنصري، في بعض الاحوال بالاجراءات التشريعية أو الادارية أو غيرها من الاجراءات.

«اذ تذكّر، كذلك، بأن الجمعية العامة قد شجبت، فيما شجبت، في قرارها الرقم ٣١٥١ G (XXVIII)، بتاريخ ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣، التحالف الظالم بين العنصرية في جنوب افريقيا وبين الصهيونية.

«اذ تنوّه بالاعلان الصادر العام ١٩٧٥، في المكسيك، بصدد مساواة النساء وقسطهن في التنمية والسلام، والذي أذاعه المؤتمر العالمي في اطار ' عام المرأة العالمي ' الذي عقد في مكسيكو، من التاسع من حزيران (يونيو) الى الثاني من تموز (يوليو) ١٩٧٥، والذي نادى بمبدأ يقول ان التعاون العالمي والسلام العالمي يتطلبان بلوغ التحرر الوطني والاستقلال الوطني والقضاء على الاستعمار، والاستعمار الجديد، والاحتلال الاجنبي، والصهيونية، والتمييز العنصري بجميع أشكاله؛ وكذلك الاعتراف بكرامة الشعوب وحقها في تقرير المصير.

«اذ تنوّه كذلك بالقرار الرقم ٧٧ (XII) الذي اتخذه مؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية، في دورتها العادية الثانية عشرة التي عقدت في كمبالا من ٢٨ تموز (يوليو) الى الاول من آب (اغسطس) ١٩٧٥، والذي جاء فيه: ' ان للنظام العنصري في فلسطين المحتلة، وللنظامين العنصريين في زيمبابوي وجنوب افريقيا، اصلاً امبريالياً واحداً، وتشكّل كلاً واحداً، وتملك بنية عرقية متماثلة، وترتبط ارتباطاً عضوياً فيما بينها بسياساتها الهادفة الى امتهان كرامة الانسان وحرمته ' .

«اذ تنوّه، كذلك، بالاعلان السياسي، وباستراتيجية توطيد السلام العالمي والامن الدولي وتعزيز التضامن والتعاون بين البلدان غير المنحازة؛ هذا الاعلان وهذه الاستراتيجية اللذان أقرّهما مؤتمر وزراء خارجيات البلدان غير المنحازة، الذي عقد في ليما من ٢٥ الى ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٧٥، والذي شجب الصهيونية بحزم، بوصفها خطراً على السلام العالمي والامن الدولي، ودعا جميع البلدان الى الوقوف ضد هذه الايديولوجية العنصرية الامبريالية.

«تقرر ان **الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري**».

---

(١) ليس عبثاً ان يجرى بذل اهتمام أكبر من جانب الاتحاد السوفياتي، في السنوات الاخيرة، لمكافحة الصهيونية، وفضح أهدافها ومراميها، خصوصاً وقد توّج ذلك الاهتمام في عهد الزعيم الراحل يوري اندروبوف بتشكيل «اللجنة الاجتماعية السوفياتية لمكافحة الصهيونية» في العام ١٩٨٣. انظر د. عبد المحسن شعبان **الصهيونية المعاصرة والقانون الدولي**، دمشق: دار الجليل، ١٩٨٥، ص ٥.

(٢) أُصدر قرار الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية عن الجمعية العامة للامم المتحدة

في ٢٤/١١/١٩٧٤ بالرقم ٣٢١٠، وبأغلبية ١٠٥ أصوات، مقابل معارضة أربعة أصوات، وامتناع ٢٠ دولة عن التصويت.

(٣) في العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩، أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة (الدورة الرابعة والعشرون) قراراً بالرقم ٢٥٣٥ نصّ، بصورة محددة، على شعب فلسطين وحقوقه غير القابلة للتصرف. وفي تلك الدورة، أعيد فتح الملف الفلسطيني على طاولة البحث، بعد ان توزّع بملفات أخرى لتمييع قضية الشعب العربي الفلسطيني وتنكّراً لوجوده وشخصيته الوطنية. انظر يوسف القراعين، **حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره**، عمّان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٣، ص ١٥٩.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ١٦٣.

(٥) نقضت اسرائيل اتفاقاً بين ممثل اسرائيل في الامم المتحدة، بنيامين نتنياهو، وبين الامين العام للامم المتحدة، بيريز ديكوييلار، حيث أعطى الاول وعد شرف بأن لا يتعرّض المؤتمر الاّ للعلاقة بين الامم المتحدة واسرائيل بصفتها عضواً فيها، لكن المؤتمر تحوّل الى هجوم على المنظمة الدولية. انظر د. جورج جبور، «مصير القرر الرقم ٣٣٧٩ وأهميته؛ معركة بكل اتساع العالم وبكل عمق الفكر»، **الندوة الفكرية حول الطبيعة العنصرية للصهيونية ومصير القرار ٣٣٧٩**، دمشق، ٢٨/٣/١٩٨٧.

(٦) انظر **النهار** (بيروت)، ١١/١١/١٩٨٥.

(٧) سبق هذا التحرك، في العقد الاول لصدور القرار، تظاهرة خارج مقر الامم المتحدة، شارك فيها المندوب الاميركي لدى الامم المتحدة، فيرنون ووترز، والمندوبة السابقة، جين كيركباتريك، والسيناتور باتريك موينيهان الذي كان ممثلاً للولايات المتحدة في المنظمة الدولية عند اصدار القرار الرقم ٣٣٧٩ في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥. والجدير بالذكر، ان رئيس الجمهورية الفرنسية زعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي، فرنسوا ميتران، قد أعرب عن «أسفه» لقرار الجمعية العامة القاضي بادانة الصهيونية واعتبارها شكلاً من اشكال العنصرية والتمييز العنصري، واعتبر هذا القرار «منحازاً». انظر **الحرية** (دمشق)، ١٧/٢/١٩٨٥.

(٨) انظر د. عبدالمحسن شعبان، «الابعاد الفكرية والسياسية والقانونية لقرار الامم المتحدة ٣٣٧٩؛ نحو اتفاقية دولية لتحريم الصهيونية»، **الوحدة** (الرباط)، العدد ٤٤، أيار (مايو) ١٩٨٨.

(٩) وصف الممثل الاميركي الدائم في الامم المتحدة، فيرنون ووالترز، القرار الرقم ٣٣٧٩ بأنه «سخف لا يخدم الاّ ذلك الشر العتيق المتمثل في المعاداة للسامية، ويستهدف انكار شرعية دولة عضو ذات مركز طيب قامت الامم المتحدة بدور رئيس في ايجادها، وهي اسرائيل. ويشكّل هذا القرار انكاراً لمبادىء الامم المتحدة المعترف بها، ولا يجلب الى تلك المنظمة سوى العار...». انظر رسالته الموجّهة الى الامين العام للامم المتحدة، في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٦، **المصدر نفسه**. كذلك قارن د. محمد صالح المسفر، «هل تتراجع الامم المتحدة أمام الضغط الاميركي؟»، **الخليج** (ابو ظبي)، العدد ٣٠٠٧، ٢٠/٧/١٩٨٧.

(١٠) تنص الفقرة الاولى من قرار البرلمان الاسترالي على ما يلي: «يقرر المجلس ان قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الرقم ٣٣٧٩، الذي يساوي الصهيونية بالعنصرية: (أ) ليس ايجابياً في اطار البحث عن تسوية في الشرق الاوسط؛ (ب) يتعارض مع ميثاق الامم المتحدة؛ (ج) يظل غير مقبول من حيث انه تشويه للصهيونية؛ (د) ساهم في اذكاء العداوة الدينية والتحريض على اللاسامية». ومن الجدير بالذكر ان قرار البرلمان الاسترالي قدّم الى الرئيس الاسرائيلي، حاييم هيرتسوغ، هدية خلال زيارته لاستراليا، وهي الزيارة الاولى التي يقوم بها الرئيس الاسرائيلي لاستراليا منذ قيام اسرائيل العام ١٩٤٨. ويرتبط اسم هيرتسوغ بالقرار الرقم ٣٣٧٩ ارتباطاً خاصاً، حيث كان يعمل، حين اصداره، مندوباً لاسرائيل في الامم المتحدة. وحين أصدر القرار لم يتمالك نفسه، فقام بتمزيق الورقة، غيظاً، في المحفل الدولي. ويوم أصبح رئيساً لاسرائيل عاهد نفسه على العمل على الغاء القرار في موعد أقصاه العام ١٩٩٠، وهو التاريخ الذي تنتهي به فترة رئاسته.

(١١) انظر يفيسيف وآخرون، **الصهيونية؛ الحقيقة والاختلافات**، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٠، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(١٢) قارن **كتابنا القضايا الجديدة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي**، بيروت: دار الكتبي، ١٩٨٧.

(١٣) تكمن أهمية القرار الرقم ٣٣٧٩ في انه

بلغ الحد الاعلى من التشكيك بشرعية اسرائيل المقبول دولياً، وهو ما يفسّر حنق اسرائيل وغضب حكامها على القرار، وتصميمهم على الغائه. ويعود الفضل في صياغة القرار بهذه الدقة والعمق الى المرحوم الدكتور فائز صائغ (عضو الوفد الكويتي)، كما يذهب الى ذلك د. جورج جبور حين أكّد ان القرار قد صيغ بشكل محكم. انظر د. جبور، **مصدر سبق ذكره**.

(١٤) ان هذا الاستنتاج ينطلق من قاعدة قانونية منطقية صحيحة. فما قام على البطلان فهو باطل من الناحية القانونية، وهو ما قصدته جين كيركباتريك. **انظر السفير** (بيروت)، ١٢/١٠/١٩٨٥.

(١٥) العنصرية، حسب تعريف دائرة المعارف البريطانية، هي «النظرية، أو الفكرة، القائلة ان هناك علاقة سببية بين الصفات الجسدية الموروثة وصفات تتعلق بالشخصية أو العقل أو الثقافة؛ يضاف الى هذا فكرة ان بعض الاعراق متفوّق على أعراق أخرى بصورة وراثية...». قارن الدراسة المقدّمة الى مؤتمر رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية في مالطا، الموسومة «الطبيعة العنصرية للصهيونية»، **المحامون** (دمشق)، العدد ١، ١٩٨١.

(١٦) اسرائيل شاحاك، **من الارشيف الصهيوني**، بيروت: مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ١٩٧٥، ص ٨٣.

(١٧) يفييسيف وآخرون، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٤ و٢٠.

(١٨) انظر فولف ايرليخ وآخرون، **دراسات في الصهيونية**، القدس: بلا ناشر، ١٩٧٦، ص ١٤.

(١٩) قارن يفييسيف وآخرون، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٩.

(٢٠) Hertzil, T.; *The Jewish State*, New York: 1946, p. 92.

(٢١) أصدر القرار بتاريخ ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ بأغلبية ١٠٦ أصوات، مقابل ١١ صوتاً معارضاً، وامتناع ١٤ عضواً عن التصويت.

(٢٢) تبلورت هذه المطالب منذ أواسط السبعينات، وأخذت تتعمّق، على المستوى الدولي، في الثمانينات. انظر، بهذا الخصوص، **الرأي العام** (الكويت)، ٢٩/٨/١٩٨٣.

(٢٣) **المصدر نفسه**، ١٣/١٢/١٩٨٤.

(٢٤) من رسالة وجّهها الممثل الدائم لليمن الشمالي لدى الامم المتحدة، باعتباره رئيساً للمجموعة العربية، الى الامين العام للامم المتحدة، بتاريخ السادس من شباط (فبراير) ١٩٨٧.

التماثل والتعاون بين الصهيونية والنازية

يوسف حدّاد

غالت الافكار الصهيونية في التشديد على كراهية الشعوب لليهود، وفي اضطهادها لهم. وقدّم منظرو الصهيونية اطروحات غير موضوعية لهذه الكراهية، حيث جرّدوا اليهودي من الظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية التي عاش فيها على مرّ العصور، «ونظرت اليه كقوة خارج التاريخ والواقع. ومن جهة أخرى، استخدمت تعابير ' الحق الالهي ' و' شعب الله المختار ' ، كجسر عبور الى ' الوطني القومي ' والعنصرية. فتصبح ' العودة الى أرض الميعاد ' مشيئة الهية؛ وكذلك خصوصية تفوّق اليهود على غيرهم من سكان العالم. وساعتئذٍ، فالرب هو الذي يقرّ بأن اليهود ' شعب ' تنقصه الارض، حتى تتفتح خصائصه القومية. وبذلك يتساوى الله مع رأس المال في المحتوى الرجعي للحركة الصهيونية»(١).

ان اليهودي، في منظور بنسكر، مكروه من كل الطبقات. فهو «ميت بالنسبة الى الاحياء، غريب بالنسبة الى السكان المحليين، متسوّل لمالكي الثروات، مستغِل ومليونير بالنسبة الى الفقراء، رجل بلا وطن بالنسبة الى الوطنيين. انه منافس مكروه بالنسبة الى جميع الطبقات»(٢). وبنسكر تجاهل العلّة للكراهية، واكتفى بسرد مظاهرها، متجاهلاً المسؤولية التي تقع على عاتق اليهود أنفسهم، والظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية التي عصفت باوروبا في اثناء ولادة هذه الكراهية.

امّا دوبنوف، فرأى ان الاضطهاد المسيحي الاوروبي لليهود ترك اثراً في طابع اليهودية لحفظ تمسّك اليهود بأهداب الدين. كتب: «فالشعب اليهودي ادرك الخطر الذي كان يهدّده، فتمسّك، بعزم، بذخائره الثمينة، وتعلّق بأعمدة ديانته التي بدت له الملجأ الوحيد، فانفصل الفكر اليهودي عن العالم الخارجي، وانصرف، كلياً، الى دراسة التلمود»(٣).

ومن نافل القول ان الحركة الصهيونية لم تقم على أسس دينية؛ بل هي وليدة ظروف اقتصادية ـ اجتماعية مرّت اوروبا بها، تخلّلتها نظرات فكرية عنصرية كغطاء للتوسّع الامبريالي، فكانت وليدة هذه الظروف. امّا الدين، بالنسبة الى الصهيونية، فلم يكن أكثر من رداء، لاستغلاله في أوساط بعض الجماعات اليهودية.

لقد رفض كارل ماركس اعتبار مشكلة اليهودي مشكلة دينية، واظهر مغالطة برونو باور عندما طرحها على هذا الصعيد. فالتحرر، في منظور ماركس، ليس مسألة مسيحي ويهودي، ومَنْ منهما يحرّر الآخر، كما زعم باور؛ بل هي مضمون التحرّر ذاته(٤).

ان المسألة اليهودية ـ في مفهوم ماركس ـ تُرَدّ الى أسس اقتصادية ـ اجتماعية لا الى منطلق فلسفي ـ لاهوتي. فالبحث عن جوهر اليهودي ليس في دينه، وانّما في موقفه الطبقي الخاص

والمتميّز في المجتمع المعنيّ: «يجب ألّا نبحث عن سر اليهودي في دينه، بل عن سر الدين في اليهودي الواقعي»[٥]. و«المسألة اليهودية تطرح بصورة تختلف تبعاً للدولة التي يعيش اليهود في ظلها»[٦]، أي ليست هناك مسألة يهودية بالمطلق. والدليل على ذلك انه لم تكن هناك مشكلة يهودية في آسيا، أو في افريقيا. سأل ماركس: «ما هو الاساس الدنيوي لليهودية؟»؛ وأجاب: «انها الحاجة العملية والمنفعة الشخصية. ما هي العبادة الدنيوية لليهودي[؟] انها المتاجرة. مَنْ هي آلهته الدنيوية[؟] انه المال». وجوهر اليهودية، في نظر ماركس، هو «المتاجرة وشروطها» ليس الّا. هذه المتاجرة التي تجعل المال إلهاً، و«أمامه لا ينبغي لأي اله ان يعيش». و«المال هو إله اسرائيل المطماع». و«لكن هذا الاله لم يبق الهاً يهودياً؛ فلقد اصبح اله اليهود الهاً دنيوياً، وغدا اله الناس». وعليه، «فان قومية اليهودي الوهمية هي قومية التاجر، قومية رجل المال»[٧].

فالمسألة اليهودية، والحالة هذه، تعود، في جوهرها الاساسي، الى عوامل اقتصادية ـ اجتماعية مادّية أكثر ممّا هي عوامل دينيّة. والحل للمسألة، في رأي ماركس، واضح: «فحين ينجح المجتمع في الغاء الجوهر العملي لليهودية، المتاجرة، وشروطها، عندئذٍ يصبح وجود اليهودي مستحيلاً؛ ذلك لأنه لا تبقى ثمّة حاجة الى ضميره؛ لأن الاساس الذاتي لليهودية (الحاجة العملية) قد اتخذت شكلاً انسانياً، وذلك لأن المنازعة بين الوجود الفردي والمحسوس للانسان ووجوده الاجتماعي قد أُلغيت. ان التحرر الاجتماعي لليهودي انما هو تحرير المجتمع من اليهودية»[٨]، وليس الزعم بالعداء الدائم لليهود بمجرد انهم يهود، وبكراهية الشعوب عامة لهم، واستحالة بقائهم في الشتات. والسعي الى ايجاد وطن لهم يقيهم من الاضطهاد. فها هي أكثرية اليهود تعيش اليوم خارج اسرائيل ولا تلقى أية كراهية أو اضطهاد؛ بل، على العكس، تلقى كل عطف وتقدير في اوروبا واميركا، ولا ترغب في الهجرة الى اسرائيل، على الرغم من اهتمام حكام اسرائيل البالغ بهذا الامر.

الظروف الاقتصادية ـ الاجتماعية الاوروبية والمسألة اليهودية

تباينت آراء منظري الصهيونية حول ماهيّتها وبواعثها. فمن احتفاظ الشعب اليهودي «بتفرّده التاريخي، والنفساني، والثقافي، والديني، وبالظواهر الجماعية التي تعبّر عن هويته»، الى الرباط الروحي المقدس والحنين المغرق في القدم، الى اللغة الحيّة المقدسة العبرية، الى «ان التوراة هي الوطن الام النائه للشعب اليهودي»، الى «الجذور التاريخية». ومن «الحق التاريخي»[٩]، الى «طهارة السلالة»، الى «التفوّق» والزعم ان اليهود هم «شعب الله المختار»[١٠]. لقد اقحم المنظّرون الدين كعامل عاطفي جذّاب لدفع اليهود الى الهجرة، ولكن ذلك لم يبدّل شيئاً من الصفة العلمانية للحركة الصهيونية[١١].

ومن الاستناد الى الاوهام الدينية غير الواقعية، البعيدة من الحقيقة الموضوعية، عمد منظّرون صهيونيون آخرون الى تزييف التاريخ، زاعمين ان الحركة الصهيونية، التي «تسعى الى خلق دولة يهودية... انما هي قديمة قدم العالم، لأن اليهود ظل يراودهم الحلم عبر آلاف السنين بالعودة الى فلسطين»[١٢]. واستطردوا الى ان الصهيونية قديمة قدم أَسْر الشعب اليهودي وتدمير الهيكل من قبل نبوخذ نصّر.

ومن الثابت بطلان مقولة قدم الصهيونية، ومقولة الحلم الابدي بالعودة الى فلسطين؛ ذلك ان قسماً كبيراً من اليهود آثر البقاء في بابل، بعد ان أَذِن لهم كورش بالعودة؛ اذ «كان من الصعب الاعتقاد بأن اليهود، وقد اثروا هناك، قد يتركون بابل الخصيبة المعطاء، من اجل جبال

يهودا الجرداء»[١٣]. ولغة التوراة العبرية، التي اعتبرها بعض الصهيونيين لغة مقدسة، تخلّت عنها الطوائف اليهودية. فلقد تحوّلوا عنها، في بابل، الى آلارامية؛ وفي فلسطين ومصر الى اليونانية[١٤]. كما ان نغمة الحنين نحو فلسطين اختفت، وساد اعتقاد بأن «العودة» منوطة بأمر ربّاني في مستقبل غير منظور عندما يأتي المنقذ المنتظر[١٥]. وفي بتسبورغ، العام ١٨٨٥، صرح المندوبون الى المؤتمر القومي العام لممثلي الكنيس اليهودي، بصراحة: «نحن لا ننتظر العودة الى فلسطين... ان اميركا هي ارض صهيون»[١٦].

لقد تعامى منظرو الصهيونية عن الحقائق الموضوعية، الاقتصادية والاجتماعية، التي مرّت اوروبا بها خلال القرن الماضي، فلجأوا الى تدبيج مقولات غير موضوعية. فهذا آحاد هعام لم يرد الاندماج، واصرّ على بقاء اليهود في الغيتوات. كتب: «وحينما تتخلّى اليهودية عن حواجز الغيتو ستقع تحت خطر فقدان الـ ' انا' الخاصة بها، أو، على الاقل، ستفقد ' كمالها القومي' ، وربما ستُقسم الى أشكال شتّى، يحمل كل منها طابع وجوده الخاص، تماماً كتلك البلدان التي يتوزّع اليهود عليها»[١٧].

ولم يُعدَم بعض المنظرين الصهيونيين من اختلاق حجج قائمة على «وحدة الثقافة اليهودية» و«ماضي اليهود ذي السمات المميّزة» و«طريقة تفكيرهم الخاصة بهم» التي تبقى محافظة على وجودها بعد ان «يصبح الدين قوة غير فاعلة...». وبالاضافة الى هذه الحجج، كان ثمة ذكر ان اليهود هم «الأمة اليهودية العالمية» طالما بقيت «قناعة العالم الخارجي قائمة على هذا النحو»[١٨].

امّا ثيودور هرتسل، فقد اعتبر وجود اللاسامية سبباً في وجود «الأمة اليهودية»، على اعتبار ان اللاسامية ازلية، وان كراهية الامم لليهود مستمرة. «ولهذا، فقد صارت اللاسامية واضطهاد اليهود الرب الحقيقي والامل الواقعي المعوّل على تحقيقه، والضمان الفعلي لحياة الصهيونية». واللاسامية، عند هرتسل، مفيدة لتطوير الشخصية اليهودية، وحافز لدفع اليهود الى الهجرة لتحقيق الحلم الصهيوني[١٩]. كان هرتسل «يعرف، تماماً، ان قوة الحجج العلمية في الجعبة النظرية الصهيونية لا تتجاوز الصفر. ولهذا بالذات كان يصرح قائلاً: ' من اجل الدعاية لأفكارنا لا داعي للاجتماعات، بكل ما تحمله من ثرثرات لا طائل تحتها. ان علينا ان نجعل هذه الدعاية جزءاً لا يتجزأ من العبادة' »[٢٠].

يتضح من كل ذلك ان أرباب الحركة الصهيونية اختلقوا تفسيرات لا تستند الى حقائق موضوعية في تبيانهم لبواعث قيام حركتهم التي نشأت اوروبية مسيحية، قبل ان تنشأ اوروبية يهودية[٢١]. واذا كان اليهود لاقوا اضطهادات في اوروبا، في بعض الاوقات، فلا يعني ذلك ان كل الشعوب كانت تضطهدهم وتضمر لهم الكراهية. ففي فلسطين، خلال القرن السادس عشر، ذكر صموئيل اوسكت حُسْن المعاملة التي يلقاها اليهود هناك. كتب: «هنالك [في فلسطين]، يستطيع كل يهودي ان يجدد حياته الداخلية، وان يغيّر وضعه؛ ان يطرح العادات والتعاليم الخاطئة، وان يتخلّى عن الممارسات التي أُرغم على اتباعها بسبب اضطهاد الامم التي كان يعيش بينها في المنفى. في صفد، كل يهودي يتلقّى نعمة الرب، لأنه منحه حرية التوبة...»[٢٢].

كما ان الدولة العثمانية فتحت أرجاء سلطنتها للمهاجرين اليهود، واعطتهم حقوقاً، ومنحت المجتمع اليهودي استقلالاً ذاتياً، في حين كانت نظرة الصهيونيين الاشكناز الى اليهود السفاراديم نظرة احتقار وازدراء. لقد اعتبروا يهود اليمن ومراكش كمّاً بشرياً لا أهمية له؛ لكنه يصلح للاستغلال باستخدامه في الاعمال الشاقة. ومع ذلك، لاقى اولئك الذين هاجروا بدافع ديني وبتغرير

صهيوني معاملات سيئة للغاية، واضطهاداً لا يقل عن اضطهاد مسيحيي اوروبا للاشكناز. فالشاعر العبري الصهيوني بياليك، المولود في روسيا، أجاب عندما سُئل عن سبب مقته للعرب بقوله: «لأنهم يذكّرونني باليهود الشرقيين»(٢٣).

انه لمّا لا شك فيه ان اليهود في البلاد العربية، والاسلامية، قد عوملوا معاملة طيبة قبل ظهور الحركة الصهيونية. لقد ناقشت الباحثة ماريون ولفسون، في كتابها «انبياء بابل»، وضع اليهود في العالم العربي بوجه خاص، وكيف ان اليهود استطاعوا، عملياً، ان يزدهروا ويرفلوا بالرخاء ويشغلوا مكانة. وأوردت شواهد عديدة على ما قام به العملاء الصهيونيون، سواء أكان على شكل اتصالات شخصية أو عمليات ارهابية، لنشر الهلع بين اليهود، تطبيقاً لمخطط ما يسمّى «الصهيونية القاسية» وحملهم على النزوح الى اسرائيل(٢٤).

في المنظور الصهيوني، الغاية تبرر الوسيلة. ومن هذا المنطلق، عمدت الصهيونية الى شتّى الوسائل لحمل اليهود على الهجرة الى فلسطين لتحقيق هدفها. وليس صحيحاً ما تزعمه ان سعيها الى تهجير اليهود الى فلسطين انما كان لانقاذهم من الاضطهاد؛ ذلك ان الاضطهاد الاوروبي خفّت حدّته بعد الثورة الفرنسية، وزال اثره بعد زوال النازية. ومع ذلك، سعياً وراء هدفها لحمل اليهود الآمنين على الهجرة، قامت أجهزة مخابراتها بالقاء قنابل على كنيس شيم ـ توف في بغداد، العام ١٩٥٠، حيث اعتقلت الشرطة العراقية احد افراد شبكة المخابرات(٢٥). ولا يقل أهمية عمّا قامت به هذه الاجهزة في بغداد ما أقدمت عليه العام ١٩٤٠، حيث فجّرت سفينة باتريا التي كانت تقل ألفي مهاجر غير شرعي الى حيفا، لرفض سلطة الانتداب الاذن لهم بالنزول، ولالصاق تهمة التفجير بسلطة الانتداب البريطاني(٢٦).

امّا في اليمن، حيث كان اليهود غير مرتبطين بالصهيونية بشقيها، الهرتسلي والروحي، غرباء عن عالم اوروبا السياسي، والثقافي، لا يربطهم باليهود الّا الرباط الديني، فقد استغلت الصهيونية العاطفة الدينية عندهم، فأوفدت الصهيوني الاشتراكي وارشيفسكي متنكّراً الى اليمن تحت اسم الحاخام بافيينلي، مبشراً بالصهيونية، ومعلناً عن مجيء المسيح المنتظر(٢٧).

يتضح من هذا السياق لجوء الحركة الصهيونية الى مختلف الاساليب، والى خلق مختلف النظريات لتحقيق هدفها المتمثل في مصالح فئة معيّنة من البورجوازية اليهودية، اقتضت مصالحها سلوك مختلف السبل للوصول الى الهدف المنشود. أمّا الادعاءات بالاضطهاد الابدي لليهود في كل العالم، عبر كل مراحل التاريخ، فتزييف للحقيقة وللتاريخ. وما حدث في اوروبا من اضطهاد في مرحلة معيّنة من التاريخ، انما كان نتيجة لعوامل اقتصادية ـ اجتماعية في الغالب، وليس نتيجة دوافع لاسامية، كما تزعم الصهيونية. ومن المفارقات ان يقوم الصهيونيون بالتعاون مع مضطهديهم لتحقيق حلمهم، وان يمارسوا اضطهاد من أحسن اليهم.

العوامل الحقيقية لولادة الحركة الصهيونية

ما من شك في ان ثمّة مشكلة يهودية نشأت في اوروبا في سياق التطوّر التاريخي. لكن هذه المشكلة لم تنشأ لأن البشر، كل البشر، بطبيعتهم ومنذ ولادتهم، معادون للسامية، مع العلم ان اليهود في العالم، اليوم، لا يمكن اعتبارهم، عرقياً، متحدّرين من اصل سامي. انهم، في الواقع، اخلاط متمايزة من عروق مختلفة تدين باليهودية. ومعظم الدراسات الموضوعية التي أُصدرت تدحض

اعتبار اللاسلامية المتأصلة في نفوس الاغيار هي الحافز على ولادة الصهيونية؛ كما تدحض المقولات الصهيونية كافة القائمة على الخصوصية والتفوّق ونقاوة السلالة، وعلى «العودة» و«الحنين» و«أرض الميعاد». «والواقع ان الصهيونية لم تفكر، يوماً من الايام، في ان تعالج قضية المشرّدين اليهود على أساس أنها قضية انسانية... لأن هدفها الرئيس هو انعاش اليهودية الوطنية، ودفعها الى انشاء هذا الوطن على اشلاء الانسانية». وقد ردّدت هذا الصدى رئيسة المنظمة اليهودية في اميركا، السيدة ابشتاين، اذ كتبت في أحد خطاباتها: «ان الحركة الصهيونية هي برنامج ثوري، غايته تحسين أوضاع اليهود في العالم، وخلق دولة لهم»[٢٨].

لقد ظهر ان التباكي الصهيوني على الشعب اليهودي المضطهد انما كان وسيلة الى تحقيق البرنامج الصهيوني؛ اذ لم يعد ثمة مبرر، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، للهجرة. فموريس ارنس، الذي اتصل بالمتنفّذين اليهود في اوروبا لاقناعهم بقبول ملجأ للمشردين اليهود اسوة بغيرهم في اميركا، جوبه برفض قاطع. وقد كتب آنذاك واصفاً نتيجة اتصالاته بأصدقائه المقرّبين من اليهود ما نصه: «لقد صُعقت لأقوال اولئك الاصدقاء عندما ذكروا لي، بكل صراحة، ان مساعيّ في سبيل انجاح برنامج جميع مشردي اوروبا هو خيانة لليهودية...! واني، بعملي هذا، ابغي القضاء على الحركة الصهيونية»[٢٩].

والصهيونية لفظة اطلقها المفكر اليهودي ناتان برنباوم نسبة الى جبل صهيون لتدل على الحركة الهادفة الى تجميع اليهود في فلسطين، لاعتبارات دينية مؤداها ان المسيح المخلّص سيأتي، في آخر الايام، «ليعود بشعبه الى ارض الميعاد، ويحكم العالم من جبل صهيون». غير ان الصهيونيين حوّلوا المعتقد الديني الى برنامج سياسي؛ كذلك حوّلوا الشعارات والرموز الدينية الى شعارات ورموز دنيوية سياسية، زاعمين ان الاقليات اليهودية في العالم لا تشكل اقليات دينية ذات انتماءات عرقية وقومية مختلفة، انما تشكل «أمة» متكاملة توجد في الشتات بعيدة من «وطنها الحقيقي، أرض الميعاد». وهي، بذلك، «تعاني من مأساة الغربة والاضطهاد».

وفي المعتقد الديني اليهودي ان العودة الى فلسطين لا يمكن ان تتمّ الّا بمجيء المسيح المنتظر، وليس على يد حركة سياسية مثل المنظمة الصهيونية العالمية. لذا، عارضت الجماعات الدينية هذه العودة معتبرة ايّاها هرطقة[٣٠]. ومن هذه الجماعات جماعة ناتوري كارتا التي حاربت، وتحارب، اقحام حل سياسي لمقولة «المخلّص المنتظر». وهرتسل نفسه أقرّ بأن المسألة اليهودية ليست دينية في الغالب، مشدّداً على الطابع «القومي» السياسي. كتب: «انا اعتبر ان المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية، او دينية، مع انها تتخذ هذين الطابعين وغيرهما في بعض الاحيان. انها مسألة قومية. ولايجاد حل لها، علينا ان نجعل منها قضية سياسية تجتمع الدول المتحضرة لمناقشتها وايجاد حل لها»[٣١].

ورأى المؤرخون المثاليون في استمرار خصوصية وضع اليهود عبر التاريخ انه «نتيجة لما برهنوا عليه من اخلاص لدينهم، او لقوميتهم عبر القرون»[٣٢]. الّا ان الاختلاف في آراء هؤلاء المؤرخين قد ظهر عند التطرق الى تحديد الهدف[٣٣]، الذي بسببه حافظ اليهود على دينهم وقاوموا الاندماج. وقد أوضح ابراهام ليون خطأ التفسيرات المثالية بقوله: «ان درس الدور الاقتصادي لليهود هو، وحده، الذي يسهم في توضيح اسباب المعجزة اليهودية»[٣٤]. وهذا يقتضي درساً عميقاً للتاريخ اليهودي، لفهم المسألة اليهودية، في عصرنا الحاضر[٣٥]، وهو الامر الذي كان أول من تنبّه اليه ماركس في

وضع المسألة اليهودية في اطارها التاريخي الصحيح، عندما دعا الى البحث «في سر الدين في اليهودي الواقعي»[٣٦]، أي في الدور الاجتماعي ـ الاقتصادي لليهودي في المجتمع. فالصراع بين اليهودية والمجتمع المسيحي هو صراع اجتماعي ـ اقتصادي في الاساس؛ فاليهودية ليست منفصلة عن المجتمع، انما في صميمه: «لقد عاشت ليس ضد التاريخ، وانما في التاريخ»[٣٧]. لقد رفض ماركس التفسيرات اللاهوتية. ومن هنا استخلص انه «يجب الّا نبحث في سر اليهودي في دينه، بل فلنبحث في سر الدين في اليهودي الواقعي»[٣٨]. بهذا يكون البحث في جوهر اليهودي قائماً في موقعه الطبقي الخاص في المجتمع المعني، وليس في دينه. فلا مشكلة يهودية بالمطلق في كل مكان وزمان. انها مختلفة تبعاً للدولة التي يعيش اليهودي في ظلها[٣٩]. وعلى هذا الاساس، فطرح المشكلة يكون مختلفاً.

ان تمسّك اليهود بدينهم لا يعود الى اخلاصهم الديني؛ بل، على العكس، ان محافظتهم كمجموعة متميّزة هي التي تفسّر تعلقهم بالايمان. لقد شكّل اليهود، عبر التاريخ، مجموعة اجتماعية لها دور اقتصادي، الامر الذي أوجد كراهية مسيحية اوروبية لليهود في فترات تاريخية معيّنة: «لا يوجد شيء اسمه المسألة اليهودية شبه الازلية الموجودة منذ بداية التاريخ، والملازمة، باستمرار، لحياة اليهود في كل مكان وزمان وحيثما حلّوا. المسألة اليهودية ظاهرة اقتصادية ـ اجتماعية حديثة في الاساس ولّدها تطور النظام الرأسمالي الحديث»[٤٠].

وخلافاً لما يدعي به المنظرون الصهيونيون والسياسيون بأن التاريخ اليهودي عبارة عن سلسلة من الاضطهادات تعرض لها اليهود في كل الاوقات، متجاوزين تحديد الظرف التاريخي والبلد المعنيّ الذي حصلت فيه الاضطهادات، فان الوقائع التاريخية تدحض تلك الادعاءات. وبصدد ذلك، قال ابراهام ليون ان أوضاع اليهود استمرت في التحسّن منذ افول الامبراطورية الرومانية بعد انتصار المسيحية حتى القرن الثاني عشر. و«بانهيار الاوضاع الاقتصادية ازدادت اهمية الدور التجاري لليهود، حتى انهم شكّلوا، في القرن العاشر، الرباط الاقتصادي الوحيد بين اوروبا وآسيا»[٤١]. غير ان نمو المدن في اوروبا الغربية، ونشوء طبقة تجارية، وصناعية، ادّيا الى منافسة حادة لدور اليهود التجاري، بينما بقي وضعهم مزدهراً في بلدان شرق اوروبا، الاقل تطوّراً من بلدان غرب اوروبا. فالثورة البرجوازية في اوروبا الغربية، والوسطى، وهي تنسف البنى الاقطاعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كانت تدمّر، في الوقت عينه، الدور اليهودي المميّز منذ القرون الوسطى، فتمّ بذلك طردهم من المواقع التجارية، وتحوّلوا الى الربا. ومع تحوّل الاقتصاد الزراعي الى اقتصاد بضاعي، تمّ نسف مراكز المرابين أيضاً[٤٢]. وعلى الرغم من شعارات المساواة والحقوق المدنية لليهود في بلدان اوروبا الغربية، اصبح أمام اليهود الغربيين المطرودين من وظيفتهم الاجتماعية امّا الاندماج بالبرجوازية المحلية الصاعدة، وقد حصل ذلك في بعض الاوقات، وامّا الهجرة الى بلد آخر، بحثاً عن الدور الذي خسروه. فالفئات اليهودية من البرجوازية الصغيرة، والمتوسطة، فضّلت البحث عن بلد تمارس فيه وظائفها التقليدية، ودورها الاقتصادي المميّز، بعيداً من الاستثمارات الرأسمالية في الصناعة والزراعة والتجارة، فآثرت الهجرة الى اوروبا الشرقية، التي بقيت تحت هيمنة الاقطاع حتى القرن الثامن عشر، حيث «وجد الرأسمال التجاري والربوي امكانات هائلة للتوسّع في المجتمع الاقطاعي»[٤٣]. ففدت روسيا القيصرية، بهذه الهجرة، تستوعب أكبر تجمّع يهودي في العالم، في القرن التاسع عشر[٤٤]. لكن «بعد تطوّر الرأسمالية في القرن التاسع عشر (الرأسمالية هذه المرة، لا الرأسمالية الحرفية)، أخذ وضع يهود روسيا وبولونيا المزدهر بالارتجاج»[٤٥]. وفي روسيا القيصرية، «حظي الدور الاقتصادي لليهود بكراهية مثلّثة، من طبقة الفلاحين والطبقة البرجوازية

الصاعدة والحكم القيصري في آن. فبالنسبة الى الفلاح، لعب اليهودي دور الوسيط للاقطاعي أو لسلطة القمع، ودور المرابي والتاجر والبقال وبائع الخمور. يعني ان اليهودي هو رمز الاستغلال والقمع والاحتيال المباشر. وهذا الدور، بالنسبة الى البرجوازية الصاعدة، يعرقل خطوات رأسملة المجتمع. وهو بالنسبة، الى الحكم القيصري، دور الاداة المكروهة.

ان هذا كله يفسّر لماذا اندلعت المذابح ضد اليهود لمجرد اشتراك فتاة يهودية في عملية اغتيال القيصر، في العام ١٨٨١؛ وكيف ان هذه المذابح اسهم فيها الفلاحون، بالدرجة الاولى، تحت سمع وبصر السلطة، ورضى البرجوازية[٤٦].

ادّت هذه المذابح، على مجرى عملية الاستنارة اليهودية (الهسكالاه) الى انعزال اليهود، ورفض الاندماج، والدعوة الى الهجرة من خلال تحويل «الهسكالاه» الى جمعية «احباء صهيون»[٤٧]. وبالفعل، أخذت افواج اليهود الشرقيين تتدفق على بلدان اوروبا الغربية، نافخة حياة جديدة في الجسم اليهودي المهترىء. فلقد كانت الاحداث التي عصفت باليهود في شرق اوروبا مؤثرة في عدم اضمحلال اليهودية في غربها؛ ذلك ما أكده كلاتزكن حين كتب: «تشكّل جماهيرنا الشعبية الكبيرة في الشرق، التي لا تزال تعيش في جو التقاليد اليهودية، عائقاً أمام اضمحلال اليهودية الغربية... ان اليهودية الغربية ليست سوى انعكاس لليهودية الشرقية»[٤٨].

غير ان اوروبا الغربية، التي ساد فيها النظام الرأسمالي الامبريالي التوسّعي، لم تتمكّن من استيعاب افواج اليهود الشرقيين المهاجرين اليها. فمع «صعود الرأسمالية المستمر، واشتداد التنافس الاقتصادي في ظلها، ظهرت بوادر العداء للسامية، التي تحوّلت، فيما بعد، الى حركة سياسية شاملة ذات ايديولوجية عرقية شبه متكاملة، واحزاب سياسية تدين لها. وانتشرت افكار وممارسات العداء للسامية في طبقة النبلاء السائرة على طريق الانحلال والافكار، وفي طبقة البرجوازية الصغيرة، التي كانت أكثر الطبقات الاجتماعية تأثراً وانفعالاً، بالنسبة الى مصالحها، جرّاء التنافس الاقتصادي الضاري مع البرجوازية اليهودية الصغيرة والوسطى...»[٤٩]. أمّا البرجوازية اليهودية الكبيرة، فقد كانت مندمجة في محيطها، ومتحالفة مع الرأسمالية الكبيرة غير اليهودية. ولقد خافت على مصالحها من انتشار العداء للسامية، فرأت، حفاظاً على هذه المصالح، التخلّص من اليهودي الفقير، مصدر العداء للسامية، باخراجه من المجتمع الاوروبي. لذلك عطفت على الحركة الصهيونية ودعمتها. ولولا العداء للسامية لما اهتم اليهودي الثري ببؤس اليهودي الفقير[٥٠].

هكذا التقت مصالح البرجوازية اليهودية الكبيرة مع التيارات اللاسامية الاوروبية الرأسمالية في العمل المشترك للتخلص من اليهود الوافدين الى اوروبا الغربية، خشية على مصالحها الاقتصادية، ولمحاربة «الاتجاهات التقدمية للبروليتاريين اليهود، من جهة، ولتحقيق اغراض الامبريالية في المنطقة، من جهة أخرى. والاّ، فكيف نستطيع تفسير ذلك التلاقي الحميم بين اللاسامية الحديثة (أي معاداة اليهود)، منذ نهاية القرن الماضي، وبين دولة اسرائيل والامبريالية في الوقت الحاضر؟». وقد لاحظ المؤرخ البريطاني، ارنولد توينبي، «ان الصهيونية واللاسامية تعبّران عن تطابق في وجهات النظر»[٥١].

قدّمت اللاسامية خدمة جلّى الى الحركة الصهيونية، والى الامبريالية التي هي أعلى مراحل الرأسمالية في اوروبا، فكانت الدعامة الاساسية للصهيونية. ولقد رأى هرتسل ضرورة اندماج الصهيونية في حركة المجتمع الاوروبي والرأسمالي القومي باتجاه الاستعمار والاستغلال

الخارجي، فكتب: «ان خلق دولة جديدة ليس عملية سخيفة، او مستحيلة. ألَم نشاهد اتمام هذه العملية في عصرنا بين أمم لم تكن تطغى عليها صبغة الطبقة الوسطى، كما هو الحال بالنسبة الينا (أي اليهود)، بل كانت افقر منّا، وأقل ثقافة، ممّا جعلها اضعف منّا. ان حكومات الدول كافة، التي تعاني من حركة العداء للسامية، سوف تهتم كثيراً في الحصول على السيادة لنا»(٥٢).

ليس من قبيل المصادفة، اذاً، عقد المؤتمر الصهيوني في بازل، في العام ١٨٩٧. فتوقيت ولادة الحركة الصهيونية انما حدث في حقبة تحوّل الانظمة الرأسمالية في اوروبا الى مرحلة الامبريالية الساعية الى كسب نفوذ خارج اوروبا. فهي (أي الصهيونية) وليدة الظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية في اوروبا، وهي، بالتالي، ثمرة عصر الامبريالية، سارت في ركابه وتوجهاته، والتقت اهدافها بأهدافه، منذ قيامها وحتى وقتنا الحاضر. «لقد ولّد النظام الرأسمالي المسألة اليهودية، ثمّ تحالف مع الصهيونية في عصر امتداده الاستعماري الواسع لحلها حلاً يخدم مصالحه الاستعمارية في الخارج، ومصالح البرجوازية في الداخل بواسطة تهجير المنافس، او ذبحه، لا فارق بالنسبة اليه»(٥٣).

كان القصد من هذا العرض اظهار زيف المقولات الصهيونية حول العداء التاريخي لليهود بالتركيز على اللاسامية التي دفعت هرتسل، بسبب محاكمة درايفوس، الى الصهيونية، من جهة، ولاظهار حقيقة ولادتها الناجمة عن تبدل الاوضاع الاجتماعية ـ الاقتصادية في غرب، وشرق، اوروبا، وبروز الامبريالية والاقتداء بها والسير في ركابها. يبقى ان نشير الى تحالف الصهيونية مع غلاة اللاسامية لتحقيق الهدف الامبريالي الصهيوني، والذي تبدو فيه، ظاهرياً، مفارقة، لكنه، واقعياً، لم يكن غريباً ولا مستهجناً ما دامت الصهيونية، منذ نشأتها، ترمي الى تحقيق هدفها، مهما كانت السبل. وأوجه التوافق بين غلاة اللاسامية، النازيين، وبين الصهيونية ذاتها، كثيرة ومتعددة.

أوجه التقارب في المبادىء والممارسات

ظهرت الصهيونية في القرن التاسع عشر، في مرحلة التوسّع الامبريالي، حين ساد في الفكر الاوروبي تياران رئيسان. تميّز الاول بالايمان بالاخوّة الانسانية؛ ونادى الثاني بالنقاء العنصري والتمييز بين الشعوب، من حيث اصلها العرقي. وقد آثرت فئة من اليهود الاتجاه الثاني القائم على نقاء العنصر(٥٤).

وتماشياً مع التيار الاوروبي العنصري حول النقاء العنصري والاصل السلالي، وهذه المقولة ساقطة علمياً، وموضوعياً، كتب هرتسل في كتابه «الدولة اليهودية» مماشياً المقولات اليهودية التوراتية، وهو العلماني: «ان الفضل الاول والاخير للحفاظ على اليهود ' كشعب واحد وجنس محض خالص ' يرجع الى قوانين الزواج التي كانت عثرة في سبيل تداخل السلالات». ومن المعروف ان الزواج المختلط محرّم اليوم في اسرائيل، مثلما هو محرّم في جنوب افريقيا(٥٥).

فابراهيم، أول الآباء المتقدمين، حرّم على ابنائه الزواج من الكنعانيات. «لكن في قدومه أكثر ممّا في هجرة الراعي بحثاً عن المراعي الخصيبة. فاقامته تتخذ في الذاكرة القومية أهمية قومية ومعنوية منذ ابرام العهد مع الذات الالهية. هذا العهد غدا عنصراً مقدماً في التراث كما لو ان الشعب قد وعى انه سوف يحوّل مسار تطوّره المقبل بين الامم. فالشعب، بعد ان كتب عليه ان يصبح شعباً من الكهنة وامة مقدّسة يحمل ميزته هذه مزهوّا بها...»(٥٦).

وحارب عزرا، احد انبياء التوراة، الزواج المختلط، وطالب بتطليق الاغيار، وشدّد على

نقاء العنصر. ولقد دعا الحاخامون في الغيتوات، خلال القرون الوسطى، الى ممارسة ضروب مختلفة من التمييز بين اليهودي وغير اليهودي، استناداً الى مفهوم «شعب الله المختار» الذي «فضله الله على سائر الشعوب». ولقد توسّع في التركيز على هذا المفهوم الشاعر اليهودي الاندلسي يهودا بن هاليفي (من القرن الثاني عشر للميلاد) الذي ألّف كتاب «الخزري»، وتطرّق فيه الى الزواج المختلط معتبراً اياه عصياناً لله تحل عقوبته في الاولاد والاحفاد. ومن الواضح ان أفكار بن هليفي لعبت دوراً كبيراً في صوغ الروح الصهيونية، ولوحظت آثارها في كتابات مارتن بوبر.

وفي الغيتوات، حيث عاش اليهود قروناً عدّة في عزلة، وبتأثير نفوذ الحاخامين، مورس منع الزواج من الاغيار، ومنع انتقال الاملاك والعقارات الى ملكية غير اليهود. وهذا ما طبقته الوكالة اليهودية في فلسطين(٥٧).

وجاءت نظرية داروين التي تتمحور في فكرة تنازع البقاء وبقاء الاصلح، فتأثر بها المنظّرون العنصريون الذين نادوا بالصحة العرقية، التي دعا اصحابها الى المحافظة على نقاء العنصر بالفصل.

وكما تأثرت الصهيونية بالنقاء العرقي والتفوّق السلالي، كذلك تأثرت النازية بالتمسّك بالاصل والنقاوة والتفوّق. غير ان الجانبين لم يأخذا بالداروينية في جانبها المتعلق بامكانية تطور الانسان والمجتمع نحو الافضل؛ لكنهما تمسّكا بفكرة بقاء الاصلح، وتحسين النوع، وبقاء العرق. واعتزّ الصهيونيون ببقاء اليهود قروناً طوالاً؛ وعزوا ذلك الى تفوّق العنصر اليهودي وصلاحه للبقاء(٥٨).

انتشر هذا الوباء العنصري في اوروبا، فأمدّ الصهيونية بزخم في مقولاتها العنصرية. فلقد تشكّلت في المانيا، في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر، نزعة عنصرية لاسامية اعطاها اساساً ايديولوجياً كتاب العنصري الفرنسي الكونت دي غوبينو عن «اللامساواة بين الاعراق البشرية»، الذي أُصدر في العام ١٨٦٥. وفيه، ان شعوب العالم القديم انقرضت بسبب اختلاط دمها بدماء الشعوب الاخرى. وخلص الى تفوّق الجرمانيين لعدم اختلاط دمهم. كما ظهر كتاب «اسطورة القرن العشرين» لجوزف تشمبرلن، الذي أُصدر في العام ١٨٩٩، وكان الكاتب تخلّى عن هويّته البريطانية وحصل على الجنسية الالمانية. وملخّص «اسطورته» ان الواقع الرئيس في التاريخ المعاصر هو يقظة الشعوب الجرمانية التي لها رسالة فرض قوانينها على الشعوب الاخرى(٥٩).

من الواضح، ان النازية، في مقولتها العرقية القائمة على عدم التساوي بين الاجناس البشرية وتفوّق العرق الجرماني الآري، تأثرت بهذا التيار العرقي العنصري، تماماً كما تأثرت الصهيونية في تنظيرها بصفاء العرق اليهودي وعدم التساوي بين الاجناس البشرية، فزعمت ان بقاء اليهود يعود الى محافظتهم على نقاء دمهم. ولقد كان مارتن بوبر من أبرز المفكرين الصهيونيين الذين تأثروا بالمقولة العرقية. على ان بوبر لم يكن الاول ولا الاخير. فقد ارسى منظرو الصهيونية وباء العنصرية لبنة اساسية في ايديولوجيتهم. فالدكتور الصهيوني آرثر روبين عزا تفوّق اليهود الاوروبيين على اليهود الشرقيين الى حرصهم على التزوج ببنات الحاخامين وفقهاء التلمود واللاهوت، ممّا أدّى الى تفوّقهم. والمفكر الصهيوني موشي هس أكّد في كتابه «روما واورشليم» ان «الفوارق بين الاعراق المختلفة موروثة، وأبدية، وحتمية، ولا يمكن معالجتها أو تخطيها». وفي بروسيا، ظهرت مدرسة المؤرخين البروسيين، بقيادة فون ترتشكه. «وقد أكد هؤلاء الفروق العرقية، وتمايز الاعراق، وتخلّف الزنوج والاقوام الملوّنة، وأبدية هذه الفروق». ولقد أثرت هذه الافكار في الايديولوجيا العنصرية الصهيونية»(٦٠).

امّا فخته، فقد وجد ان تغيير اليهود، أو اصلاحهم، عملية مستحيلة؛ والحل الوحيد، حسب زعمه، هو اعادتهم الى فلسطين، فرأى الصهيونيون في مقولته تطابقاً مع تطلعاتهم. واعتبر ليو بنسكر، في كتابه «الانعتاق الذاتي»، ان «اليهود يكوّنون سلالة مستقلة غير مختلطة بعنصر آخر؛ ولا يمكن لعرقهم بذاته ان يندمج بسهولة مع أي شعب آخر، أو يذوب فيه». وفي الاتجاه عينه، وركّز موشي هس على نقاوة العرق اليهودي واستحالة تغييره أو تعديله؛ كذلك فعل ل. سيمون لدى اعتباره اليهودية مسألة عرق، وليست مسألة ايمان بتعاليمها الدينية.

وما دمنا في مجال تناول بدعة النقاوة العرقية، فلا بد من الاشارة الى ان تبنّي السلطات الحاخامية للحركة الصهيونية يعود الى تخوّفها من انتشار الزواج المختلط بين اليهود. وحتى الآن، لا تزال السلطات الاسرائيلية تعتبر ان اليهودي هو الذي يثبت انحداره من أربعة اجيال من الامهات اليهوديات. «وتحوّلت القنصليات الاسرائيلية والمحاكم الحاخامية الى محاكم تفتيش بالنسبة الى هذا الموضوع، تذكّر، تماماً، بالمكتب المركزي للعرق والاستيطان، الذي أسّسه الحزب النازي للتحقق من آريّة دم المواطن، وانحداره من سلالة المانية تعود الى العام ١٨٠٠»[٦١].

لقد اصبحت العنصرية في صلب الايديولوجية الصهيونية، افكاراً وممارسات. وهي، بالتالي، من البواعث الاساسية الى قيام الدولة الاسرائيلية. «ووفقاً للعقيدة الصهيونية، فان ' التلاحم ' يعتبر بمثابة فقدان ' الكيان اليهودي ' ؛ كما انه يشكّل التمهيد لـ ' تذويب ' و' محو الامة اليهودية ' . وعليه، تصبح العنصرية الذاتية بمثابة الرد الصهيوني على ' تلاحم اليهود ' . وذلك لأن الصهيونية تعتبر العنصرية الذاتية السبيل الوحيد الى ' الانقاذ ' و' الخلاص ' و' اتمام الامة ' ... ويدعو مبدأ العنصرية الذاتية جميع اليهود الى مهاجرة ' أرض المنفى ' ؛ كما يدعو الى طرد جميع غير اليهود من ' الارض اليهودية المصير ' ، أي أرض فلسطين»[٦٢].

وفي ذلك تلتقي الصهيونية مع النازية، التي رأت ان الحل النهائي لمشكلة اليهود في المانيا انما يقوم على المبدأ ذاته، أي على حتميّة التخلّص من اليهود[٦٣]. وبالفعل، مارست الصهيونية والنازية عملية تهجير لغير المرغوب فيهم. وفي مؤتمر زوريخ، العام ١٩٣٧، صرّحت غولده مائير قائلة: «لا أرى أي ضير في ان يغادر العرب البلاد؛ ان ضميري سيكون مرتاحاً تماماً، اذا هم أقدموا على ذلك». وكان هرتسل، قبلها، أشار الى المضمون ذاته، حين كتب: «سنحاول حثّ السكان البؤساء على اجتياز الحدود بتدبير عمل لهم في البلدان التي يهاجرون اليها مع رفض أي عمل لهم في بلدنا»[٦٤]. وهذا ما حدث بالفعل، خاصة في الاعوام ١٩٤٧ و١٩٤٨ و١٩٦٧.

وعلى نحو التطبيق العنصري النازي، بالنسبة الى التعليم والعمل وقصرهما على الالمان، مارس الصهيونيون تهويد العمل[٦٥] و«احتلال الارض من أيدي العرب، باعتبار ان ذلك ضروري لاقامة الكيان الصهيوني المستقل في فلسطين؛ اذ ان الارض ستكون، في النهاية، ' ملكاً لمن يفلحها ' »[٦٦]. كما مارس الصهيونيون التمييز العنصري في التعليم، على الرغم من توقيع اسرائيل، في العام ١٩٦٢، على الاتفاقية الدولية ضد التمييز العنصري في التربية والتعليم[٦٧].

ان الأدلة على سقوط مقولة نقاوة العرق والاصل السلالي أكثر من ان تحصى. فنظرية العرق، في نظر ابراهام ليون، هي محاولة لارساء العنصرية على قواعد «علمية»، لكنها مجردة، في الواقع، من كل قيمة علمية. واليهود، في نظره، خليط عرقي متنافر بسبب طابع التشتّت. حتى في فلسطين، لم يشكل اليهود عرقاً صافياً. وقد أوردت التوراة ان اليهود لدى خروجهم من مصر أخذوا مجموعة من

المصريين معهم الى فلسطين. ورأى ليون ان اليهود مزيج من اعراق مختلفة. ففي الهند يهود من الجنس الاسود؛ وفي الحبشة يهود الفلاشا؛ وفي اوروبا يهود من الجنس الابيض؛ الى ما هنالك من تمايز في البشرة ولونها، والقامة وطولها[٦٨]. وفي اسرائيل ذاتها، رأى جيرومسكي ان «ليس من مكان على وجه الارض ينقسم فيه الناس كما ينقسمون في اسرائيل، أفقياً وعمودياً، بشكل مائل، انقساماً نصفياً ودائرياً. هم، اذ يرغبون في تبسيط المسألة، يقولون ان هذا الانقسام لا يحدث الّا في الفئات المتميّزة نوعياً»[٦٩]. واللعب على الكلام واضح. فحيناً تزعم المقولة الصهيونية ابدية التمايز العرقي اليهودي ونقاوته، وحيناً آخر تعوزها الحجّة، فتعتبر الانقسام دلالة على التمايز النوعي.

ومن دلائل الانقسام العنصري، حتى بين اليهود انفسهم في فلسطين، الهوّة الواسعة بين الجماعتين، السفاراديم والاشكنان. «فالسفارادي في اسرائيل يحظى بفرص أقل من حيث السكن والعمل والدراسة والمعاملة... ورداً على عنصرية الاشكنان، نظّم بعض الشرقيين أنفسهم في حركة الفهود السود، ومارسوا نشاطاً أدّى الى مصادمات عنيفة في العام ١٩٧١»[٧٠].

ان انشغال العنصريين بنقاء العرق دفعهم الى الغوص في أعماق الماضي. وعلى الرغم من علمانية منظري الصهيونية، الّا انهم دأبوا على التمسّك بالعهد القديم. فالتاريخ، بالنسبة الى العنصريين، «صفحات يسطرها العمالقة من البشر. لذلك شغف الاسرائيليون بشخصياتهم العسكرية التي جسّدت الانتصارات في الحروب»[٧١].

ومن الملاحظ ان الصهيونيين والنازيين استخدموا افكار نيتشه وترتشكه في صوغ ايديولوجيتيهم. «وكان من أبرز الرواد الصهيونيين الذين تأثّروا بفلسفة نيتشه آحاد هعام وثيودور هرتسل وماكس نورداو وحاييم وايزمان... ورأى آحاد هعام، كما رأى نيتشه، ان عودة اليهود الى فلسطين ضرورة تاريخية تعطيهم فرصة أخرى للاضطلاع برسالتهم ' بصفتهم الشعب الارقى' . وأكد ضرورة تفاضل الشعوب بعضها على بعض»[٧٢].

ومن الثابت ان نورداو تأثر بنيتشه في كتابه «الانحطاط». كذلك فعل هرتسل، الذي كشفت يومياته «عن استجابة لافكار كل من نيتشه وترتشكه. لقد اعتبر الديمقراطية هراء. وأوصى بفرض رقابة واسعة على الصحافة، واتباع الدبلوماسية السرّية بعيداً من البرلمانات والرأي العام. وأكد ان القوة احسن اسلوب في الحكم والعلاقات الدولية، لأن ' القوة تصنع الحق' ، والحّ على القوة العسكرية لدولة اليهود، وعلى مغامراتها في حروب بطولية ضارية، وعدم الاكتراث بالالتزامات والاعراف الدولية»[٧٣]. وواضح مدى التطابق بين النازية والصهيونية في الاسفاف بالديمقراطية، وتمجيد القوة، وعدم الاكتراث بالاعراف الدولية.

ان القول بعنصرية الصهيونية هو حقيقة اقرّتها الجمعية العامة للامم المتحدة، في العام ١٩٧٥، بالقرار الرقم ٣٣٧٩ (د ـ ٣٠)؛ كذلك بيان وزراء خارجيات الدول الاسلامية، في العام ١٩٧٠؛ والمؤتمر العالمي للسنة الدولية للمرأة في المكسيك برعاية منظمة الامم المتحدة، في العام ١٩٧٥؛ وقرار مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الافريقية لسنة ١٩٧٥؛ والاعلان السياسي لمؤتمر وزراء خارجيات الدول غير المنحازة لسنة ١٩٧٥[٧٤].

ومن مظاهر التقارب بين النازية والصهيونية ما يتعلق بالربط بين العرق والاستيطان الزراعي. فالنازيون ربطوا «بين العرق والاستيطان الزراعي تحت شعار الدم والتربة، الذي يعبّر عن الايمان بقدسية الارض، كما قال هملر. ومنذ البداية، ظل الاستيطان الزراعي الشعار المقدس

للصهيونية...»[٧٥]. كذلك الادعاء بالتفوّق. فالصهيونية شبيهة بالنازية في هذا المنحى. فموشي هس اعتبر ان اليهود فقط يتمتّعون بالحكمة العالية. والقاضي الاميركي الصهيوني برانديس اعتبر «ان الدم اليهودي الذي يجري في عروق بني ' اسرائيل ' ، يحمل تفوّقاً معنوياً وفكرياً، وعبقرية وموهبة خاصة باليهود...». وادعى زف «بأن حضارة الاندلس لم تكن عربية وانما يهودية، وان فتح الاندلس تمّ على يد اليهود...»[٧٦].

ان التفرّد والخصوصية في الايديولوجيا الصهيونية انما هما بدعة لا أساس لها من الصحة. كتب الفرد ناكي: «هل اليهود شعب خاص؟ فرغم انهم كانوا في الماضي شعباً دونما شك، الّا انني اجيب عن هذا السؤال بالنفي القاطع. ان لمفهوم الشعب شروطاً لا تخفى على احد، لكنها معدومة، هنا، تماماً... فليس لليهود ارض، ولا لغة مشتركة... ثمّ ان اليهود الالمان والفرنسيين يختلفون تماماً عن اليهود البولونيين والروس؛ كما ان السمات المميّزة لليهود ليس فيها ما يحمل أي طابع للأمة»[٧٧].

هذه الخصوصية دفعت الصهيونية الى الاستعلاء واحتقار الاغيار، تماماً كما فعلت النازية. فالجنرال موشي دايان، توسّع، في كتابه «مذكرات حملة سيناء ١٩٥٦»، في بعض المواضيع، «مثلما فعل هتلر تماماً في كتابه ' كفاحي ' ...». فهو احتقر الجندي المصري ومجّد الجندي الاسرائيلي[٧٨].

وعلى طريقة الفاشيين والنازيين في اوروبا بمنع الاضرابات العمالية واللجوء الى التحكيم، دعا جابوتينسكي الى عدم السماح بالاضرابات، لأنها تضعف الاقتصاد؛ وطالب، «بدلاً من ذلك، باللجوء الى التحكيم الالزامي»[٧٩]. وفي ما يتعلق بالحريات العامة والتمايز بين السكان، فعلى غرار النازية في معاملتها لليهود، يطبق الصهيونيون القوانين العرفية في المناطق العربية منذ العام ١٩٤٨[٨٠].

ان أوجه التشابه بين النازية والصهيونية، في النظرية والممارسة، عديدة. ولعلّ من أكثر الادلّة سطوعاً هو الذي يتعلق بالعنف والارهاب والاستيلاء على الاراضي وترحيل السكان. والادلة على الارهاب الصهيوني الذي مورس، ولا يزال يمارس، وافرة، ان بالنسبة الى عرب فلسطين، أو الى البريطانيين، أسياد نعمتهم، أو الى اليهود الذين لا يماشون النزعة الصهيونية كلية.

اعتبر منظرو الصهيونية ان «الوطن القومي اليهودي» في فلسطين لن يتحقق الّا بالاستيلاء على الاراضي الفلسطينية، وتهجير سكانها واصحابها منها، واحلال يهود مهاجرين واسكانهم مكانهم. وهذا لا يتحقق الّا بقوة الارهاب والعنف. ومن هذا المنطلق، خاطب مناحيم بيغن الجنود الاسرائيليين، في ٢٨/١٠/١٩٥٨، قائلاً: «انتم، أيها الاسرائيليون، عليكم ألّا تأخذكم الرحمة عندما تظفرون بعدوكم. عليكم الّا ترحموا، حتى تدمّروا، نهائياً، ما يسمّى بالثقافة العربية التي نبني على انقاضها حضارتنا نحن». وفي مجال الغزو التوسّعي، مضى قائلاً: «فنحن، اذ نمدّ ابصارنا نحو الشمال، نلتقي بسهول سوريا ولبنان الخصبة... والى الشرق تتراءى الوديان الغنية لدجلة والفرات... ونفط العراق، والى الغرب بلاد المصريين. فلن تتوفّر لدينا امكانات التطور لنحل بها قضايا الارض الّا من مواقع القوة. اننا سوف نرغم العرب على الرضوخ المطلق»[٨١]. وفي هذا ترديد للنغمة المعروفة «من النيل الى الفرات». وفي الاتجاه عينه، قال الأب الروحي لبيغن، جابوتينسكي: «انه من الضروري ان نخلق وضعاً من ' الامر الواقع ' ، ونوضح للعرب ان عليهم ان يغادروا ' أرضنا ' ليحطوا رحالهم في الصحراء»[٨٢]. وفكرة التوسّع خارج فلسطين ليست جديدة، وهذا ما يستدل عليه من مذكرة الوفد الصهيوني الى مجلس الحلفاء في فرساي، في العام ١٩١٩.

وبعد استيلاء الصهيونيين على قسم من الاراضي الفلسطينية بشتى الوسائل قبل نهاية

الانتداب، لجأوا، في نهاية الانتداب، الى عملية مزدوجة تقوم على الارهاب لاجلاء السكان وتملّك الارض. وقد تمّ، بالفعل، اقتراف مجازر رهيبة بحق عرب فلسطين لا تقل عن مجازر النازيين بحق اليهود. وتماثل الحلّان، النازي والصهيوني، في التخلّص من العنصر غير المرغوب فيه، المتمثل صهيونياً بالتخلّص من عرب فلسطين ومصادرة اراضيهم، والمتمثل، نازياً، بالتخلّص من يهود ألمانيا ومصادرة ممتلكاتهم، وذلك بالابادة والتهجير. «فقد لجأت دولة المستوطنين الى العنف، قبل قيامها وبعده، كوسيلة فعّالة لتهديد العرب وطردهم من فلسطين. وهكذا ارتكبت مذابح حي القطمون في القدس، وقرية دير ياسين، وعين الزيتون، وصلاح الدين، في نيسان (ابريل) العام ١٩٤٨»[٨٣].

ولقد وصف الصحفي والكاتب الصهيوني جون كمحي مجزرة دير ياسين، التي وقعت في التاسع من نيسان (ابريل) ١٩٤٨، بأنها كانت «بمثابة أكبر عار في تاريخ اليهود». كما وصفها الحاكم الاسرائيلي لمدينة القدس وقتئذٍ، دوف يوسف، بأنها «عدوان متعمّد مقصود لم يكن قد دعا اليه شيء». امّا ارنولد توينبي، فقد قارن مذبحة دير ياسين بـ «الجرائم التي ارتكبتها النازية ضد اليهود»؛ ثمّ أضاف: «ان المسؤولية الناجمة عن مذبحة دير ياسين في ٩ نيسان (ابريل)، تقع على منظمة الارغون؛ أمّا مسؤولية طرد السكان العرب، بعد العام ١٩٤٨، فانما تقع على اسرائيل»[٨٤]. لقد أكد كتاب التاريخ الرسمي الاسرائيلي لحرب العام ١٩٤٨، ان مجزرة دير ياسين «ساهمت أكثر من أي حادث آخر في حمل الكثيرين من العرب الفلسطينيين على الهرب، خوفاً من ان يقعوا ضحية عمليات مماثلة»[٨٥]. وذهب ايلان هاليفي، في مقارنة بين دير ياسين والمذبحة فيها وبين اوشفيتز ومذبحة اليهود فيها، فرأى ان مذبحة دير ياسين كانت، عن عمد، بينما مذبحة اوشفيتز كانت خطأ، لأنه ظُنَّ انها عشّ للارهابيين[٨٦]. ومن المجازر، على سبيل الاشارة لا الحصر، مجزرة عيلبون، حيث احرقت الهاغاناه عشرة شبان مسيحيين احياء في كنيسة البلدة[٨٧]. ومن المجازر الجماعية، التي حدثت بعد قيام اسرائيل، مجزرتا كفرقاسم (تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩٥٦)[٨٨].

وعدا عن المجازر الجماعية التي اقترفها الصهيونيون، فقد لجأوا الى أساليب ارهابية متنوّعة، «مثل تفجير السيارات الملغومة في الاسواق العمومية العربية، والقاء القنابل على تجمّعات العرب، أو مهاجمة نواديهم ومقاهيهم بالرشاشات، أو قتل عابري السبيل العرب، هنا وهناك، على الهوية»[٨٩].

لم يكن دافيد بن ـ غوريون، بالنسبة الى تهجير الفلسطينيين والتخلّص منهم، ليختلف مع منظمة اتسل الارهابية، الّا بالوسائل وليس بالهدف. فالفريقان متفقان على اجلاء الفلسطينيين، والسيطرة على أكبر مساحة من الارض. «الّا انه، على عكس اتسل، ارتأى ان يتمّ ذلك بواسطة طرد اولئك العرب، باتباع مختلف الاساليب، وليس بالقتل بالذات، الى الدول العربية؛ وعلى ان يتمّ ذلك وفق خطة واضحة. وتحقيقاً لذلك الهدف، وضعت الهاغاناه، الخاضعة لاشراف بن ـ غوريون، موضع التنفيذ، ما أسمته ' الخطة د' ، وهي الخطة العسكرية الصهيونية الرئيسة التي اعتمدت لاقامة اسرائيل، وذلك خلال شهر آذار [مارس] ١٩٤٨. وجاء في مقدمة تلك الخطة، ان الهدف من تنفيذها هو السيطرة على مساحة الدولة اليهودية والدفاع عن حدودها»[٩٠]. وبعد الاشارة الى مناطق الاستيطان اليهودية والدفاع عنها، أشارت الخطة الى كيفية التعامل مع القرى العربية. «ويتلخّص هذا النشاط (التعامل) في ابادة القرى [العربية] (حرق وتفجير ولغم الخرائب)». وفي حال المقاومة، تدمّر القرى المسلّحة، ويطرد سكانها الى الخارج. امّا القرى التي لا تبدي مقاومة، فيجب السيطرة عليها واعتقال المشتبه بأمرهم من الناحية السياسية، على ان تتم هذه الاساليب في المدن أيضاً. وقد قتل كثير

من المعتقلين بالرصاص. «والواضح، الآن، ان الهاغاناه والجيش الاسرائيلي نفّذا الخطة د بحذافيرها، ممّا مكنهما من ' تنظيف' تلك المساحة من فلسطين، التي احتلت سنة ١٩٤٨ من اكثرية القرى العربية وسكانها»(٩١).

التعاون النازي ـ الصهيوني

لم يستغل احد في العالم ظلماً وقع عليه كما استغل الصهيونيون ذلك لبناء أُسس لمزاعم ايديولوجيتهم، متجاهلين الاوضاع الاقتصادية ـ الاجتماعية التي ادّت الى ذلك. فمن احداث روسيا القيصرية، في العام ١٨٨١، الى محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي درايفوس، في العام ١٨٩٤، الى احداث كيشينيف، في العام ١٩٠٣، الى محاكمة اليهودي مندل بيليس في روسيا، في العام ١٩١١، وانتهاء بالاضطهاد النازي الذي لم يعد سراً تعاون قادة صهيونيين مع النازيين في احداثه. على ان الاضطهاد النازي استغلته الصهيونية، ولا تزال تستغله، بشكل قوي وفعّال، وقد حقق لها مكاسب جمّة في كسب التعاطف العالمي وفي تحقيق الهدف الصهيوني بتهجير يهود الشتات الى فلسطين لتتحقق بذلك تطلعات هرتسل، الذي رأى في اللاسامية الحجّة لقيام الصهيونية.

ان المظالم الاوروبية التي وقعت على شعوب افريقيا، على سبيل المثال، لا تقل عن المظالم التي وقعت على اليهود. و«بامكاننا ان نحصي، ونعيد احصاء، عشرات الملايين من الافارقة الذين اغتالهم النخاسون في قرنين من النخاسة. ان هنود اميركا، من الشمال الى الجنوب، ينتمون الى حضارات استؤصلت، والبعض منها تلاشى. ان اعراقاً بكاملها قد اختفت... وفي عهد من العهود كانت تمنح، في بعض الولايات الاميركية، جائزة قيمتها دولار عن كل رأس هندي، اي هندي: انهم يصطادون الهندي كما يصطادون الذئب»(٩٢). ومع ذلك، لم تقم ضجة كالتي اقامتها الصهيونية؛ ولم يهتز الضمير العالمي كما اهتز لظلم هتلر لليهود. وها هم الصهيونيون، وعلى الطريقة النازية، يمارسون كل الاساليب، التي شكوا منها، بحق الفلسطينيين.

لم يكن من المستغرب ان ينشأ تعاون نازي ـ صهيوني، انْ بالنسبة الى المبادىء أو الأهداف. فالعنصرية القائمة على التفوق تدخل في صميم الافكار النازية والصهيونية على السواء. «وقد التقت الصهيونية، وجوهرها ' عقيدة الشعب المختار' بالنازية التي جوهرها ' عقيدة الشعب الالماني الآري المتفوق' . كما التقت الصهيونية، فيما بعد، بنزعتها الاصيلة في الاستعمار والتوسع والهيمنة، بالامبريالية، بنزعتها الاصيلة في السيطرة وتسخير الشعوب لاغراضها»(٩٣).

وكما التقت الصهيونية بالنازية في الافكار والممارسات، التقتا، أيضاً، على المصالح والاهداف. فقد ارادت النازية التخلّص من اليهود، والصهيونية ارادت التخلص من الفلسطينيين. وفي مأساة اليهود في المانيا كسب للصهيونية لاثبات مبدأ اللاسامية، وكسب للرأي العام العالمي لتأييد وجهة نظرها في اقامة دولة في فلسطين، بالاضافة الى مكسبين آخرين، اقتصادي، وعسكري: الاول قائم على صفقات تجارية ذات منافع متبادلة للطرفين، والثاني قائم على تدريب الشبان اليهود في معسكرات النازيين وتهجيرهم الى فلسطين، ليكونوا في صفوف الجيش الاسرائيلي في المستقبل.

واذا كانت الدول الاوروبية الكبرى أبدت اهتماماً قبل ظهور النازية، بسبب مصالحها، في مساندة اليهود باقامة دولة لهم في فلسطين، فان النازيين كانوا لا يقلّون اندفاعاً عن تلك الدول. لقد كتب منظّر النازية الاكبر الفريد روزنبرغ، في العام ١٩٢٧، في كتابه «محاكمة اليهود في

العصور المتغيرة»: «يجب تقديم العون الفعّال الى الصهيونية حتى يمكن نقل اكبر عدد ممكن من اليهود الالمان الى فلسطين سنوياً»(٩٤).

وفي ١٥/٥/١٩٣٥، كتبت صحيفة جهاز المخابرات الالماني «داس ستكوازكوريس»: «ربما لن يطول الزمن حتى تستقبل فلسطين ' ابناءها' الذين افتقدتهم منذ الف سنة، وتقف معهم رغبتنا ورغبة الدول الحسنة»(٩٥).

جاء هتلر الى الحكم في المانيا العام ١٩٣٣، فأدّى خدمة للصهيونية لا مثيل لها، باتباعه تطبيق سياسة مضايقة اليهود المعارضين للصهيونية، الذين اعتبروا المانيا وطنهم؛ وموربست بحق هؤلاء مضايقات متنوّعة ادت الى خروج عدد كبير منهم؛ علماً بأنهم كانوا، قبل المضايقات، غير راغبين في الهجـرة. ورأت الصهيـونية بهذه الاجراءات فرصة ذهبية لاجبار اليهود على الرحيل الى فلسطين لتحقيق المقولة الصهيونية بأن اليهود يجب الّا يكونوا جزءاً من مجتمع غير يهودي. ومن هذا المنطلق، أجرت الحركة الصهيونية اتصالات كثيرة بالقادة النازيين من طريق بعض زعمائها، امثال بولكيس وتوسيغ. وقد عبّر الصحفي الالماني هانس هنيه عن ذلك بأن «الصهيونيين لم يعتبروا توطيد اقدام النازيين في المانيا كارثة قومية، بل اعتبروه امكانية تاريخية فريدة لتحقيق المقاصد الصهيونية». وقد وصف القائد النازي ادولف ايخمان بأنه مؤيد للصهيونية، واقام علاقات ودّية مع الصهيونيين(٩٦).

ومن مساهمات النازيين في مساعدة الصهيونيين على تهجير اليهود الى فلسطين انشاء «مكتب فلسطين لتنظيم هجرة اليهود الالمان» في برلين. وانحصر اهتمام هذا المكتب في تهجير الشباب من الجنسين، الذين سيشكلون الايدي المحاربة والعاملة. وحظيت سياسة تشجيع اليهود على الهجرة الى فلسطين برضى ودعم هتلر نفسه، والتقت تطلعاته برغبة الحركة الصهيونية في تحرير المانيا من يهودها، فتمّ، نتيجة لذلك، تنسيق للتعاون بين الصهيونيين والنازيين.

اتفاقية التعاون «هاعفراه»

لقد التقى النقيضان، النازية والصهيونية، ليحقّقا للصهيونيين تطلعاتهم السياسية في ايجاد الوطن والدولة. فاتفاقية «هاعفراه» (النقل، أو التحويل) لم تعد سراً، على الرغم من الضجيج الاعلامي السنـوي والدائم لاستغلال الصهيونية، وبشكل دائم وواسع، للاضطهاد النازي لليهود الذي تمّ برضى عدد من القادة الصهيونيين.

ان العلاقة بين الحركة الصهيونية والنازية اتخذت طابعها الرسمي في اتفاقية «هاعفراه»(٩٧). ولا بد قبل الانتقال الى التعاون المتبادل بين الطرفين وفق هذه الاتفاقية والملحق لها، واثبات صحة هذه الاتفاقية ومدى الالتزام بتطبيقها، من الاشارة الى مضمونها. سمحت هذه الاتفاقية «بنقل رؤوس اموال اليهود الالمان المهاجرين الى فلسطين مقابل الغاء الصهيونية للحصار الاقتصادي الذي فرضه اليهود على البضائع الالمانية، بسبب القوانين التي فرضتها المانيا النازية على اليهود الالمان. ومنحت هذه الاتفاقية الرأسمالي اليهودي الالماني المهاجر الى فلسطين حق اجراء اتصال بمصدّر الماني لنقل السلع من المانيا الى فلسطين، على ان تدفع للمصدّر الالماني اموال مسحوبة من حساب مجمّد لليهود المهاجرين، ويتلقّى المهاجر امواله المحوّلة بهذه الطريقة من الوكالة اليهودية لدى وصوله فلسطين». وبعد وقت قصير، الحقت بالهاعفراه اتفاقية، «يتم بموجبها مقايضة البرتقال الفلسطيني بالخشب وورق اللف والسيارات والمضخات وآلات الزراعة الالمانية وغيرها»(٩٨).

لقد جنت الحركة الصهيونية من هذه الاتفاقية فوائد جمّة. لعل اهمها اظهار صحة مقولتها بعداء اللاسامية الابدي، وحمل اليهود على الهجرة بعشرات الآلاف، بينهم المثقفون والمدربون على مختلف المهن الذين ساهموا في ارساء اسس صناعة حديثة. وفوق ذلك، حققت الاتفاقية نقل بلايين الماركات اليهودية من المانيا الى فلسطين، وأتاحت السلطات النازية للمنظمة الصهيونية اقامة مراكز تدريب مهني وزراعي للمرشحين للهجرة؛ كما أتاحت لليهود تعلّم العبرية، وارسال مندوبين من اليهود الالمان الى المؤتمر الصهيوني التاسع عشر. ووافقت الشرطة السرية الالمانية (الغستابو)، في بافاريا، على ان يرتدي اعضاء احدى الحركات الصهيونية الملابس التقليدية لحركات الشبيبة اليهودية، في حين منعت سائر اليهود من ارتدائها.

ومع اجتياح النازيين للنمسا وتشيكوسلوفاكيا ازدادت الهجرة اليهودية الى فلسطين من هذين البلدين بتنسيق نازي ـ صهيوني. فلقد ارسلت الحركة الصهيونية ممثلين عنها، هما بنيوغيتسبورغ وموشي افرباخ، للاسراع في تأهيل اليهود للهجرة بموافقة الشرطة السرية الالمانية. كما ارسلت الحركة الصهيونية موفداً آخر هو موشي بار ـ جلعاد الى فيينا لتنفيذ مهمة مماثلة. ولقد وافق ايخمان، ممثل النازيين، على طلبات بار ـ جلعاد المتعلقة باقامة مراكز تدريب للراغبين في الهجرة ممّن وافقت عليهم الحركة الصهيونية، وجلّهم من الشباب. وأكد ايخمان «ان المانيا النازية مستعدة لاعطاء الصهيونيين بعض المزارع الواسعة كي يقيموا فيها مراكز تدريب وتجميع للشباب، تمهيداً لتهريبهم الى فلسطين». ووصل به الامر الى اخلاء دير من راهباته وتحويله الى مركز تدريب. كل ذلك كان يتمّ بموافقة هتلر شخصياً، الامر الذي وفّر لقوافل الهجرة الحماية الالمانية الرسمية، ومع ازدياد الاضطهاد النازي لليهود، منذ اواخر العام ١٩٣٨، ازدادت طلبات الهجرة المقدمة الى مكاتب «حركة الريادة الصهيونية». وهذا ما كانت تهدف اليه الحركة الصهيونية. ذلك ان الاهمية القصوى، في منظورها، ليس انقاذ اليهود، بل تهجير العدد الاكبر منهم الى فلسطين»[٩٩]. وهذا ما اكده احد رؤساء المخابرات الالمانية، خاغين، منطلقاً من رأي الصهيوني والعميل النازي بولكيس، بقوله: «ان الاوساط القومية اليهودية راضية جداً عن السياسة الالمانية الراديكالية بالنسبة الى اليهود، لأنه بفضلها يتعاظم عدد السكان اليهود في فلسطين، الامر الذي سيجعل كفّة اليهود، في المستقبل، راجحة على العرب»[١٠٠]. كما ان بن ـ غوريون رأى، في العام ١٩٣٨، ابّان تزايد الاضطهاد النازي لليهود، ان هجرة اليهود، للنجاة، الى اميركا انما تعني نهاية الحركة الصهيونية. قال: «اذا كان ينبغي على اخوتنا في الولايات المتحدة الاميركية الاختيار بين الانقاذ الجسدي ليهود اوروبا وبين الصهيونية، فانهم سيختارون الانقاذ الجسدي، وهذا سيكون نهاية حركتنا»[١٠١]. ولبقاء الحركة الصهيونية، لا بدّ، اذاً، من هجرة يهودية الى فلسطين. ولكي يتحقق ذلك، يجب تسعير اللاسامية. فلقد اعتبر الصهيونيون، دوماً، «آلام اليهود شيئاً يمكن ان يجنوا منه ثماراً سياسية مفيدة»[١٠٢]. وجاءت المحاولة النازية لتفريغ اوروبا من يهودها، وتركهم يرحلون في البداية، ومن ثمّ ابادتهم، لتنضج فكرة هرتسل بتقبّل الناجين للصهيونية[١٠٣].

الموافقات الصهيونية والتعاون المشترك

لقد كان التعاون النازي ـ الصهيوني يتمّ على أعلى المستويات في الجانبين. فالمؤتمر الصهيوني الثامن عشر، الذي عقد في براغ، في آب (اغسطس) ١٩٣٣، أيّد سياسة الحركة الصهيونية، ورفض تبنّي اقتراح باشتراك المنظمة الصهيونية في الجهود لمقاطعة المانيا. كما قرر المؤتمر الصهيوني

التاسع عشر، الذي عقد في لوسيرن، في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٥، ان يضع اتفاقية «الهاعفراه» تحت الاشراف المباشر للجنة التنفيذية للصهيونية. وتنفيذاً لهذا التوجّه، وعلى الرغم من تزايد الاضطهاد النازي بابادة اليهود، ارتأت الحركة الصهيونية ابقاء الباب مفتوحاً مع النازيين. وفي هذا النطاق، اقام النـازيون، في كل غيتو يهودي، مجلساً يهودياً، معظم اعضائه من الصهيونيين، الذين تعاونوا مع النازيين واعدّوا لهم قوائم اليهود الذين ارسلوا الى الموت، وشاركوا في اخماد مقاومة يهود الغيتوات للغـزو النازي. وفي ميدان هذا التعاون مشاركة جاكوب جنز، الصهيوني عضو المنظمة العسكرية للصهيونيين التصحيحيين ونائب قائد قوة شرطة اليهود في مدينة فيلنو، في لتوانيا، في قمع مقاومة يهود الغيتو وابادتهم. ونتيجة لهذا التعاون، عيّنه النازيون قائداً لجميع الغيتوات الريفية في منطقة فيلنو. كذلك قام ابا كوفنر، ممثل هاشومير هاتسعير (منظمة الحارس الفتي)، بمنع أفراد الغيتو من مغادرته هرباً من القتل، باستثناء اعضاء منظمته. وساهم في ارسال اليهود الذين نجوا من الموت في الغيتو الى معتقلات الابادة.

وفي سيليزيا، اختار النازيون مجلساً للشيوخ من الصهيونيين، وعيّنوا الصهيوني مونيك ميرين زعيماً له، وترك مصير أي يهودي رهناً بقراراته. وفي غيتو بياليستوك، اعدّ مجلسها اليهودي قوائم بأسماء ٦٣٠٠ يهودي لارسالهم الى معسكرات الابادة. وفيما بعد، ساهم افرايم باران، زعيم المجلس، في اخفـاء خطة النـازيين التي تمّ تنفيذها، في ١٩٤٣/٨/١٥، لابادة اربعين ألف يهودي في غيتو بياليستوك. وفي لودز، نظّم الصهيوني حاييم رومكوفسكي رحلات الموت لليهود. أمّا في المجر، فقد تمّ توقيع اتفاقية بين رودولف كاستنر، من لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية، وبين ايخمان النازي، قضت بهجرة ستمئة صهيوني مقابل ابادة اليهود المجريّين. وفي مجال التعاون بين كاستنر وايخمان، سمحت السلطات النازية باقامة دائرة انقاذ، برئاسة كاستنر، تابعة لشرطة «الاس. اس.». وقد ظهرت حقيقة هذه الاتفاقية في العام ١٩٥٣، اثر الفضيحة المعروفة بـ «قضية كاستنر»(١٠٤).

بعد «فضيحة كاستنر»، تعاونت اطراف صهيونية عدة مع النازيين تعاوناً وثيقاً، ابتداءً من الوكالة اليهودية وانتهاءً بشتّى المنظمات الصهيونية. وقد أقرّت بذلك الدكتورة اليهودية حانّه ارندت، في كتابها «ايخمان في القدس»، حين ذكرت «ان الحقيقة الكاملة تقول انه كانت هناك منظمات اجتماعية يهودية وحزب يهودي ومنظمات انعاش يهودية على الصعيدين، المحلي والعالمي، قامت بالتعاون مع النازية بطريقة أو بأخرى. ولو كان الشعب اليهودي، في الحقيقة، بدون تنظيم وبدون قيادات، لكان هناك فوضى وكثير من الفقر»(١٠٥).

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، عاد كاستنر الى فلسطين واصبح وجهاً بارزاً في حزب مباي، وهـو الحـزب الذي كان يهيمن على الوكالة اليهودية، وفيما بعد على الدولة(١٠٦). غير ان السلطات الاسرائيلية، بعد افتضاح امر اتفاقية ايخمان ـ كاستنر، اوعزت الى اجهزة مخابراتها، خشية ردود الفعل اليهودية والعالمية تجاه هذا التعاون، الى تصفية كاستنر على يد عميلها زئيف اكشتاين، في الثالث من آذار (مارس) ١٩٥٧، في اثناء جلسة الاستئناف في المحكمة(١٠٧).

وفي جلسة المحاكمة، قبل اغتياله، دافع المدعي العام حاييم كوهين عن كاستنر، بحجة ان تعاونه مع النـازيـين كان تعاوناً ليس شخصياً، بل هو تعاون بين القيادات الصهيونية والنازية، وان هذا التعاون كان يحظى بموافقات زعماء المنظمة الصهيونية العالمية(١٠٨). ووصل الامر بالمدعي العام الاسرائيـلي الى مقـاضـاة الصهيـوني ميخـائيـل غرينـوالد لنشره الاتهـامات ضد كاستنر بتهمة

التشهير الجنائي بحق مسؤول صهيوني بارز[١٠٩].

ولقد تناولت الصحف الاسرائيلية موضوع كاستنر. فكتبت جريدة «كول هعام»، في ١٩٥٥/٦/٢٣: «كل اولئك الاشخاص الذين قام الالمان بذبح اقربائهم في هنغاريا يعلمون، الآن، بكل وضوح، ان أيدي يهودية ساعدت في الجريمة الجماعية»[١١٠]. وكتب د. موشي كيرين، في صحيفة «هآرتس»، بتاريخ ١٩٥٥/٧/١٤: «يجب تقديم كاستنر الى المحاكمة بتهمة التعاون مع النظام النازي. وفي هذه المحاكمة، على كاستنر ان يقوم بالدفاع عن نفسه كمواطن عادي، وان لا تقوم الحكومة الاسرائيلية بالدفاع عنه»[١١١]. وكتبت صحيفة «هابوكر»، التي كان يصدرها حزب الصهيونيين العموميين، في ١٩٥٥/٦/٢٢: «ان الشعب يريد معرفة الوقائع التحقيقية حول كاستنر، وليس عنه فقط. والسبيل الوحيد الى معرفة الحقيقة هو اخضاع جميع افراد لجنة الانقاذ للمحاكمة، واعطاؤهم الفرص للدفاع عن انفسهم»[١١٢]. أمّا صحيفة «يديعوت احرونوت» المسائية، فقد كتبت، في ١٩٥٥/٦/٢٢: «اذا ما أُخضع كاستنر للمحاكمة، فان الحكومة، بمجملها، تتعرض لانهيار سياسي ووطني، نتيجة لما تكشفه مثل هذه المحاكمة»[١١٣].

كان لا بدّ من قيام السلطة الاسرائيلية من تصفية كاستنر، خوفاً من انهيارها وخشية من فقدان التعاطف العالمي الذي استغلّه الصهيونيون؛ كما كان عليها تصفية حليفه ايخمان الذي مكّنه كاستنر، ببضعة آلاف من الدولارات بعد انهيار المانيا، من الهرب الى الارجنتين. وقد اكد ذلك الكاتب الاميركي الصهيوني المتطرف بن هكت، في كتابه «خيانة»، الذي أُصدر في العام ١٩٦١[١١٤].

والواقع، لقد بدأ ارساء العلاقات بين الحركة الصهيونية والنازيين منذ وصول هتلر السلطة في العام ١٩٣٣، في حين كانت بريطانيا، من خلال انتدابها على فلسطين، تعمل على تسهيل اقامة «الوطن القومي اليهودي»، تحقيقاً لتصريح بلفور. ففي ٣١ حزيران (يونيو) ١٩٣٣، سلّم الاتحاد الصهيوني للسلطة النازية في المانيا مذكرة تقترح ان «تعترف الدولة الالمانية الجديدة بالحركة الصهيونية، على اساس انها أنسب مجموعة يهودية باستطاعة الدولة الالمانية ان تتعامل معها؛ وان تنظّم وضعية اليهود في المانيا على اساس وضعية جماعية تحل مكان الحقوق الفردية». وختمت المذكرة بأن «الهجرة سوف تقدّم حلاً الى المسألة اليهودية، ومن أجل ذلك، عليها ان تحظى بالدعم الحكومي»[١١٥].

ومع بداية الحرب العالمية الثانية وصدور «الكتاب الابيض» لعام ١٩٣٩، الذي حددت بريطانيا فيه موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين، اعلن بن ـ غوريون حربه على «الكتاب الابيض» ومحالفته لبريطانيا ضد المحور، في حين كانت العلاقات النازية ـ الصهيونية تزداد وثوقاً. فالاهتمام الصهيوني تركز على هجرة الشباب اليهود لانشاء جيش، وليس لدعم المقاومة ضد النازيين. وقد انحصرت الاولويات الصهيونية، خلال فترة الابادة النازية لليهود، في تحقيق «الوطن القومي» لا انقاذ اليهود من الابادة تحت شعار «شاة واحدة في ارض ـ اسرائيل تساوي مجتمعاً بأكمله في المهجر»[١١٦].

كانت عملية الابادة تتمّ وسط تكتّم صهيوني قوي في فلسطين»، على الرغم من وصول عشرات الرسائل عن عمليات الابادة الى تل ـ ابيب. فالهدف الصهيوني قام على دفع اليهود الى الهجرة؛ وفي حملات الابادة النازية لليهود تحقيق للهدف الصهيوني. وهذا ما اوضحه أحد القادة الصهيونيين، اليعيزر ليفنه بقوله: «ان توجّهنا الصهيوني قد علّمنا ان نجعل من نمو ارض ـ اسرائيل هدفاً رئيساً، وان نرى الامة اليهودية من منظار بناء الوطن فقط. ومع كل مأساة كانت تقع على رأس اليهود في المهجر، كنّا نرى دولة اسرائيل حلاً واضحاً وأكيداً. وقد تابعنا تطبيق هذا المبدأ خلال فترة

الابادة، منقذين اولئك الذين امكن احضارهم الى فلسطين فقط... انقاذ يهود اوروبا ثانوي»(١١٧).

ورأى بن ـ غوريون ان التمكّن من انشاء الدولة وتوسيع نطاق الهجرة الى فلسطين، لا الى اميركا واستراليا، هو الاساس للحركة الصهيونية. وعقّب على اغراق السفينة «باتريا»، الغاصة باليهود الهاربين من الاضطهاد النازي، بأنه من «الضروري، في بعض الاحيان، التضحية بالبعض من اجل انقاذ المجموع». امّا قائد عملية اغراق «باتريا» الياهو غولومب، فقد علّق على الحدث الذي قامت به الهاغاناه بقوله: «ان أحقية النجاة هي ملك اليهودي عندما يكون في ارض ـ اسرائيل فقط. فاذا كان هذا مستحيلاً، فمن الافضل ان يكون موته وعذابه في خدمة بناء دولة المستقبل»(١١٨).

كانت ابادة اليهود تجرى على قدم وساق، والحركة الصهيونية تفكر بدولة المستقبل لا بانقاذ اليهود. وكانت ترى في الابادة، بالتوافق مع النازيين، خدمة لهدفها. ففي اعترافات ايخمان التي نشرت في مجلة «لايف» (في عدديها في ٢٨/١١/١٩٦٠ و٥/١٢/١٩٦٠)، جاء: «لقد قرّرت ان ابرهن كيف يمكن القيام بمهمة ما على اكمل وجه حين تتمتع بدعم كامل من المسؤول. وبنقل اليهود من مكان الى آخر بعملية صاعقة، اردت ان اضع المثال لعمليات اخرى من هذا النوع تجرى في امكنة مختلفة... واطاعة لأوامر هتلر، قمت بالتركيز على المحادثات مع المسؤولين السياسيين اليهود في بودابست... ومن هؤلاء الدكتور رودولف كاستنر، الممثل المفوّض للحركة الصهيونية ... لقد وافق على المساعدة في عدم قيام اليهود بمقاومة عملية الترحيل، وحتى بحفظ النظام في معسكرات التجميع، اذا ما شحْتُ بنظري عن هجرة بضع مئات، او بضعة الوف، من اليهود الشباب بطريقة غير شرعية الى فلسطين. لقد كانت صفقة جيدة لحفظ الامن في المعسكرات... فالثمن لم يكن باهظاً بالنسبة اليّ. لقد وثق احدنا بالآخر تماماً... لقد كان همّ الدكتور كاستنر الاكبر تمكين مجموعة مختارة من اليهود الهنغاريين من الهجرة الى اسرائيل.

«في الواقع، هناك تشابه كبير بين مواقفنا في الأس. اس. وبين وجهات نظر هؤلاء القادة الصهيونيين المثاليين بشكل غير اعتيادي ... فانا أؤمن بأن كاستنر كان مستعداً ليضحّي بألف، او بمئة ألف، من أهله من أجل تحقيق هدفه السياسي... بامكانك ابقاء الآخرين، كان يقول لي... انما دع لي هذه المجموعة هنا.. وبما ان كاستنر ادّى لي خدمة كبرى بابقائه معسكرات الترحيل مسالمة، كنت ادع مجموعته تفرّ. ففي النهاية، لم يكن مهتماً بألف، او اكثر من اليهود... لقد كان هناك اتفاق السادة بيني وبين كاستنر»(١١٩).

كذلك، عملت المنظمات الصهيونية والاحزاب، على اختلاف تشعّباتها، مع النازية. الهاغاناه كانت تزوّد ايخمان بالتقارير(١٢٠)، وحركة بيتار سمح لها النازيون «بالاجتماع سراً، وبارتداء البزّات الرسمية لحركتهم»؛ كما ان منظمة شترن سعت الى التحالف مع النازيين ضد الامبريالية البريطانية في العام ١٩٤٢(١٢١)؛ وأقامت منظمة الارغون علاقة بالنازيين، في العام ١٩٤١، على اساس دعم حكومة الرايخ الالماني للمساعي اليهودية في الهجرة وانشاء دولة تعمل لمصلحة المانيا في الشرق الادنى، مقابل قيام المنظمة بدور نشط في الحرب الى جانب المانيا(١٢٢).

انطلاقاً من هذه الاتصالات بين الجانبين، النازي والصهيوني، كان المبعوثون الصهيونيون من فلسطين الى برلين يلقون ترحيباً، في حين كان اليهود يذبحون هناك. كان اولئك المبعوثون يأتون الى الغستابو والى الأس. اس. بأنفسهم لطلب المساعدة في عملية تهريب اليهود الشباب الى فلسطين، «من بين اليهود الموجودين في معسكرات الاعتقال. وبالطبع، فهؤلاء اليهود لم يعوا المضامين الشريرة

لهذه الاتفاقية التي سيكشف عنها المستقبل؛ ولكنهم اعتقدوا بأنه اذا كانت المسألة مسألة انتقاء اليهود من اجل البقاء، فان على اليهود انفسهم القيام بهذه العملية...»[١٢٣].

لقد كشف عن هذه الاتفاقية في اثناء محاكمة كاستنر، ومحاكمة ايخمان، اللذين تمّت تصفيتهما للملمة فضيحة الاتفاقية. وعلّقت الصحف الاسرائيلية على موضوع التعاون النازي ـ الصهيوني، وأُصدرت كتب عدّة لكتّاب اسرائيليين دانت هذا التعاون، واعتبرت ان اليهود قتلوا انفسهم. ومن هؤلاء الكتاب ناتان يلين ـ مور، المتورط هو بالذات بالسعي الى اتصالات مع الالمان لحساب حركة لوحامي حيروت يسرائيل[١٢٤]؛ واسحق بن تسفي الذي وجه اتهاماً مباشراً الى بن ـ غوريون وموشي شاريت بالتستر على مذابح اليهود في بولونيا وروسيا، ابتداء من العام ١٩٤٢[١٢٥]؛ ود. حانّه ارندت التي جاء في كتابها «ايخمان في القدس»: «بالنسبة الى اي يهودي، فان هذا الدور الذي قام به القياديون اليهود في تدمير شعبهم هو، بدون شك، احلك الفصول في هذه القصة المظلمة. لقد سمعوا بها من قبل، لكنها، الآن ولاول مرة، يتمّ كشفها وكل تفاصيلها المؤلمة والقذرة من قبل راؤول هيلبرغ في كتابه المشهور ' تدمير اليهود الاوروبيين ' الذي تمّ التحدث عنه سابقاً في قضية التعامل ' المقصود مع النازيين ' . لم يكن هناك تمييز بين مجتمعات يهود اوروبا الوسطى، والغربية، الذين تمّ قبولهم في المجتمعات الاوروبية وبين الشعوب اليهودية التي تتكلم اليهودية في اوروبا الشرقية. ففي امستردام كما في وارسو، وفي برلين كما في بودابست، كان بالامكان الاعتماد على المسؤولين اليهود للقيام بوضع لوائح بالاشخاص وممتلكاتهم، لتأمين الاموال من الذين تمّ ترحيلهم لدفع مصاريف انتقالهم وابادتهم؛ لمعرفة الشقق التي تمّ اخلاؤها لتموين قوى الشرطة للمساعدة في القبض على اليهود ووضعهم على متن القطارات، وذلك حتى آخر مهمّة بقيامهم بتسليم ممتلكات المجتمع اليهودي دون ان يمسّها ضرر لتتمّ مصادرتها نهائياً. لقد قاموا بتوزيع عصبات الاذرع ذوات النجمة الصفراء؛ وفي بعض الاحيان، كما في وارسو، فان بيع عصبات الاذرع اصبح عملاً اعتيادياً، فكان هناك العصبات العادية المصنوعة من القماش، والعصبات الممتازة المصنوعة من البلاستيك والتي كان بالامكان غسلها...»[١٢٦].

ولقد اورد الدكتور رودولف فربا، وهو احد الفارّين من معتقل اوشفيتز، في مذكراته المنشورة في صحيفة «لندن دايلي هيرالد»، في شباط (فبراير) ١٩٦١، ادانة مباشرة لبعض القادة اليهود، لتواطئهم مع النازيين في عملية الابادة، قال: «انا يهودي. وعلى الرغم من ذلك، وبسبب ذلك، فانني اتهم بعض القادة اليهود باحدى أبشع أفعال الحرب، بشراء ارواحهم بالصمت عمّا يجرى. ومن بين هؤلاء الدكتور كاستنر، رئيس المجلس الذي تكلم باسم يهود كل هنغاريا...

«عندما كنت السجين الرقم ٤٤٠٧٠ في معتقل اوشفيتز... جمعت احصاء دقيقاً عن الابادات... واخذت هذه الاحصاءات الرهيبة عند هربي، العام ١٩٤٤، وتمكّنت من اعلام القياديين الصهيونيين في هنغاريا بنيّة ايخمان بارسال مليون من اليهود الى غرف الغاز؛ وكان لديهم مهلة ثلاثة اسابيع قبل قيامه بمخططه... فقام كاستنر بزيارة ايخمان وقال له: ' اني اعلم بمخططاتك، اعف عن بعض مَنْ أختار من اليهود مقابل صمتي ' .

«لم يقم ايخمان بالموافقة فقط على اقتراح كاستنر، بل قام بالباسه بدلة خاصة بالاس. اس. ورافقه الى بلزن لتقصّي امكانية وجود بعض اصدقائه. ولم تنته عملية المقايضة المشينة عند هذا الحد فقط، بل قام كاستنر بدفع بضعة آلاف من الدولارات الى ايخمان. وبهذه الثروة الصغيرة، استطاع ايخمان شراء طريقه الى الحرية عند انهيار المانيا...»[١٢٧].

ومن الكتب التي أُصدرت حول هذا الشأن كتاب «ضحايا الابادة يتّهمون»، وهو من منشورات ناتوري كارتا، وكتاب بن هكث الصادر بالانكليزية في نيويورك بعنوان «خيانة»، الذي جاء فيه: «لم يكن من السهل عليّ كتابة هذا الكتاب، لأن قلب اليهودي سيكون ملؤه الدهشة اضافة الى الغضب... لاقدام أخ له على هذا القدر من الخيانة». ومضى مورداً تفاصيل واسماء: جاكوب جنس اسوأ قادة الشرطة اليهودية وحكام الاحياء المستبدين ـ صهيوني تصحيحي ـ فقد قام شخصياً بانتقاء اليهود للابادة. وبالاضافة، فان شرطته هي الوحيدة من بين بقية الشرطة اليهودية التي اشتركت، فعلياً، في كتائب الاعدام عند عمليات الابادة، عوضاً عن تسليم اليهود الى النازيين لقتلهم...»؛ وابراهام غانغواش، الرئيس السابق لهاشومير هتسعير، اصبح عميلاً للغستابو في مسقط رأسه، ورئيساً لوحدة الـ «١٣» الشهيرة، او الغستابو اليهودي(١٢٨).

---

(١) علي حسين خلف، **الكاتب الفلسطيني** (بيروت)، العدد ٩، ١٩٧٩، ص ٤٢.

(٢) دوف بارنير، في **من الفكر الصهيوني المعاصر**، بيروت: مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ١٩٦٨، ص ٧١.

(٣) نسيم رجوان، في **المصدر نفسه**، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٤) كارل ماركس، **المسألة اليهودية** (ترجمة محمد عيتاني)، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٥٢، ص ١٢ و ١٤.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٥٥.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ١٤.

(٧) **المصدر نفسه**، ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٨) **المصدر نفسه**، ص ٦٤.

(٩) شمويل اتيغر وي. حركي وشمعون بيرس وموشي سنيه، في «من الفكر الصهيوني المعاصر»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٣ و١١٢ و١٣٧ و٢٤٣، على التوالي.

(١٠) اندريه دوني، في **عاجلاً او آجلاً ستزول اسرائيل** (ترجمة ريمون نستالي)؛ بيروت: دار الآداب ودار العلم للملايين، الطبعة الاولى، ١٩٦٨، ص ٥٣ ـ ٥٤.

(١١) د. الن تايلر، **تاريخ الحركة الصهيونية** (ترجمة بسام ابو غزالة)، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٦، ص ١٤ و٦.

(١٢) يوري ايفانوف، **احذروا الصهيونية** (ترجمة احمد داود)، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، ١٩٦٩، ص ١٩.

(١٣) **المصدر نفسه**، ص ٢٦.

(١٤) **المصدر نفسه**، ص ٣٤.

(١٥) **المصدر نفسه**، ص ٤٧.

(١٦) **المصدر نفسه**، ص ٤٩.

(١٧) **المصدر نفسه**، ص ٧٧.

(١٨) **المصدر نفسه**، ص ٧٨.

(١٩) **المصدر نفسه**، ص ٨٥ ـ ٨٦.

(٢٠) **المصدر نفسه**، ص ٧٥.

(٢١) ايلان هاليفي، **المسالة اليهودية** (ترجمة فؤاد جديد) دمشق: مكتب الخدمات الطباعية، الطبعة الاولى، ١٩٨٦، ص ٧ ـ ١٢.

(٢٢) **المصدر نفسه**، ص ٢٥.

(٢٣) **المصدر نفسه**، ص ٢٧ ـ ٣٥.

(٢٤) محمد مصالحة، **شؤون عربية** (تونس)، العدد ١٩/ ٢٠، ايلول / تشرين الاول (سبتمبر / اكتوبر) ١٩٨٢، ص ١٣٧.

(٢٥) هاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٦.

(٢٦) د. تايلر، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩٠.

(٢٧) هاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٤ و٣١.

(٢٨) الفرد ليلينتال، **ثمن اسرائيل** (ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري)، بيروت: بلا ناشر، بلا تاريخ

نشر، ص ٤٢.

(٢٩) **المصدر نفسه**، ص ٤٥.

(٣٠) **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد الثالث، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، ص ٦٤.

(٣١) صادق جلال العظم، **دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية**، بيروت: دار الطليعة، الطبعة الاولى، ١٩٧٠، ص ٩٧.

(٣٢) ابراهام ليون، **المفهوم المادي للمسألة اليهودية**، بيروت: دار الطليعة، الطبعة الاولى، ١٩٧٣، ص ١٦.

(٣٣) **المصدر نفسه**، ص ١٦.

(٣٤) **المصدر نفسه**، ص ١٧.

(٣٥) **المصدر نفسه**.

(٣٦) ماركس، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٥.

(٣٧) **المصدر نفسه**، ص ٥٦.

(٣٨) **المصدر نفسه**، ص ٥٥.

(٣٩) **المصدر نفسه**، ص ١٤.

(٤٠) العظم، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٤.

(٤١) ليون، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢١.

(٤٢) **المصدر نفسه**، ص ٢٥ .

(٤٣) **المصدر نفسه**.

(٤٤) خلف، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٣.

(٤٥) ليون، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٦.

(٤٦) خلف، **مصدر سبق ذكره**.

(٤٧) **المصدر نفسه**.

(٤٨) ليون، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٥١.

(٤٩) العظم، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٤٣.

(٥٠) **المصدر نفسه**، ص ١٤٤.

(٥١) خلف، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٧.

(٥٢) العظم، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩٦.

(٥٣) **المصدر نفسه**، ص ١٤٦.

(٥٤) «الموسوعة الفلسطينية»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٤٨.

(٥٥) دوني، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٤.

(٥٦) اتيغر، في «من الفكر الصهيوني المعاصر»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٤.

(٥٧) «الموسوعة الفلسطينية»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٤٨.

(٥٨) **المصدر نفسه**، ص ٣٤٩.

(٥٩) فؤاد قازان، **الثورة العربية واسرائيل**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٨، ص ٣٤.

(٦٠) «الموسوعة الفلسطينية»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٤٩.

(٦١) **المصدر نفسه**، ص ٣٥٠.

(٦٢) دوني، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٣.

(٦٣) **المصدر نفسه**، ص ٥٦.

(٦٤) هاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤٥ و٢٤٣.

(٦٥) روبير مزراحي واوري افنيري، في «من الفكر الصهيوني المعاصر»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨٤ و ٣٤٥.

(٦٦) صبري جريس، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٦٨/٦٩، تموز/ آب (يوليو/ اغسطس) ١٩٧٧، ص ٢٩.

(٦٧) ايفانوف، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٢.

(٦٨) ليون، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٦٩) ايفانوف، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٩٠.

(٧٠) «الموسوعة الفلسطينية»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٥٣.

(٧١) **المصدر نفسه**، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٧٢) **المصدر نفسه**، ص ٣٥١.

(٧٣) **المصدر نفسه**.

(٧٤) **المصدر نفسه**، ص ٣٥٤.

(٧٥) **المصدر نفسه**، ص ٣٥٠.

(٧٦) **المصدر نفسه**.

(٧٧) ايفانوف، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨٠.

(٧٨) مارسيل ديبيلي، في «عاجلاً او آجلاً ستزول

اسرائيل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧١.

(٧٩) جريس، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٠.

(٨٠) دوني، في «عـاجـلاً ام آجـلاً ستـزول اسرائيل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦١.

(٨١) ايفانوف، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨٨.

(٨٢) **المصدر نفسه**، ص ١٨٩.

(٨٣) دوني، في «عـاجـلاً ام آجـلاً ستـزول اسرائيل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٨.

(٨٤) **المصدر نفسه**.

(٨٥) جريس، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٥.

(٨٦) هاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٥.

(٨٧) **المصدر نفسه**، ص ٢٤٨.

(٨٨) دوني، في «عـاجـلاً ام آجـلاً ستـزول اسرائيل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٩.

(٨٩) جريس، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٣.

(٩٠) **المصدر نفسه**، ص ٦٥.

(٩١) **المصدر نفسه**، ص ٦٦.

(٩٢) هاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(٩٣) **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد الرابع، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، ص ٤٣١.

(٩٤) **المصدر نفسه**، ص ٤٣٢.

(٩٥) **المصدر نفسه**.

(٩٦) **المصدر نفسه**.

(٩٧) فارس غلوب، «الصهيونية والنازية: علاقات واتفاقيات»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٨٤، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨، ص ٦٧ ـ ٩٤؛ وصبري جريس، «اليمين الصهيوني»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٦٨/٦٩، تمـوز/ آب (يـوليـو/ اغسـطس) ١٩٧٧، ص ٤٨؛ وهـاليـفي، **مصـدر سبق ذكـره**، ص ١٤٧ ـ ١٥٦؛ ومكسيم رودنسون، في هاليفي، **المصدر نفسه**، ص ٣١ (حاشية).

(٩٨) «الموسـوعة الفلسطينية»، المجلد الرابع، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٣٢.

(٩٩) **المصدر نفسه**، ص ٤٣٢ و٤٣٣؛ وجريس، «اليمين الصهيوني»، **مصدر سبق ذكره**، وغلوب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٦.

(١٠٠) ايفانوف، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(١٠١) هاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٨.

(١٠٢) غلوب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٦.

(١٠٣) هاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٩.

(١٠٤) «الموسوعة الفلسطينية»، المجلد الرابع، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٣٢ ـ ٤٣٤.

(١٠٥) المنظمة البريطانية المناهضة للصهيونية (اعـداد)، **التعـاون النـازي ـ الصهيـوني**، بيروت: مؤسسة دار الكتاب الحديث، بلا تاريخ نشر، ص ١١ ـ ١٢.

(١٠٦) ايفانوف، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٦٢.

(١٠٧) «التعـاون النـازي الصهيوني»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٧.

(١٠٨) **المصدر نفسه**، ص ٥٩.

(١٠٩) **المصدر نفسه**، ص ٥٠.

(١١٠) **المصدر نفسه**، ص ٥٧.

(١١١) **المصدر نفسه**، ص ٥٨.

(١١٢) **المصدر نفسه**.

(١١٣) **المصدر نفسه**.

(١١٤) **المصدر نفسه**، ص ٤٨؛ وهاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٧.

(١١٥) «التعاون النازي ـ الصهيوني»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٥.

(١١٦) **المصدر نفسه**، ص ٨٠ ـ ٨١.

(١١٧) **المصدر نفسه**، ص ٩٤.

(١١٨) **المصدر نفسه**، ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(١١٩) **المصدر نفسه**، ص ٤٨ ـ ٤٩.

(١٢٠) **المصدر نفسه**، ص ١٣ و١٣٣.

(١٢١) هاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٧.

(١٢٢) «الموسوعة الفلسطينية»، المجلد الرابع، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٣٤.

(١٢٣) «التعاون النازي ـ الصهيوني»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٨.

(١٢٤) هاليفي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٧.

(١٢٥) **المصدر نفسه**، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(١٢٦) «التعاون النازي ـ الصهيوني»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٩.

(١٢٧) **المصدر نفسه**، ص ٤٨.

(١٢٨) **المصدر نفسه**، ص ٢١ و١٢٦ و١٣٠ و١٣٣.

أ.ب. يهوشع والمصالحة مع العربي

رياض بيدس

كان صدور رواية «العاشق» لابراهام ب. يهوشع[1] سنة ١٩٧٧ بمثابة حدث أدبي وسياسي بالغ الاهمية. فلقد لفتت رواية «العاشق»[2] الانظار الى كتابات يهوشع السابقة؛ كما ان شخصية العربي احتلت مساحة واسعة من الرواية. وبهذه الشخصية ـ شخصية نعيم الباحث عن هويته ـ دشّن يهوشع فترة جديدة في الادب العبري: العربي الذي يدخل المجتمع العبري، ويأخذ مكانه بين الآخرين، كفرد له حياته وتفكيره وطموحاته.

ان يهوشع شخصية بارزة في الادب العبري الحديث، ويحتل مكانة بين الكتّاب، وتحفل كتاباته بتفاصيل واقعية تثير الكثير من النقاش. وأهمّ هذه الاعمال هي «ازاء الغابات» و«في مطلع صيف ١٩٧٠» و«العاشق». بهذه الاعمال الثلاثة سجّل الكاتب اسباب قلقه من الوضع القائم: ما هو دور العربي، أين الاقلية القومية الفلسطينية، في المجتمع العبري؟

تحفل أعمال يهوشع الاخيرة، مثل رواية «طلاق متأخر»[3] بمناقشة موضوع الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي على نحو استعاري[4]. وفي رواية «مولخو»[5] الاخيرة، تمّ اللقاء بين العربي واليهودي ليجري الكاتب عملية مصالحة بين الطرفين.

تحفل كتابات يهوشع، منذ بدايتها، بالعزلة. ابطاله يعانون من اغتراب ذاتي يجدر تفسيره في ضوء الواقع السياسي المضطرب؛ كما تحفل كتاباته بعملية البحث عن الآخر (سواء أكان عربياً أم يهودياً). وهذا القلق ينعكس على كتاباته كافة، كالظل الذي يطارد صاحبه. على أي حال، النماذج الثلاثة التي سنتناولها، هنا، تعكس موضوع الصراع، واللقاء، على نحو واضح.

لطالما أثارت لقاءات ونقاشات ومقابلات يهوشع جدالات ونقاشات لدى الطرفين، العربي واليهودي، على حدّ سواء. وسواء وافقنا أم لم نوافق على ما يدلي به يهوشع من آراء في احيان، فاننا ملزمون بالاعتراف بأن شخصية نعيم، مع كل نمطيتها مرات، كانت بمثابة فتح في الادب العبري الحديث. ولأهمية طروحاته السياسية العامة، رأينا من الافضل ان نفتتح الدراسة بتناول كتابه الشهير «لاجل الوضع الطبيعي»، الذي وضع يهوشع فيه وجهات نظره كافة المتعلقة بموضوعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

على أي حال، ان الخوض في غمار دراسة سياسية توضّح موقف الكاتب عامّة لأمر على غاية من الأهمية؛ لكن يجدر الاعتراف، سلفاً، بأن يهوشع يتعامل مع العربي من خلال صهيونيته. لذلك نرى ان عملية المصالحة تبدو، في احيان، وكأنها قسرية، او تخضع لاطارات الخط الصهيوني، أو تتجاوز الامرين معاً، محققة مبدأ التعارض الذي ينقض ايديولوجية الكاتب، وفكره.

بدون الدخول في تفاصيل عديدة، نستطيع التأكيد ان روايات يهوشع الاخيرة تؤكد تعارضها مع النمط الصهيوني. وأكثر من ذلك، انها تؤكد افلاس الصهيونية على المستوى الواقعي المستقبلي. ومع كل ذلك، فان يهوشع لا يزال يؤكد، في اللقاءات والنقاشات والمقالات، انه صهيوني صميمي. لكن صهيونيته تبهت وتفلس في أعماله الادبية الاخيرة. فما الذي يقدّمه يهوشع الى القارىء في كتابه النظري المدعو «لأجل الوضع الطبيعي»؟

«لأجل الوضع الطبيعي»

«لأجل الوضع الطبيعي»[٦] هو مجموعة مقالات هامّة جداً كتبها يهوشع للاجابة عن قضايا الصهيونية والصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني. مجمل فلسفة يهوشع الصهيونية تتركّز على نقطة رئيسة هامّة، هي ان الصهيونية هي الحل بالنسبة الى الشعب اليهودي. فلا امكان للقاء يهودي مع أخيه الآخر في «وطن» واحد، الاّ بالصهيونية. الصهيونية، حسب يهوشع، هي العامل الموحّد والجامع بين اليهود في «وطن قومي» يدعى اسرائيل. النموذج على ذلك هو ان ثمّة مرضاً لدى اليهود عامّة، هو حب اليهودي للمنفى. فاليهود من أكثر أمم الارض حباً للمنفى. لذا، رأى يهوشع ان الدواء الوحيد لابعاد اليهودي عن المنفى يتمّ بالصهيونية. فالصهيونية دائمة التجدّد بايجادها الدواء الشافي لحل مرض، أو عقدة، المنفى. من هنا ينطلق يهوشع الى معالجة أزمة المنفى. والأبعد من ذلك، هو قدرة الصهيونية ـ حسب يهوشع ـ على التطوّر والبقاء، وانها العاملَ الرئيس لبقاء اليهودي في «وطنه القومي» وتوحيده.

ان مطاردات وملاحقات يهود روسيا فتحت عيون اليهود على الكثير من الأمور الهامّة، وأهمها قضية العيش بكرامة. الاّ ان الأمر الحاسم في تعجيل ولادة «الوطن القومي» لليهود كانت النازية. بالنازية تحقّقت أكبر أماني ثيودور هرتسل. لقد كتب يهوشع، معلّلاً الامر، بأن اليهود لو كانوا يملكون دولة لهم قبل قيام النازية، فان ذلك كان سيغيّر الكثير.

التبرير الوحيد الذي حمله يهوشع لاحتلال بلاد شعب آخر هو التالي:

- بالنسبة الى يهوشع، لا يحمل الحق التاريخي أية قوة اخلاقية موضوعية، وينقصه التبرير التاريخي في ما يتعلّق بعودة الشعب الى «بلاده» القديمة.
- لكنه يوافق على ان هنالك «حقاً» تاريخياً للشعب اليهودي بأن يحتل قسماً، ولو بالقوة، من «أرض ـ اسرائيل الكبرى»، حسب المفهوم التوراتي، أو من أي بلاد أخرى نتيجة، قوة صدق يسميها «حق ضائقة العيش او الوجود»[٦].

يناقش يهوشع هذين الامرين على نحو موسّع في الفصل المسمّى «بين حقين»، والقصد هو «الحق اليهودي ـ الصهيوني» في فلسطين، وحق الفلسطينيين في بلادهم. ورفض يهوشع قضية «الحق التاريخي» لليهودي في البلاد ـ فلسطين ـ حسب التوراة. فهذا الامر يهمّ اليهودي المتدين فقط، ولا يعطي اجابة شافية، او تبريراً لغيره، سواء أكان يهودياً أم انكليزياً. فكل التبرير التوراتي بـ «حق العودة»، لتبرير الكيان الصهيوني، ليس الاّ وسيلة دفاع واهية ازاء احداث التاريخ؛ فالتاريخ لا يقوم على الاسطورة.

لذا، فان النازية، وعلى نحو سافر، هي التي أسفرت عن عمق أزمة الشتات التي يعيشها الشعب اليهودي؛ وهي التي خلقت أزمة حق ضائقة العيش، التي أعطت «حقاً اخلاقياً» للقدوم والعيش

هنا، والحصول على جزء من أرض فلسطين. «لذا، ان حق ضائقة العيش هو حق صادق. انه وضع آتٍ من وضع اللاخيار الموضوعي».

يعتبر كتاب يهوشع «لأجل الوضع الطبيعي» مفتاحاً نظرياً هامّاً للايديولوجيا التي يرعاها هذا الكاتب بدأب؛ كما انه دلّل على تعلّق الكاتب بالفكرة الصهيونية، التي ما زالت تلحّ عليه كثيراً باسئلتها المتعدّدة. ولقد وجد، في النهاية، ان المبرّر الاخلاقي الوحيد لاقامة لبّ الكيان الصهيوني في فلسطين هو حق ضائقة العيش التي مرّ بها اليهود في الشتات في أوروبا.

«ازاء الغابات»

تعتبر قصة «ازاء الغابات»[٧] الطويلة احدى أهمّ قصص يهوشع. ومع انها واحدة من أهمّ، وأقدم، قصصه، الّا انها ما زالت تحوي كنه الأزمة التي يعاني منها يهوشع وغيره: ما الذي فعلناه للفلسطينيين؟ وما الذي يفعله الاسرائيلي للآخر، الفلسطيني، ابن البلاد الذي ما زال يعيش في بلاده؟

التبرير الاخلاقي، الذي ذكرناه سابقاً والوارد في كتاب «لأجل الوضع الطبيعي»، لقي صدى آخر هنا، الى درجة ان الشعور بالذنب يطغى على أي تبرير، مهما كان كبيراً، أو عظيماً. ومهما تعدّدت التفسيرات والتحليلات لهذه القصة، فان البعد السياسي ظل واضحاً فيها، وطغت اجواء الغربة على العمل. فغربة البطل، وثقافته، تزيدان في حدّة مشكلته. وبهذه القصة الطويلة سجّل يهوشع حواراً مع الآخر (الفلسطيني) يصحّ ان نطلق عليه لقب «حوار الصمت القابل للانفجار في أية لحظة».

دارت القصة حول شاب يهودي، في الثلاثين من العمر، يعد اطروحة دكتوراه عن الحملات الصليبية. لاحظ اصدقاؤه مدى اضطرابه واغترابه، فقرروا مساعدته ليخرج من هذه الأزمة، ويعمل حارساً لاحدى الغابات.

في الغابة، عاش الشاب في الطابق الثاني من بيت يعيش في طابقه الاول عربي مقطوع اللسان (والرمز واضح جداً) مع ابنته. في البداية، انتاب الشاب خوف شديد؛ لكنه تعوّد على العربي فيما بعد، وتفاهما بالاشارات. وعلى الرغم من التفاهم بين الاثنين، الّا ان مخاوف الشاب واضطراباته وأزماته هيّأت له ان الغابة ستحترق، وهو انتظر هذه اللحظة على نحو شبقي واضح. فهذه الغابة ليست الّا حقاً لاناس آخرين، والغابة ليست الّا احدى القرى العربية التي محيت لتقام عليها هذه الغابة؛ والعربي المقطوع اللسان هو احد سكان هذه القرية، الذي لم يستطع التخلّي عن قريته، وما زال يشجّرها ويعتني بها.

ان شعور الشاب اليهودي بوطأة الاغتراب والذنب تدفعه الى لقاء العربي أكثر فأكثر ليتفهّمه. فهو تخيّل ان العربي سيلفظ اسم القرية؛ كما انه رأى اعقاب السجائر ولم يقم باطفائها، أو الحوّول دون وجودها في الغابة. فعناصر الدمار الداخلية التي انتابته شجّعته على ممارسة خموله «المسيّس» الى حدّ ما، الى ان قام العربي، ذات مرة، باشعال الغابة من جهاتها الاربع لتظهر للشاب اليهودي اطلال القرية واضحة.

في هذه القصة، فجّر يهوشع الموقف على نحو واضح: حتى لو قطعت لسان العربي وحوّلته الى أخرس، فثمّة طرق أخرى يتكلم بها ليطالب بحقه؛ لكي يسترد بلدته. فالعربي (ابن المكان) لم يستطع التخلّي عن آثار قريته؛ وهو يعيش أله بصمت منتظراً اللحظة المناسبة لينسف اشجار الغابة، وليطلّ على بقايا قريته المندثرة.

يصعب اعطاء تفسير واضح لهذه القصة. لكن يهوشع أوضح عقدة الذنب التي تكتنف المثقف اليهودي الذي لم يستطع الّا ان «يتواطأ» مع العربي لاشعال الغابة والاطلاع على بقايا القرية. فالعربي يلازمه حنين دائم للحفاظ على قريته مع عجز الشاب اليهودي عن تقبّل الواقع كما هو. فالطرفان مأزومان؛ لكن الضحية تختلف عن الجلاد اختلافاً كبيراً. واحدى نقاط ضعف، او قوة، هذه القصة هي انها لا تشير الى ضحية واحدة، وانما رأت الطرفين ضحيتين، وهذا ما لا نوافق عليه طبعاً. فالشاب اليهودي، الى حدّ بعيد جداً، هو ضحية أزمة فردية نفسيّة ألمّت به، بينما العربي هو ضحية الوضع السياسي عامة؛ لكنهما التقيا عند نقطة واحدة، هي انهما يعيشان أزمة كبيرة، وتمخّضت هذه الأزمة عن فعل مشترك مدمّر.

لقد كتب يهوشع هذه القصة في فترة الستينات. وهي تشير الى ان العربي صاحب حق لا جدال عليه؛ كما انها تشير الى عمق الازمة التي يعيشها يهوشع: كيف نتعامل مع صاحب الحق السابق؟ من الواضح ان ذلك يتمّ على حساب الشخصية اليهودية السلبية في القصة. ومهما حاول النقّاد والمتأدّبون ان يتعاملوا مع شخصية الشاب اليهودي بحياد، الّا ان بصمات يهوشع الشخصية، والنفسية، والجوهرية، انعكست عليه، وحتى انه لواضح، في أحيان، وعلى الرغم من يهوشع نفسه، ان الكاتب كان «يُسْقِط»، في احيان، على بطله ما يعاني هو منه.

بالطبع، لن ندرس هنا تأثيرات القاص في بطله. لكن الموضوع، بحد ذاته، في هذه القصة، يستلفت الانتباه: حاول يهوشع ان يبتعد من بطله المأزوم؛ لكن الاسقاط عليه واضح في كثير من الاحيان. والقصة تقرأ على عدة مستويات: المستوى السياسي العام، والمستوى النفسي، والمستوى الفكري. لذا نرى ان هذه القصة، بالذات، كانت عبارة عن كبسولة لتفجّر عالم يهوشع على نحو واضح: أين تكمن المصالحة في كل هذا الوضع؟ وما هو موقف العربي؟

ومهما اختلفنا مع يهوشع في طروحاته الفكرية، والادبية، الّا اننا نسجّل لصالحه نقطة هامّة، هي انه كان سبّاقاً الى تناول قضية العربي على نحو جاد وانساني. وأكثر ما يدلّل على ذلك هو تناقضاته الادبية الواضحة.

«في مطلع صيف ١٩٧٠»

في نوفيلا «في مطلع صيف ١٩٧٠»[٨]، اهتم يهوشع بتسجيل حالة الفرد في معمعة الحرب. والنوفيلا تشكّل رؤية للوضع الاسرائيلي من خلال شخصية أب (الجيل القديم المتعب الذي حاول فحص، ودرس، كل شيء، وحتى اعادة النظر به)، والابن الذي يمثّل الجيل الجديد، يحمل روحاً تجديدية وتغييرية.

فخلال حرب الاستنزاف أخبر مدير المدرسة، المعلّم العجوز، بأن ابنه أُردِيَ قتيلاً. فخرج الختيار من المدرسة وتوجّه الى القدس، ليتعرّف الى الجثة، وليعلم كنّته الاميركية بالخبر. وفي المستشفى، تبيّن له ان الجثة ليست جثة ابنه. وذهب الختيار الى الموضع الذي يعسكر فيه ابنه، فألفى ابنه حيّاً، وسالماً. هذه هي حبكة النوفيلا. وكما نرى، فانها لا تعدو كونها حبكة بسيطة (حتى ميلودرامية). لكن يهوشع وظّف طاقات كبيرة في المزج بين الواقعي واللاواقعي والتفاصيل العديدة، ليدين عالم الحرب الذي يخرج الافراد عن اطوارهم، ويؤدي الى كثير من القلق، والتمزّق. فالأب، كما هو واضح لنا، ختيار يقف على عتبة التفرّغ من العمل، لكنه رفض ذلك، بسبب حرب الايام الستة. ونلاحظ انه بعد ان

عرف بنبأ موت ابنه، فانه ازداد قوة، وتمنّى الانخراط في العمل أكثر فأكثر. ولولا الحرب، لوجد نفسه منزوياً في احد الاماكن هادئاً ومستقراً (حالة الحرب التي تستفز همم وقوى الرجال، شيوخاً وشباباً). وممّا يتضح ان موت الابن (في الحرب) منح هذا الختيار حياة جديدة أخرى. وما تعامل الختيار مع طلابه الاّ تعامل الأب في وداع ابنائه: انهم سيذهبون الى الحرب، وسيموتون هناك.

ان تناقضات الاب الواضحة، وانفصاله عن واقع الحياة، وكل الأهمية التي اضفاها موت الابن على حياة ابيه، تقودنا الى أمرين هامّين: الاول، ان الأب بدا، مع كل مأساته، شخصية كاريكاتورية؛ والثاني هو ما هي أهمية حرب الاستنزاف؛ ولِمَ كل هذه الحروب؟

ان اهتمام يهوشع بتفاصيل استرجاعية (فلاش باك) في حياة الختيار تقودنا الى صلب التناقضات التي يحياها المجتمع الاسرائيلي: هل على الختيار ان يعيش مأساة الحرب الدائمة؟ وهل عليه ان يعلّم التوراة في مثل جيله المتأخّر، ليقدّم ابنه ضحية؟ وما هو الوضع المثالي لختيار مثله؟

هذه الاسئلة قد تكون شخصية الاب أجابت عنها، احياناً، بمأساوية، ومرّات بسخرية، وأخرى بجدية مبالغ بها. لكن أهمّ ما في الامر هو ان الأب استمد قوة الحياة من موت الابن المزعوم.

ان الصراع بين الاجيال واضح جداً، الى درجة ان الناقد غرشون شاكيد كتب معلّقاً على الامر: «العلاقات بين المعلّم والتلاميذ توصف كعلاقات حرب»[٩]. فالأب، المعلّم، يدرّس تلاميذه التوراة؛ بالتوراة يمثّل الجيل القديم، والتلاميذ الصغار يَصْبون الى عيش الحياة والفرح، لكن الامتحان عند الاب الختيار يظهر كحرب. وساق شاكيد أمثلة كثيرة على سلوك الاب الحربي مع طلابه. فالأب مثّل، اضافة الى الجيل القديم، الانقطاع عن الحياة. فالحياة، بالنسبة اليه، بدايتها تتشكّل من مصدرها القديم، الذي هو التوراة. لكن الطلاب يحلمون بحياة أخرى.

ان منابع الحياة الجديدة التي تفتّحت أمام عيون التلاميذ تختلف عن حياة وتعاليم الختيار، الأب ـ المعلّم. لذا، تمّ التعارض بين الاجيال، وشعر الاب بنوع من الهزيمة ازاء الوضع الجديد المتشكّل قبالته، في طلابه.

ان الحرب العبثية التي جدّد شبابه بها الجيل القديم (الاب ـ المعلم) ظهرت عارية في القصة. والابن لم يحظ بأوصاف فردية في العمل المذكور، بل وكل ما نعرفه هو انه ابن الختيار. لذا، ندرك ان الابن هو الممثّل للجيل الجديد الذي يقدّم قرباناً على مذبح الآباء. نتيجة لذلك، نرى أمامنا وضعين (حالتين) مختلفين تمام الاختلاف: وضع الاب القديم، ووضع الابن الجديد الذي حمل فكراً وحياة مغايرة لحياة الاب. وفي القصة تداخل الوضعان أشدّ التداخل، وبدا يهوشع غير معنيّ بتقديم حياة نموذجية، بقدر ما عنى ان يحطّم بعض التقاليد الحربية القاتلة. ان الصراع القائم بين الاب والابن هو صراع لامجدٍ، صراع خطه الآباء لكي يدفع الابناء الثمن. لذلك، نشعر بأن عالم الأب، المعلّم، قد اهتز، وسبب هذا الاهتزاز هو حضور الابن من الخارج مع مفاهيم جديدة ناقضت مفاهيم الاب المسنّ. كل هذا التناقض انعكس على حياة الختيار، الذي طمح الى ان يحمّل ابنه مفاهيمه، ليحققها له. لكن الواقع أشعره بأنه اقترب من خيبة كبيرة. فالأب نوى تحقيق التاريخ على حساب الابن؛ لكن الابن نوى ان يعيش الحياة. والاب استمد قوة حياته من موت ابنه، والابن استمد قوة حياته من حياته وحتى من لاانتمائه في أحيان. كل هذه التناقضات أظهرت أزمة المجتمع الاسرائيلي الذي يعيش حالة حرب دائمة: لا سلام في الخارج؛ ولا سلام مع الابناء؛ والآباء ما زالوا يهنأون بعيش التاريخ وتحقيقه بواسطة التوراة والعظات والتضحية بالابناء.

لقد قدّم يهوشع، في هذه النوفيلا، عالم الصراع واضحاً، وحادّاً في احيان. وبدا مبلبلاً وشكوكياً في كل ما يتعلق بالحروب المستمرة والتي يغذيها جيل الآباء. هذه الامور عكست أزمة الصهيونية التي يعيشها يهوشع: ما أهمية هذه الحرب؟ أهمية هذه الحرب هي ان الصهيونية ترتكز على الحروب والاستعلاء. لذا بدا كل عالم النوفيلا مبلبلاً، على الرغم من الافكار الجديدة «الثورية» التي حملها الابن. ان المجتمع الاسرائيلي، الذي ركّزت السياسة الصهيونية على تنشئة اجياله، انعكس في هذا العمل: آباء انتظروا موت ابنائهم، وابناء حلموا بالحياة. والصراع بين الجيلين احتدّ وكبُر. لقد عكست النوفيلا، ضمن ما عكسته، حقيقة أزمة المجتمع الاسرائيلي: الحرب دائمة الحضور بين الناس. والاب عاود طرح الاسئلة على نفسه: «اعتقد بأنه يتوجّب عليّ فحص لحظة اعلامي بموته مرة أخرى»(١٠).

اسئلة كثيرة تتعلّق باعادة النظر في الكثير من الامور: هل من جدوى لكل هذه الحروب؟ الخيار بصورته التراجيدية ـ الكاريكاتورية أكد اهميتها، والابن حاول التهرّب منها. لكن السياسة الصهيونية، بارتباطاتها بالامبريالية العالمية، لا تترك خيارات عديدة: الحرب ضرورية.

لقد قدّم يهوشع في «في مطلع صيف ١٩٧٠»، صورة واضحة لأزمة «الحرب الضرورية»، ومدى التمزّق الذي يعيشه الافراد الشباب في المجتمع الاسرائيلي، ووضع اسئلة حول أهمية تعاليم جيل الآباء التي تودي بحياة الابناء، وتجعل حياتهم مثاراً للألم والحيرة والتمزّق، بدلاً من ان يكون العكس هو السائد. لقد اكتشف المسرحي حانوخ ليفين حقيقة السياسة الصهيونية من بداياتها الاولى: الحرب المقبلة هي الطرف الثالث بين الشاب وصديقته.

«العاشق»

احدى الروايات الهامّة التي أُصدرت باللغة العبرية هي رواية «العاشق»، التي كانت بمثابة التحوّل في عالم يهوشع: العربي هو احدى الشخصيات المركزية في الرواية.

ان ما كتب عن شخصية العربي في الرواية بأنها شخصية نمطية هو قول صائب الى حدّ ما. لكن يهوشع عاد الى الموضوعة الاساسية بهذا العمل: العربي جدير بالمصالحة؛ وأكثر من ذلك، افصح العربي، في الرواية، عن رؤية يهوشع الى العربي. ولو أجرينا بحثاً في تطوّرات شخصية العربي في الادب العبري الحديث، لوجدنا ان يهوشع هو رائد في تناول هذا الموضوع. فعاموس عوز، احد العلامات البارزة في الأدب العبري، لم يتناول العربي كشخصية متكاملة، وانما تناوله ككابوس في روايته «عزيزي ميخائيل» الشهيرة.

ان الأزمة التي الحّت على يهوشع، حتى في أشد أعماله بعداً من الازمة السياسية الواضحة، هي المتعلقة بدور العربي في الحياة عامة في البلاد. وقد بدا احياناً مفتعلاً ادخاله لشخصية العربي وقضيته؛ لكن الامر الهامّ الذي لفت الانتباه، في أدب يهوشع، هو اهتمامه بالعربي كشخصية متكاملة (فردانية) في أدبه، بعيداً من نمطيتها، أو نقصها في احيان. ان قصور الادب العبري في تحييده العربي وابعاده من مركز الاحداث لهو أمر بارز جداً. وما رواية «العاشق» الّا العمل الجادّ لتقديم العربي بصورة جيدة.

في رواية «العاشق»، نلتقي بست شخصيات قدّمت عوالمها وذواتها بنفسها. الشخصيات الست على التوالي هي: آدم، وآسيا، ودافي، ونعيم، ودوتشا، وغبريئيل. وامتد زمن الرواية بشهرين قبل حرب «يوم الغفران» (١٩٧٣)، وبشهرين بعدها؛ والعمل، ككل، حاول ان يظهر ما يحدث لعائلة، قبل،

وبعد، هذه الحرب. وبعض أشخاص الرواية هم اشخاص عاشوا حالة الـ ١٩٤٨، واستطاعوا ان ينجحوا على المستوى الاقتصادي، لكن الجو العام كهرب كل النجاحات: فالحرب طرقت الابواب، ولم تترك مجالاً للراحة أو الهدوء النفسي. لنلاحظ ثانية ان موضوع الحرب ـ والسياسة الصهيونية ـ هي الموضوع الطاغي، وكاد يكون سمة اساسية من سمات الأدب العبري الحديث التقدمي: لم كل هذه الحروب؟

قدّمت الرواية صورة نموذجية لعائلة، وذلك عبر مونولوجات ذات طابع فوكنري واضح. لقد تعرّف الزوجان آدم وآسيا كلّ الى الآخر في المدرسة، الى ان تزوّجا ورزقا بولدين. ترك موت ولدهما البكر، الذي دهس، فيهما اثراً اليماً. وخفّ اللقاء الجنسي فيما بينهما، وابتعدا من بعضهما. ودخل بينهما شخص ضعيف من مواليد البلاد كان نزح وعاد لكي يرث جدته المحتضرة. وعندما ذهب ليصلّح سيارة الجدّة (موريس موديل ١٩٤٧) اقترب من أسرة صاحب الكراج المذكور اعلاه وأصبح عاشقاً لزوجتـه. مع انفجار حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ اختفى العاشق (بداية الرواية)، وأخذ صاحب الكراج يفتش عن عشيق زوجته. في اثناء تفتيشه، طلب مساعدة العربي (نعيم) الذي يعمل معه في الكراج. وحظي نعيم برعاية صاحب الكراج الذي يقوم بارساله الى بيته والاعتناء به. التواجد في بيت صاحب الكراج انتهى بتعارف بين نعيم العربي وبين ابنة آدم. وقطن نعيم، مؤقتاً، في بيت الجدة التي استعادت وعيها، وتحوّل الى ساكن ثابت في بيت الجدة، خاصة بعد ان قبض عليهما (هو وآدم) يتسللان الى بيت الجدة ليجمعا معلومات حول حفيدها الغائب. وفي النهاية، تمّ الاهتداء الى مكان العاشق، حيث تبيّن انه موجود في احد الاحياء الدينية في القدس، بعد ان فرّ من الجيش. أمّا الفتى نعيم، فانه ضاجع دافي ليعود، بعدئذٍ، الى قريته. وبقيت العائلة الاسرائيلية على حالها: خائبة ومتروكة وكل احلام «البعث» التي أشرقت من الغرب قد تبخّرت. هذه العائلة، التي ذهبت احلامها هباء، هي الصورة التي قدّمها الينا يهوشع في طقسين متداخلين: من هو العاشق؟ هل هو القادم غبريئيل عاشق زوجة آدم؟ أم انه نعيم عاشق ابنة آدم؟ ان العاشقين قدّما الينا عالماً غريباً: عاشقان تقدّما الى الزوجة والابنة، والزوج (الاب) لم يجد غضاضة في ذلك، بل بحث عن عشيق الزوجة، بعد ان اختفى.

ان التناقض الذي عاشته الشخصيات واضح: فالقادم (ابن البلاد سابقاً) هرب من العسكرية، كما ان الجدة وجدت امكانية للحوار مع العربي نعيم، على الرغم من انها من الجيل القديم. ومع كل محاولات نعيم حفظه الاشعار العبرية الصهيونية وتنازلاته للمجتمع اليهودي، الّا انه لم ينجح في الذوبان داخل المجتمع الاسرائيلي. كل ذلك قدّم صورة مصغّرة لمجتمع يحاول ان يجد صيغة مشتركة ولو عبر حوار متقطع، وغير مكتمل في أحيان.

ان الرمزين الكبيرين هما الكراج وسيارة الموريس موديل ١٩٤٧. لقد توسّع الكراج وكبر بعد حرب الأيام الستة. وكل الشغيلة فيه كانوا من العرب. امّا سيارة الموريس، فقد صلّحت في الكراج وأُعيدت للقـادم، الذي خرج بها الى الحرب، وبها هرب. ان الموديل ١٩٤٧ رمز هامّ جداً. فما الذي حدث للموديل ١٩٤٧؟ هل انتقل هذا الموديل الى أيدي نازحين وهاربين من الجندية؟ وما الفائدة التي جناها غبريئيل حين قاد هذه السيارة، ذات الرمز التاريخي، ولم يقم بواجبه، وولّى هارباً؟ وما الذي حدث لصاحب الكراج؟ لقد اغتنى، ومع ذلك انهارت عائلته، ولم يتبق له الّا ثروته. وما هو دور العربي نعيم في مساعدته في ترميم الوضع المتداعي، يوماً فيوماً؟

لقـد حاولت الجـدة ان تورث حفيـدهـا سيـارة موريس موديـل ١٩٤٧. لكن الحفيـد فضّل

الحيـاة خارج الدولة الصهيونية؛ كما انه لم يفضّل المحاربة والمشاركة في الحروب، وآثر على ذلك التـديّن في أقصى الحـالات. اننا نقف مستغربين ازاء تصرّفات صاحب الكراج. فبعد حصوله على الثـروة، تفجّـرت العـلاقات فيما بينه وبين زوجته، وأخذ يحاول جاهداً مساعدتها على الحياة مع عشيقها؛ كما ان نعيماً العربي غزا قلب ابنته، محاولاً يهوشع ان يظهر، بذلك، هدم وفشل الصهيونية في القدرة على الاستمرار؛ فالعائلة الصهيونية أخذت بالتصدّع والانهيار. قد ينطوي هذا التفسير على مبالغة، لكن الأمر يأخذ بعده الواضح حين تواصلت كل الخيوط، لتؤكد ان الصهيونية آخذة بالتفكك والتصدّع، في ضوء الحياة في البلاد.

ان الوضع الذي عرضه يهوشع، في الرواية، واضح أشد الوضوح: لقد اغتنى المجتمع الاسرائيلي مادياً؛ لكنه قابل للانفجار روحياً (صهيونياً) ليخسر كل شيء، او ليتزعزع. ان العائلة المصورة في الرواية أكدت اسئلة يهوشع عن الصهيونية: أما زالت قادرة على تحمّل تناقضات المجتمع الاسرائيلي؟ وهـل يستحق النازح ـ القادم، مجدداً، الحصول على سيارة الموريس ١٩٤٧، ليعيش على هامش المجتمع الاسرائيلي كمتجوّل؟ وما هو الحق الذي يحمله نعيم، الذي يطل على حياة الاسرائيلي من خلال معـايشته للعائلة اليهودية؟ وهل أفلس آدم نهائياً على المستوى الروحي، الى درجة ان يفتش عن العاشقين ليحفزاه على استنفار قواه؟ هذه الاسئلة كلها تدفع بنا الى الاعتقاد بأن يهوشع، وهو احد الحريصين على تطوير النزعة الصهيونية والحفاظ عليها، أشار الى أزمة الصهيونية ازاء الوضع القائم. فالصهيـونيـة التي استـطاعت ان توحّـد اليهـود، وتحضرهم الى البلاد، قد بدأت تفلس وتذوي، وشخصيات الرواية تحكي ذلك على نحو واضح: انهيار العائلة (اليغوريا للعائلة الكبيرة: الشعب) واستمرار الحروب.

ان الصهيونية، التي تحمل في لبّها فكرة التوسّع ورفض الغريب والاستعلاء، هي التي أضفت طابـع البلبلة على مواقف يهـوشـع: صهيوني يبحث عن حل في وضع غير قابل للاستقرار، بسبب السياسة الصهيونية. هذا التناقض هو واقع الحياة هنا.

نستطيع التأكيد ان التزام يهوشع بالفكرة الصهيونية وبعملية المصالحة التي اجراها مع الواقع (والعربي خاصة) أدّيا الى تقديم عمل أدبي، ذي نبرة ايديولوجية واضحة ومدروسة. ولقد تمثّل ذلك بأن حملت الشخصيات صوت الكاتب مرّات كثيرة، وذلك لأن ايديولوجيته كانت تملي على الشخصيات أقوالاً معيّنة، لتبرهن على الأزمة التي يعيشها المجتمع الاسرائيلي، ويتخبّط فيها. قد تكون هذه نقطة ضعف، أو قوة؛ لكن ذلك لا ينفي أدبية العمل وتشويقه، بل يعود ليؤكد للكاتب، ثانية، مدى افلاس الايـديولوجيا الصهيونية ازاء الاوضاع العامة هنا. وقد لا نجد ضرورة للتأكيد ان روايتي «طلاق متأخر» و«مولخو» تعودان الى موضوعة يهوشع القديمة الجديدة: افلاس الايديولوجيا الصهيونية.

ان اهتمامات كتابات يهوشع ستكون، الى حدّ ما، مرتبطة بتسجيلها لفشل الصهيونية في ايجاد حلول، مع كل تعلق صاحبها بها كأيديولوجيا في مقالاته. لكن العبرة الهامّة في الموضوع تتركّز على ان يهوشع الصهيوني، في الممارسة الحياتية، من خلال أدبه، وصل الى تعارض مع النظرية، وهذه نقطة هامّة تسجّل لصالح مبدأ التعارض القائم في أدب يهوشع. والاسرة في «العاشق» هي التجسيد لتصدّع الفكرة الصهيونية. وبحق كتب الناقد يوسف اورن: «'العاشق' ليست قصة شخصيات حقيقية تدور في سنة ١٩٧٣ ـ سنة حرب 'يوم الغفران' ـ وانما قصة الصهيونية من سنة ١٨٨١ وما بعد ذلك. كان على الصهيـونيـة، حسب مفكـريهـا ومـؤسسيهـا الأولين، ان تمنـح وجـوداً طبيعيـاً للشعب

اليهودي بارجاعه الى وطنه. لكن الحلم تشوّش في اثناء التنفيذ، لأنهم لم يتحققوا ممّا اذا كان اليهود، حقاً، بحاجة الى هذا الانقلاب، اذا لم يكن حلاًّ لوجودهم. لذا، تبدو الدولة، حسب وصف يهوشع، مصابة بمرض نفسي صعب»(١١).

ان غبريئيل النازح، والقادم مجدداً، ادرك تماماً أزمته وعدم قدرته على المحاربة. وهذه شهادة دامغة على فشل الصهيونية. امّا دافي، فهي أكدت فشل الصهيونية التامّ، وتحقق ذلك بعلاقة الغرام التي قامت بينها وبين نعيم العربي. امّا آدم، فحاول، من جهته، التنازل عن تحقيق الحلم الصهيوني، وذلك بايجاده عشيقين ويتقبّل نعيم العربي. وبهذا نلاحظ ان آدم هو شخصية مركزية في عملية تدهور الصهيونية. فقواه استنزفت وعاجل الى ايجاد المساعدين والبدائل (عشّاق ومدمِّرين). باختصار، رواية «العاشق» هي رواية مشروع يؤكد نهاية الصهيونية، بوعي، او بلا وعي، الكاتب. هذا العمل، الذي قرأناه سياسياً، بدا، في أحيان، متعباً، وذلك لأن المستوى الفكري ـ الايديولوجي للكاتب حدّد حركة الرواية؛ لكن، على الرغم من ذلك، احتفظت الرواية بدرجة عالية من التشويق.

ان شخصية نعيم المرسومة في الرواية هي شخصية نمطية. والأكثر من ذلك هو انها (على صغرها) شخصية انتهازية حاولت، قدر الامان، الظهور بمظهر المتصالحة مع كل الواقع الاسرائيلي ـ الصهيوني، وذلك بحفظها الاشعار لكل من بياليك، وغيره من الشعراء الصهيونيين الصميمين، ناهيك عن تصرّفاتها واستماتتها من اجل العيش في ظل اسرة آدم.

المآخذ على شخصية نعيم كثيرة. وهي قدّمت صورة للعربي الذي أبدى استعداداً كبيراً للتنازل عن أصالته وعروبته في سبيل ان يُقْبَل في المجتمع اليهودي. هذه الصورة هي صورة نمطية، وهي لا تمثّل سوى قطاع ضيّق من المتصهينين، او المنبهرين بقشور الحياة. على أي حال، مناقشة شخصية نعيم قد تأخذ مجالاً آخر، لكن اللمسات الحانية التي أضفاها يهوشع على الشخصية كشفت عن مدى العلاقة الحميمة التي أقامها الكاتب مع شخصية العربي: شخصية نمطية ذات لمسات انسانية وحس وشعور لا يستطاع تجاهلها. لذلك، نرى ان عملية المصالحة التي تمّت، في الرواية، بين العربي واليهودي هي ذات اساس واهٍ. فنعيم، في أقصى الحالات، لا يمثّل الاّ شريحة ضيّقة جداً من العرب في البلاد، والطابع الايديولوجي الذي فرضه الكاتب على الشخصيات لم يترك فرصة للواقع ان يتكامل كما هو؛ بل «تشوّه» وبدا ناقصاً في أحيان. على هذا، نرى ان رواية «العاشق»، مع كل التفاصيل اليومية البارزة في مونولوجات الشخصيات، قدّمت فكرة ذهنية أكثر ممّا قدّمت حيوات وشخصيات ذات ابعاد ضاربة في عمق الواقع. لذا، بدت عملية المصالحة التي تمّت بين آدم ونعيم عملية ناقصة، تنقصها الحقيقة اليومية. فالرواية قدّمت حلم اللقاء بين العربي واليهودي؛ لكن الحلم افتقد الارضية، في ضوء سياسة التمييز والقهر، الذي يمارس على العربي. وأقصى ما فعله يهوشع، مع كل المآخذ، هو انه حاول ان يجري مصالحة بين الطرفين.

لقد كان افلاس الصهيونية هو الظل المخيّم على رواية «العاشق»؛ وهذا ما حصل، ايضاً، في روايتي يهوشع الاخيرتين. ومع ذلك، عاد يهوشع، في رواية «مولخو»، الى «عاشقه» حين كرّر عملية المصالحة مع العربي في الرواية(١٢). ففي «مولخو» قدّم الكاتب الينا مقاطع جميلة عن احدى الشخصيات العربية التي انسجمت واطار الرواية عامة. فالهاجس الاساسي ـ اللقاء مع العربي ـ لم يترك يهوشع. وهو بهذا مصاب، وتكاد الايديولوجيا تصبغ العمل عامة، الى درجة بدا العمل كأنه مخطط له، ممّا افقده الكثير من حرارته، ورعشته. فمولخو غيّب زوجته (ظاهرياً ماتت) لكي يبحث

عن شرقيته، التي التقت، في النهاية، مع الممرضة العربية. هنا تحقّقت شرقيته واتضحت. فبدون اللقاء مع العربي لم يتمّ له تحقيق شرقيته؛ وهذه احدى النقاط المثارة في رواية «مولخو»، عمل يهوشع الاخير، التي أُصدرت سنة ١٩٨٧. فالعربي هو ابن المكان الذي حافظ على سر، ونكهة، المكان، اللذين جلوّا الحقيقة لمولخو المتوزِّع بين زوجته الغربية وحقيقة كونه ابن البلاد الطامح الى البحث عن ذاته، والالتقاء مع العربي في النهاية.

الاثر الايديولوجي العام الذي تركه يهوشع علينا، من خلال رواياته، هو فشل الصهيونية في الاستمرار كأيديولوجيا عملية (على الرغم من تمسّكه بها في تنظيراته ولقاءاته)، والحاح السؤال العربي عليه، وامكانية اللقاء، واجراء مصالحة ضيّقة جداً مع العربي. لقد امتدت الايديولوجيا، هذه، كالظل على معظم أعمال يهوشع. وهو، بهذا، سجّل عالماً روحياً غنياً لصراعاته، كصهيوني ومُصالِحٌ في آن.

عن علاقة الادب بالايديولوجيا والواقع

قد يمتد النقاش حول مدى ايديولوجية (بمعنى ذهنية) كتابات يهوشع، وعملية اسقاط ذلك على الشخصيات لتفوه بما في قلب الكاتب في احيان، ومدى ارتباط الايديولوجيا بتشكيل الرواية وتحديدها؛ لكن الحقيقة هي ان كتابات يهوشع عكست أزمة عامة: أزمة الكاتب المتجذّر في صهيونيته، والذي لا يستطيع ان يحققها في كتاباته؛ وأزمة المجتمع الاسرائيلي الذي ينقض صهيونيته، مع دأبه على تحقيقها. هذان الامران يؤكدان أهمية أدب يهوشع، الذي اصبح بمثابة شهادة دامغة على أزمة الصهيونية، كأيديولوجيا تكاد تلفظ أنفاسها.

من هنا، نرى ان يهوشع لم يقدّم صورة ذاتية (مع ان ذلك وارد جداً) للأزمة التي يحياها ككاتب دولة رسمي، وانما قدّم صورة للتناقضات التي تبذرها الصهيونية في حياة المجتمع الاسرائيلي، الى درجة ان الحرب تحوّلت الى كابوس وهمّ في حياة المجتمع الاسرائيلي، الذي حلم بالجنة على الارض. وبلغت الخيبة من الكيان الصهيوني ذراها بهرب العاشق وببحثه عن حياة هامشية هادئة. كما ان تحقيق آدم لنفسه، اقتصادياً، أدّى به الى عجز روحي، وحتى جنسي، وبدا ان التفكك هو سيّد موقف العائلة.

ان فلسفة المصالحة التي بُنيت، في كتابات يهوشع، بين العربي واليهودي على نحو ايديولوجي، بدت كأنها وليدة عملية قسرية، لأن الحياة يجب «ان تتشبّه بالفن»، على حدّ تعبير اوسكار وايلد. من هذا المنطلق، قام يهوشع بعقد المصالحة، مع انه على ثقة بأن الواقع الصهيوني، والسياسي، ينقضان هذه العملية. وحتى الآن، لم يستطع الأدب العبري ان يعقد عملية مصالحة حقيقية، لأن الأدب طموح، والواقع شيء آخر مختلف. ولا تكفي النوايا الأدبية الطيبة لخلق مثل هذه المصالحات على أرض الواقع.

ان عظمة العربي في كافة قصص وروايات يهوشع هو حب الكاتب للعربي، وقلقه من الوضع الراهن. لكن الحب وحده لا يكفي لاعادة صياغة الواقع. كما ان شخصية نعيم ليست الّا الوهم الذي خلقه الكاتب لنفسه، ليبرهن به على وجود ذلك العربي ذي النزعة الصهيونية الصميمة. وهذا، حتماً، ما أدّى الى تخلخل هذه الشخصية، التي بدت متكاملة في أحيان.

ان موضوع الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي هو موضوع على غاية من الأهمية في أدب

يهوشع. فكتاباته، كافة، لا تخلو، ولو بالاستعارة، من هذه الازمة الرابضة على حياة المجتمع الاسرائيلي. وحتى أشد رواياته عمقاً وتقنية («طلاق متأخر») التي لم تأتِ على ذكر العربي بشكل معلن وصريح الاّ مرتين (وذلك تمّ على لسان شخصيات يهودية وبشكل عارض) قدّمت رؤية الى الصراع القائم بين الطرفين، وذلك بناءً على قوانين التحليل النفسي للعلاقات الشخصية في الرواية.

ان الجنون الذي حملته شخصيات «طلاق متأخر» أوحت بتلك القوة الهدّامة التي تزرع في نفوسهم، جراء الوضع القائم. ومسرحيته «ليلة في حزيران»[١٣] قدّمت، هي الاخرى، صورة للصراع؛ فالمسرح والادب يتفجّر عامة في هذه البلاد بعد نشوب الحروب. وهذه الظاهرة جديرة بدرس متأنّ؛ اذ يكاد الأدب العبري يحتفظ، دائماً، برباطة جأشه ازاء الهدوء المنضغط؛ لكن ما ان تنشب حرب جديدة حتى يستعيد الكتّاب اقلامهم ويبدأون بمحاسبة الذات والواقع، اللذين هما ليسا الاّ نتاج السياسة الصهيونية التي تفسد الحياة وتقدّم الجيل الجديد ضحايا دائمة لحرب قد لا تنتهي.

امّا موضوع الصراع في «في مطلع صيف ١٩٧٠» فبدا أقل قوة وزخماً من رواية «طلاق متأخر». فالبلبلة التي يحياها الكاتب كانت واضحة في تلك القصة. لكن صراع الجيلين، وأبعاده، واضح، أشد الوضوح، واهتمام الكاتب بنسف مسلّمات الجيل القديم (المتمثّل بتجديد شبابه بالحرب) واضح جداً. ان الصورة الماثلة امامنا هي أزمة الفكر الصهيوني ازاء الممارسة: هل يظل الشباب لحم مدافع الختيارية الذين يستمرون في حياتهم على قبور امواتهم؟ وهل تستأهل الفكرة، عامة، كل هذه التضحيات؟ ومهما حاول يهوشع ان يدافع، نظرياً، عن مواقفه الصهيونية، الاّ ان أدبه، مع كل رباطاته الايديولوجية المفروضة عليه، يقدّم نقضاً لهذا الفكر الذي يحاصر صاحبه والآخر في دائرة يصعب معها التقدّم الى اللقاء الحقيقي، بل يتشوّش كل شيء.

عند هذه النقطة يجب الوقوف والتمعّن بحقيقة الموقف اليهوشعي: أرضية روايته تدلّل على افلاس الصهيونية وحتى نهايتها؛ لكن تصريحاته تحاول التأكيد انه صهيوني حتى العظام. هذا التناقض يدفع المرء الى التفكير والسؤال عن مدى أهمية الفكرة الايديولوجية التي تجد نقيضها في الأدب، وهذه نقطة تسجّل لصالح الكاتب في النهاية، مع كل تقييداته للنص في أحيان. ان السؤال الصهيوني في أدب يهوشع حمل بذور تناقضاته على نحو واضح ولا يدعو الى الشك. والسؤال الأخطر من كل ذلك هو مدى قدرة الكاتب على تحمّل، وتحميل، أدبه ايديولوجيته، التي قد تنقلب مرات الى عملية خطرة، والتي قد تحوّل الادب الى خطة مرسومة سلفاً، أو يفتقد العمل الكثير من عفويته وحرارته وكل ما يتعلق بذلك من اشكالات عديدة. فيهوشع هو أحد الكتّاب البارزين الذين يسعون الى التوفيق بين الايديولوجيا الصهيونية (المتفككة على أرضية الواقع) والواقع، والتناقض الناتج عن ذلك، وهذا، بحد ذاته، شكّل النواة الرئيسة في أعماله كافة، بدءاً من قصصه الاولى حتى آخر أعماله الروائية.

ان الأدب العبري، عامة، يعيش أزمة اشكالية الصهيونية المطروحة، والمفروضة عليه في أحيان. وهو بهذا يتحوّل الى شهادة على فترة تعيش الصهيونية فيها كل تناقضاتها التي ستقود بها الى نهايتها. ويكاد لا يخلو الأدب العبري عامة من هذه الأزمة، على الرغم من ان هنالك كتّاباً قلائل جداً استطاعوا ان يتخلّصوا من اطار السقف، وضربه، ونقضه في أحيان. وأحدى العلامات البارزة على ذلك هي مسرح حانوخ ليفين. وعلى الرغم من التقنية العالية في كتابات بعض الكتّاب العبريين المعاصرة، الاّ ان الريبورتاج ظل هو المفتاح الاهمّ في هذا الأدب؛ اذ ان أدباً يعيش اشكالية صهيونية (تحمل بذور الاستعلاء والتمييز والتوسّع العسكري) لن يكتب له الدوام، الاّ في حالات نادرة،

وهي حالة الخروج على اطار الصهيونية والاجماع القومي الصهيوني الآخذ بالتصدّع أكثر فأكثر. وما محاولة الأدب العبري نقض الصهيونية، عفوياً، الاّ المظهر العام لهذه الأزمة. فالاديب الذي يحاول تصوير الواقع، ويجتهد في الحفاظ على كل ذلك ضمن صهيونيته، يصل الى التناقض الاساسي: لا يستطيع الكاتب العبري (الصادق) ان يستمر في الايمان بصهيونيته، وذلك لأن الواقع الذي يصفه هو واقع شرقي، محاط بالعرب من كل الجهات؟ وببساطة لا تستطيع ان تعيش في غيتو وتمارس ايديولوجيا تدعو الى الحرب والاستعلاء، كالصهيونية.

هذا التناقض الهامّ سيكون الدور البارز مستقبلاً في رؤية أدب نتاج هذه الفترة، التي أفرزت بعض الاستثناءات الانسانية القليلة. لذلك نرى كثيراً من التناقضات، وقليلاً من النجاحات، في اطار التخلّص من الايديولوجيا الصهيونية التي تعيش أزمة احتضارها، سواء أقبل الكتّاب بذلك أم لم يقبلوا. فسياسة الغيتو آنية، خاصة في وسط شرقي عربي. والصهيونية تدعو الى غيتو مرتّب في أقصى الحالات. واختصاراً لكل الأمر، نقول ان ايديولوجيا، كالصهيونية، تنتج، في أحسن الاحوال، أدباً مأزوماً، أو أدباً خارجاً على الاجماع والصهيونية في الحالات النادرة جداً. ويبدو ان نمط النتاج الادبي العبري مرتبط كثيراً بالصهيونية، التي تسم الأعمال بافرازاتها المختلفة. من هنا تظهر أهمية التناقضات اليهوشعية في اطار الأدب العبري، لتؤكد الخلل الكامن في هذه الايديولوجيا، وفي ممارستها على أرض الواقع. وقد أوصل غروسمان هذا التناقض الى اقصاه في ريبورتاجه الممتاز «الزمن الاصفر»[١٤]. لذا، ظهر واضحاً ان الريبورتاج، في حالة هذه الدولة حديثة العهد، أقوى من الادب وأصدق. فالأدب ما زال يناور الواقع والفكرة الصهيونية؛ وهذا يشكّل عائقاً بالنسبة الى تطوّره، وذلك بوضعه الحواجز أمام الانفتاح والتعرّف على الآخر.

لقد أحسن الناقد شاكيد حين كتب: «حسب رؤية الادب [العبري] العربي هو الغريب، ابن البلاد، الذي تعيش الاقلية اليهودية معه في مواجهة دائمة»[١٥]. هذا التعريف صحيح، ذلك لأن الصهيونية تفرز سياسة الحرب الدائمة والاحتلال. وقد يبدو النقاش الادبي الخالص، في حالة الادب العبري، في غالب الاحيان، من باب الترف. فالادب العبري يعاني من أزمة الحصار التي يعيشها الفرد، جراء الحرب والاحتلال واستفزاز الآخر؛ والانغلاق على الذات الجماعية هو سمة اساسية من سمات هذا الأدب المأزوم، المصنوع تحت سماء الايديولوجيا الصهيونية.

خلاصة

لقد قدّم يهوشع الينا، عبر قصصه ورواياته، صورة من صور الأزمة الصهيونية، وهي التناقض الذي يحمله الواقع للنظرية. وأكثر من ذلك، استطاع ان يقدّم الينا، في رواية «العاشق»، مع كل النمطية، صورة فردانية للعربي نعيم، سواء أوافقنا عليها أم لم نوافق. فالعربي، في الأدب، قائم كفرد له اهتماماته ومشاغله وحياته الخاصة. وهذه ميزة هامّة جداً. ففي أدب ما قبل فترة جيل الشباب (يهوشع وعوز واسحق بن نير)، نجد ظلالاً للعربي، أو مجرد صورة باهتة، وذلك ليحقق الكاتب حلمه بالتعبير عمّا يجيش في نفسه بواسطة الظل، أو الصورة الباهتة. يهوشع نقض ذلك بتقديمه فرداً متكاملاً. عن هذا كتب شاكيد: «من حقّق تشكيل هذه العلاقات على نحو متطرف هو أ.ب. يهوشع في ' ازاء الغابات ' وفي ' العاشق ' . الحارس العربي في ' ازاء الغابات ' هو المطارَد الصادق، بينما يتضح ان معارضه الذي يطارد (حارس الغابة) ليس أقل مطاردة منه، بواسطة مخاوفه وهذيانه، من المطارَد جسدياً، الذي تغلّب على مطارِده بفعل الاحتراق. في الواقع، أكد في هذه المواجهة، حسب

صورة العالم في نتاجه، ان ليس ثمّة مطارد ومطارَد في هذا الوجود. الكل يطارَد حسب طريقته. هذا بكى وذاك بكى. والاتحاد بين ' حارس ' الغابات، هي وحدة مطارَدين. في ' العاشق ' لا توجد علاقة مطارد ومطارَد بسيطة. نعيم المطارَد حسبما يبدو، هو بالذات الذي احتل ابنة المطارد (آدم)؛ لكن آدم ذاته ليس مطارداً وانما مطارَد من قبل مخاوفه وعجزه، مثلما ان ' العاشق ' غبريئيل هو مطارَد ايضاً (يهرب من البلاد، من الجيش، من هويته). اليهود الذين تحوّلوا من مطارَدين الى مطاردين يطارِدون بواسطة عقدهم؛ والمطارَد العربي أمسى يهودياً في تصرّفاته وطرق تفكيره. نعيم، الفتى العربي، هو مزدوج الثقافة طلب الاندماج والذوبان، لكنه يقاوم لأجل هويته، وهو جذّاب جنسياً، لكنه ليس واثقاً ممّا يجرى له... ان وضع أقلية بين يهود حوّل العربي الغريب الى نوع يهودي، دون ان يتحوّل اليهود الى غرباء. اولئك وهؤلاء يطارِدون، والتاريخ، فقط، الذي يطارِد».

يشير هذا الاقتباس، الذي قد لا نوافق على كل ما جاء فيه، الى مساواة يهوشع للجلاد والضحية. فحتى الجلاد يطارَد من قبل مخاوفه وعقده. وهذه الصفة، البارانويا، هي احدى الصفات التي تظهر واضحة في مجمل النتاج العبري الثقافي: الخوف من الغير، والانغلاق، والانغماس بالذات الى درجة الاختناق.

ان الأزمة التي يعيشها العربي، ابن البلاد، نتيجة لتعامل الآخر معه ليست مقصورة عليه. فالآخر يعاني من ازماته التي تزعجه وتؤرقه. وهنا يكمن لبّ الصراع الفكري الذي يعيشه يهوشع. لقد عمل يهوشع، منذ كتاباته الاولى حتى الاخيرة، على تقديم صورة للوضع؛ وكل ذلك تمّ ضمن حدود صهيونيته ومواقفه الفكرية التي غذّت أدبه بافرازاتها. ورأينا ان يهوشع دأب على اجراء مصالحة مع الواقع، ولو قسرية. فالعربي الذي كان الاكثرية هنا، في هذه البلاد، اصبح أقلية يحاول يهوشع اشراكها في الحياة، ضمن معطيات فكرته الصهيونية.

ان إلماح الأدب العبري للشخصية العربية (مع كل القولبة والتنميط) يوحي، في أحيان، بشعور بالذنب لاقتلاعه وتشريده وتحويله الى أقلية. عند يهوشع يبدو الشعور بالذنب عالياً، والمصالحة تمّت مرات على نحو مصطنع، ممّا أخسر العمل الادبي الكثير. فلقد رفض يهوشع العربي مقطوع اللسان (اذ يستطيع على الرغم من ذلك ان يومىء أو ينقل الكثير بعينيه) واراده ان يكون انساناً متكاملاً، ممّا دفع به الى ان يحرق الغابة ليرى بقايا قريته المندثرة تحت الاشجار. لا نشك في ان الشعور بالذنب طاغٍ على الكاتب عند كتابة هذه القصة. لكن الايديولوجيا الصهيونية لا تستطيع التخلّص من أزماتها، فهي وليدة أزمة، ونتاجاتها عبارة عن أزمات. واحدى أكبر الأزمات الحرب والاحتلال والاستعلاء على الآخر والعنصرية. وممّا يدعو الى التفاؤل قليلاً، هو ان بعض الكتابات الأدبية لا يخلو من الوصول الى تناقضات مع الصهيونية، على الرغم من اصرار الكتّاب على التمسّك بالصهيونية.

يصعب تحديد أهمية كتابات يهوشع في الأدب العبري الحديث. لكننا نستطيع الجزم بأنه احد الكتّاب الذين قدّموا العربي كشخصية فردانية مستقلة متكاملة. وهذه علامة هامّة في الأدب العبري. فالشخصية التي تتحوّل الى طيف باهت، أو بوق لتفريغ آراء الكاتب، لا تعدو ان تكون أكثر من شخصية مسطّحة وعابرة وغير ذات أهمية. عمل يهوشع على تطوير شخصية العربي في الرواية؛ وحتى في أعماله التي لا يتطرق بها الى العربي نحسّ بمدى اللوعة التي يكتب بها، ليتخلّص من أزمة الحرب والاحتلال التي تفصل بين العربي واليهودي. لذا، نستطيع القول ان كتابات يهوشع عكست أزمة روحية حادّة يمر بها المجتمع الاسرائيلي؛ كما حاولت ان تقدّم صورة للعربي ابن البلاد.

واحدى أهمّ سمات الأزمة المنعكسة في أدب يهوشع هي الواقع ونقضه للايديولوجيا الصهيونية. فهذا الامر على غاية من الأهمية. ويهوشع، تحديداً في رواياته الثلاث «العاشق» و«طلاق متأخر» و«مولخو»، قدّم صورة واضحة جداً لافلاس الصهيونية. هذه الصورة أرّقت الكاتب ووضعت كتاباته في منزلة هامّة، لأنها قدّمت صورة لأزمة المجتمع الاسرائيلي الذي ينادي بالصهيونية، بينما أضحت الصهيونية عبارة عن حلم هرتسلي قديم، يتناقض والواقع محض الشرقي. كل هذا يتجلّى في أدب يهوشع، الذي لم يكفّ، أبداً، عن التصريح بصهيونيته الصميمية: ايديولوجية، وأدب يفضح أزمة هذه الايديولوجية، وكاتب كبير يتأرجح بين القديم والجديد.

---

(١) ولد الكاتب أ.ب. يهوشع في مدينة القدس سنة ١٩٣٦. درس الفلسفة والأدب العبري. يعمل محاضراً في جامعة حيفا، في فرع الادب المقارن. مؤلفاته: «موت الختيار» (١٩٦٢)، و«ازاء الغابات» (١٩٦٨)، و«تسع قصص» (١٩٧٠)، و«في مطلع صيف ١٩٧٠» (١٩٧٢)، و«حتى شتاء ١٩٧٤ - مختارات» (١٩٧٤)، و«ليلة في أيار» (مسرحية)، و«طلاق متأخر» (١٩٨٢)، و«مولخو» ١٩٨٧.

(٢) أ. ب. يهوشع، **العاشق**، القدس وتل ـ أبيب: شوكن، ١٩٨١.

(٣) أ. ب. يهوشع، **طلاق متأخّر**، تل ـ أبيب: الكيبوتس الموحّد، ١٩٨٢.

(٤) بهذا الصدد، يفضل مراجعة ترجمتنا لمقال مناحيم بيري الممتاز «الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي كاستعارة في القصة والرواية الاسرائيلية»، **لقاء** (بيت برل)، العددان ١٠ / ١١، خريف / شتاء ١٩٨٨، ص ١٣ ـ ٢٣.

(٥) أ. ب. يهوشع، **مولخو**، تل ـ أبيب: الكيبوتس الموحّد، ١٩٨٧.

(٦) أ. ب. يهوشع، **لأجل الوضع الطبيعي**، القدس وتل ـ أبيب: شوكن، ١٩٨٤، ص ٧٨.

(٧) أ. ب. يهوشع: **حتى شتاء ١٩٧٤: مختارات**، تل ـ أبيب: الكيبوتس الموحّد، ١٩٧٥. قصة «ازاء الغابات» تمتد على الصفحات ٩٢ ـ ١٢٣.

(٨) أ. ب. يهوشع: **في مطلع صيف ١٩٧٠**، القدس وتل ـ أبيب: شوكن، ١٩٨٢.

(٩) غرشون شاكيد، **موجة جديدة في الرواية والقصة العبرية**، تل ـ أبيب: سفريات بوعليم، ١٩٧٤، ص ٢٢٩.

(١٠) «في مطلع صيف ١٩٧٠»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥.

(١١) يوسف اورن، **التحرر من الوهم في الرواية العبرية**، ريشون لتسيون: ياحد، ١٩٨٣، ص ٣٦.

(١٢) انظر مقالتنا «مولخو: البحث عن الذات»، **الجديد** (حيفا)، العدد ١٢، سنة ١٩٨٧.

(١٣) أ. ب. يهوشع، **ليلة في حزيران**، القدس وتل ـ أبيب: شوكن، ١٩٧٤.

(١٤) دافيد غروسمان، **الزمن الاصفر**، تل ـ أبيب: الكيبوتس الموحّد، ١٩٨٧.

(١٥) غرشون شاكيد، **لا مكان آخر**، تل ـ أبيب: الكيبوتس الموحّد، ١٩٨٨، ص ٦٩.

حدود التباين في العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية

برز التباين في وجهات النظر بين الادارة الاميركية واسرائيل مع انفراط عقد حكومة الوحدة الوطنية في اسرائيل، بتاريخ ١٥/٣/١٩٩٠. وقد حدث هذا التباين، اصلاً، على خلفية رفض الحكومة الاسرائيلية الردّ بالايجاب على مبادرة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ذات النقاط الخمس، المنبثقة، اصلاً، من مشروع التسوية الاسرائيلي الذي اقرّته الحكومة الاسرائيلية، بتاريخ ١٤/٥/١٩٩٠، لعقد لقاء ثلاثي لوزراء خارجيات الولايات المتحدة الاميركية ومصر واسرائيل، تمهيداً لعقد لقاء القاهرة بين وفد فلسطين وآخر اسرائيلي، بغية الاتفاق على اجراء انتخابات في المناطق المحتلة. لاختيار ممثلين فلسطينيين معتمدين للتفاوض مع اسرائيل.

ولقد أخذ هذا التباين مسارات عدة، اكد كلا الطرفين، عبرها، بعض ثوابت سياسته؛ ومن ثمّ التنديد العلني بمواقف الآخر. وازدادت وتيرته وحدّته خلال فترة عمل الحكومة الاسرائيلية الانتقالية، برئاسة اسحق شامير، ثمّ بعد فشل المعراخ، بزعامة شمعون بيرس، في تشكيل حكومة جديدة، وصولاً الى نجاح الليكود، بزعامة شامير، في تشكيل حكومة جديدة، ضيّقة القاعدة البرلمانية، تستند الى الائتلاف مع الاحزاب اليمينية المتطرفة والاحزاب الدينية القومية والدينية الاصولية؛ خاصة وان هناك من اشار باصبع الاتهام الى الدور الاميركي في عملية اسقاط حكومة الوحدة الوطنية، على امل تشكيل حكومة معراخية بديلة منها، تكون اكثر مرونة في تفهّم الموقف في ظل المتغيرات التي طرأت على الساحة الدولية، التي اصبحت اكثر وضوحاً مع بداية عهد الرئيس الاميركي، جورج بوش.

ومع تسلّم شامير مهام رئاسة الحكومة الانتقالية دخلت مسيرة السلام في الشرق الاوسط ثلاجة الجمود السياسي، انتظاراً لتشكيل حكومة اسرائيلية جديدة. وخلال تلك الفترة، التي امتدت ثلاثة شهور، انتهجت الحكومة الانتقالية لعبة شدّ الحبل في تعاطيها مع الادارة الاميركية، ازاء بعض القضايا ذات العلاقة بمواقفها من ازمة الشرق الاوسط، وفي مقدّمها قضية الاستيطان في المناطق المحتلة، والردّ على اسئلة الوزير بيكر، في محاولة لخلق وقائع على الارض، واحداث تغيير في الموقف الاميركي تجاه المسيرة السلمية في المنطقة، بهدف ترسيخ الشعار الذي رفعه شامير «السلام مقابل السلام» مع الدول العربية، وتجاوز شعار «الارض مقابل السلام» الذي ترفعه م.ت.ف. وتأيّده الادارة الاميركية.

وتمشّياً مع تلك التوجهات الاسرائيلية، وبغرض تحديد المواقف السياسية، صرّح مدير عام مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية، يوسي بن ـ اهرون، بأن شامير لن يرد بالايجاب على اسئلة الوزير بيكر، وأعلن عن اقامة مستوطنتين جديدتين في المناطق المحتلة ـ كان تمّ اتفاق على اقامتهما، اضافة الى اربع مستوطنات اخرى، في الاتفاق الائتلافي لحكومة الوحدة الوطنية. غير ان الاتفاق لم يوضع في حيّز التنفيذ، لأسباب عدة، منها الموقف الاميركي المعارض للاستيطان في المناطق المحتلة ـ وتشييد بعض الاحياء السكنية في القدس الشرقية. وبالفعل، تمّ الاستيلاء على مبنى فندق ماريوحنا في الحي المسيحي، في القدس الشرقية، وأُجريت عملية تكثيف للاستيطان اليهودي بجوار قبر يوسف، في نابلس (عل همشمار، ٢٣/٣/١٩٩٠).

لقد اقدمت الحكومة الاسرائيلية الانتقالية على خلق تلك الوقائع، مع علمها المسبق بحقيقة الموقف الاميركي من الاستيطان، راغبة في استغلال الفترة الانتقالية في تحقيق انجازات عدة على صعيد العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية، متجاهلة بذلك دعوة وزير الخارجية الاميركية لها، بصورة علنية للمرة الاولى، للاعلان

بوضـوح عن انها لن تقيم مستوطنات جديدة في المناطق المحتلة، ولن توطّن المهاجرين الجدد في المستوطنات القائمة هناك (**المصدر نفسه**). كذلك تجاهلت تصريح الرئيس الاميركي، بوش، ازاء استمرار ادارته في موقفها من موضوع القدس، القائل ان وضعها النهائي يتقرر، فقط، في مفاوضات مستقبلية (**دافار**، ٦/٣/١٩٩٠).

وعلى الرغم من التصريحات، والتلميحات، الاميركية، وجد شامير ان الفرصة اصبحت مؤاتية لتأكيد ثوابت حكـومتـه، ولتعـزيـز الدور الاسرائيـلي كحارس للمصالح الاميركية في الشرق الاوسط، وتوسيع هامش القرار الاسرائيلي، على صعيد الخيارات السياسية المطروحة لحل الازمة في المنطقة، وذلك عبر رفضه الصريح لمبادرة بيكر، بل وسخريته منها، عندما قال: «على الرغم من التعاون القائم بيننا وبين الولايات المتحدة الاميركية في مجال البحث المضني عن السلام مع العالم العربي، فليس بالضرورة ان نقبل كل فكرة اميركية... والقبول بمبادرة بيكر امر يثير السخرية... لا احد يستطيع مطالبتنا بقبول اي اقتراح يتقدم به وزير، أياً كان ذلك الوزير...» (**هآرتس**، ١/٥/١٩٩٠).

ومع هذا الموقف، هاجم شامير سياسة الولايات المتحدة الاميركية تجاه عملية السلام، فاتهمها بالانحياز الى م.ت.ف. وقال ان «تدخل الاميركيين قد اضفى على مبادرتنا طابعاً لم تكن تهدف اليه اساساً، عبر مغازلة م.ت.ف. التي لم تحترم تعهداتها»، على حدّ زعمه. كما اعرب شامير عن تحفظه من الاهمية التي تعطيها واشنطن للقاء القاهرة (**هآرتس**، ١٢/٣/١٩٩٠).

وفي الاطار عينه، صرّح نائب وزير الخارجية الاسرائيلية، بنيامين نتنياهو، بأن من المشكوك فيه ان تكون هناك ظروف مؤاتية لمواصلة المسيرة السياسية؛ ولذا، ينبغي على اسرائيل اجراء محادثات توضيحية مع الولايات المتحدة الاميركية قبل اعلان موافقتها على عقد الاجتماع الثلاثي لوزراء خارجيات الولايات المتحدة الاميركية ومصر واسرائيل، وعلى عقد لقاء القاهرة. واعرب نتنياهو عن تذمّره ممّا اسماه «استجابة اميركية لضغوط عربية» وعن استيـائه من المحاولة الاميركية لربط موضوع هجرة يهود الاتحاد السوفياتي بمستقبل المناطق المحتلة (**معاريف**، ١٧/٣/١٩٩٠).

من جهـة اخرى، ذكرت مصادر صحفية اميركية ان الضغط الاميركي على اسرائيل استهدف، اساساً، انتـزاع موقف اسرائيلي «يقايض» هجرة اليهود السوفيات بعدم توطينهم في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، و«يقـايض» فك الاستنفـار في المنـطقة ببدء الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي في القاهرة (**يديعوت احرونوت**، ٢٧/٣/١٩٩٠).

ورداً على هذه الانباء، اعلن وزير الخارجية الاميركية، بيكر، عن ان الادارة الاميركية لم تطلب من اسرائيل تقديم اي ضمانات تتعلق بهجرة اليهود السوفيات اليها، «لاننا نؤيد الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي دون اي تحفظات، او شروط؛ وبالتالي، فنحن لم نطلب اي ضمانات تتعلق باستيطان اليهود السوفيات في المناطق المحتلة» (**المصـدر نفسـه**، ٩/٤/١٩٩٠). ومن جانبه، صرح الرئيس الاميركي، بوش، بأن ادارته لن ترغم اسرائيل على قبول مبدأ «مقايضة الارض بالسلام» قبل بدء جلسات الحوار في القاهرة. وحذّر الفلسطينيين من الاصرار على ذلك. واشارت مصادر رسمية اميركية الى ان توقّع الفلسطينيين قبول اسرائيل هذا المبدأ هو «غير عملي». وان هذه المسألة كانت موضع نقاش بين تيارين داخل الادارة الاميركية: الاول يدعو الى ارغام اسرائيل على قبول المبدأ قبل بدء الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي؛ والثاني يدعو الى تأجيله الى ما بعد الحوار، على امل اقناع اسرائيل به، لاحقاً (**هآرتس**، ١٨/٣/١٩٩٠).

ومن اجل التصدي لسياسة الادارة الاميركية تجاه الاستيطان في المناطق المحتلة، وبخاصة منطقة القدس الشرقية، تقدم السيناتور الاميركي، دانيال باتريك موينيهان، وعدد من اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي، في خطوة تصعيدية، بمشروع قرار يدعو الكونغرس الى الاعتراف بالقدس عاصمة لاسرائيل وضرورة بقائها موحّدة. وممّا جاء في نص مشروع القرار: «ان الاعضاء في مجلس الشيوخ والنواب يعترفون بأن القدس هي عاصمة 'دولة' اسرائيـل، ويجب ان تبقى كذلك» (**معاريف**، ٢٣/٣/١٩٩٠). ومن جهته، قرّر الكنيست الاسرائيلي، مجدداً،

ان «القدس الموحّدة والكاملة وذات السيادة هي عاصمة دولة اسرائيل؛ ونوابه لن يشتركوا في اية مفاوضات حول سلامتها وسيادة اسرائيل عليها» (**هآرتس**، ٢٩/٣/١٩٩٠). أمّا الناطق بلسان وزارة الخارجية الاميركية، ريتشارد باوتشر، فقد قال، في معرض تعليقه على قرار الكونغرس: «ان موقف الادارة الاميركية من مدينة القدس معروف، وليس ثمة تبدّل في هذه السياسة» (**المصدر نفسه**، ٢٧/٣/١٩٩٠).

مرحلة صعبة

على هذه الارضية من المدّ والجزر بين الادارة الاميركية، من جهة، وبين الحكومة الاسرائيلية واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الاميركية، من جهة اخرى، اشار احد المعلقين الاسرائيليين الى ان دخول العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية مرحلة صعبة امر يعود الى الوهم الذي تكّون لدى الاميركيين بأن الذي اسقط حكومة الوحدة الوطنية في الكنيست قادر على تشكيل حكومة جديدة اكثر مرونة؛ وان باستطاعة الادارة الاميركية السير مع الحكومة الجديدة نحو عقد لقاء القاهرة. ونقل المعلق عن وزير الخارجية الاميركية، بيكر، قوله ان «الاغلبية في الكنيست الاسرائيلي اعلنت موقفاً ايجابياً تجاه تقدم الحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني». واستناداً الى هذا التقويم، اعرب بيكر عن امله في تشكيل حكومة جديدة في اسرائيل بالسرعة الممكنة، تتخذ القرارات اللازمة للتقدم في عملية الحوار بين اسرائيل والفلسطينيين (موشي زاك، «المحفز من دالاس»، **معاريف**، ٢/٤/١٩٩٠).

وفي معرض تعليقه على موقف الرئيس الاميركي، بوش، من موضوع توطين المهاجرين في القدس الشرقية، كتب المعلق نفسه: «يوجد شك كبير في معرفة بوش بأنه ليس هو الاول في تاريخ القدس، الذي يحاول تقييد استيطان اليهود في هذه المدينة. لقد سبقوه في هذا الصليبيون الذين احتلوا المدينة قبل تسعة قرون. ومن سخرية القدر، ان الزعيم الاسطوري لدى العرب، صلاح الدين الايوبي، الذي دحر الصليبيين، قد سمح لليهود بالسكن فيها» (**المصدر نفسه**).

وفي السياق ذاته، اقتبس معلّق آخر اقوال مدير «ايباك»، توماس دايان، الذي قال: «ان اصدقاء اسرائيل المخلصين لا يجلسون في البيت الابيض». واضاف المعلق، «ان اقوال دايان هذه تعززها الرسالة التي بعث بها وزير الخارجية الاميركية، بيكر، الى احد اعضاء الكونغرس بشأن موضوع القدس، حيث اكد بيكر اهمية الكونغرس في اعقاب قرار مجلس الشيوخ الذي قرّر «ان القدس هي عاصمة اسرائيل، وسوف تبقى كذلك غير مقسّمة». وان ليس باستطاعة الادارة الاميركية التنديد ـ كما فعل الرئيس الاميركي، جورج بوش، في الثالث من آذار (مارس) الماضي ـ بالاستيطان اليهودي في الضفة [الفلسطينية] وفي القدس الشرقية» (اريئيل غيناي، «اصدقاء مع وقف التنفيذ»، **يديعوت احرونوت**، ٢/٤/١٩٩٠).

ورأى غيناي ان وليام سفاير قد اصاب كبد الحقيقة في مقالته التي نشرتها صحيفة «نيويورك تايمز»، حيث كتب فيها: «ان بوش يهتم باحتياجات اسرائيل اقل من اي رئيس آخر خلال الاربعين سنة الماضية. غير ان بوش، على ما يبدو، سوف يشغل هذا المنصب حتى العام ١٩٩٦، اذا اخذنا بالاعتبار التحليلات حول شعبيته. لهذا، تنتظرنا مناسبات كثيرة تضطرنا الى اعتماد على دعم الكونغرس لنا، لايقاف التطورات السلبية تجاه اسرائيل من جانب ادارة بوش. واستناداً الى هذا الواقع، يطرح السؤال: هل تستطيع اسرائيل الاعتماد على تأييد الكونغرس لها بعيداً من السياسة التي تنتهجها الحكومة الاسرائيلية؟». وأجاب غيناي عن السؤال: «ان من يقرأ بتمعّن نص القرار الصادر عن الكونغرس تجاه موضوع القدس، يجد، في الفقرة الثالثة والاخيرة منه ما هو المطلوب من اسرائيل لكي تضمن استمرار تأييد الكونغرس. ففي تلك الفقرة دعيت الاطراف كافة ذات العلاقة بمسار السلام الى الاستمرار في بذل الجهود للتوصل الى مفاوضات بين ممثلين اسرائيليين وفلسطينيين... ومن الواضح ان المبادرين بمشروع هذا القرار استطاعوا تمريره بأغلبية ٨٣ صوتاً من اصل مئة، فقط، بسبب وجود مثل تلك الفقرة» (**المصدر نفسه**).

ولمزيد من تأكيد صحة هذا الاستنتاج، كتب غيناي: «لا يزال محفوراً في ذاكرتي ذلك الحديث الذي

دار بيني وبين بعض اعضاء في الكونغرس، في اواخر العام ١٩٨٨، حين بدا ان شامير سوف يشكل حكومة تستند الى احزاب اليمين المتطرفة، وفي هذه الحالة، تتخذ موقفاً معارضاً لاية مفاوضات حقيقية... لقد اوضحوا لي، في حينه، انه اذا تمّ ذلك، فسوف يصعب عليهم استمرار دعمهم لمبادرات تشريعية لصالح اسرائيل، وان قدرتهم على معارضة اجراءات غير ودية من جانب الادارة الاميركية سوف تضعف» (**المصدر نفسه**).

وخلص غيناي الى انه، «وبعد ان دخلت الادارة الاميركية، بتأييد قوى من جانب الكونغرس، في مبادرة الانتخابات في المناطق [المحتلة]، فان رد الكونغرس على تشكيل حكومة اسرائيلية متطرفة سوف يكون سلبياً اكثر. لهذا، لا يمكن توقّع استمرار تأييد الكونغرس لنا في الوقت الذي نستمر في معارضة المفاوضات» (**المصدر نفسه**).

امّا رامي طال، فنظر الى التباين في وجهات النظر بين الادارة الاميركية واسرائيل من زاوية مختلفة، هي زاوية المفاهيم الاستراتيجية الجديدة في الولايات المتحدة الاميركية، كتب: «من السهل جداً، وكذلك مبرراً بنسبة معيّنة، اتهام اسحق شامير بتعكير صفو العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية. فممّا لا شك فيه ان مناورات التأجيل والمراوغة، التي اتبعها شامير، قد ولّدت شعوراً لدى بوش وبيكر بأنه يستخف بهما. وقد عبّرا عن هذا بتصريحاتهما القاسية ضد اسرائيل التي لم يسبق لها مثيل منذ سنوات عديدة ... لكن، في الوقت عينه، ليس من الصواب تحميل شامير المسؤولية، او بعضها، لوحده، ازاء الفجوات الآخذة بالظهور في شبكة علاقاتنا مع الاميركيين. ان هذه الفجوات هي نتيجة حتميّة للمفاهيم الاستراتيجية الجديدة في الولايات المتحدة الاميركية؛ واستبدال رئيس الحكومة الاسرائيلية بغيره لن يوقف تبلورها وتجسيدها، من جهة؛ ومن جهة اخرى، فان نجاح اسرائيل السياسي الكبير جداً، منذ العام ١٩٦٧، كان في المكانة المميزة التي بنتها لنفسها، حيث اعتبرتها الولايات المتحدة الاميركية ' كنزاً استراتيجياً' في المنطقة. وقد تعززت هذه المكانة في ظل الاستقطاب الدولي والحرب الباردة بين الجبارين. لكن مع انهيار هذا الاستقطاب، اختفى التهديد السوفياتي. وبالتالي، فان اسرائيل التي باعت نفسها، بنجاح كبير، للولايات المتحدة الاميركية، كـ ' موقع معاد للسوفيات' وجدت نفسها، الآن، في وضع ' عربة الخيول' التي تلاشت فائدتها بعد ان تمّت صناعة السيارات الحديثة» («لم نعد كنزاً»، **المصدر نفسه**، ١٩/٣/١٩٩٠).

وخلص طال الى انه «ينبغي ان لا يفهم من هذا ان علاقاتنا مع الولايات المتحدة الاميركية سوف تصل، عمّا قريب، الى الحضيض الذي وصلته في العام ١٩٥٦، عندما اصدر [الرئيس الاميركي الاسبق، دوايت] آيزنهاور، امراً بانسحاب اسرائيل من سيناء، حيث استجابت اسرائيل له كـ ' الولد المطيع' . فاسرائيل، اليوم، اقوى بكثير ممّا كانت عليه في تلك الايام، وشبكة علاقاتنا مع الولايات المتحدة الاميركية لن تتدهور بسرعة. لكن الايام السعيدة، في عهد ريغان ـ شولتس، حيث اعتبرت اسرائيل، في حينه ' كنزاً لا بديل منه' ، ونفّذت في الشرق الاوسط ما يحلو لها، دون الخشية من رد اميركي، قد ذهبت ولن تعود بسرعة» (**المصدر نفسه**).

ولقد تنبّه الى هذا الواقع المستجد وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، خلافاً لمسؤولين آخرين في اسرائيل. فخلال زيارته الاخيرة لواشنطن، عرض، في حضور مجموعة من الاستراتيجيين الاميركيين الكبار، اقتراحات جديدة لاقامة تعاون استراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية على اسس جديدة تأخذ في الاعتبار المتغيّرات على الساحة الدولية (**هآرتس**، ٢/٤/١٩٩٠).

الاستيطان

تعقيباً على التباين في وجهات النظر بين الموقف الاسرائيلي وموقف الادارة الاميركية من موضوع الاستيطان في المناطق المحتلة، شبّه احد الصحفيين الاسرائيليين هذا الامر، بـ «قطعة القماش الحمراء بالنسبة الى الثور». كتب: «هذا المزاج لم يخفه رجال الادارة الاميركية في محادثاتهم الشخصية مع المسؤولين في اسرائيل، ولا حتى في تصريحاتهم العلنية» (**معاريف**، ٢٠/٥/١٩٩٠). وافادت مصادر اسرائيلية، واميركية، مطلعة، بأنه في المدى المنظور، في حال البدء باجراءات الاستيطان في مستوطنة «بيتار»، التي قررت الحكومة الاسرائيلية

الانتقالية اقامتها، فان العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية سوف تتدهور الى مستوى متدن أكثر. وليس من المستبعد ان يلحق هذا التدني ضرراً بالجانب الحساس من اسرائيل [المساعدات المالية]» (**المصدر نفسه**).

ويعتبر الموقف من الاستيطان في المناطق المحتلة أحد عوامل الازعاج التي يسببها الاسرائيليون للادارة الاميركية. فالموقف الاميركي المعارض للاستيطان، منذ العام ١٩٦٧، لم يتغير؛ ولهذا لا يحظى بالاستحسان من جانب الاسرائيليين. ففي الزيارة الاخيرة لرئيس الحكومة الاسرائيلية لواشنطن، في نيسان (ابريل) ١٩٨٩، أعلمه الرئيس الاميركي، بوش، بوجوب عدم اقامة مستوطنات جديدة، في المناطق المحتلة. وعلى حدّ قول مصادر اميركية، فان شامير تعهد، في حضور الرئيس الاميركي، عدم اقامة مستوطنات جديدة (**يديعوت احرونوت**، ١٨/٥/١٩٩٠). ولم ينقض اكثر من يومين فقط على ذلك التعهد، حتى اعلنت اسرائيل عن اعتزامها بناء مستوطنات جديدة. وذكر احد الصحفيين الاسرائيليين ان جميع المحاولات لتنقية الاجواء بين الولايات المتحدة الاميركية ورئيس الحكومة الاسرائيلية فشلت، وذلك لاسباب، اهمها ان رئيس الحكومة الاسرائيلية لا يعتزم ان يتعهد لأي طرف، بمن في ذلك الرئيس الاميركي، بالتوقف عن بناء مستوطنات جديدة في المناطق المحتلة (**المصدر نفسه**).

وفي اطار الحديث عن اسباب التوتّر في العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية، قال وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، ان اسباب التوتر تعود الى عدم قدرة واشنطن على استيعاب تسارع الاحداث الاخيرة في اسرائيل، التي اثارت «المرارة والاحباط»، وذلك لأن كتلاً صغيرة تتحكم في مسار الاحداث، فضلاً عن انتقال عضو كنيست من كتلة الى اخرى. واوضح ارنس ان طبيعة العلاقات القائمة مع الادارة الاميركية تندرج، منذ عهد ريغان، تحت مبدأ «اتفقنا على ألّا نتفق». ويعتقد ارنس بأنه على الرغم من ان الولايات المتحدة الاميركية لم تغير مواقفها التقليدية ازاء اسرائيل، فالعلاقات بين الدولتين تقطع فترة من التوتر (**معاريف**، ١١/٥/١٩٩٠).

وشاركه في هذا الرأي عضو الكنيست زلمان شوفال، حين قال: «من المؤسف الاقرار بأن واشنطن نفسها لا تساهم في خلق اجواء الثقة المطلوبة»؛ ذلك لأن «تصريحات بوش وبيكر، بشأن القدس والاستيطان وخلافه، والاتصالات المكثفة بين الولايات المتحدة الاميركية وم.ت.ف. لم تزد فقط في الخشية حتى لدى اولئك الاسرائيليين المستعدين لحلول وسط بعيدة المدى، وتسببوا بشكل غير مباشر في الازمة الحكومية، بل وقدّمت الذخيرة الى المتطرفين في 'جبهة الرفض' الفلسطينية» (**المصدر نفسه**، ١٨/٤/١٩٩٠).

ومن جانبه، بسّط وزير القضاء الاسرائيلي، دان مريدور الامر، في مقابلة اذاعية قائلاً: «حقاً توجد خلافات في وجهات النظر بيننا وبين الادارة الاميركية، وان مثل هذه الخلافات كانت قائمة في عهود الادارات الاميركية كافة؛ ومع ذلك كانت علاقاتنا تزداد عمقاً وترسّخاً. والامر الذي ينبغي الوقوف عنده هو الافعال، لا الاقوال» (**الاذاعة العبرية**، الساعة ١٩٠٠، ٢٧/٦/١٩٩٠). «فالواقع يثبت انه على الرغم من كثرة التحدث في اسرائيل عن وجود توتر في العلاقات مع واشنطن، فان هذه الادعاءات سرعان ما تتبخر. فالغضب الاميركي على اسرائيل لم يتجاوز، بشأن الاستيلاء على المبنى في الحي المسيحي في القدس الشرقية، حدود فرض غرامة بقيمة ١,٨ مليون دولار، اقتطعت من مجموع القرض البالغة قيمته ٤٠٠ مليون دولار، والمقدّمة، اصلاً، للمساعدة في استيعاب المهاجرين الجدد» (**يديعوت احرونوت**، ٢٠/٥/١٩٩٠).

لكن للصحفي رفائيل ايتان رأي آخر. كتب: «ان الامر، ظاهرياً، يدور حول موضوع تقني، هو دفع عمولة مقابل تقديم ضمان اميركي للحصول على قرض لاستيعاب المهاجرين الجدد. غير ان اوساطاً عديدة ذات صلة بالعلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية رأت ان الامر يدور حول حدث تتجاوز ابعاده كثيراً نسبة الغمولة؛ هذا الامر يتعلق بخطوة لم يسبق لها مثل من جانب الكونغرس الاميركي، هي مطالبة اسرائيل بدفع 'غرامة' جرّاء نشاطها الاستيطاني.

«حقاً، ان اقامة المستوطنات في المناطق [المحتلة] كانت، وما زالت، شوكة مزعجة في العلاقات بين

الدولتين؛ لكن حتى نهاية الاسبوع كان اعداء اسرائيل يصكّون اسنانهم ويعترفون بأن ليس باستطاعتهم معاقبة اسرائيل... لقد كانت مجريات الاحداث في الحي المسيحي في القدس الشرقية بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير... فالاجراء الذي اتخذه الكونغرس يمكن ان يفسّر من قبل الادارة الاميركية بأن اسرائيل فقدت حصانتها الكاملة التي كانت تحظى بها في الكونغرس الاميركي. وهذا يعني ان باستطاعة الادارة خلع القفازات خلال محاولاتها للضغط على اسرائيل» (**معاريف**، ٢٠/٥/١٩٩٠).

لكن، في الاطار عينه، تبين لدى عرض موضوع الاستيطان على مجلس الامن الدولي ان الموقف الاميركي الاولي كان تكتيكاً مؤقتاً سرعان ما تحوّل الى موقف داعم لاسرائيل دون تردد. وعلى حدّ قول مصادر اميركية، فان الازمة في العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية، التي نتجت على خلفية طرح موضوع الاستيطان على مجلس الامن الدولي، كانت نتيجة «عدم فهم اسرائيلي». ونسبوا عدم الفهم هذا الى الطرح المشوّه لموقف الولايات المتحدة الاميركية من جانب ممثلي اسرائيل في الامم المتحدة. واضافت المصادر نفسها انه كان في نيّة الادارة الاميركية، منذ البداية، استخدام حق النقض (الفيتو) ضد الصيغة المتطرفة، التي اصرّ معدّوها على ان تتضمن «حق العودة» للاجئي العام ١٩٦٧، والتي قررت ان الاستيطان اليهودي في القدس الشرقية يناقض معاهدة جنيف الرابعة، ووصفت الاستيطان في المناطق المحتلة بانه غير قانوني (**هآرتس**، ١١/٥/١٩٩٠).

العلاقات في ظل الحكومة الجديدة

بعد ان تكللت الجهود التي بذلها زعيم الليكود، شامير، بالنجاح وفوز الحكومة الجديدة بالثقة بأكثرية ٦٢ صوتاً من اصوات اعضاء الكنيست، مقابل ٥٧ صوتاً، وامتناع عضو واحد، فقط، عن التصويت، كتب الصحفي شموئيل سيفف: «ان بقاء هذه الحكومة، او سقوطها، مشروط، الآن، بالسرعة التي يتمكّن شامير بها من ترميم الثقة الشخصية بينه وبين الرئيس الاميركي، بوش، ووزير خارجيته، بيكر. فمنذ سقوط حكومة الوحدة الوطنية، تعمّق كثيراً انعدام الثقة بين الرئيس بوش ورئيس الحكومة الاسرائيلية...» واضاف سيفف: «أمّا الآن، وحتى لو لم ترغب الولايات المتحدة الاميركية في الظهور كمن يتدخل في شؤون اسرائيل الداخلية، فمن المشكوك فيه ان يردّ الرئيس بوش على طلب من رئيس الحكومة الاسرائيلية ـ اذا قُدِّم ـ لزيارة واشنطن، قبل ان يكون لديه رد ايجابي على اسئلة بيكر، او قبل ان تتمّ بلورة خطة جديدة تكون مقبولة من جانب الولايات المتحدة الاميركية ومصر، ومن جانب الفلسطينيين في المناطق [المحتلة]» (**معاريف**، ١٣/٦/١٩٩٠).

وفي السياق ذاته، اعتبر الصحفي مناحيم راهط الدلالات السياسية التي تضمّنتها الخطوط الاساسية لسياسة الحكومة الجديدة، بأنّها «تعبّر عن خط سياسي اكثر يمينية من الخطوط الاساسية لحكومة الوحدة الوطنية. فعلى الرغم من ان الصياغات متشابهة الى حدّ ما، الاّ انها متمايزة بعض الشيء، وتميل نحو التطرف في خمسة مجالات تتعلق بالمسيرة السلمية في المنطقة» (**المصدر نفسه**، ١٠/٦/١٩٩٠).

وقد عقّب وزير الخارجية الاميركية على فوز حكومة شامير بثقة الكنيست بقوله انه يأمل في ان تكون لدى الحكومة الاسرائيلية الجديدة دوافع للتقدم في المسيرة السلمية. كذلك حثّ نائب الرئيس الاميركي، دان كوايل، الحكومة الاسرائيلية على اعطاء كامل دعمها للحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني (**هآرتس**، ١٢/٦/١٩٩٠).

وعندما سئل بيكر، بعد دقائق معدودة على فوز الحكومة بثقة الكنيست، حول كيفية تأثير الحكومة الجديدة في احتمالات السلام، قال: «سوف نرى... بالطبع نحن نرغب ومستعدون، وكذلك نأمل في ان يكون لدى هذه الحكومة دافع نحو ذلك». أمّا موظفو الادارة الاميركية، فقد امتنعوا عن اعطاء رد رسمي، لكنهم لم يخفوا، في محادثاتهم الشخصية، مخاوفهم وخيبة أملهم، حيث ان البعض منهم توقّع ان تفشل عملية التهرّب من جهود شامير في اللحظة الاخيرة (**المصدر نفسه**).

«ورقة عمل» اميركية

وبعد ان تلاشت آمال الادارة الاميركية في ان تسرّع الازمة السياسية، التي عصفت بحكومة الوحدة

الوطنية في اسرائيل، في ابعاد شامير من على الساحة السياسية، ووقوف بيرس في وسطها، بدأت باعداد نفسها للتعايش مع الحكومة الاسرائيلية الجديدة. لهذا، طلب وزير الخارجية الاميركية، بيكر، من طاقم خبراء رفيع المستوى، يعمل في وزارته، اعداد «ورقة عمل» تكون بمثابة مجموعة من القواعد لتصرّف الادارة مع اسرائيل. وبعد اطلاع بيكر عليها، وافق على مضمونها وعلى التوصيات المستوحاة منها. وجاء فيها: «يؤيد الكثيرون من الزعماء الاسرائيليين استمرار الوضع السياسي الراهن لاسباب ثلاثة: ١ ـ لقد اعتاد الجمهور في اسرائيل، وفي العالم، على مستوى عنف الانتفاضة، واعتاد على التعايش معها؛ ٢ ـ خلافاً للمخاوف الاولية في اسرائيل، فان الحوار بين الولايات المتحدة الاميركية وم.ت.ف. لم يثمر، ولم يتحوّل الى محور سياسي مركزي؛ ٣ ـ تفسّر الهجرة الجماعية الى اسرائيل بأنها مساعدة ديمغرافية جدية، التي من خلالها، وبدمجها مع سياسية القوة، سوف تضعف الضغوط الرامية الى تغيير الوضع الراهن». واعتقد خبراء وزراة الخارجية الاميركية بأن العناصر الثلاثة هذه قد ساهمت في رفض القيادة الاسرائيلية التفاهم مع الفلسطينيين، ممّا ادّى الى مراوحة المسيرة السلمية في مكانها: «ان الاسرائيليين يدركون جيداً ما هو المطلوب منهم للتوصل الى حوار مع الفلسطينيين؛ لهذا، فان احداث تغييرات تجميلية في نقاط بيكر الخمس سيكون بمثابة انتقاص من قيمتها، ولن يؤدي ذلك الى اية نتائج ايجابية... والحكومة الاسرائيلية الجديدة لن تعمل على ردم الهوّة بين المواقف لكي تبقي مصر والفلسطينيين داخل الصورة» (دافار، ١١/٦/١٩٩٠).

وممّا جاء في توصيات «ورقة العمل» انه «ينبغي ان تحدَّد العلاقة باسرائيل وفقاً لتصرفات الاخيرة؛ لأن محاولة الادارة الاميركية المحافظة على علاقات ودية، في الحالات كافة، مع اسرائيل يحتمل ان تؤدي الى الحؤول دون الجمهور الاسرائيلي واليهود في الولايات المتحدة الاميركية من استخلاص العبر تجاه النتائج السلبية للرفض الاسرائيلي... كذلك يحتمل ان يؤدي الامر الى ازمة سياسية قاسية بين الدولتين، وربما الى قرار اميركي تجاه تحويل اهتمام الادارة الاميركية عن منطقة الشرق الاوسط، الامر الذي يؤدي الى وقوع كارثة، وتقوية التطرّف لدى الجانبين...». وطلب خبراء وزارة الخارجية من الادارة الاميركية ان تعلن عن ان اعدادها للحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني قد اكتمل مع الموافقة على مبادرة السلام من جانب مصر والفلسطينيين؛ كذلك الاعلان عن انه يجب على اسرائيل ان تقرر متى ستكون مستعدة لتجديد المبادرة من النقطة التي كانت رُفضت عندها؛ والى ان تصبح اسرائيل مستعدة للرد بالايجاب، فان الولايات المتحدة الاميركية لا ترى ضرورة لاجراء اتصالات سياسية على مستوى رفيع مع اسرائيل (المصدر نفسه).

وفي سياق التعليق على «ورقة العمل» الاميركية، كتبت صحيفة «دافار»، ان رئيس الحكومة الاسرائيلية، التي اطلقت على نفسها وصف «الحكومة القومية»، لا يستطيع تجاهل هذا التلميح. فشامير يتوقع ان تبادر الولايات المتحدة الاميركية الى توجيه دعوة اليه لزيارة واشنطن، من أجل تجديد الحوار مع اسرائيل. لقد ادعى شامير، خلال الفترة التي شغل فيها منصب رئيس حكومة الوحدة الوطنية، ومن ثمّ رئيس الحكومة الانتقالية، عدم وجود توتر في العلاقات بين تل ـ ابيب وواشنطن: «هناك، فقط، خلافات في الرأي كما يحدث، عادة، بين الاصدقاء». واضافت الصحيفة ان شامير كان يدرك، في حينه، ان تقويمه المتفائل هذا لا يتلاءم مع الواقع؛ امّا الآن، وبعد ان تحمّل كامل المسؤولية، بعد فوز حكومته بالثقة، فانه مضطر الى ان يحاول ان يثبت للادارة الاميركية ان حكومته القومية ـ الدينية الاصولية، ليست كما تبدو في عيون الخبراء المتخصصين في شؤون الشرق الاوسط، وفي عيون وسائط الاعلام الاميركية.

وخلصت الصحيفة الى ان الادارة الاميركية لن تقطع الخيط مع اسرائيل؛ كما انها لن تقطعه مع م.ت.ف. وفي حال سافر شامير الى واشنطن، ينبغي عليه ان يقدّم الى الرئيس الاميركي الضمانات المطلوبة لاستمرار المسيرة السلمية؛ امّا في حال اصراره على مواقفه التي يعلنها في اسرائيل، فانه سوف يعود خالي الوفاض (المصدر نفسه، ١٤/٦/١٩٩٠).

زيارة خاطفة

قالت الناطقة بلسان سفارة اسرائيل في واشنطن، ان الزيارة الخاطفة التي قام بها سكرتير

الحكومة الاسرائيلية، اليكيم روبنشتاين لواشنطن كان مخطط لها منذ مدة. وقد وُصفت لقاءاته بنائب وزير الخارجية الاميركية، بوب كيميت، وبالمستشار الاول لوزير الخارجية، دنيس روس، وبمساعد جيمس بيكر لشؤون الشرق الاوسط، جون كيلي، بأنها «محادثات مجاملة». أمّا صحيفة «هآرتس»، فقد كتبت: «من الصعب تصديق هذا التفسير الساذج؛ فمن شبه المؤكد ان روبنشتاين سعى الى عقد اتصالات مع قمّة الدائرة السياسية في وزارة الخارجية، على خلفية ما ورد في ورقة العمل الاميركية، من جهة، وعلى خلفية الانباء التي وصلت اسرائيل، في الآونة الاخيرة، القائلة ان الرئيس بوش على وشك الموافقة على توصية للحصول على ضمانات اسرائيلية تجاه وجود افكار جديدة لدى رئيس الحكومة الاسرائيلية للتقدم بالمسيرة السلمية، كشرط اساسي لدعوته الى البيت الابيض... ويبدو ان روبنشتاين أُرسل الى واشنطن للحصول على تلك الدعوة، أو، على الاقل، لاعداد الارضية الملائمة لتقديمها. لكنه تبيّن ان باستطاعة الرئيس الاميركي ان يلعب لعبة ' الضمانات ' ، على غرار ما فعله روبنشتاين في لعبة ' الافتراضات ' ، حيث تحفّظت الحكومة الاسرائيلية، من خلالها، من مبادرة بيكر» (**هآرتس**، ١٤/٦/١٩٩٠).

وعلى خلفية ما جاء في ورقة العمل التي اعدّها طاقم خبراء في شؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية الاميركية، وبعد اطلاع وزير الخارجية الاميركية، بيكر، على فحوى محادثات روبنشتاين في واشنطن، التي اكد، خلالها، عدم وجود افكار جديدة لدى الحكومة الاسرائيلية في ما يتعلق بالمسيرة السلمية، والتي وصفتها المصادر الاميركية بأنها عودة الى سياسة «التحذلق» ورفض اية محاولة جادة لضمّ اي عنصر فلسطيني غير مرتبط بشكل مباشر بالضفة والقطاع الى الوفد الفلسطيني، وقيام الحكومة الاسرائيلية بتزويد الادارة الاميركية، بعد اقل من مئة دقيقة على فوزها بالثقة، بعدد وافر من الاسباب لكي تصوّب النار نحوها، حيث بدأ الامر، في المقابلة التي اجرتها صحيفة «جيروزاليم بوست» مع شامير، التي عاد وأكد شامير خلالها مطالبه بأن يوافق العرب على مبادرة السلام الاسرائيلية بحذافيرها، وبشكل خاص البند الذي ينص على ان التسوية ترتكز على اتفاقيتي كامب ديفيد؛ ومن ثمّ جاء تصريح وزير خارجيته دافيد ليفي الذي قال فيه: «لقد شوّه الاميركيون مبادرة السلام الاسرائيلية.

«كذلك اختار وزير الدفاع الاسرائيلي الجديد، موشي ارنس، قضاء زيارته الاولى في مكتبه الجديد في احدى مستوطنات الضفة [الفلسطينية]... ومن جانبه، وعد وزير الزراعة الاسرائيلي الجديد، رفائيل ايتان، بفرض حصار مائي على كل مدينة، او قرية، عربية»، ردّاً على اعمال مقاومة الاحتلال (**المصدر نفسه**، ١٥/٦/١٩٩٠).

انطلاقاً من كل ما تقدم، وجّه وزير الخارجية الاميركية، في شهادته الى لجنة الخارجية التابعة للكونغرس، رداً على اسئلة العضو ميل ليفين، الذي اشار الى ان هناك اهمية خاصة لتحسين العلاقات الشخصية بين الرئيس بوش وبين شامير، كلاماً شديد اللهجة الى الحكومة الاسرائيلية لم يسبق له مثيل في تاريخ العلاقات بين الجانبين؛ اذ قال: «عندما يصبحون جدّيين ازاء المسيرة السلمية، فليتصلوا برقم هاتف البيت الابيض». واضاف بيكر: «نحن مستعدون لنسيان الماضي؛ لكن هذا يعني وجود استعداد لدى شامير للتقدّم في مسار السلام دون تأخير. وفي حال عدم وجود مثل هذا الاستعداد لن يجرى اي حوار، ولن يكون هناك سلام». وقد فسّرت اقوال بيكر تلك بأنها دعوة وتحذير، في آن، للحكومة الجديدة في اسرائيل، التي ينبغي عليها التعاون على التقدّم بمسيرة السلام، وكذلك على تشكيل ارضية اولية للانتقال الى بدائل في حال فشلها (**دافار**، ١٤/٦/١٩٩٠).

تراجع اسرائيلي تكتيكي

في ظل الغيوم التي تلبّدت في سماء العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية على خلفية تصريح بيكر في الكونغرس، وجدت الحكومة الاسرائيلية ان من الافضل التراجع الى وراء، ولو قليلاً، لتجاوز الازمة. وقد عبّر عن التراجع هذا الناطق بلسان مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية، آفي بزنر، الذي قال: «ان رئيس الحكومة، اسحق شامير، سوف يعمل على تجديد الحوار بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل خلال الايام القريبة المقبلة. فهو سيتوجه الى الادارة الاميركية باقتراح افكار جديدة تسهّل عملية تجدّد الحوار التي توقفت قبل ثلاثة شهور». واضاف

بزنر ان اقوال بيكر كان لها وقع المفاجأة في اسرائيل: «لقد فوجئنا باللهجة القاسية». وفي محاولة لتهدئة الخواطر، اوضح بزنر، ان تبادل الكلام القاسي بين واشنطن وتل ـ ابيب يعود الى «سوء الفهم المؤسف»، الذي نتج عن المقابلة الصحيفة التي أجرتها صحيفة «جيروزاليم بوست» مع رئيس الحكومة، شامير، قبل بضعة ايام؛ وان وكالات الانباء استغلت المقابلة، فأضافت عليها اقوالاً وتفسيرات أوحت كأن شامير يطالب بوضع شروط محدّدة للاستمرار بالمسيرة السلمية. واضاف بزنر، ان اقوال شامير وصلت واشنطن بصورة مشوّهة. واعتقد بأن هذا هو سبب انفجار غضب بيكر. وفي لهجة عتاب، قال بزنر: «من المؤسف ان الولايات المتحدة الاميركية لم تترك لاسرائيل مئة ساعة من الراحة، وبدأت بالهجوم عليها... لقد آن الأوان للتوقف عن التلاسن العلني، والجلوس، سوية، لتنقية الاجواء» (**دافار**، ١٥/٦/١٩٩٠).

وفي الاطار عينه، اوضحت مصادر سياسية، رفيعة المستوى، في القدس، ان انفجار غضب بيكر يعود الى الحيرة التي لحقت به، في اعقاب الضغوط على الادارة الاميركية لايقاف الحوار مع م.ت.ف. وان الاحتمال الوحيد لتخفيف حدّة التوتر هو بالتوجه الى الادارة الاميركية بطلب تجديد الحوار على الفور، بهدف دفع المسيرة السلمية الى أمام (**المصدر نفسه**).

امّا شامير، فقد تناول الموضوع من زاوية مختلفة، حيث قال، في أول مقابلة له مع صحيفة «وول ستريت جورنال» الاميركية، بعد تشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة: «ان الولايات المتحدة الاميركية تتحمّل مسؤولية قرع طبول الحرب... في الدول العربية... وان التدهور المستمر في وضع الاستقرار في الشرق الاوسط يعود الى عدم قيام الولايات المتحدة الاميركية، وبسرعة، بوضع حدّ للمفهوم السائد في الدول العربية ازاء تضعضع العلاقات بينها وبين اسرائيل». وأضاف شامير: «عندما يدرك العرب ان العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية قوية، ومتينة، فسوف يتنازلون عن تطلعاتهم الى دحر اسرائيل بالقوة. لكن عندما يتغيّر هذا الاعتقاد... تستيقظ لديهم، من جديد، احلام قهر اسرائيل عبر الوسائل العسكرية...». وتابع: «لا يوجد أي سبب يدعو الى التشاؤم... حقاً، توجد هناك مصاعب ادارية يجب التغلّب عليها؛ كذلك، ان للاطراف كافة، ذات العلاقة، مصاعب مماثلة، وهذه ليست ذات أهمية» (**هآرتس**، ١٥/٦/١٩٩٠).

وبأسلوب ديماغوجي، عاد مدير مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية، يوسي بن ـ اهرون، فأكد الموقف الرافض لمبادرة بيكر، قائلاً: «اذا كانت الحكومة الاسرائيلية السابقة استحال عليها الرد بالايجاب على اسئلة بيكر، فمن غير المعقول ان توجّه الادارة الاميركية الاسئلة عينها الى الحكومة الجديدة» (**عل همشمار**، ١٧/٦/١٩٩٠).

امّا صحيفة «هآرتس» (١٧/٦/١٩٩٠)، فقد كتبت انه «لا شك في ان وزير الخارجية الاميركية، بيكر، يدرك ان في تعابيره القوية، ولذعه القاسي، توبيخ لحكومة اسرائيل، وحثّ، وحتى تهديد. لكن ما لا يدركه بيكر ان كل ما قام به هو تجسيد احلام حكومة اسرائيل الوردية. الحمد لله ان مثل هذه الجملة كان بالامكان سماعها من مكتب رئيس الحكومة: ' انهم لا يريدون البحث معنا' . لقد قال بيكر: ' عندما تصبحون جدّيين في موضوع السلام اتصلوا بنا هاتفياً ' . لكن بيكر يستطيع قضاء بقية عمره بالقرب من الهاتف وهو ينتظر. سوف يتّصل المسيح به قبل ان يتّصل به شامير في موضوع السلام».

كذلك عقّب الصحفي عكيفا الدار، على تصريح بيكر، فكتب: «لقد أعاد هذا التصريح الى أذهان المعلّقين الاسرائيليين تصريح وزير الدفاع الاسرائيلي الاسبق، موشي دايان، بعد انتهاء العمليات الحربية في حرب العام ١٩٦٧، الذي قال فيه انه ينتظر قرب جهاز الهاتف لمكالمة ستتصل من جانب زعماء الدول العربية للتفاوض بشأن السلام. لقد ولّد تصريح بيكر الانطباع بأن بيكر هو دايان، وان اسرائيل هي العدو رافض السلام» (**المصدر نفسه**).

ترطيب الاجواء

بعد الانعكاسات التي تركها تصريح بيكر على جوّ العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل،

حاولت الادارة الاميركية ترطيب الاجواء عبر سلسلة من التصريحات في وسائط الاعلام والقنوات الدبلوماسية، حيث تمّ التوضيح ان بيكر وجّه أقواله تلك الى الاطراف كافة ذات العلاقة بالنزاع في الشرق الاوسط، وان نقده الموجّه الى اسرائيل لا يشكّل اي تغيير في سياسة الادارة الاميركية. وفي الوقت عينه، أوضح الناطقون بلسان الرئيس الاميركي، ووزير خارجيته، ان أقوال بيكر تعبّر عن موقف الادارة الاميركية، وان الرئيس بوش كان على اطلاع مسبق عليها (**المصدر نفسه**، ١٥/٦/١٩٩٠).

من جهته، حاول وزير الدفاع الاميركي، ريتشارد تشيني، التخفيف من حدّة توتر الازمة بين الجانبين، فقال: «حقاً توجد خلافات في الرأي ازاء سبل تقدّم المسيرة السلمية بيننا وبين اسرائيل؛ وصحيح، أيضاً، القول انه ليس بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل خلافات في الرأي. فالزوجان اللذان لا يتلاسنان في بعض الاحيان لا يكونان طبيعيين. امّا الامر الهامّ في العلاقات الحسنة، فهو عدم التركيز فقط على نقاط الخلاف» (**المصدر نفسه**، ١٧/٦/١٩٩٠). وشاركه الرأي مدير منظمة «ايباك»، الذي تذمّر من قيام السياسيين والصحافيين بتضخيم موضوع خلافات الرأي دون حاجة الى ذلك، «حيث ركزوا جلّ اهتمامهم على عشرة بالمئة من عدم توافق الآراء، وتجاهلوا التسعين بالمئة من التوافق» (**المصدر نفسه**، ١٥/٦/١٩٩٠).

تعليق الحوار

وفي الاطار الجهود المبذولة من جانب الادارة الاميركية لترطيب اجواء العلاقات فيما بينها وبين اسرائيل في أعقاب تصريح بيكر، اعلن الرئيس الاميركي، بوش، عن تعليق الحوار بين الولايات المتحدة الاميركية وم.ت.ف. بعد ثمانية عشر شهراً على بدئه، ليخفّف من حدّة الأزمة ويعيد العلاقات بين واشنطن وتل ـ أبيب، تدريجياً، الى مسارها الطبيعي. وفي هذا السياق، قال بيكر ان الادارة الاميركية مستعدة لاعطاء اسرائيل ضمانات تجاه عدم اجبار اسرائيل على اجراء مفاوضات مباشرة مع م.ت.ف. وقد فهمت أقوال بيكر على انها ايماءة ايجابية تجاه اسرائيل ومحاولة للاشارة الى ان الولايات المتحدة الاميركية تتوقع جلوسها الى طاولة المباحثات (**عل همشمار**، ٢١/٦/١٩٩٠).

ويستدل من التصريحات، والمواقف، الاسرائيلية التي تواصلت، تباعاً، تعقيباً على القرار الاميركي بتعليق الحوار، ان المسؤولين الاسرائيليين زادوا في حدّة مواقفهم المتصلّبة المعادية للسلام العادل والشامل في المنطقة؛ حيث أجمعت ردود الأفعال الاسرائيلية، تقريباً، على الترحيب والارتياح ازاء ذلك القرار المعادي للحقوق الفلسطينية والعربية، والمساندة، مساندة مباشرة، للعدوان الاسرائيلي.

وفي هذا السياق، رحّب رئيس الحكومة الاسرائيلية، شامير، بالقرار الاميركي، فقال: «ان اسرائيل سوف تقوم بطرح مبادرتها السلمية مجدداً، وانها، الآن، اصبحت قادرة على فتح حوار مع فلسطينيين معتدلين من المناطق [المحتلة] قادرين على التحرر من وصاية م.ت.ف.». ونفى شامير ما تناقلته وسائط الاعلام الاسرائيلية بأن هذه الخطوة من شأنها تصعيد الضغط على اسرائيل. وقال ان من شأن القرار الاميركي «تقريب وجهات النظر بين البلدين، وايجاد مواقف مشتركة فيما بينهما»، معتبراً ان القرار «ايجابي، وهامّ، وقد انتظرناه منذ وقت طويل». كذلك أكد وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، ما قاله شامير، وأضاف: «ان اسرائيل لم تقدّم أي مقابل لهذا القرار، وان الرئيس بوش لم يقل هذا الكلام؛ بل قرر، ببساطة، قطع الحوار مع المنظمة دون انتظار أي مقابل». كذلك استبعد سفير اسرائيل في واشنطن، موشي اراد، ان تمارس الادارة الاميركية الضغوط على الحكومة الاسرائيلية في أعقاب القرار، وقال: «علينا، قبل التفكير بأي شيء آخر، التأكيد ان قرار تعليق الحوار من شأنه تعميق، وتقوية، العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية، وكذلك اتاحة مواصلة العمل المشترك بين البلدين لاستمرار المسيرة السلمية» (**هآرتس**، ٢٢/٦/١٩٩٠).

وفي السياق عينه، تطابقت ردود فعل قيادة حزب العمل الاسرائيلي مع مواقف الحكومة الاسرائيلية

اليمينية، حيث أعرب زعيم الحزب، شمعون بيرس، عن تأييده الضمني لتصريحات شامير، وأكد ترحيبه بالقرار متّهماً المنظمة «بارتكاب اعمال العنف والارهاب». وقال: «يجب ان تستمر عملية السلام بمعزل عن م.ت.ف.». ومن جانبه، قال وزير الدفاع الاسرائيلي السابق، اسحق رابين، ان الحوار بين الولايات المتحدة الاميركية والمنظمة «لم يساهم في تطوير عملية السلام». ودعا حكومة شامير الى الرد ايجاباً على اسئلة بيكر (**المصدر نفسه**).

لكن عضو الكنيست، يوسي بايلين، خرج على هذا الاجماع، واعتبر القرار بمثابة عقاب لاسرائيل. قال: «ان قطع الحوار هو عقاب اميركي لاسرائيل، لأن الاخيرة لن تستطيع العثور، بعد الآن، على أي فلسطيني للتفاوض معها... لقد انتظر شامير هذه الفرصة طويلاً لأنه معادٍ للسلام ولا يريد التفاوض مع الفلسطينيين» (**المصدر نفسه**).

إمّا عضو الكنيست الاسرائيلي، يوسي ساريد (راتس)، فقد اعرب عن أمله في ان يتراجع بوش عن قراره قبل اندلاع نزاع جديد في الشرق الاوسط. واعتبر تعليق الحوار قراراً يدعو الى الاسف، لأنه «يضعف معسكر المعتدلين ويعزّز معسكر الراديكاليين في العالم العربي» (**المصدر نفسه**).

كذلك عبّر عن أسفه عضو الكنيست، مردخاي غور، ولكن بلهجة أقل حدّة، وقال «انه يفضّل بقاء الحوار لأنه كان بامكاننا، عبره، معرفة وجهة نظر م.ت.ف. دون الحاجة الى لقاء ممثليها وجهاً لوجه» (**المصدر نفسه**).

أمّا المعلّق الصحفي رامي طال، فقد خالف شامير وارنس في الاستنتاج، كتب: «ان تعليق الحوار... جاء من اجل شق الطريق للضغط على اسرائيل بشكل لم يسبق له مثيل، لكي ترد بالايجاب على اسئلة بيكر وتمتنع عن اقامة مستوطنات جديدة. لقد ادرك كل من بوش وبيكر انه كلما تأخر اتخاذ القرار سوف يصعب عليهما استخدام مثل هذا الضغط. لقد حصلت اسرائيل من القرار على كل ما كانت تتمنّاه، لكن، بالتأكيد، ليس بالشكل والصيغة التي تريدها، هذا لأنه يفهم من كل ما قاله بوش ثلاثة أمور، على الاقل، غير سارة لشامير وصحبه.

« ○ اصرار الادارة الاميركية على التقدّم بالمسيرة السلمية من النقطة التي توقفت عندها في آذار (مارس) الماضي...

« ○ لا زالت الادارة الاميركية تنظر الى م.ت.ف. على انها عنصر هام، يستطيع، في ظروف معيّنة، القيام بدور ايجابي. وفي حال توصل المنظمة الى وسيلة للاستجابة لطلبات الولايات المتحدة الاميركية، فان الحوار سوف يتجدّد...

« ○ ينظر بوش الى اقامة المستوطنات الجديدة على انها عائق خطر جداً على طريق السلام، وانه سوف يرد على هذه الانشطة بغضب، وربما بقسوة...» (**يديعوت احرونوت**، ٢١/٦/١٩٩٠).

وشارك في هذا الرأي خبير اميركي في شؤون الشرق الاوسط: «ظاهرياً، قدّم بوش الى اسرائيل ما كانت تطالب به... لكن من يتمعّن في أقواله يصل الى الاستنتاج، انه، في المحصلة، فان اسرائيل، أو بدقّة أكثر حكومة شامير، هي الخاسر الاكبر... واستطيع المخاطرة بالقول ان هذا آخر انتصار سياسي تحققه اسرائيل في معركتها ضد ادارة بوش» («هدية بثمن»، **المصدر نفسه**، ٢٢/٦/١٩٩٠).

تبادل رسائل

بعد فترة قصيرة من فوز الحكومة الاسرائيلية الجديدة بثقة الكنيست، بعث الرئيس الاميركي، بوش، الى رئيس الحكومة الاسرائيلية، شامير، برسالة تهنئة تمنّى له فيها النجاح في منصبه. وقد ارفق بالتهنئة البروتوكولية طلبات وتوقعات الادارة الاميركية من اسرائيل. لقد عاد بوش فأكد الصيغة الاميركية التي بموجبها يصبح بالامكان جلب الطرفين، الاسرائيلي والفلسطيني، الى طاولة المفاوضات. قال: (أ) يجب على اسرائيل الموافقة على مشاركة اثنين من المبعدين في الوفد الفلسطيني؛ (ب) يجب على اسرائيل الموافقة على مشاركة شخصين فلسطينيين من سكان المناطق المحتلة لهما عنوان سكن مزدوج، احدهما في القدس الشرقية. وكانت الرسالة

هذه من باب التذكير بأن واشنطن لا تزال تنتظر رد شامير على اسئلة بيكر (**دافار**، ١/٧/١٩٩٠).

وقبل ان يتسلّم بوش رسالة شامير الجوابية، قرر تعليق الحوار مع م.ت.ف. بحيث غدا، الآن، في انتظار ردّين: ردّ شامير على أسئلة بيكر، وردّ المنظمة على شروطه لمعاودة الحوار معها.

وفي خلال وساطات عدة أُجريت بين المنظمة وواشنطن لمعاودة الحوار، بعث شامير برسالة جوابية الى الرئيس الاميركي. وقالت مصادر سياسية، في القدس، ان شامير عبّر، في رسالته، عن معارضته لمشاركة مبعدين فلسطينيين في محادثات السلام، وفقاً للطلب الاميركي؛ كذلك لم تأت الرسالة على أية ضمانات لعدم توطين المهاجرين السوفيات في المناطق المحتلة (**يديعوت احرونوت**، ١/٧/١٩٩٠).

وقد علّق موظف اميركي، رفيع المستوى، على رسالة شامير، قائلاً: «ان الرسالة لا تحتوي على أي شيء جديد» (**المصدر نفسه**). أمّا بوش، فقال، في اشارة منه الى الرسالة، انها لم تستقبل بالترحاب من جانب الادارة الاميركية: «انني قلق ازاء الطريق المسدود الذي وصل اليه مسار السلام في الشرق الاوسط». ومع هذا، فان الاعتقاد السائد في واشنطن هو ان اسرائيل سوف تحصل من الادارة الاميركية على فرصة أخرى اضافية لايضاح مواقفها، قبل اتخاذ موقف من جانب الادارة ازاء التخلّي عن بذل الجهد السياسي والسير باتجاه جديد. وأضاف بوش «ان هناك ضرورة للقيام بعمل شاقّ للعثور، في رسالة شامير، على مادة تمكّننا من التقدّم في المحادثات (**هآرتس**، ١/٧/١٩٩٠).

وكتبت صحيفة «هآرتس» (٢٩/٦/١٩٩٠) ان حقيقة عدم رفض بيكر بشكل قاطع لرسالة شامير قد اثارت الآمال في اسرائيل تجاه امكانية تجدد التفاهم بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية، ومن بينها توجيه دعوة الى وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، لزيارة واشنطن.

أمّا ردّ وزير الخارجية الاميركية، بيكر، فقد كان متحفظاً وحذراً. ففي مؤتمر صحافي عُقد في البيت الابيض، قال بيكر ان الرسالة طويلة ومفصّلة وتقوم الادارة الاميركية بدرسها، حيث تشمل مجالات واسعة من القضايا والصيغ؛ ولذا، فان الادارة الاميركية بحاجة الى بعض الوقت لتقويمها (**المصدر نفسه**، ٢٨/٦/١٩٩٠).

وفي الاطار عينه، كتبت صحيفة «عل همشمار» (٢٩/٦/٩٩٠)، في افتتاحيتها، تعليقاً على بيان بيكر الذي قال فيه «ان الادارة الاميركية تدقّق في ردود اسرائيل»، ان الاميركيين يبحثون عن نقاط ارتكاز في ردود شامير يمكن الانطلاق منها نحو الاستمرار في تقدّم المسيرة السلمية». وتابعت: «اذا كانت الادارة الاميركية تبحث عن شيء ما في الرد، فهذا يعني انه لا يوجد فيها أي شيء ايجابي تجاه اسئلة بيكر. حقاً، يوجد في رسالة شامير استعداد اسرائيلي للموافقة على تشكيل وفد فلسطيني على قاعدة اسمية؛ لكن تحفظه من مشاركة مبعدين من سكان القدس الشرقية يعيد، عملياً، المفاوضات الى نقطة البداية».

وكتب المعلّق الصحفي، شمعون شيفر، حول الرد الاولي من جانب الادارة الاميركية على رسالة شامير ما يلي: «لو كنت اسحق شامير، لشعرت بالارتياح تجاه الرد الاولي من جانب الادارة الاميركية. لقد كانت الاشارة الاميركية الاولية ايجابية حقاً. لقد قال بيكر ان الادارة تقوم بدرس محتوى الرسالة؛ وهذا يعني، في المصطلحات السياسية والدبلوماسية، اعطونا فترة من الوقت، فهناك ما يمكن التحدث حوله؛ او اننا سوف نقرر ما اذا كانت بئر شامير قد جفّت تماماً، أم انه ما زال هناك احتمال للعثور فيها على بقايا مياه صالحة» («طرف خيط»، **يديعوت احرونوت**، ٢٨/٦/١٩٩٠).

علاقات وطيدة

تباينت آراء الاسرائيليين حول مضمون شبكة العلاقات بين الادارة الاميركية واسرائيل، في المدى المنظور. فبينما رأى البعض منهم ان ضرراً سوف يلحق باسرائيل نتيجة الخلافات مع الادارة الاميركية، رأى آخرون انه لن يحدث أي تبدّل جوهري في العلاقات المتبادلة، وان الدعم الاميركي لاسرائيل سيبقى ثابتاً.

اصحاب الرأي الاول هم طاقم من الباحثين في معهد دينيس للعلاقات الدولية في الجامعة العبرية. فقد رأوا ان الاستمرار في جمود المسيرة السلمية سوف يؤدي الى تدهور العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل الى مستوى «فرض قيود من جانب الولايات المتحدة الاميركية على المساعدة العسكرية المقدمة الى اسرائيل. وقد يصل الامر الى درجة اتخاذ قرار من قبل الادارة الاميركية بالتخلّي عن دورها في النزاع العربي ـ الاسرائيلي، مع كل ما يتركه ذلك من انعكاسات على العلاقات بين الدولتين.

«وعلى الرغم من التغييرات الكبيرة في اوروبا الشرقية، فالمصالح الاميركية في الشرق الاوسط بقيت على حالها... وان وجود السلاح غير التقليدي يثير تخوّفاً من نشوب حرب اقليمية، لها انعكاساتها على المستوى الاستراتيجي. ولذلك، فان الولايات المتحدة الاميركية معنيّة باحلال الهدوء في المنطقة» (**دافار**، ٢٤/٥/١٩٩٠).

وحول مسيرة السلام في المنطقة، أوضح الباحثون ان «ثمّة مصلحة اميركية في تشجيع مسيرة السلام، أكثر من مجرد عقد لقاء وزراء خارجيات الدول الثلاث في القاهرة. ويشك كثيراً في قدرة اسرائيل ومؤيديها على الحؤول دون خطوات اميركية في هذا الاتجاه». ولاحظ الطاقم وجود تيار اميركي ينادي بأن تمكّن واشنطن دول المنطقة من حل مشاكلها بنفسها؛ وذلك يعني التقليل من مكانة اسرائيل لدى الولايات المتحدة الاميركية. ولا يعتقد الباحثون بأن الولايات المتحدة الاميركية ستلجأ الى التدخّل في السياسة الاسرائيلية؛ لكنهم متأكدون من ان الاميركيين لن يترددوا في التصريح، علناً، بعدم الرضى ازاء كل جانب من جوانب الخلاف بين واشنطن وتل ـ أبيب. واتفق الباحثون على انه على الرغم من غياب التناغم بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، الّا انه «لم تحدث فجوة كبيرة بين الطرفين كما هو الامر الآن... واذا ما افترضت اسرائيل ان بوسعها الّا تعير اهتماماً لمتطلبات ومصالح الولايات المتحدة الاميركية، فانها ستفقد المزيد من التأييد الاميركي؛ فالولايات المتحدة الاميركية لن تتخلّى عن اسرائيل بصورة كبيرة عند نشوب الحرب؛ لكن اسرائيل سوف تضطر، في مقابل المساعدة الاميركية، الى دفع ثمن باهظ أكثر ممّا ترفض ان تدفعه اليوم» (**المصدر نفسه**، ٢١/٦/١٩٩٠).

امّا اصحاب الرأي الآخر، فرأوا عكس ذلك، معتقدين بأنه مهما تكن طبيعة الحكومة المقبلة، فليس من المتوقع ان يحدث ضغط اميركي على اسرائيل؛ «حيث ان من يخشى، أو يأمل في، ان يؤدي رد سلبي على اقتراحات بيكر الى تخفيض المساعدة الاميركية لاسرائيل، والى ان تصوّت اميركا ضد اسرائيل في المنظمات الدولية، او تفرض عليها عقوبات أخرى، فهو مخطىء». ورأى صاحب هذا الرأي ان شامير لن يذهب بعيداً في تحدي الاميركيين؛ بل انه يعرف الحدود التي يمكن تجاوزها مع الادارة الاميركية، وتلك التي لا يمكنه الاقتراب منها، خصوصاً بالنسبة الى تكثيف الاستيطان، وتعيين اريئيل شارون وزيراً للدفاع. «فبالنسبة الى زيادة الاستيطان ـ حسب رؤية الاميركيين ـ من الصعب الاعتقاد بأن شامير يتجرأ على فعل ذلك. فقد ظهر شامير، حتى الآن، سياسياً حذراً وكثير التردد. وهو بالتأكيد ليس على استعداد للقفز، بارادته، داخل مياه عميقة، في المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة الاميركية... وفي حكومة يمينية ضيّقة القاعدة، من شبه المؤكد ان شامير سيبذل جهوده للامتناع عن السير في مسار المواجهة مع الاميركيين» (رامي طال، **يديعوت احرونوت**، ٤/٥/١٩٩٠).

صلاح عبدالله

دور نهضوي في سيرة صحفية

سميح شبيب، **محمد علي الطاهر: تجربته الصحفية في مصر، من خلال صحفه «الشورى» و«الشباب» و«العلم»، ١٩٣٤ ـ ١٩٣٩**، نيقوسيا: الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين وشرق برس، ١٩٩٠، ٣٤٤ صفحة.

أشقّ مهام الباحث الفلسطيني وأشدّها تعقّداً الحصول على الوثائق المتعلقة ببحثه، بالنظر الى حالة الشتات وما فرضته من غياب المؤسسات الفكرية والاعلامية المستقرة، وافتقارها، في حال وجودها، الى الوثائق الشاملة لمطبوعات الماضي، التي يمكن للباحث العودة اليها واستقراء حوادث تلك الأزمنة من خلالها. غياب التوثيق، بمعناه العلمي الحديث والشامل، يحجب كثيراً من تفاصيل صورة الوضع الذي كان سائداً، ويحجب، بالضرورة، أدواراً لعبها رجال ومؤسسات وقوى سياسية بهذا القدر، أو ذاك، ويدفع الى مواصلة جهود ليست بالهيّنة في ظروف صعبة، لنفض الغبار عن تلك الايام الخوالي، من خلال تجميع وثائق، وصحف، ومنشورات، تتبعثر بين هذه العاصمة، أو تلك، لأنها مرآة الزمان وكتابه المفتوح.

«الشورى»، و«الشباب»، و«العلم»، صحف أصدرها الصحفي الفلسطيني المرحوم محمد علي الطاهر بدءاً من العام ١٩٢٤ وحتى العام ١٩٣٩. أي انها تغطّي، بالضبط، فترة من أخصب فترات التاريخ الفلسطيني الحديث عشية اكتمال الهجمة التي انتهت صبيحة الخامس عشر من أيار (مايو) ١٩٤٨ بتشريد شعب فلسطين واقامة دولة اسرائيل، منهية بذلك مرحلة ستكون عنواناً بارزاً ليس في تاريخ فلسطين فحسب، بل في تاريخ المنطقة العربية والشرق الاوسط على وجه العموم. والأساس في الصحف الثلاث، التي أصدرها الطاهر، هي جريدته «الشورى» التي بدأ حياته الصحفية في مصر بها، في العام ١٩٢٤. ولا نبالغ في القول حين نؤكد ان الصحيفتين الأخريين «الشباب» و«العلم» إنْ هما الّا الاسم البديل الذي اختاره الطاهر لـ «الشورى» من اجل التحايل على قرار ايقاف «الشورى» من قبل السلطات. فـ «الشورى» واصلت مشوار جهادها، ولعبت دورها ذاته، من خلال شقيقتيها «الشباب» و«العلم»، وهذه وسيلة لجأ اليها، ولا يزال يلجأ اليها، العديد من الجهات والاشخاص في ظروف اضطراب الحياة الديمقراطية، وتسلّط سيف الرقيب على الصحف والمنشورات.

اصدار «الشورى»، في العام ١٩٢٤، جاء تتويجاً لنشاطات سياسية مارسها الطاهر في مصر قبل ذلك بسنوات قليلة. فقد عمل «على تأليف اللجنة الفلسطينية سنة ١٩٢١ بصورة قانونية، لتسهيل الامور المتعلقة بالشؤون الفلسطينية». ومن خلال هذه اللجنة، أقام الطاهر علاقات وثيقة مع عدد من رجالات مصر الوطنيين، من أمثال الدكتور محمد حسين هيكل، الذي كان يتولّى رئاسة تحرير جريدة «السياسة». وفي سياق هذا النشاط، أراد الطاهر ان تكون جريدته معبّرة عن أفكاره التحررية الفلسطينية خصوصاً، والعربية على وجه العموم، فوصفها بأنها «جريدة تبحث في شؤون البلاد العربية والاقطار المستعبَدة»، وجعل من هذه العبارة شعاراً مكتوباً تحت اسمها. وهكذا، وبسبب من سياستها هذه، منعت «الشورى» من دخول معظم الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار، وبخاصة فلسطين وسوريا ولبنان، وصودرت أعدادها، واضطر الطاهر الى اغلاقها سنة ١٩٣١، واصدارها بأسماء أخرى منها «الرقيب» و«المنهاج» و«الناس» و«الجديد» و«الشباب» و«العلم المصري».

هذا النشاط الصحفي الذي تواصل بعد ذلك حتى العام ١٩٣٩ تخلّلته نشاطات سياسية، لعلّ أبرزها، في تلك الفترة، مساهمة الطاهر في الاعداد للمؤتمر الاسلامي العام، الذي عقد في القدس سنة ١٩٣١، والذي

شارك فيه «بنيابة خطّية من مسلمي عدة أقطار وجاليات اسلامية في المشرق والمهجر الافريقي»؛ وسجّل، بعد عودته، مجموعة مذكرات تحمل خلاصة ملاحظاته وخواطره عن المؤتمر وبعض مشاهداته وتأثراته ونشرها في كتاب «نظرات الشورى» الذي قال الطاهر ان هدفه هو «ان الناس الذين يأتون بعدنا قد يشوقهم ان يعرفوا صورة حقيقية عن جانب من حياة زماننا، بما فيها من عوج أو سخافات، أو شيء من فضائل الصفات».

السياق السياسي العام الذي تأسّست عليه «الشورى» هو تصريح ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٢٢ الذي أعطى لمصر استقلالاً مقيّداً، حيث شهدت الصحافة المصرية نشاطاً ملحوظاً، اذ أُنشئت، في القاهرة، سنة ١٩٢٤، زهاء ٣٨ جريدة، بينما أعلن عن تأسيس زهاء سبع صحف في مدينة الاسكندرية في العام عينه. وقد تأسست «الشورى» في ذلك العام. وقال صاحبها انها «ستكون خاصة بخدمة الاقطار العربية، وبالاخص السورية المعبّر عنها اليوم بسوريا وفلسطين ولبنان وشرق الاردن». وأعلن الطاهر ان الجريدة «سيكتب فيها، من حين الى آخر، عدد كبير من أفاضل العلماء ورجال السياسة الشرقية، ومنهم احمد زكي باشا والدكتور منصور فهمي وخليل أفندي السكاكيني وعادل أفندي جبر ونسيم أفندي صبيحة ونقولا أفندي الحداد ومحب الدين أفندي الخطيب وخير الدين أفندي الزركلي والدكتور زكي مبارك».

أورد مؤلف الكتاب ان صدور «الشورى» استقبل بترحيب رفيع المستوى، وتصدرت التحيّات صفحتها الاولى، وفي المقدّم منها تحية موسى كاظم باشا الحسيني، رئيس اللجنة التنفيذية الفلسطينية، الذي وصف «الشورى» بأنها «مشروع وطني جدير بالشكر والتقدير».

خلال سنوات صدورها الاربع (١٩٢٤ ـ ١٩٢٨)، أصبحت «الشورى» محفلاً لرجالات السياسة والفكر والتحرر؛ وليس أدل على ذلك من احتفاء هذه الاوساط بالجريدة، حيث «أقام كبار الصحافيين والكتاب والمفكرين المصريين حفلاً تكريمياً للشورى بعد ظهر يوم الاحد، ٢ كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٢٨، وذلك في قاعة ناسيونال، في شارع سليمان باشا، في مدينة القاهرة. وبهذه المناسبة، أرسل الزعيم الفلسطيني موسى كاظم الحسيني ببرقية الى عزيز بك يشكره فيها على الاحتفال معتبراً ' ان عطفكم على الشورى هو عطف على البلاد وأهلها' . وكذلك فعل الزعيم السوري الامير شكيب أرسلان، والتونسي عبدالعزيز الثعالبي، الذي وصف ' الشورى' بأنها ' شورى العرب، وصرخة المظلومين وملتقى خواطر النابهين' ».

بين الصحافة والسياسة، أخذ موقف الطاهر من الانتداب ووعيه المبكر بأبعاده وضرورة مقاومته يخضع، في جوانب منه، لطبيعة الاوضاع التي سادت في مصر آنذاك. فالطاهر، الذي أدرك منذ زمن مخاطر الانتداب على فلسطين، كان مضطراً الى استخدام اسلوب يبتعد من التحريض المباشر على الانتداب، نظراً الى وجود الجريدة في مصر، وحرص على استمرار هذا الوجود. الّا انه لجأ، في هذا المجال، الى اسلوب ذكي حيث «اعتمد أسلوب ايراد الخبر، تاركاً لتأثيره ان يفعل فعله في مجال ايضاح الحقائق والتحريض على حدٍ سواء. وأظهر رئيس تحرير ' الشورى' ، في هذا المجال، مقدرة فائقة، مثلما أظهر رباطة جأش وصلابة في التماسك وعدم الانجرار الى اسلوب الاستفزاز، حتى ازاء أكثر الاحداث اثارة، والتزم ذلك حتى ازاء حدث من نوع اعدام المجاهدين الفلسطينيين الثلاثة في يوم الثلثاء الحمراء الذي أعقب أحداث البراق العام ١٩٢٩: عطا الزير وفؤاد حجازي ومحمد جمجوم، الذي هزّ فلسطين كلها وأثار مشاعر الفلسطينيين في كل مكان».

أهمّ نشاطات الطاهر في مصر هي، بدون شك، مقاومته للنشاطات الصهيونية في مصر. وهي مقاومة تعود بداياتها الى العام ١٩٢١. هنا أورد مؤلف الكتاب حادثة ذات دلالة: «عندما أقامت السفارة الفرنسية حفلة ساهرة في حديقة الأزبكية في القاهرة تسرّبت العناصر الصهيونية المصرية اليها، ورفعت اعلامها الى جانب الاعلام الوطنية المصرية، والفرنسية، بل ان الاعلام الصهيونية كانت أكثر من جميع أعلام الدول مجتمعة. تنبّه الطاهر الى هذه الدعاية، فأرسل الى السفير الفرنسي رسالة في البريد ينبّهه فيها الى فعلة اليهود هذه ويهدّده، على حد تعبيره هو، بـ ' التجمهر مع جمهور من المواطنين في العام القادم لافساد هذه الدعاية ضد مصر والاسلام بتحطيم الزينات كلها وتمزيق أعلامها' ».

وهكذا، ومن خلال نشاطه الصحفي وما رافقه من نشاطات سياسية واجتماعية في القاهرة، أصبح الطاهر شخصية بارزة ترتاد دار صحيفته أهم الشخصيات السياسية والثقافية العربية. وقام هو، من جانبه، ومن خلال «الشورى»، بمؤازرة ودعم حركات التحرر العربية في مختلف أقطارها. وسنقتطف هنا صورة من موقفه الى جانب مجاهدي ليبيا، وقائدهم الشهيد عمر المختار، في حربهم على المستعمر الايطالي وتحقيق استقلال بلادهم، معتبرة اياه «معجزة وقائداً من أحسن قوّاد العالم، ومن أشجعهم، ومن أقدرهم على ممارسة الحرب الحديثة، رغماً من كونه كبير السن بشهادة الطليان أنفسهم، ولكنه متعلّم تعليماً صحيحاً عملياً كيف يدير حركة الحرب ويواصل القتال خمسة عشر عاماً؛ فهو، بقوة ايمانه الذي لا يتزعزع، فاق جميع القوّاد». ودلّلت «الشورى» على هذه العبقرية العسكرية لدى عمر المختار بأنه «تكاد تكون معجزة انه منذ ١٥ سنة وهو قائد لم يشترِ شيئاً من السلاح على اختلاف أنواعه، بل كل ما عنده من أنواع السلاح، في هذه المدة الطويلة، غنمه من جيوش ايطاليا، ولم يشترِ شيئاً من أنواع الملابس، بل ان رجاله يستعملون الملابس العسكرية الايطالية التي يغنمونها من الطليان؛ وكذلك قلّ عن الجمال والخيل والبغال، بل ربما هذا النوع يفيض منه، فيرسله الى السلّوم، يبا ع هناك كما بيعت البغال الكثيرة في العام الماضي على مرأى من القنصل الايطالي في السلّوم».

مثل هذا الموقف وبتركيز أشد أخذه صاحب «الشورى» من الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧. وقد تابعت «الشورى» أخبار الثورة السورية من خلال: نشر بيانات الثورة؛ ونشر مقالات ومعالجات القادة السوريين أنفسهم؛ والاعتماد على مراسلين خاصين من دمشق والغوطة وجبل العرب وغيرها؛ وايراد أخبار وكالات الانباء الاجنبية.

ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ من خلال «الشباب» و«العلم»

هذه المرحلة هي، بدون شك، واحدة من أغنى مراحل النضال الوطني الفلسطيني قبل نكبة العام ١٩٤٨. وقد انعكست تفاصيل ويوميات ثورتها في صحف الطاهر، وتابعها باهتمام خاص خلال السنة الاولى من عمرها، أي تلك الفترة التي سبقت تأسيس «الشباب» و«العلم». وقد اختار المؤلف لعرض هذه الفترة ست زوايا، هي: ١ ـ تكتيك العمليات القتالية الفلسطينية: وسائله ومشكلاته؛ ٢ ـ الاجراءات البريطانية الرامية الى قمع الثورة واخمادها؛ ٣ ـ التعاون البريطاني ـ الصهيوني؛ ٤ ـ الارهاب الصهيوني؛ ٥ ـ التصفيات الجسدية للمتعاملين مع الاعداء؛ ٦ ـ الاعانات.

وفي هذا الفصل، قدّم المؤلف عرضاً للظروف العامة والداخلية لثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ في فلسطين، وبيّن ان المأزق الاساس أمام الحركة الوطنية الفلسطينية كان في عدم قدرة قيادتها على تلمّس التكامل بين الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية؛ اذ على الرغم من افتضاح وعد بلفور، الّا ان قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ظلت تأمل خيراً في وعود بريطانيا، وتؤمن بامكانية تحييدها في الصراع مع الصهيونية.

ذكر الكاتب: «ولعل حزب الاستقلال العربي في فلسطين هو أول قوة سياسية فلسطينية نادت بمقاومة الانتداب البريطاني والمشروع الصهيوني في فلسطين في آن... فلقد أبرزت نشاطات هذا الحزب المختلفة مدى التطابق في الاهداف والتصورات المشتركة ما بين الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني. وقد ظهر هذا الحزب في أوائل الثلاثينات، أي في فترة تاريخية تميّزت بالافتقار الى القيادة الفلسطينية القادرة على قيادة الصراع ضد العدو الصهيوني والانتداب البريطاني، في آن».

تنبّه الكتاب الى مسألة هامّة في سياق استعراض ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ وهي البناء التنظيمي للثورة، التي ولدت، أولاً، بفضل عمليات عسكرية واغارات نفّذتها قوى فلسطينية مسلّحة تسليحاً ذاتياً، وقادها، في الأغلب، قادة محليون أفرزتهم نضالات الثورات السابقة. أهمّ ما سجّله الباحث، في هذا المجال هو، بدون شك، فشل الثورة ـ عبر قواها الاساسية ـ في الاتفاق على قيادة واحدة، أو اذا شئنا الدقّة فشلها في الاتفاق على رأس قيادي واحد، وهو الامر الذي عقدت من أجله الاجتماعات وأُجريت النقاشات دون التوصل الى صيغة يقتنع الجميع بها.

من هنا، فان عدم الاتفاق هذا كرّس مبدأ القيادات المحلية التي تمارس دورها ونفوذها في مساحة جغرافية محدّدة، قد تقوم بأعمال التنسيق مع المناطق المجاورة ولكنها لا ترتبط معها بشروط تنظيمية تلزمها برنامجاً ما في سياق مواجهتها للانتداب والصهيونية.

وعزا الكاتب هذا الضعف الى غلبة العنصر القروي ـ البدوي على جسم الثورة الاساس، حتى ان القوى المكوّنة للثورة قد ارتضت، غير مرة، ان تسلّم قيادتها لعرب من خارج فلسطين، ولكنها لم تسلّم لفلسطيني بأن يكون قائداً للثورة، كما فعلت بقبولها قيادة فوزي القاوقجي الذي كان وصل فلسطين على رأس قوة من المتطوعين العرب قدّرت بنحو مئتي مقاتل، في الثامن من أيلول (سبتمبر) ١٩٣٦، ووافق القادة المحليون على عقد اجتماع، برئاسته، ضمّ قادة الوحدات الرئيسة في جنين ونابلس وطولكرم، وهم فخري عبد الهادي وعبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرازق والشيخ فرحان السعدي والشيخ عطية محمد عواد ومحمد الصالح.

أمّا عن الأفق السياسي الذي حدّده القاوقجي للثورة، فان المؤلف أشار اليه من خلال «نداء حماسي» وجّهه القاوقجي، في ٢٨ آب (اغسطس) ١٩٣٦، بضرورة استمرار الثورة «الى ان تنسحب الجيوش البريطانية وتمنع الهجرة اليهودية منعاً باتاً وتُجلى الجماعات الصهيونية التي هبطت فلسطين على أساس وعد بلفور الباطل، ويقوم مجلس تأسيسي منبثق عن ارادة الشعب، يضع دستوراً للبلاد، يعيّن شكل الدولة، وتقوم بمقتضاه حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي تنتخبه الأمة انتخاباً حراً».

واستخلص المؤلف، من هذا السياق، سببين رئيسين أدّيا، من وجهة نظره، الى فشل ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ وهما: عدم الاعداد للثورة، اعداداً يضمن استمرارها، وبشكل خاص ما يتعلق بالاعداد الاداري والامدادي؛ وعدم وضوح التشكيلات الاجتماعية في فلسطين. فالبرجوازية المدينية كانت ناشئة وغير قادرة على قيادة الكفاح الوطني، وذلك اضافة الى ان التشكيلات الفلاحية والبدوية والبدوية ـ الفلاحية لم تتشكل لديها خبرات سابقة في العمل الجماعي، نتيجة لفترة الانعزال الطويل التي عاشتها تحت نظام النمط الاقطاعي العثماني.

وأفرد المؤلف مساحة كبيرة لـ «تكتيك العمليات القتالية الفلسطينية ومسائله ومشاكله». وأورد، في هذا السياق، وصفاً لاحدى المعارك الجبلية قدّمته جريدة «الشباب». وقعت المعركة في أواخر شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٨ وذلك استناداً الى مراسل لم تذكر اسمه: «كانت على جانب عظيم من الخطورة والأهمية. انها كانت معارك وليست معركة، لأن المناوشات التي بين قوات الجيش وبين الثوار وقعت في كثير من انحاء فلسطين، في جبال صفد وجنين وطبرية، وفي جبال نابلس وطولكرم وعلى الحدود السورية ـ الفلسطينية من جهة الشمال والشرق. امّا أكبر المعارك، فهي التي جرت على الحدود السورية ـ الفلسطينية». وتابع: «ان قوات بريطانية هائلة كانت اشتركت في المعركة وكانت مجهّزة بأحدث الاسلحة، وكانت الطائرات تقوم بحماية أسراب دباباتها. ودامت المعركة أربعة أيام متواليات، ذهب فيها عدد كبير قتلى وجرحى من الفريقين، وتؤكد المصادر العليمة ان خسائر الجيش كانت فادحة، وان الثوار استطاعوا ان يسقطوا أربع طائرات».

وروت «الشباب»، في مكان آخر، قصة اقتحام مدينة جنين، بتاريخ ١٩٣٨/٢/٢١، بهدف اظهار قوّتهم وسلطتهم ومعاقبة الخونة والمتعاونين وتمويل الثورة ذاتياً، فنقلت عن لسان مراسلها: «في منتصف الساعة الثانية عشرة والنصف من يوم ١٩٣٨/٢/٢١، سمع رجال دورية البلدة طلقاً نارياً، فاسرعوا الى المكان الذي صدر منه الطلق، ولكنهم فوجئوا بمئات من المجاهدين، وأسرع الباقون الى داخل البلدة يهلّلون ويكبّرون ويهزجون؛ وكان أول ما قصدوا اليه السراي، فحطموا أبوابها ونوافذها ودخلوها عنوة. وخرجت مع السكان لاستطلاع الخبر، وشدّ ما كانت دهشتي عندما شاهدت عشرات من المجاهدين الملثّمين يرابطون في الطريق وينادون بأعلى أصواتهم: اتركوا بيوتكم». وأضاف: «ولم يكد سكان البلدة يعلمون بأن الذين احتلوا القرية من المجاهدين حتى علت الزغاريد وحملت النساء الماء والطعام والثياب والعبي الى الملثّمين الذين يرابطون في المنعطفات».

قضايا ومواقف في «الشباب» و«العلم»

في هذا الفصل ـ وهو الثالث من الكتاب ـ عالج المؤلف بعضاً من القضايا التي تناولتها صحيفتا «الشباب» و«العلم». في البداية، أشار المؤلف الى المعاناة الكبيرة للطاهر في سبيل اعادة اصدار «الشورى»، وهي المعاناة التي تكلّلت بالفشل، حتى بادر صديقه الصحفي المصري، محمود عزمي، بوضع ترخيص صحيفة «الشباب» تحت تصرّفه كرئيس تحرير ومدير لها. ومنذ العدد الأول، نجد الطاهر قد أعلن عن أهدافه في الصفحة الاولى، مؤكداً ان هذه الجريدة ليس لها من مصدر مالي سوى الاشتراكات؛ «فلا حكومات ولا أحزاب تمدّها، ولا شركات تساعدها بالاعلانات، بل اني ما أصدرتها الّا لمخاصمة الاحزاب والشركات الضارّة والحكومات الظالمة. ثمّ ان أذناب الاستعمار وأعوانه، وكلهم يملك مصدر المال، سيقاومني مع المستعمرين دفاعاً عن أنفسهم ومناصبهم، لأنني سأناوشهم دائماً، وأدافع عن المخلصين والمظلومين أينما كانوا، وهؤلاء فقراء لا يستطيعون مساعدة، بل اني أرسلها للمجاهدين في البلاد المظلومة كلّها مجاناً، كما يعرف ذلك عني قراء ' الشورى' القدماء. اذن، فليعلم كل مشترك انه عندما يدفع اشتراكه لا يكون قد أدّاه عن نفسه فقط، بل يكون قد شاطرني حمل نفقة النسخ التي تقدّم هدية مني الى من أرى فائدة عامّة من اهداء الجريدة اليه من الفضلاء والمجاهدين، على الأخص الذين يحاربون الاستعمار».

أمّا أبرز القضايا التي اهتمت بها، فهي كما استخلصها المؤلف: الدفاع عن الحريات الصحافية، ومعالجة المسائل الخاصة بالقضية الفلسطينية ومن ضمنها التشكيلات السياسية الفلسطينية، والموقف من الانتداب، والنضال النسائي، والهجرة اليهودية الى فلسطين، والاقتصاد الوطني الفلسطيني، والمانيا النازية.

وبقراءة بحثية، استخلص المؤلف وقوف الطاهر، بصحفه، الى جانب قضايا الشعب العربي عموماً، والفلسطيني خصوصاً، في نضاله من أجل دحر المستعمر وتحقيق الاستقلال، ولعب دوراً نهضوياً على صعيد الفكر والثقافة بشكل عام، وهو دور يعطي للطاهر موقعاً ريادياً في تاريخ الصحافة والفكر الفلسطينيين.

الملاحظة الأبرز على منهج البحث هي في الطريقة التي اعتمدها الباحث في تقديمه للقضايا البارزة التي عالجها الطاهر في صحفه، حيث أجمل الباحث أبرز مراحل ثورة ١٩٣٦ مثلاً، دون ان يقدّم شواهد وأمثلة كافية من خلال مقالات، أو تعليقات، أو أخبار، وردت في صحف الطاهر، الأمر الذي خلق التباساً في مواضع متعددة من الكتاب، بشكل لم يعد القارىء فيه يعرف هل ما يقرأ هو وجهة نظر خاصة يكتبها شبيب، أم انها مقتطفات من صحف الطاهر.

هذه الملاحظة تنصبّ على طريقة التبويب، والتي لا تبدو لنا مجرد قضية شكلية ما دمنا ازاء بحث يقوم على تقصّي الصحف الثلاث، واستنطاقها، لتعريف القارىء الراهن بجزء من تاريخنا الصحافي والوطني. وكانت مهمة الباحث ستكون أفضل وأكثر خدمة للباحثين الذين يرغبون الاستفادة من كتابه لو انه عمد الى التعريف أكثر بما ورد في صحف الطاهر في بحثه، ولو ألزم نفسه فعلاً بقراءة الاحداث من خلال هذه الصحف؛ اذ ان الاحداث المقصودة مشهورة وباتت مدوّنة، غير ان ما هو مطلوب التعريف به هو مواقف هذه الصحف كما قرأنا في عنوان الكتاب.

كتاب سميح شبيب عن «محمد علي الطاهر؛ تجربته الصحافية في مصر...» كتاب يسدّ ثغرة في مكتبتنا الوطنية، وهو يفتح الباب أمام الباحث وغيره من الباحثين لمواصلة هذا الجهد بالدخول في تفاصيله والتي يمكن ان تكون مادّة لكتاب، أو أكثر، عن هذا العلم الوطني والثقافي من اعلامنا.

راسم المدهون

الحقيقة النووية الاسرائيلية

بيتر براي، **ترسانة اسرائيل النووية** (ترجمة منير غنّام)، بيروت: مؤسسة الابحاث العربية، الطبعة الاولى، ١٩٨٩، ٢٥٢ صفحة.

كثيراً ما أُحيط موضوع اسرائيل والترسانة النووية بالغموض؛ بل ان الموضوع كان عرضة للتناقضات من خلال أرقام ومعطيات تضمّنتها كتب وتقارير صحفية، او تلك التي اصدرتها جهات ومؤسسات دولية واقليمية مهتمة بموضوع الاسلحة النووية في اسرائيل، أو بموضوع الشرق الاوسط والخيارات النووية فيه، وذلك على الرغم من ان كثيراً من الموضوعات هذه قد اتّسم بجدّية وتدقيق شديدين.

وكتاب بيتر براي «ترسانة اسرائيل النووية» من احدث ما كتب عن الموضوع، وربما هو أحد أهمّ البحوث في هذا المجال، وذلك ليس بسبب المستوى الرفيع في منهجية البحث على أهميته؛ بل بسبب شمولية البحث، من جهة، والمعلومات الواسعة والمقارنة التي حشدها الباحث في سياق عمله، من جهة أخرى؛ يضاف الى ذلك احصائيات وبيانات وأشكال وصور اضافت الى محتويات الكتاب أهمية قصوى. وفوق ذلك، فان الكتاب هامّ في مصادره التي قاربت المئتي مصدر، ما بين كتاب ودراسة ومقالة وتقرير، نشرت في كبريات الدوريات العالمية والمتخصصة.

وقد اضافت الطبعة العربية الى هذا الكتاب الهامّ والمتميّز أهمية أخرى، حيث تمّ ترجمة والحاق نصّ التقرير الذي نشرته «الصنداي تايمز» البريطانية بعنوان «أسرار القوة النووية الاسرائيلية»، في ٥/١٠/١٩٨٦، والمستند الى افادة العالم النووي الاسرائيلي مردخاي فاعنونو المسجون، حالياً، في اسرائيل، بسبب كشفه بعض أسرار الترسانة النووية الاسرائيلية.

يتألف الكتاب من مقدمة وثلاثة فصول ثمّ الخاتمة والمراجع، وقد أُضيف اليها الملحق (تقرير فاعنونو) مع تقديم كتبه د. محجوب عمر، الذي قام بمراجعة الطبعة العربية وتقديمها.

تتضمّن مقدمة المؤلف مناقشة لموضوع التسلّح النووي الاسرائيلي، واجواء الغموض التي اضفاها المسؤولون الاسرائيليون على ذلك، دون ان يحسموا أمرهم بالاعتراف، أو بنفي، وجود سلاح نووي لديهم؛ اضافة الى انهم، وعلى ذات النسق يتعاملون عندما يجرى الحديث عن «احتمال» او «وجود» سلاح نووي اسرائيلي، بحيث يضيفون الى غموض الموضوع غموضاً جديداً بالالتفاف عن المعطيات والتفاصيل، دون ان يؤكدوا شيئاً محدّداً، أو ينفوه.

ومن ذلك ينطلق المؤلف في مقدمته، مشيراً الى انه سيناقش، في كتابه، مختلف الفرضيات والمعطيات والارقام لرسم «الخطوط العريضة للكيفية التي تطوّرت بها اسرائيل الى قوة نووية»؛ ثمّ القيام بمحاولة «استشفاف السمات الاساسية لترسانة اسرائيل النووية»، وفي الطريق نحو تحقيق الهدف، مضى الكاتب في فصوله الثلاثة، قبل ان يتوصّل الى صياغة النتائج والخاتمة.

عوامل ومساعدات

الفصل الاول «تاريخ برنامج الاسلحة النووية الاسرائيلي» تضمّن تدقيقاً وتفسيراً للأسباب التي

دفعت اسرائيل باتجاه الخيار النووي، والآليات التي فعلت ذلك من خلالها، موضحاً، على نحو خاص، تطوّرات برنامج التسلّح النووي الاسرائيلي، وهو البرنامج الذي بدأ مع قيام اسرائيل العام ١٩٤٨، وأخذ يتطوّر، تالياً، عبر مجموعة من الصلات، كانت اولاها «الصلة الاميركية» التي بدأت في أواسط الخمسينات مع البرنامج الذي حمل شعار «الذرة من اجل السلام»، وكان من نتائجه مفاعل سوريك الذي بدأ نشاطه في العام ١٩٦٠، وهو النشاط الذي ما زال موضع أخذ وردّ بين الذين يتناولون موضوع الاسلحة النووية في اسرائيل وسط مجموعة من الفرضيات تتعلق بأهمية المساعدة الاميركية. ورجّح براي ان المساعدة كانت هامّة، وإنْ تكن غير حاسمة في الوقت عينه، وهو ما تبدّى، بوضوح، عندما تطرّق الى «الصلة الفرنسية» بموضوع التطوّر الذري في اسرائيل (ص ٣٦).

وقدّم الكاتب ثلاثة دوافع لقرار فرنسا مساعدة اسرائيل لتصبح قوة نووية. أول هذه الدوافع هو «ردع المصريين» لايقاف دعمهم للثورة الجزائرية؛ والثاني محاولة اخراج القوة النووية الفرنسية من تحت المظلة الاميركية؛ والثالث اقامة تعاون مشترك بين اسرائيل وفرنسا في المجال النووي، ردّاً على ما قيل انه تحدٍ للتضييق الاميركي على فرنسا في نزوعها نحو تطوير برنامج ذرّي؛ وهكذا تجسّدت المساعدة الفرنسية، عملياً، في بناء مفاعل ديمونا، في العام ١٩٦٣، الذي كان الجزء الأهمّ في المساعدة الفرنسية لاسرائيل في الميدان الذري (ص ٣٩).

فرد الكاتب، في هذا الفصل، حيّزاً للكتابة عن عمليات وتقنيات صنع القنبلة الذرية الاسرائيلية الاولى، في العام ١٩٦٧، وعن تمويلها وأنواعها التي يعتقد بأن لدى اسرائيل نوعين منها، هما «قنابل البلوتونيوم» و«قنابل اليورانيوم»، مشيراً الى ما رافق ذلك من أعمال قرصنة وسرقات وتهريب قامت بها أجهزة الاستخبارات الاسرائيلية في اوروبا لتوفير مستلزمات صناعة الموت النووي التي استندت اليها سياسة اسرائيل النووية، والقائمة على أربع ركائز: لـ «عامل ردع» و«لتوجيه ضربة انتقامية»، وانكار رسمي «بصنع اسلحة نووية، ولكنها ستشير بصورة ضمنية الى وجود مثل هذه الاسلحة لديها»، و«منع اعدائها من الحصول على اسلحة نووية» حتى بالعمل العسكري (ص ٦٨).

واستعرض المؤلف التعاون المشترك والمساعدات المقدمة الى اسرائيل من جانب كل من المانيا الاتحادية وايران، ثمّ جنوب افريقيا وتايوان، في انتاج السلاح النووي، وتطويره، مبرزاً شهادات الصحافة العالمية وتقارير المخابرات المركزية الاميركية (C.I.A.) حول موضوعات التعاون النووي الاسرائيلي مع جنوب افريقيا (ص ٧٥ ـ ٨٠).

مناقشات وتقديرات

الفصل الثاني، الذي يحمل عنوان «القنبلة الذرية»، خُصّص لمناقشة جملة فرضيات تتعلق بالقنابل الذرية الاسرائيلية (طالما ان هناك عدم اعتراف)، من حيث «أجراء التجارب الذرية»، و«خيارات تصميم القنبلة الذرية: من اليورانيوم أم من البلوتونيوم»، ثمّ «خيارات تصميم القنبلة الذرية: انفجار داخلي أم مدفع؟»، و«خيارات تصميم القنبلة الذرية: قنابل كبيرة أم صغيرة؟».

وكما هو واضح من العناوين الرئيسة اعلاه، فان القسم الرئيس من الفصل ناقش الفرضيات الواردة في البحوث والدراسات والتقارير التي تناولت موضوع الترسانة النووية الاسرائيلية. والمناقشة التي أدارها المؤلف من أدق وأهمّ المناقشات التي تناولت الموضوع من أجل حصر التقديرات في أدق ما يمكن من أرقام ومعطيات، وهو الامر الذي مضى فيه المؤلف متمّماً الفصل، محاولاً الاجابة عن مجموعة اسئلة هامّة، من أبرزها «كم عدد الاسلحة النووية التي تمتلكها اسرائيل؟». وأجاب الكاتب عن السؤال في ان الحدّ الادنى لما تملكه اسرائيل من الاسلحة يتراوح ما بين ١١ ـ ١٨ سلاحاً ذرياً؛ واستعرض، في جدولين، عدد القنابل الذرية (الادنى والاعلى) على أساس تقديرات العام ١٩٨٤، مسنداً هذه التقديرات الى أرقام كانت أُصدرت عن هيئات وجهات مهتمة، أو تابعت الموضوع النووي الاسرائيلي (ص ١٤٧ ـ ١٤٩).

القسم الاخير من هذا الفصل تناول، على ذات النسق، ثلاثة جوانب من الترسانة النووية الاسرائيلية: اولها «الناتج الانفجاري»، وفيه أكد المؤلف ان الترسانة الاسرائيلية تضمّ خليطاً من القنابل ذات الناتج الانفجاري المتفاوت، والتي تتراوح طاقتها ما بين ١٠ ـ ٢٠٠ كيلوطن؛ «ولكن غالبية القنابل من قوة تتراوح ما بين ١٠ ـ ٢٠ كيلوطن، وهو ما يوازي القنابل الاميركية التي أُلقيت على هيروشيما وناغازاكي ابّان الحرب العالمية الثانية» (ص ١٥٥)؛ والثاني هو «جاهزية الاسلحة»، وناقش فيه وضعية السلاح النووي الاسرائيلي بين جاهزية الاستعمال الفوري، أو جعله «ممكن الجاهزية» في غضون ثلاثة أيام، وذلك تبعاً لروايات مختلفة. وهو، في النهاية، يفرّق بين القيمة الردعية للسلاح النووي في الحالتين، مرجّحاً ان الاسلحة الاسرائيلية النووية هي في حالة «جاهزية تركيب البراغي»، التي تستدعي أياماً قليلة فحسب (ص ١٥٨)؛ والثالث هو موضوع «تخزين الاسلحة» النووية، والتي وانْ لم تشر مصادر الى أماكنها، فهي، على الاغلب، «مخبأة في الصحراء»، حسب تقديرات تقرير لمجلة «تايم» الاميركية، وبشكل أكثر دقة وتفصيلية داخل مفاعل ديمونا، أو بقربه، وهو مكان يقع في صحراء النقب، ويتمتّع بمزايا وخصائص تجعل منه المكان الاكثر ترجيحاً ليكون صالحاً لتخزين السلاح الذري الاسرائيلي. وأضاف الى ذلك احتمالات ان تكون كل القواعد الجوية، المدنية والعسكرية، في اسرائيل ـ وهي بحدود ١٧ قاعدة ـ أماكن محتملة لتخزين السلاح النووي (ص ١٥٨ ـ ١٦٣).

أنظمة النقل

الفصل الثالث والاخير من الكتاب خصصه المؤلف لـ «أنظمة النقل». وقد مضى فيه براي يناقش الفرضيات المطروحة بصدد أنظمة النقل، والمحددة في ثلاثة: التصغير وخيار النقل بواسطة الصواريخ والمدفعية؛ وناقلات غير محتملة: طائرات النقل والطائرات المروحية؛ والناقلات المرجّحة: القاذفات النووية.

وعلى مدى ثلاثين صفحة، ناقش المؤلف الانظمة الثلاثة. فبصدد النظام الاول كتب: «تنقسم الآراء حول مهارات اسرائيل في التصغير، ويمكن الدفاع جيداً عن كلتا وجهتي النظر، المؤيدة والنافية لقدرة اسرائيل على اختصار حجم الرؤوس النووية بما يسمح للصواريخ، وخاصة صاروخ اريحا، بحملها؛ امّا الادعاء بوجود قدرات اسرائيل التصغيرية، ممّا يسمح بالنقل بصواريخ أصغر حجماً أو بالمدفعية، فانها أقل اقناعاً» (ص ١٧٢). وكما يلوح من روح هذا المقتطف، فثمة استبعاد لنظام النقل بالمدفعية وبالصواريخ الصغيرة، مع احتمال فعالية الصواريخ، مثل صاروخ اريحا (٣٠٠ ميل) في نظام نقل، وهو أمر سيظل مرتبطاً بمدى الاهداف التي ستوجّه اليها أسلحة التدمير النووي الاسرائيلية، والتي ليست قريبة جميعها.

وعن نظام النقل الثاني (النقل بالطائرات)، نقل المؤلف عن هاركابي قوله «ان اسرائيل تستطيع نقل اسلحتها النووية الى الهدف المراد ضربه بواسطة طائرات النقل المدنية والعسكرية، أو الطائرات المروحية». وأضاف، في الوقت عينه، اقراره بأن اللجوء الفعلي الى أي من هذه الوسائط مستبعد تماماً (ص ١٨٦ ـ ١٨٧). وناقش براي، استناداً الى هذه الخلاصة، نظام النقل بالطائرات، موضحاً ما يحيط بالموضوع من اشكالات تلعب دوراً مؤثراً في استبعاد هذا النظام، أو وضعه في أدنى سلّم الارجحيات، أو للحالات الخاصة جداً، التي لا يكون فيها من الممكن استخدام نظام نقل آخر، وعندها يمكن استخدام هذا النظام (ص ١٨٨).

وفي ضوء تحليل وتقدير المؤلف للوقائع والملابسات المحيطة بنظامي النقل السابقين من أنظمة النقل النووي، وصل المؤلف، مع نهاية فصله، الى النظام الثالث «الناقلات المرجّحة القاذفات النووية»، فكتب: «ولكون وسائل الاطلاق الاخرى غير جديرة بالثقة الى درجة كافية، يصبح من المرجح ان تعتمد اسرائيل، في المقام الاول، على الطائرات النفاثة لنقل القنابل الذرية. فبالاضافة الى قدرة هذه الطائرات على بلوغ مسافات أبعد، فان الانواع الحديثة منها، مثل اف ـ ١٥ واف ـ ١٦، توفّر دقة أفضل من الصواريخ. ومن بين التشكيلة الواسعة من القاذفات المقاتلة التي يمتلكها سلاح الجو الاسرائيلي، من المرجح ان ينحصر الاختيار في عدد ضئيل محدّد منها لتنفيذ مهام نووية (ص ١٨٩).

والاساس الذي انطلق منه براي الى الخلاصة هذه في اعتماد نظام النقل بالقاذفات النووية هي الامكانات القائمة في بعض طائرات سلاح الجو الاسرائيلي، والتي أشار المؤلف الى بعضها عند تطرّقه الى عملية قصف المفاعل النووي العراقي في العام ١٩٨١، والتي تطلّبت امكانات تكتيكية هامّة، وأعطى أرجحية للقيام بدور كهذا للطائرات الاميركية «اف ـ ١٥ ايغل» التي تحتوي على تجهيزات للحرب الالكترونية، وأجهزة الكترونية للملاحة الجوية، وقدرات عالية على الاختراق، وتتفوّق، الى حدّ بعيد، على كل أنواع الطائرات الاخرى، من حيث بعد المدى (ص ٢٠٠ ـ ٢٠١).

خلاصة

وفي خاتمة الكتاب، الواقعة في اثنتي عشر صفحة، وضعنا الكاتب أمام جملة خلاصات؛ اذ وصف كتابه بأنه محاولة «اعادة تجميع وتركيب اجزاء تاريخ تطوّر الاسلحة الذرية الاسرائيلية، وتحديد السمات والمواصفات المحتملة لترسانة اسرائيل النووية» (ص ٢٠٧). وفي هذا أشارت الخاتمة الى خلاصات منها: ان السلاح النووي الاسرائيلي يقوم على مبدأ «الردع»، وان اسرائيل التي تُلمح، بصورة غير رسمية، بامتلاك قوة نووية تصرّ على البقاء وحيدة في هذا الميدان في اطار الشرق الاوسط، وقد استغلت، من اجل الوصول الى القوة النووية، مساعدات وامكانات دولية هائلة، ابرزها امكانات فرنسا والولايات المتحدة الاميركية وتايوان وايران وغيرها.

وأضافت الخاتمة ان الترسانة النووية الاسرائيلية مؤلفة من نوعين من القنابل، «قنابل بلوتونيوم ٢٣٩»، و«قنابل يورانيوم ٢٣٥»، والوزن يتراوح بين النوعين الادنى والاقصى ١٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ رطل؛ والعدد يصل الى ٤١ سلاحاً، ومركز التخزين في مفاعل ديمونا، أو جواره على أرجح تقدير؛ وان نظام النقل الاكثر احتمالاً وجدوى هو النقل بواسطة القاذفات الاميركية (ص ٢١٢).

وبعد، فان كتاب براي يشكّل اضافة نوعية متميّزة في تناول «ترسانة اسرائيل النووية»، من حيث تدقيقاته في المعطيات والتفاصيل ومقارنتها، ومن ثمّ وضع خلاصة أكثر وضوحاً ودقّة، تجيب عن أكثر الاسئلة اثارة، الامر الذي يضع أمام العرب، دولاً وشعوباً، حقيقة التحدي النووي الاسرائيلي في المنطقة.

فايز ساره

المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً

مواجهة سلبيات الموقف الاميركي

خلال الشهر الماضي، بدت الحركة السياسية الفلسطينية في حالة تريّث. فقد ترك قطع الحوار الاميركي ـ الفلسطيني آثاره في مجمل التحرّكات. في المقابل، حاولت القيادة الفلسطينية التحرك، على غير صعيد، لمحاصرة الآثار السلبية لمواقف الولايات المتحدة الاميركية ازاء التحرّك السلمي الفلسطيني، وأعلنت عن عزمها على عقد دورة استثنائية للمجلس المركزي الفلسطيني، ودعت، من جهة أخرى، الى عقد دورة طارئة لمجلس وزراء الخارجيات العرب.

وازاء ما تواجهه المنظمة من تحديات متتالية، رأت أوساط سياسية فلسطينية ان م.ت.ف. تقف تجاه تحدٍ جديد؛ «فامّا ان تنجح في فتح المزيد من الآفاق أمام الانتفاضة ومبادرة السلام الفلسطينية وتعزل، بالتالي، الموقفين، الاميركي والاسرائيلي، وتعمّق مأزقهما؛ وامّا ان تنجح الحرب الاميركية ـ الاسرائيلية الجديدة على الشعب الفلسطيني ونضاله». وأضافت الاوساط السياسية، ان المنظمة باتت مطالبة بتشديد حماية وصون المكتسبات التي أنجزتها وتجنيد الطاقات في هذا الاتجاه. وأكدت تلك الاوساط ان الاجتماع الطارىء لوزراء الخارجيات العرب سيشكل «الخطوة الاولى لنقل الموقف العربي خطوة نوعية أكبر من حدود الاستنكار الكلامي باتجاه العمل الحثيث لتطبيق قرارات قمّة بغداد» (**الحرية**، نيقوسيا، ١/٧/١٩٩٠).

ما بعد وقف الحوار

لا تزال الاوساط السياسية الفلسطينية تجمع على «ان تعليق الحوار الاميركي ـ الفلسطيني يعني ان الموقف الاميركي ما زال منحازاً الى اسرائيل، وما زالت الادارة الاميركية خاضعة للابتزاز الصهيوني (من مقابلة مع فاروق القدومي، **القبس**، الكويت، ٢٣/٧/١٩٩٠). ورأت في اصرار واشنطن رهن معاودة الحوار بادانة القيادة الفلسطينية للعملية الفدائية البحرية بالتحديد، وبفصل الأمين العام لجبهة التحرير الفلسطينية، محمد عباس (ابو العباس)، من اللجنة التنفيذية، ذريعة ليس غير لتبرير اجرائها.

وفي هذا السياق، أكد عضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، صلاح خلف (أبو اياد)، انه اذا كان الاميركيون ملتزمين فعلاً بالتسوية السلمية، «فانه ليس أمامهم اي سبيل سوى بدء الحوار مع م.ت.ف. من جديد؛ اذ ان الاصوات المعتدلة بدأت تنخفض، بينما أخذ الصوت الراديكالي يرتفع». وأضاف: «اننا لم نرغب في تعليق الحوار؛ ولكن لنا كرامتنا واحترامنا الذاتي. فلو كنّا سنقبل بهذه الشروط الاميركية لفعلنا هذا من قبل». في الوقت عينه ـ قال خلف ـ «[نحن] نقوم بمراجعة العملية البحرية؛ وعندما نتوصل الى نتيجة، فاننا سنعلنها على الملأ» (**الشرق الاوسط**، لندن، ١٤/٧/١٩٩٠).

على أية حال، في ضوء تجربة الحوار، بعد مرور زهاء عشرين شهراً على بدئه، وجّه العديد من المسؤولين في م.ت.ف. نقداً الى السلوك الاميركي في التعامل مع الفلسطينيين. فمنهم «من قال انه [الحوار] ولد ميتاً»، أو انه «لم يكن حواراً، بل كلاماً»، أو ان «الحوار مقطوع منذ أيار [مايو] ١٩٨٩»، أو ان «قطع الحوار [هو] هدية للشعب الفلسطيني، لأنه لم يكن مثمراً» (**الحرية**، ١٥/٧/١٩٩٠).

وفي ضوء التعنّت الاميركي، باتت الاوساط العربية مقتنعة بأنه، وعلى الرغم من الكلام الكثير الذي يتردّد على ألسنة المسؤولين الاميركيين حول الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وعلى الرغم من كثافة التصريحات الصادرة في هذا الشأن عن الاطراف المعنيّة بهذا الصراع، فان شيئاً لا يظهر وجود عمل جدّي باتجاه التوصل الى تسوية. «فعلى خلاف ما يقال عن مشروعات أميركية وخطط عربية

واقتراحات اسرائيلية ومبادرات فلسطينية، فان هذا الصراع يعيش حالة من الثبات» (غسان مكحّل، **السفير**، بيروت، ١٢/٧/١٩٩٠). في ظل هذه الظروف والمناخات، فان عودة الحوار لا تبدو قريبة، ولربما تمضي فترة طويلة قبل ان يستأنف من جديد، وعلى قاعدة جديدة.

الى ذلك، رأت أوساط مطلعة ان «م.ت.ف. يوم اختارت حمل الهمّ الفلسطيني باعتباره أساس ومحور الهمّ القومي العربي كانت تعي مسؤولياتها، وتعرف، تماماً، ان خيارات حل القضية الفلسطينية لم تكن، في يوم من الايام، رحبة وفضفاضة. وهي من دون شك، قادرة على تجاوز هذه المعضلة... فالحوار مع الولايات المتحدة الاميركية، باجماع فلسطيني، داخل الاراضي المحتلة وخارجها، لم يكن، في يوم من الايام، وعلى مدار سنة ونصف هي كل عمر هذا الحوار، هدفاً فلسطينياً، بقدر ما كان وسيلة لتحقيق السلام في المنطقة، الذي على قاعدته تحل القضية الفلسطينية بما يرضي طموحات الشعب الفلسطيني في تقرير المصير واقامة الدولة المستقلة» (**الشرق الاوسط**، ١٣/٧/١٩٩٠).

اجتماع وزراء الخارجيات العرب

دعت م.ت.ف. الى عقد اجتماع عاجل لوزراء خارجيات الدول العربية لاتخاذ اجراءات فعّالة، من اجل مواجهة تصاعد التهديدات الاسرائيلية، وفق ما أعلنه السفير الفلسطيني في تونس، حكم بلعاوي، في ٢٣/٦/١٩٩٠. وأكد بلعاوي، ان الحكومة الاسرائيلية الجديدة «وضعت لنفسها هدف تدمير الانتفاضة، بالاضافة الى تهديداتها لبعض الدول العربية. كما ان تعليق الحوار الاميركي - الفلسطيني هو تشجيع لهذه الحكومة في خطتها لتصعيد الارهاب والتوسّع. ولهذه الاسباب مجتمعة تتعاظم ضرورات عقد هذا الاجتماع» (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ١/٧/١٩٩٠).

ترافقت دعوة م.ت.ف. الى عقد الاجتماع الوزاري العربي الطارىء مع اعلان الرئيس الاميركي، جورج بوش، عن قرار الادارة الاميركية بتعليق الحوار الاميركي - الفلسطيني، وشروط الولايات المتحدة الاميركية لمعاودة استئنافه في العشرين من حزيران (يونيو) الماضي. وحرصت المنظمة على ان تؤكد أهمية عقد الدورة غير العادية في أسرع وقت ممكن، نظراً الى خطورة المستجدات التي تستدعي ضرورة عقدها بشكل عاجل (**المصدر نفسه**، ٢٢/٧/١٩٩٠). ونجحت م.ت.ف. في دعوتها تلك. وعقدت الدورة في تونس، في ١٦/٧/١٩٩٠. وشارك فيها ثمانية وزراء، ثلاثة منهم وزراء خارجيات العراق وتونس والجزائر، والباقون هم امّا وزراء لشؤون أخرى أو المندوبون الدائمون في جامعة الدول العربية. وترأس الوفد الفلسطيني عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. محمود عباس (أبو مازن)، وحضر الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، الاجتماع أيضاً.

وبعد يومين من المناقشات، اختتمت الدورة الطارئة باصدار بيان ختامي تضمّن جملة من القرارات المشبعة بروح قمّة بغداد؛ ولعل أبرزها مساندة مطلب اليهود الراغبين في العودة الى البلدان التي هاجروا منها، بما في ذلك البلدان العربية، مع الاستعداد لتقديم ما يلزم من نفقات لعودتهم الى مواطنهم الاصلية في البلدان العربية، وكذلك تضامن المؤتمرين مع موقف م.ت.ف. من الشروط الاميركية لاعادة الحوار، وطلب حماية دولية مؤقتة للمناطق المحتلة.

من ناحية أخرى، أعلنت وسائل الاعلام الفلسطينية ان المجلس المركزي الفلسطيني سيعقد دورة جديدة، في ضوء تعليق الحوار الاميركي - الفلسطيني وتزايد القمع الاسرائيلي في المناطق المحتلة بعد تشكيل الحكومة اليمينية في اسرائيل وتهديداتها لـ م.ت.ف. وبعض الدول العربية. وتوقّعت تلك الوسائل ان يناقش المجلس ثلاثة مستجدات على صعيد الصراع العربي - الصهيوني، وهي: نتائج اجتماعات وزراء خارجيات الدول العربية، وبيان «قمّة دبلن»، ونتائج لقاء الرئيس عرفات مع الأمين العام للأمم المتحدة، خافيير بيريز ديكويلار في جنيف (**المصدر نفسه**، ١٥/٧/١٩٩٠). كما طالبت أوساط سياسية فلسطينية بضرورة مناقشة القضايا الحيوية، وفي المقدم منها جدوى الحوار الاميركي - الفلسطيني، اضافة الى مختلف أوجه العملية السلمية

الفلسطينية، وضرورة «تصحيح مسار الحوار، وكذلك الاصرار على تحشيد الجماهير والرأي العام العالمي باتجاه القضايا الجوهرية للحل الشامل والمتوازن، عملاً بمبادرة السلام الفلسطينية» (من مقابلة مع نايف حواتمة، **الحرية**، ١٥/٧/١٩٩٠). الّا ان المجلس المركزي لم يعقد؛ اذ تأجّل غير مرة، ومن ثمّ علّقت مسألة اجتماعه الى أجل غير محدّد.

المباحثات السورية ـ المصرية

كرّست زيارة الرئيس حافظ الاسد لمصر ولقاؤه الرئيس حسني مبارك في قمّة الاسكندرية المصالحة بين النظامين، السوري والمصري، بعد أكثر من عشرة أعوام من القطيعة والاختلاف والتناقض. وأكثر من ذلك، اعتبر معظم وسائل الاعلام العربية والعالمية هذه القمّة نقطة تحوّل، وبداية عهد جديد في العالم العربي. على ان ما توقف المراقبون عنده طويلاً هو حرص المصادر القريبة من قمّة الاسكندرية على القول ان الاسد ومبارك لم يتناولا موضوع العلاقات السورية ـ الفلسطينية التي وانْ خفّت درجة حدّتها، في الآونة الاخيرة، الّا انها لا تتطوّر بسرعة كافية. وأبدى المراقبون استغرابهم من تجاهل القمّة لهذا الموضوع، خصوصاً ان صيغة المؤتمر الدولي تتطلب مشاركة المنظمة فيها، ولا بدّ من ان تكون القيادة الفلسطينية مواكبة لجميع الخطوات والاتصالات المتعلقة بهذا الموضوع (**الافق**، ٢٦/٧/١٩٩٠). ومن الجدير ذكره، في هذا السياق، ان المزيد من التكهّنات والتوقعات سبقت، ورافقت، انعقاد القمّة السورية ـ المصرية، وكانت، في مجملها، تدور حول عقد لقاء ثلاثي يضمّ عرفات ومبارك والاسد؛ وكان هنالك أكثر من وجهة نظر حول ذلك؛ الأولى قالت انه ليس من المؤكد، بعد، ان ينضمّ الرئيس الفلسطيني الى القمّة المصرية ـ السورية؛ والثانية توقّعت ان تكون مشاركة عرفات في هذه القمّة وتحوّلها الى قمّة ثلاثية متوقفة على نقطتين: الاولى مدى التقدّم الذي يمكن احرازه في العلاقات السورية ـ الفلسطينية من خلال الاتصالات التي تجرى في هذه المرحلة؛ والثانية هي انتهاء الادارة الاميركية من تقويم رسالة اسحق شامير الاخيرة الى بوش وتحديد موقفها تجاه الافكار التي تتضمّنها هذه الرسالة، وهو الامر الذي سيؤدي، بالضرورة، الى اجراء اتصالات مصرية ـ فلسطينية حول الموقف الاميركي الجديد (جمال عنايت، **الشرق الاوسط**، ٩/٧/١٩٩٠). الّا ان تلك التوقّعات لم تتحقق، وعقدت القمة دون مشاركة عرفات فيها. بل ان بعض نتائجها غير المباشرة كان من شأنه توتير العلاقات الفلسطينية ـ السورية، فظهرت بوادر أزمة، وشنّت الصحافة ووسائل الاعلام المصرية حملة عنيفة على م.ت.ف. ورئيسها عرفات، تحت حجج وذرائع مختلفة، من بينها ما أوردته الصحف المصرية، بتاريخ ١٩/٧/١٩٩٠، من ان عرفات ذكر، في مداخلته في مجلس جامعة الدول العربية خلال الاجتماع الطارىء الذي عقد في تونس، ان مصر، على لسان رئيس وزرائها الاسبق، مصطفى النحاس باشا، نصحت الفلسطينيين، في العام ١٩٤٩، بالتخلّي عن حائط المبكى لليهود. وفي هذا السياق، أدلى مصدر رسمي مسؤول في م.ت.ف. بتصريح، بتاريخ ٢٠/٧/١٩٩٠، حول ذلك، نفى فيه صحّة ما تناقلته وسائل الاعلام المصرية. كذلك نفى الرئيس عرفات ان يكون قد تعرّض للزعيم الوطني الراحل مصطفى النحاس باشا بأية اساءة «وهو الزعيم الذي تقدره القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني، وتقدر مواقف حزب الوفد الوطنية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية» (**فلسطين الثورة**، ٢٩/٧/١٩٩٠).

وفي سياق محاصرة الأزمة، ارسل الرئيس عرفات رسالة عاجلة الى الرئيس مبارك تتعلّق بالتصريحات التي أدلى بها في تونس، وما نسبته اليه وسائل الاعلام المصرية من مواقف زُعم انه اتخذها خلال الاجتماع الطارىء لوزراء خارجيات الدول العربية. وذكر مصدر رسمي ان رسالة الرئيس عرفات جاءت رداً على رسالة بعثت بها مصر، من خلال سفيرها في تونس، طلبت فيها تحديد الموقف الرسمي لـ م.ت.ف. تجاه التصريحات الصادرة عن بعض أعضاء المنظمة، والتي اعتبرها بعض المصادر في القاهرة «غير مسؤولة» (**الشرق الاوسط**، ٢١/٧/١٩٩٠).

من جهة أخرى، رأت أوساط صحفية عربية «ان حق الاختلاف مشروع، وان حق الصحافة

المصرية ان تكون مدافعاً عن وجهة النظر المصرية مشروع، ولكن ليس من حقها ان توجّه الاتهامات، وبهذا الشكل غير اللائق، الى الشعب الفلسطيني ورموزه. وبكل صراحة، ان القيادة المصرية تتحمّل مسؤولية كبرى في كل هذا؛ وعليها ان تقول كلمتها بوضوح في مثل هؤلاء الذين يعاكسون تيار الانتماء العربي لمصر» (عاطف عودة، **اليوم السابع**، باريس، ١٩٩٠/٧/٣٠).

وسط هذه الاجواء انحسرت مساعي السلام الفلسطينية، باستثناء لقاءين: الاول جمع عرفات مع الامين العام للامم المتحدة، ديكويلار، في جنيف، بتاريخ ١٩٩٠/٧/٨؛ والثاني، استقبال عرفات وفد «التروبكا» الاوروبية، في تونس، بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٤، والمؤلف من وزراء خارجيات ايطاليا وايرلندا ولكسمبورغ (وفا، تونس، ١٩٩٠/٧/٢٤).

س. ش.

القمّة المصرية ـ السورية

بعد اعادة العلاقات الدبلوماسية بين سوريا ومصر، زار الرئيس المصري، حسني مبارك، دمشق، منهياً بذلك القطيعة التي قامت منذ زيارة الرئيس المصري الراحل، أنور السادات، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧. ورداً على زيارة مبارك، توجّه الرئيس السوري، حافظ الاسد، الى مصر، في ١٤/٧/١٩٩٠، في زيارة رسمية لها. وكانت السفارة السورية في القاهرة وزّعت بياناً سبق الزيارة، افادت فيه بـ «ان جدول زيارة الرئيس السوري، حافظ الاسد، لمصر... مفتوح لدراسة كافة الموضوعات، وان هذا يعكس جوّ الأخوّة التاريخي بين القطرين الشقيقين... [والزيارة] تكتسب أهمية كبرى في ظل التطوّرات الراهنة على الساحتين، العربية والدولية، وفي وقت يواجه... العرب تحديات كبيرة، أمنية وسياسية واقتصادية» (**الاهرام**، القاهرة، ١٣/٧/١٩٩٠). وقد عقد الرئيسان، المصري والسوري، جلسات عملهما في الاسكندرية.

وقوّمت الاوساط العربية الرسمية قمة الأسد ـ مبارك ايجابياً، حيث وصف الرئيس التونسي، زين العابدين بن علي، اللقاء «بأنه جاء في الاطار الطبيعي للعلاقات العربية» (**المصدر نفسه**، ١٩/٧/١٩٩٠). واعتبر سفير الاردن لدى مصر، نبيه النمر، «ان زيارة الرئيس الاسد لمصر تأتي انطلاقاً من ادراك القادة العرب لأبعاد المخاطر والتحديات التي تواجه المنطقة... [و] ستساهم، مساهمة فعّالة، في تنقية الأجواء العربية... بشكل يكفي لتعزيز التضامن العربي، ويؤهل الأمة العربية للتعامل مع التطوّرات والمستجدات الدولية، من منطلق قوة وحدة الموقف» (**المصدر نفسه**، ١٦/٧/١٩٩٠). وأوضح السفير الجزائري، في القاهرة، عبدالحميد عجالي، «ان لقاء مبارك والاسد يضع لبنة جديدة في الصرح العربي، ويضع الامور في مجراها الطبيعي... [و] اللقاء هو لصالح الامة العربية، وستكون له آثار ايجابية ملموسة على الصعيد العربي، حيث ان العلاقات المصرية ـ السورية لها أهميتها البالغة على الصعيد العربي» (**المصدر نفسه**). وقال سفير لبنان، عبدالرحمن الصلح: «ان الشعب العربي، بصفة عامة، والشعب اللبناني بكل فئاته، بصفة خاصة، يتطلع الى هذه الزيارة بمزيد من الامل والرجاء في ان تساهم... [في] حل أزمته ومحنته التي طالت واستمرت أكثر ممّا يجب... [واللقاء] سوف يمهّد الطريق، كذلك، لتكون القمة العربية بالقاهرة في تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل من أنجح القمم، حيث انها ستعقد بعد ان تكون قد زالت خلافات عربية كثيرة» (**المصدر نفسه**).

وبالطبع، اعتبر المسؤولون في كلا البلدين، ان القمة اياها رصيد هامّ للعمل العربي المشترك؛ حيث قال نائب الرئيس السوري، عبدالحليم خدام: «ان التنسيق، والتعاون، والتلاحم، بين سوريا ومصر أثبت، عبر المراحل، جدواه... الى الأمة العربية... ومن الطبيعي ان تشكّل القمة المصرية ـ السورية عناصر أساسية تساعد في انجاح مؤتمر القمة العربي المقبل... وفي ايجاد الأطر والسبل التي تمكّن العرب من مجابهة التحديات» (**الحياة**، لندن، ١٨/٧/١٩٩٠)، وهي تساعد ـ والكلام لخدام ـ «على تحسين، وتصحيح، ظروف العمل العربي المشترك، وستشكّل أرضية جديدة من أجل رؤية مستقبلية لمواجهة جميع التحديات التي تواجه الأمة العربية من أية جهة كانت» (**الاهرام**، ١٦/٧/١٩٩٠، ص ٣). وقال وزير خارجية مصر، د. عصمت عبدالمجيد: «ان زيارة الرئيس السوري... لمصر، ولقاءات القمة المصرية ـ السورية... ستكون لها نتائج ايجابية هامّة على الساحتين، الاقليمية والدولية... [حيث] ان الزعيمين العربيين ناقشا، بكل وضوح، العديد من القضايا ذات الأولوية، ومنها، بالضرورة، القضيتان، اللبنانية والفلسطينية، بالاضافة الى

جهود استكمال دائرة الوفاق العربي، تمهيداً لانعقاد مؤتمر القمة العربي [المقبل] بالقاهرة... دون غياب أي زعيم، أو دولة عربية» (**المصدر نفسه**، ١٨/٧/١٩٩٠). وأوضح رئيس وزراء مصر، د. عاطف صدقي، في هذا الاطار، ان سياسة الرئيس مبارك العربية «تهدف الى تحقيق التنقية الكاملة للأجواء، والى عودة العلاقات المصرية ـ العربية الى أوضاعها الطبيعية» (**الحياة**، ١٨/٧/١٩٩٠).

المصالحات العربية وعملية السلام

عدا موضوع العلاقات الثنائية بين البلدين، والاتفاقات التي توصل اليها الرئيسان، المصري والسوري، في اجتماعات القمة، بحثا في قضايا المنطقة؛ وبالطبع من بينها مصالحة سوريا مع كل من العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية. وقد عكس المؤتمر الصحافي الذي عقده الرئيسان، في ختام اجتماعاتهما، تلك القضايا التي ناقشاها. فعلى صعيد مصالحة سوريا مع العراق، قال الرئيس مبارك، ان الموقف «أفضل بكثير ممّا كان عليه من قبل؛ ولذلك، فان وسائل الاعلام من الجانبين هادئة... [و] اننا نعمل من أجل ذلك» (**المصدر نفسه**). وقال الرئيس الاسد: «في ما يتعلق بالعراق، فهي مشكلة معروفة مرّت عليها سنوات؛ ولكن، في النهاية، نحن بلدان عربيان سنتفق مهما طال الزمن، [و] الأخ الرئيس حسني مبارك تحدث معي في أكثر من جلسة عن هذا الموضوع، ويستحق الشكر على هذه الجهود، ونتمنّى له التوفيق» (**المصدر نفسه**). وعلّق مدير مكتب الرئيس مبارك للشؤون السياسية، د. أسامة الباز، قائلاً، ان «المصالحة بين كل البلدان العربية شرط أساسي لكل عمل عربي فاعل على الصعيدين، السياسي والاقتصادي» (**المصدر نفسه**، ١٦/٧/١٩٩٠).

بالنسبة الى مصالحة سوريا مع منظمة التحرير الفلسطينية، قال الرئيس مبارك، في المؤتمر الصحافي المشترك: «بحثت مع الرئيس الاسد مشكلة الشرق الاوسط، بصفة عامة، ولم نناقش مشكلة المنظمة، مع سوريا، وأعتقد بأن الوقت سيجيء لايجاد حل لهذا الامر». وقال الاسد: «فيما يتعلق بالمنظمة، لا توجد مشكلة بينها وبين سوريا، ولا توجد قضايا جوهرية نختلف حولها، انّما حول اجتهادات بالنسبة الى الطرق السياسية لتحقيق السلام في الشرق الاوسط» (**المصدر نفسه**، ١٨/٧/١٩٩٠). ونُقل عن الرئيس السوري قوله: «ان أبواب دمشق مفتوحة لاستقبال الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في اطار تنسيق عربي شامل يتعامل مع قضية السلام، مشيراً الى وجود شبه اتفاق على أسس التحرك العربي المشترك، ومؤكداً ان سوريا مستعدة، في أي وقت، لاستقبال وفد فلسطيني، برئاسة عرفات، أو من يوفده» (**المصدر نفسه**، ١٦/٧/١٩٩٠). وفي مقابلة مع صحيفة «الاتحاد» الصادرة في أبو ظبي، استهجن نائب الرئيس السوري، خدام، استخدام كلمة مصالحة مع منظمة التحرير الفلسطينية، «لكون هذه الكلمة لا تكون الاّ بين أطراف متصارعة؛ ولكن ما بيننا وبين بعض القيادات الفلسطينية هو خلاف سياسي حول وسائل وأساليب التعامل مع الصراع العربي ـ الاسرائيلي... [و] تجرى... لقاءات بين مسؤولين سوريين وفلسطينيين [للبحث] حول القضايا السياسية التي لسنا متفقين على جوهرها وعلى وسائلها» (**الاهرام**، ١٣/٧/١٩٩٠، ص ١٩).

اضافة الى المواضيع آنفة الذكر، تداول الرئيسان، مبارك والاسد، كما أوضحا في مؤتمرهما الصحافي المشترك، في عملية السلام في الشرق الاوسط. فقد قال الرئيس السوري: «منذ زمن طويل ونحن ننادي بالسلام؛ وسوريا، منذ بداية الستينات [السبعينات]، وخاصة بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر)، وافقت على القرار الرقم ٣٣٨. واستناداً الى القرار ٢٤٢، عُقد مؤتمر جنيف للسلام في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ [١٩٧٤]. ونحن ما زلنا على مواقفنا نريد سلاماً عادلاً وشاملاً... [و] لسنا مختلفين، أنا والرئيس مبارك، على ان تكون هناك حركة جدية نحو السلام، ونعمل بشكل متفاهم عليه... [و] نحن جاهزون حسب الظروف... [و] هي ظروف الاطراف المختلفة، ولا تتعلق بنا فقط، وانما بأطراف أخرى خارج المنطقة، في الشرق والغرب، وانْ كنّا، بطبيعة الحال، نحن الذين نُقرر في المنطقة» (**الحياة**، ١٨/٧/١٩٩٠). وأوضح الرئيس مبارك، في المؤتمر الصحافي: «اننا ننتظر نتائج المفاوضات الأميركية ـ الاسرائيلية» (**المصدر**

نفسه، ١٧/٧/١٩٩٠). وكان الرئيس الاسد قال، في مأدبة العشاء التي أقامها للرئيس القبرصي، جورج فاسيليو، في اثناء زيارة الاخير لدمشق: «ان العودة الى المؤتمر الدولي الذي عُقد العام ١٩٧٣ في حضور مصر والاردن واسرائيل، اضافة الى الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي، وفي غياب سوريا ومنظمة التحرير ' لا يشكّل فرصة مناسبة لتحقيق السلام العادل والمستقر في الشرق الاوسط' ... ونحن نرى ان استئناف هذا المؤتمر أعماله يمكن ان يشكّل فرصة مناسبة لتحقيق سلام عادل ومستقر» (**الحياة**، ٢/٧/١٩٩٠).

وكانت صحيفة «البعث» الناطقة باسم الحزب الحاكم في سوريا، كتبت، في احدى افتتاحيتها: «ان سوريا ومصر، بموقعيهما الجغرافيين ووزنهما البشري، والسياسي، والعسكري، والدبلوماسي، تشكّلان قاعدة عربية متينة... من اجل اقامة سلام عادل وشامل في منطقة الشرق الاوسط... [حيث] لا بدّ للعرب من ان يشددوا ضغطهم على اسرائيل في جميع الميادين الاقليمية، والدولية، لزيادة عزلتها وفضح نواياها المعادية للأمن والسلام، ولتطويع المتغيّرات العالمية لصالح القضية في استرداد الارض، واستعادة الحقوق، واقامة السلام العادل والشامل» (**القدس العربي**، لندن، ١٣/٧/١٩٩٠، ص ٣). وذكرت صحيفة «تشرين» الحكومية السورية، ان الهدف الرئيس للقمة هو «تجميد الخلافات العربية الداخلية، تمهيداً لحل عادل وشامل في الشرق الاوسط» (**المصدر نفسه**). كما كتب رئيس تحرير صحيفة «البعث»، د. تركي صقر، مقوّماً نتائج القمة: «ليس غريباً... ان يستقطب لقاء الاسكندرية اهتمام العالم كله؛ فوزن سوريا ومصر، في الوطن العربي، هو وزن مؤثر وكبير وقادر على ترجيح أية كفّة يوضع فيها؛ ووزنهما الاقليمي قادر على التأثير، تأثيراً حاسماً، في موضوع الحرب والسلم في المنطقة؛ ويصح، هنا، ان نستذكر المقولة الشهيرة... ان لا سلام في المنطقة بدون سوريا، ولا حرب بدون مصر؛ ولقاؤهما، اليوم، مقوّم في العالم كله بأنه لقاء حاسم في تقرير مسألة الحرب والسلام في المنطقة» (د. تركي صقر، **البعث**، دمشق، ١٩/٧/١٩٩٠، ص ١). أمّا رئيس تحرير «الاهرام»، فقد كتب: «ان الخلاف بين البلدين لم يكن، أبداً، خلافاً على الهدف، وانما على اسلوب العمل؛ ولكل نظام اجتهاداته وأسلوبه الخاص به، وانْ كان البلدان يتفقان ويعملان من أجل الحل الشامل والعادل لقضية الشرق الاوسط من طريق عقد المؤتمر الدولي، باشتراك كل الاطراف المعنيّة بالمشكلة، ومن بينها، بالطبع، منظمة التحرير الفلسطينية، على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى، بوصفها صاحبة الارض والأهل معاً» (**الاهرام**، ١٤/٧/١٩٩٠).

وقوّم مراقبون عرب زيارة الرئيس الاسد لمصر بأنها خطوة سورية نحو عملية التسوية التي ترعاها الولايات المتحدة الاميركية في المنطقة عبر مصر، «ذلك انها تأتي في ظروف جديدة كلياً على دمشق، التي اختلفت حساباتها، اختلافاً جذرياً، مع التطوّرات الاقليمية، والعالمية، بدءاً بالسياسة السوفياتية الجديدة، التي جعلت مقولة ' التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل' مجرّد وهم، ناهيك عن توقف الحرب العراقية ـ الايرانية من دون ان يكون لسوريا علم سابق بالقرار الايراني؛ أضف الى ذلك افلات الورقة الفلسطينية من دمشق، بعدما تبيّن ان القرار الفلسطيني المستقل حقيقة، وليس ' بدعة' ... [و] بوصول الرئيس الاسد الى القاهرة، بات ممكناً الحديث عن عودة سوريا الى الصف العربي عبر البوّابة المصرية» (خيرالله خيرالله، **الحياة**، ١٤ ـ ١٥/٧/١٩٩٠، ص ٩)، ومصر كبوّابة، حسب مراقب آخر، «هي أكثر الدول العربية قدرة على مخاطبة الولايات المتحدة [الاميركية]... [و] مثلما كانت الباب الاول لمنظمة التحرير [الفلسطينية] في حوارها مع واشنطن، قد تكون قناة أساسية تساعد دمشق على ممارسة دورها في الشرق الاوسط، خصوصاً ان سوريا تبدو، الآن، أقل قدرة... [على] ممارسة دورها على صعيد الورقة الفلسطينية منذ خروج المنظمة من لبنان» (جورج سمعان، **المصدر نفسه**، ١٦/٧/١٩٩٠، ص ٩).

في اسرائيل، قوّم المسؤولون الاسرائيليون، أيضاً، زيارة الاسد للقاهرة ايجابياً. قال وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس: «ان زيارة الرئيس السوري الاخيرة لمصر تشكّل منعطفاً واعداً في تاريخ الشرق الاوسط... [و] انني ألمس بعض الاعتدال في تصريحات الرئيس السوري»

(**المصدر نفسه**، ٢٠/٧/١٩٩٠). وصرّح وزير خارجية اسرائيل، دافيد ليفي، بأن «تصريحات الاسد تميل الى تشجيع حوار مع اسرائيل، [و] اننا لا نستطيع سوى الترحيب بهذا المسعى الذي قد يؤدي الى اسقاط جدار العداء كما حصل في اوروبا الشرقية... [مع ان] تصريحات الاسد لا تعكس، بعد، تغييراً جوهرياً من جانب سوريا ازاء اسرائيل، الّا ان المهم هو الوجهة التي يبدو ان تصريحات الاسد تشير اليها»؛ وذكّر ليفي «بأن رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، وجّه في حزيران (يونيو) الماضي نداء لاجراء مفاوضات مباشرة بين اسرائيل وجيرانها، و' ان هذا النداء نقله الرئيس المصري، حسني مبارك، الى نظيره السوري الذي كان ردّ فعله جيداً' » (**المصدر نفسه**).

وأفادت مصادر صحفية بأن مصر تسلّمت نسخة من مشروع شامير للتسوية مع سوريا، التي أطلعت عليه بدورها. وينصّ المشروع على: «أولاً: تُبدي اسرائيل استعدادها لمناقشة مسألة الجولان، على ان يسبق ذلك، لاثبات حسن النيّة، خطوة الغاء قرار ضمّ الجولان الذي اتخذ في العام ١٩٨١؛ ثانياً: تعلن الجولان منطقة منزوعة السلاح مثل سيناء تماماً؛ ثالثاً: تشرف ' لجنة مشتركة' ، أو هيئة ' مراقبين دوليين' ، على بعض الامور الأمنية في منطقة الجولان، تجنّباً لمشاكل مثل ' عمليات التسلل' أو ما شابه؛ رابعاً: تعلن دمشق، في المقابل، عن تخلّيها الكامل عن منظمة التحرير [الفلسطينية]؛ خامساً: تبقى دمشق على الحياد في حال نشوب أزمة أو حرب بين اسرائيل وجيرانها؛ سادساً: توقّع اتفاقية سلام وعدم اعتداء بين الجانبين؛ سابعاً: يجرى، على اثر ذلك، تنسيق أمني بما يخص الساحة اللبنانية؛ ثامناً: تبحث مسألة تنظيم العلاقات الدبلوماسية في مرحلة أخرى» (**المحرر**، باريس، العدد ١٢٤، ٢٤/٧/١٩٩٠، ص ٣). وأفاد المصدر الصحفي نفسه، أيضاً، بـ «ان واشنطن قد أيّدت هذه الافكار، [و] وعدت بتقديم مساعدات ضخمة لدمشق في حال نجاح المشروع أو الخطة... [وان] القاهرة قد وجدت في عرض شامير بعض النقاط الايجابية القابلة للنقاش المفتوح؛ لكن دمشق ما زالت تؤكد تمسّكها بالمؤتمر الدولي توصّلاً الى سلام شامل» (**المصدر نفسه**).

وفي الولايات المتحدة الاميركية، قال مسؤولون في الخارجية الاميركية: «ان ادارة الرئيس جورج بوش متفقة مع الزعيمين، حافظ الاسد وحسني مبارك، على ضرورة دفع عملية السلام في الشرق الاوسط الى الأمام؛ وأكدوا ان الادارة ترحّب بدور ايجابي نشط لسوريا في العملية» (**الحياة**، ١٧/٧/١٩٩٠). كما رحّب متحدث رسمي باسم الخارجية الاميركية «بنتائج لقاء القمة المصرية ـ السورية، التي انعقدت في الاسكندرية... وقال المتحدث ان الادارة تأمل [في] ان تقوم سوريا بدور ايجابي ومشجّع لتحريك عملية السلام في الشرق الاوسط، وبمشاركة أكثر فعالية» (**الاهرام**، ١٩/٧/١٩٩٠).

ورأى احد المراقبين الاسرائيليين ان مفاوضات سورية ـ اسرائيلية أمر ممكن، حيث «هناك الكثير للتحدث بصدده... والأهم... هو ان شامير سيقوم بشراء ما ظنّ [مناحيم] بيغن انه حققه من طريق السلام مع مصر: يد حرة في التعامل مع القضية الفلسطينية... وفوق كل شيء، ألن يمنح هذا الامر شامير ما يريده أكثر من أي شيء آخر في معاملاته مع الاميركيين: الوقت؟» (الن شابيرو، **القدس العربي**، ٧ ـ ٨/٧/١٩٩٠، ص ١٠؛ نقلاً عن **جيروزاليم بوست**، ٦/٧/١٩٩٠). والتقى مع هذا الرأي نائب رئيس تحرير صحيفة «اخبار اليوم» المصرية، مفيداً بأن «علينا ان ندرك، أولاً، ان اسرائيل يمكن ان تكون أكثر جدية في أي حديث عن الورقة السورية، أكثر جداً من حديثها، مثلاً، عن الورقة الفلسطينية... والسبب الجوهري لذلك هو ان فصل الدول العربية الرئيسة عن القضية الفلسطينية هو هدف استراتيجي اسرائيلي دائم... فبعد مصر يأتي ابعاد سوريا من القضية الفلسطينية هدفاً تالياً في الأولوية... [فـ] اسحق شامير يريد السلام مع سوريا... فلديه ما يعيده الى سوريا... لديه، أيضاً، ما يريده من سوريا، وهذا هو جوهر الموضوع... [و] هذه الصفقة ـ من المنظور الاسرائيلي ـ لا تبرّر نفسها فقط، وانما الاكثر أهمية فيها هو انها ستعفي اسرائيل، لسنوات طويلة مقبلة، من أي ضغوط محتملة للانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة؛ وهذا تريده اسرائيل الآن، قبل أي شيء آخر» (محمود عوض، **الحياة**، ٢٤/٧/١٩٩٠، ص ٩).

عدا قضية المصالحات العربية، ومسألة التسوية في الشرق الاوسط، بحث الرئيسان، المصري والسوري، كما أفاد مصدر مسؤول في وزارة الخارجية المصرية، في «مسألة تأمين حماية دولية مقبولة للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، وآثار هجرة اليهود وتوطينهم في الاراضي المحتلة، والتصدي لمحاولات تغيير معالم القدس، واتفقا على بدء التحرك، فوراً، لمعالجة هذه المسائل» (**المصدر نفسه**، ١٦/٧/١٩٩٠).

والقضايا الاخيرة كانت موضوع بحث في اجتماع مجلس وزراء الخارجيات العرب، الذي عقد جلسة طارئة في تونس، بدعوة من منظمة التحرير الفلسطينية، وصادف انعقاد جلساته مع موعد القمة السورية ـ المصرية.

اجتماع مجلس الجامعة

كان مقرراً ان يعقد الاجتماع الطارىء لمجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجيات في ٢٧/٦/١٩٩٠، بناء على طلب من دولة فلسطين؛ الّا انه تأجل لانشغال الوزراء العرب وارتباطاتهم بمواعيد سابقة، فتأجل الاجتماع حتى ١٥/٧/١٩٩٠. مع ذلك لوحظت قلّة التمثيل الوزاري فيه، حيث «حضر الاجتماع الوزاري العربي خمسة وزراء خارجية، ومثّل ٣ دول وزراء آخرون، بينما مثّل بقية الدول العرب مندوبوها الدائمون لدى الجامعة العربية» (**الأهرام**، ١٧/٧/١٩٩٠). وكان هدف المنظمة من الدعوة الى الاجتماع مناقشة المستجدات الطارئة بعد قمّة بغداد، وأهمها قرار الولايات المتحدة الاميركية بتعليق الحوار مع م.ت.ف. وتشكيل حكومة اسرائيلية متطرفة، حيث رأى الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في رسالته الشهرية الى الاهل في الاراضي المحتلة، ان الادارة الاميركية، انما أرادت «ان تكافىء الحكومة [الاسرائيلية] الجديدة بتعليقها للحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية... وان الضربة موجّهة الى قرارات القمة العربية... واختارت [أميركا]... ان تطلق الرصاص على فرصة السلام، ارضاء لمن يخططون ليقودوا المنطقة [الى]... حرب جديدة باعتداءات يعدّون لها ضد شعوبنا ودولنا العربية» (**القدس العربي**، ١١/٧/١٩٩٠، ص ٤). وعلّل احد المراقبين الفلسطينيين غياب معظم وزراء الخارجيات العرب عن الاجتماع بـ «طبيعة الموضوعات مدار البحث... فهي موضوعات تعني ان مناقشتها واتخاذ قرارات محدّدة وواضحة بصددها ستقود الى مواجهة مع واشنطن، وهي مواجهة لا يزال البعض العربي غير راغب فيها» (أ. عبدالحق، **فلسطين الثورة**، نيقوسيا، العدد ٨٠٦، ٢٢/٧/١٩٩٠، ص ٩). وقد انتقد وزير خارجية العراق، طارق عزيز، «بحدة، غياب عدد كبير من وزراء الخارجية العرب، واتهم بعض العرب بالتواطؤ لاضعاف المواجهة العربية لاسرائيل» (**الحياة**، ٢٠/٧/١٩٩٠).

وحضر الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، جلسة الافتتاح، حيث أدلى ببيان شامل عن الوضع في الاراضي المحتلة؛ وقدّمت منظمة التحرير الفلسطينية ورقة عمل تضمّنت أربعة بنود رئيسة تتعلق «بالتهديدات الاسرائيلية، وجهود السلام، وهجرة يهود الاتحاد السوفياتي، والحوار الفلسطيني ـ الاميركي. وطالبت المنظمة، فيما يتعلق بالتهديدات الاسرائيلية، بتنشيط العمل بمعاهدة الدفاع العربي المشترك... كما طالبت بتحريك اللجان العربية المنبثقة عن قمّة الدار البيضاء للسعي، على الساحة الدولية، لتوفير الحماية لأبناء الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة» (**الاهرام**، ١٧/٧/١٩٩٠، ص ٩).

وبعد سماع كلمات المندوبين، شكّل المؤتمر لجنة صياغة لاعداد البيان الختامي والقرارات المتعلقة بالقضايا موضوع التداول «من ممثلي مصر والسعودية والعراق والاردن وسوريا وفلسطين والمغرب واليمن وليبيا» (**المصدر نفسه**). وكان ممّا جاء في قرار الدورة الطارئة لمجلس الجامعة العربية: «١ ـ تكليف الأمين العام باجراء مشاورات تهدف الى تنفيذ القرارات الصادرة عن مؤتمر القمة غير العادي في بغداد، المتعلقة بحماية الامن القومي العربي؛ ٢ ـ التوجّه الى اللجنة العليا... بتكثيف الجهود لعقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط؛ ٣ ـ العمل على اتخاذ الاجراءات الحازمة، وعلى كل الأصعدة، ازاء الجهات والمؤسسات التي تقدّم التسهيلات بكل أنواعها للهجرة اليهودية الى فلسطين والاراضي العربية المحتلة...؛

٤ ـ التأكيد على حق الفلسطينيين الثابت بالعودة الى وطنهم فلسطين، وفق قرار الجمعية العام الرقم ١٩٤، ومساندة طلب اليهود الراغبين في العودة الى البلدان التي هاجروا منها، بما في ذلك البلدان العربية...؛ ٥ ـ تكليف اللجنة الوزارية العربية الخاصة بدعم الانتفاضة بما يلي: (أ) وضع برنامج مكثّف يهدف الى وضع الاراضي الفلسطينية المحتلة تحت الاشراف الدولي المؤقت لحماية الشعب الفلسطيني... (ب) السعي الى استصدار قرار من مجلس الامن لضمان عدم الاستيطان في الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، وايجاد آلية دولية لتنفيذ ذلك...؛ ٦ ـ تكليف الأمانة العامة، بالتعاون مع الدول الاعضاء، بتنظيم حملة دبلوماسية واعلامية... لكشف توجّهات الحكومة الاسرائيلية الجديدة وخطورتها، وانعكاسات ذلك على الامن والسلم في المنطقة والعالم؛ ٧ ـ تأكيد وحدة الموقف العربي في التضامن مع منظمة التحرير الفلسطينية في موقفها من الشروط الاميركية لاستئناف الحوار الفلسطيني ـ الاميركي؛ ٨ ـ تكثيف التحرّك العربي على الساحة الدولية، ومع الادارة الاميركية، للمطالبة باستئناف الحوار على أسس جديدة تضمن له تناول المسائل الجوهرية، وخدمة عملية السلام، وفق القرارات العربية والدولية ذات الصلة» (**الحياة**، ١٨/٧/١٩٩٠، ص ٣).

وقد اتخذت القرارات بالاجماع، باستثناء تحفّظ ليبيا من «استعمال كلمة ' اسرائيل' ، [كما تحفّظت من] الفقرة الخاصة بالمؤتمر الدولي وكل ما يمكن ان يُفسّر على انه اعتراف مباشر، أو غير مباشر، بالعدو الصهيوني، كما ورد في قرار المجلس الطارىء للجامعة والبيان الختامي الصادر عنه» (**فلسطين الثورة**، العدد ٨٠٦، ٢٢/٧/١٩٩٠، ص ١١). وتحفظت سوريا من الفقرة التي تطالب باستئناف الحوار الاميركي ـ الفلسطيني.

أحمد شاهين

مرحلة التسويف الجديد

أكدت التطوّرات التي شهدها الشهر الماضي ان «عملية السلام» في منطقة الشرق الاوسط، في صيغتها الاميركية، هي في مرحلة جمود، ظهرت ملامحها، بصورة واضحة، عقب «تعليق» الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، والرفض الاسرائيلي لمسار الحل المقترح.

مرحلة الجمود، هذه، كرّسها، على الاقل، مظهر «المواجهة»، سواء في تكرار الرئيس الاميركي، جورج بوش، دعوته، أكثر من مرة، الى محادثات «تنتهي الى السلام» يشترك فيها الفلسطينيون، ومطالبته الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، بـ «اتخاذ اجراء ضد الشخص الذي ارتكب عملية الانزال البحري» على شواطىء تل ـ أبيب، في نهاية أيار (مايو) الماضي، «شرطاً لاستئناف الحوار» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٧/٧/١٩٩٠)، أو في رسالة وزير خارجيته، جيمس بيكر، الى نظيره الاسرائيلي، دافيد ليفي، التي أعرب فيها عن رغبته في ازالة جميع العقبات التي تعترض تشكيل الوفد الفلسطيني الى الحوار مع اسرائيل (**نيويورك تايمز**، ٤/٧/١٩٩٠).

الجمود

واذا ما كان الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي هو جوهر التحرّك الاميركي، كقضية تستوجب الحل، فان الزمن السياسي الاسرائيلي الراهن، بات يستهدف، من حيث الاساس، «تجميد» هذا التحرك عند حدود تشكيل الوفد الفلسطيني.

في هذا السياق، كشف وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، عن ان الولايات المتحدة الاميركية تعهّدت لاسرائيل، اخيراً، «بشكل شفوي وخطي»، انها «تعارض اقامة دولة فلسطينية، ولن تُفرض منظمة التحرير الفلسطينية علينا كمفاوض، وان الحوار مع الفلسطينيين سيكرّس لموضوع الانتخابات [في الارض المحتلة]». واستطرد قائلاً، ان التمسّك بهذه الضمانات الثلاثة «يمكن به التوصّل الى اتفاق»؛ وأضاف: «ان الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي سيتناول مفاوضات حول مشروع الانتخابات، وسيجرى، في وقت لاحق، حديث عن تسوية مرحلية، تتبعها مفاوضات حول الوضع النهائي». واعتبر، الى جانب اصراره على رفض اشراك فلسطينيين من سكان القدس الشرقية أو مبعدين فلسطينيين، في الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي، ان اسرائيل «لا ترغب في مناقشة موضوع القدس، في هذه المرحلة، لأن ذلك سينسف أية مفاوضات، ولن توافق، في أي حال من الاحوال، على جعل القدس جزءاً من أي مشروع للحكم الذاتي». وأضاف: «ان هذا يتعارض مع التزام الولايات المتحدة الاميركية اتفاقيتي كامب ديفيد اللتين تنصّان على ان موضوع القدس سيتمّ طرحه للمناقشة في المرحلة الاخيرة من المفاوضات حول الوضع النهائي». واعتبر، أخيراً، انْ لا داعي لاصرار الولايات المتحدة الاميركية على هذا الموضوع «لمجرد ان منظمة التحرير الفلسطينية ترغب في ذلك» (**جيروزاليم بوست**، ١٣/٧/١٩٩٠).

والواضح ان تبدّلاً ما طرأ على الاسلوب الاسرائيلي في التعاطي مع الادارة الاميركية، في محاولة تستهدف اعطاء الانطباع بأن الحكومة الاسرائيلية الجديدة لا تقف حجر عثرة على طريق السلام. من هنا، مثلاً، أعرب رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، عن اعتقاده بامكانية «تذليل العقبات القائمة بين واشنطن وتل ـ أبيب»، وأشار الى الخلافات القائمة بين الحكومتين، الاميركية والاسرائيلية، فقال: «ان العلاقات بيننا شهدت، في الماضي، خلافات أيضاً. ومن الممكن تذليل العقبات عبر التعاون، مثل ما جرت في السابق» (**المصدر نفسه**، ٤/٧/١٩٩٠). كما بعث ليفي برسالة الى نظيره الاميركي تؤكد التزام

الحكومة الاسرائيلية مواصلة العملية السلمية، ومشروع الانتخابات في الارض الفلسطينية المحتلة (**الحياة**، لندن، ١٤ ـ ١٥/٧/١٩٩٠).

هذا التوجّه، في حدّ ذاته، اعتبرته أوساط دبلوماسية مطلعة، في واشنطن، محاولة اسرائيلية جديدة لازالة التوتر بين واشنطن وتل ـ أبيب، ومحاولة لتحسين العلاقات بينهما، مشيرة، بصفة خاصة، الى ان رسالة ليفي، التي تعتبر مكمّلة لرسالة رئيس الوزراء الاسرائيلي، الى الرئيس الاميركي، لم تشتمل على رد مباشر على الاسئلة التي طرحها بيكر، مجدداً، على اسرائيل، والتي تتعلق باستعدادها لقبول مبعد، أو اثنين، من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة في صفوف الوفد الفلسطيني الى الحوار مع اسرائيل، وقبول ممثل، أو اثنين، عن القدس الشرقية يحملان مكان اقامة مزدوجاً (**المصدر نفسه**).

وربّما لهذا السبب، بالذات، أعلن بيكر عن ان هناك حاجة ماسّة الى عملية سلام في المنطقة، يمكن ان تتمّ من خلال حوار بين الفلسطينيين والاسرائيليين؛ وأعرب عن أمله في امكان بدء هذا الحوار، لأنه «أمر أساس لدفع عملية السلام الى أمام» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٧/٧/١٩٩٠).

وفي السياق عينه، لفت بعض المراقبين النظر الى الرسالة التي بعث بها بيكر الى نظيره الاسرائيلي، وأعرب فيها عن رغبته في التعاون معه، ووصفه بأنه «شخص قادر على حل المشاكل»، من أجل ازالة العقبات التي تتعلق بتشكيل الوفد الفلسطيني الى الحوار مع اسرائيل. ورأى هؤلاء المراقبون انفسهم، ان الرسالة «دليل على ان واشنطن لا ترفض، بصورة قاطعة، الاقتراحات التي تضمّنتها رسالة شامير الاخيرة الى الرئيس الاميركي في شأن تسوية سلمية». غير ان مصادر مقرّبة من الادارة الاميركية رأت ان الرسالة «لا تعني، في أي حال، موافقة اميركية على رفض رئيس الوزراء الاسرائيلي اشراك مبعد فلسطيني، او احد سكان القدس الشرقية في الوفد الفلسطيني» الى الحوار المزمع عقده في القاهرة (**الحياة**، ٧ ـ ٨/٧/١٩٩٠).

في المقابل، شدّد الرئيس بوش على ان حكومته لن تتخلّى عن مساعيها السلمية لتحريك «عملية السلام»، مؤكداً دعمه لمبادرة وزير خارجيته. كما لمّح، في اشارة واضحة، الى ان رفض اسرائيل لهذه المبادرة، سيرغم ادارته على العودة الى نقطة البداية، والبحث في خيارات أخرى، «لأننا لن نجلس هنا من دون ان نفعل شيئاً». وجواباً عن سؤال حول ما اذا كان يعتقد بامكانية تحريك عملية السلام اذا لم تظهر اسرائيل استعدادها للتحاور مع الفلسطينيين، قال الرئيس الاميركي: «يجب ان تتمّ المناقشات مع الفلسطينيين؛ وهذا يجب ان يحدث؛ وسوف ندفع باتجاه ايجاد الطرق التي تجعل ذلك ممكناً، اذا استطعنا». واستطرد في تأكيد عدم التخلّي عن مثل هذا الحل للمشكلة، بل «علينا ان نفعل ذلك». وتحدث عن ضرورة اجراء محادثات فلسطينية ـ اسرائيلية في القاهرة، وفقاً لمبادرة بيكر، مؤكداً الحاجة الى ذلك «لأن الوضع القائم غير مقبول من قبل الجميع» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢١ ـ ٢٢/٧/١٩٩٠).

حل ضبابي

على ان حديث الرئيس بوش عن العودة الى نقطة البداية فسّرته مصادر اميركية مسؤولة بأنه يعني ان الخيارات السياسية البديلة ستكون مفتوحة للنقاش. وأشارت، بصفة خاصة، الى تصعيد نبرة الانتقادات الاميركية للممارسات والاجراءات الاسرائيلية، بدءاً بمتابعة التركيز على معارضة واشنطن اقامة المستوطنات الجديدة في الارض المحتلة، وانتهاء بمسألة احياء المشاورات الثنائية مع الاتحاد السوفياتي حول تعاون البلدين في المنطقة، والتلويح بأن هذا التعاون قد يؤدي، في محصلته، الى احياء المؤتمر الدولي للسلام (**المصدر نفسه**).

ومن اجل اضفاء بعض المصداقية على امكان قيام مثل هذا التعاون، اجرى مسؤولون سوفيات واميركيون، في واشنطن، محادثات «روتينية» تناولت قضية الشرق الاوسط، مثّل الجانب السوفياتي فيها مستشار وزارة الخارجية لشؤون الشرق الاوسط، غينادي تاراسوف، والجانب الاميركي مساعد وزير الخارجية لشؤون المنطقة، جون كيلي، ومدير التخطيط السياسي في الوزارة، دنيس روس.

في هذا الخصوص، أفاد مصدر اميركي مطلع بأن المحادثات انحصرت في تبادل الآراء في شؤون المنطقة، وتحديداً في سبل احياء عملية السلام المتوقعة. وأضاف، ان الجانب السوفياتي قلق من «الوضع الامني» في الشرق الاوسط، وان الولايات المتحدة الاميركية تشاركه هذا القلق، في ضوء الجمود الحاصل في عملية السلام، والعوامل الاخرى التي بدأت تسبب توتراً في أجواء المنطقة (**الحياة**، ١٤ ـ ١٥/٧/١٩٩٠).

وبالطبع، لم تقف المحادثات بين الجانبين، السوفياتي والاميركي، عند هذا الحد، وانما تناولت، كذلك، ما توصلت اليه مساعي الادارة الاميركية لاحياء جهودها، وتأمين اقامة الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي، ومحاولة استكشاف طرق جديدة لتحريك العملية، في ضوء رسالة الرئيس الاميركي الى شامير، ورد الاخير عليها. كما تناولت المحادثات وتبادل الآراء موضوع هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل، ومشاكل الارهاب، والتصعيد الكلامي، الاسرائيلي والعربي، والمخاوف من امكان اندلاع حرب غير محسوبة في المنطقة (**المصدر نفسه**).

ولم يكن امراً مستغرباً، على أي حال، ان تحاول المصادر الاميركية المسؤولة التقليل من أهمية المحادثات السوفياتية ـ الاميركية في شأن الشرق الاوسط، مشيرة الى عدم وجود شيء جديد، والى ان لدى الاتحاد السوفياتي اهتمامات ملحّة أخرى، خصوصاً على الصعيد الداخلي، تحول دون تقديمه مبادرات في هذا الشأن (**المصدر نفسه**).

أكثر من ذلك، أعربت واشنطن، في معرض التعليق على دعوة الامين لعام للامم المتحدة، خافيير بيريز ديكويلار، الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي الى المساعدة في اخراج عملية السلام في الشرق الاوسط من الطريق المسدود، عن اعتقادها بأن «التركيز يجب ان يبقى منصبّاً على الاطراف المعنيّة في المنطقة للبدء بعملية الحوار» (**المصدر نفسه**، ١٩/٧/١٩٩٠).

وبغية اكساب الرد الاميركي الصفة الرسمية، قال الناطق باسم وزارة الخارجية، ريتشارد باوتشر، ان الادارة لا تزال ملتزمة دفع قيام حوار بين الفلسطينيين والاسرائيليين الى أمام، وانها تعمل، جاهدة، لتحقيق ذلك الهدف. وشدّد، فيما اعتبر معارضة ضمنية من جانب واشنطن لأي تحرك عملي يقوم به مجلس الامن الدولي لوضع يده على أزمة الشرق الاوسط، على ضرورة التركيز على الاطراف المتنازعة، وقال، ان موقف الادارة معروف من فكرة المؤتمر الدولي، لكنه رفض تكرار هذا الموقف (**المصدر نفسه**).

على الرغم من ذلك، دأب الاعلام السوفياتي على التذكير بأن ثمّة مستجدات في سياسة واشنطن حيال الشرق الاوسط، ربما أخذت بالظهور. في هذا الصدد، نقلت وكالة «نوفوستي» السوفياتية عن الخبير في وزارة الخارجية السوفياتية المختص بالسياسة الاميركية في المنطقة، سيرغي شوخين، قوله انه «لا يستبعد ظهور مثل هذه المستجدات». ونوّه، بشكل خاص، بالقرار الاميركي الخاص «بتعليق» الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، وقال: «اعتقد بأن الحوار يجب ان يُعاوَد في المستقبل، على الرغم من اعلان الرئيس الاميركي تعليق الاتصالات مع المنظمة». وأشار الى «ان ثمّة عدداً كبيراً من الساسة الاميركيين يهتمون بالشرق الاوسط، ولهم خططهم التي لا يمكن تجاهلها؛ كما ان البراغماتية التقليدية الملازمة للاميركيين يمكن ان تلعب دورها في معاودة الحوار» (**النهار**، بيروت، ٥/٧/١٩٩٠).

هذا الموقف عينه، ردّده المندوب الدائم للاتحاد السوفياتي لدى الامم المتحدة، يولي فورنتسوف، حين عبّر عن اقتناعه بأن قرار الادارة الاميركية ايقاف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية يمثّل «مناورة»، مؤكداً أن واشنطن ستجد نفسها مرغمة على التراجع عنها (**الحياة**، ٥/٧/١٩٩٠).

وبغية بلورة موقف سوفياتي في سياق التطوّرات التي شهدتها أزمة الشرق الاوسط، أعلن وزير الخارجية السوفياتية، ادوارد شيفاردنادزه، بعد لقائه بنظيره الاميركي، انه طلب من بيكر ان تستخدم واشنطن «كل سلطتها لكي تمارس ضغطاً ملائماً على اسرائيل لمنع توطين المهاجرين اليهود السوفيات الجدد في الارض المحتلة». وأضاف: «نحن لا نضع أي عائق أمام هجرة اليهود السوفيات؛ غير ان قلقنا الكبير مصدره مشكلة توطين اسرائيل المهاجرين الجدد في الارض

المحتلة، ونعتقد بأن القلق العربي، من هذا الأمر، مشروع» (**المصدر نفسه**، ١٩/٧/١٩٩٠).

كيف يمكن التصدي، بحزم، لهذه المشكلة؟ أجاب الوزير شيفاردنادزه بأن الاقتراح السوفياتي، الرامي الى عقد مؤتمر دولي للاطراف المعنيّة مباشرة بنزاع الشرق الاوسط، يرمي الى بلورة أطر عامة للتصدي للسياسة الاستيطانية الاسرائيلية. وأوضح أن الاقتراح يهدف، كذلك، الى دفع عملية التسوية السلمية وعقد المؤتمر الدولي الخاص بأزمة الشرق الاوسط. وأكد ان بلاده «ستلجأ الى اتخاذ اجراءات عملية للحيلولة دون توطين المهاجرين اليهود في الارض المحتلة»، مشيراً الى «ان الموقف السوفياتي، في هذا الخصوص، معروف جيداً، ورافض لتوطين اليهود هناك» (**المصدر نفسه**، ١١/٧/١٩٩٠).

توازن اوروبي

ولكن في غياب الاتحاد السوفياتي، الذي سيكون منهمكاً، أكثر فأكثر، في البحث عن لملمة أوضاعه الداخلية، بدا واضحاً للعيان انه اذا كان من جهة خارجية قادرة على اتخاذ قرار متوازن من النزاع العربي ـ الاسرائيلي، والفلسطيني ـ الاسرائيلي تحديداً، فان هذه القوة تتمثّل في اوروبا التي أرسلت وفداً يمثّلها الى اسرائيل لاجراء محادثات مع كبار المسؤولين هناك، ثمّ توجّه هذا الوفد، الذي ضمّ وزراء خارجيات ايطاليا وايرلندا ولوكسمبورغ، الى تونس للتباحث مع الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات.

ولعلّ زيارة «الترويكا» الاوروبية لاسرائيل استهدفت، من حيث الاساس، تعيين مندوب دائم للمجموعة الاقتصادية الاوروبية في الارض المحتلة، تنفيذاً للقرار الذي اتخذ في «قمّة دبلن» الاخيرة. والواضح ان التحرك الاوروبي ظل في اطار محدود، مراهناً على ان الوقت كفيل باقناع المسؤولين الاسرائيليين بأن لا مفرّ من الحلول الوسط، متفادياً، قدر الامكان، الدخول في مواجهة مع هؤلاء المسؤولين، بدليل ارجاء اتخاذ قرار نهائي في شأن ارسال مندوب للسوق الى ايلول (سبتمبر) المقبل، بعدما تبيّن ان لا مجال لاقناع الحكومة الاسرائيلية بارسال مثل هذا المندوب، في اللحظة الراهنة. بل أكثر من ذلك، غادر الوفد تل ـ أبيب وفي جعبته مجموعة من اللاءات، مثل «لا للمؤتمر الدولي»، و«لا لمنظمة التحرير الفلسطينية»، و«لا ضمنية لمبادرة بيكر الهادفة الى فتح حوار فلسطيني ـ اسرائيلي» بشروط لا تتعارض، عموماً، مع تلك التي وضعها شامير لدى طرحه خطة للانتخابات في الارض المحتلة في أيار (مايو) ١٩٨٩ (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢٥/٧/١٩٩٠).

وبالطبع، لم يجد الوفد الاوروبي ما يردّ به على اللاءات الاسرائيلية غير التشديد على ان علاقة اسرائيل باوروبا الموحّدة، والتي هي الشريك التجاري الاساس لها، ستتأثر في حال عدم التوصّل الى تسوية في الشرق الاوسط، خصوصاً بعد العام ١٩٩٢ (**المصدر نفسه**).

في هذا الاطار، لاحظ المراقبون ان شامير، الذي التقى الوفد الاوروبي قبل مغادرته الى تونس، وليفي الذي اجتمع به لدى وصوله تل ـ أبيب، تكلّما بلغتين مختلفتين، باستثناء ما يتعلق بموضوع واحد هو رفضهما أي دور لمنظمة التحرير الفلسطينية في العملية السلمية؛ فاذ زعم الاول انها منظمة «ارهابية»، زعم الثاني انها «عقبة» على طريق السلام، وقد تعرقل اجراء انتخابات «حرة وديمقراطية» في الارض المحتلة (**الحياة**، ٢٥/٧/١٩٩٠).

وذكر المراقبون انفسهم، ان شامير ركّز، في حديثه الى الوفد الاوروبي، على «التزام» اسرائيل اتفاقيتي كامب ديفيد، وخطتها الخاصة بالانتخابات؛ كما دعا الدول الاوروبية، والعربية، الى تأييد هذه الخطة، ودعمها، معتبراً اياها «الطريقة الوحيدة لتحقيق السلام في المنطقة». وكرّر تلميحاته في اتجاه الدول العربية، وقال لضيوفه: «ان التسوية في الشرق الاوسط يجب الاّ تقتصر على اسرائيل والفلسطينيين فقط؛ بل يجب العمل، في الوقت نفسه، على ايجاد تسوية بين اسرائيل والدول العربية» (**المصدر نفسه**).

امّا وزير الخارجية الاسرائيلية، فانه احتج، بشدة، خلال الاجتماع الذي عقده مع وفد «التروبكا»، على الربط بين التعاون الاقتصادي والاوضاع السياسية. ونقل المراقبون عنه قوله:

«ان الاوروبيين تعوّدوا [على] ممارسة ضغوط اقتصادية على أنظمة ديكتاتورية؛ لكنهم، هنا، يريدون ان يضغطوا على نظام ديمقراطي»، وانه يشعر بالاسف «لأن المجموعة الاقتصادية الاوروبية تعتقد بأنه بممارسة ضغوط على اسرائيل تستطيع حملها على تغيير موقفها من أمور تؤثر في وجودها» (**المصدر نفسه**).

واذا ما كانت حسابات المجموعة الاوروبية تعتمد على «الوقت» في اقناع اسرائيل بأن لا مفرّ من الحلول الوسط والتسويات، فانها، في المقابل، أكدت موقفها الداعي الى اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في أي خطوات سياسية للبحث عن السلام في الشرق الاوسط، وكرّرت تشبّثها بالحوار مع ممثلي الشعب الفلسطيني، على الرغم من قرار الادارة الاميركية «تعليق» الحوار مع المنظمة (**المصدر نفسه**).

ومهما بدا للرهان الاوروبي على عنصر «الوقت» ما يبرره، فان ذلك لن يمنع من القول، ان تحرّك «الترويكا» الاخير عكس تقدّماً على المستوى الاجرائي. والسؤال هو: هل يؤدي ذلك كله الى تفعيل مبادرة اوروبية في المرحلة القريبة المقبلة؟ الاجابة باتت ملحّة، بعد ان دخلت المنطقة مرحلة التسويف الجديد.

د. نبيل حيدري

مواجهة الخطط الاسرائيلية الجديدة

لقد تميّزت الفترة الواقعة بين ١٦ حزيران (يونيو) و١٥ تموز (يوليو) الماضيين بمجموعة من التطوّرات الهامة، في ما يخص ساحة الصراع المسلّح الفلسطيني ـ الاسرائيلي. ولعلّ أبرز الامور وأكثرها أهمية استراتيجية، بالنسبة الى الانتفاضة الشعبية في الارض المحتلة، هو التحوّل الواضح الذي تسعى الى تحقيقه القيادة الاسرائيلية، بوزارتها الجديدة، في طرق تعاملها مع تلك الثورة الجماهيرية؛ اذ يتولّى وزير الدفاع الجديد، موشي ارنس، عملية البحث في سياسة مختلفة، ليس وسط الفشل المستمر للسياسات السابقة فحسب، بل ووسط ازدياد علامات تفسخ وتناحر المواقف ضمن القيادات العسكرية والامنية حيال كل ذلك. وفي المقابل، فقد اتسم الجانب الفلسطيني بزيادة المقاومة، وخصوصاً من خلال تكاثر عمليات زرع العبوات الناسفة والقاء القنابل اليدوية، الى جانب عودة نمو النشاط المضاد لعملاء قوات الاحتلال والمخبرين. امّا في جنوب لبنان، فثمة مؤشرات الى تصعيد عسكري اسرائيلي ضد القوات الفلسطينية والمخيمات في تلك المنطقة.

أوجه التحوّل في سياسة القمع

بعد ان شهدت الارض الفلسطينية المحتلة انفلاتاً معيّناً وارتباكاً نسبياً بالسياسة القمعية الاسرائيلية، خلال فترة فقدان الحكومة المركزية، تسعى الحكومة الجديدة، وتحديداً من خلال وزير الدفاع، ارنس، الى اعادة التحكّم في الوضع الميداني، تنفيذاً لهدفها المعلن باخماد الانتفاضة الشعبية. ويجدر التأكيد ان العديد من الاساليب والاجراءات المقترحة الآن ليست جديدة، وانما هي استمرار لما سبق، غير انها تتلاقى مع ترتيبات جديدة، بطريقة تجعل وجهتها العامة مختلفة.

يتمثّل احد الاجراءات، مثلاً، في تعزيز تواجد الجيش الاسرائيلي على الطرق الرئيسة، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، لدرء هجمات «القوات الضاربة» الفلسطينية وحماية السيارات الاسرائيلية (**الحياة**، لندن، ٢٨/٦/١٩٩٠). وذلك اسلوب أدرجه قائد المنطقة الوسطى، اسحق موردخاي، منذ شهور عديدة، الّا انه يتمّ تأكيد ذلك التوجّه وتعميمه الآن. غير ان الاخطر في الامر هو السياسة الاسرائيلية الشاملة تجاه الطرق؛ اذ يتركز جهد اساسي، حالياً، على شقّ طرق جديدة تلتف عن التجمّعات السكنية الفلسطينية لتجنّبها وتفادي هجمات الحجارة والمولوتوف. ويرتبط ذلك بهدف اسرائيلي آخر، هو مصادرة المزيد من الاراضي العربية، بحجة الحاجة اليها لبناء شبكة الطرق الاضافية. وقد بلغت المساحة المصادرة خلال شهر حزيران (يونيو)، وحده، على سبيل المثال، ٢٦٠٩ دونمات (**نشرة بيسان**، نيقوسيا، ٤/٧/١٩٩٠). وهكذا، لقد سعت اسرائيل منذ فترة الى استغلال حالة الانتفاضة وحجة القمع لتدفع العملية الاستيطانية الى أمام.

الى جانب ذلك، تدرس القيادة الاسرائيلية، أو بعض الاجهزة الامنية المحدّدة فيها، اتباع تدابير أخرى، منها انشاء «حرس مدني» داخل المستوطنات المقامة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، كي تتولّى مهام الدفاع عن الذات ولتخفيف العبء على الجيش النظامي الاسرائيلي (**هآرتس**، ٢٧/٦/١٩٩٠). كما تبحث الشرطة الاسرائيلية في فكرة توحيد نظام لوحات السيارات المدنية الفلسطينية والاسرائيلية، بدلاً من اتباع الفصل بين اللوحات الصفراء، المستخدمة داخل اسرائيل، وبين اللوحات الزرقاء، المستخدمة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وهو اقتراح كانت الشرطة درسته ثمّ رفضته في السابق، نظراً الى امكانية الاستفادة من التوحيد للتسلل الى داخل اسرائيل وتنفيذ العمليات الفدائية (**المصدر نفسه**، ٦/٧/١٩٩٠).

غير ان تفاصيل الاجراءات وخطّها العام، على حدّ سواء، قد أثارا الاعتراضات والخلافات الحادّة داخل المؤسسة الأمنية الاسرائيلية؛ حيث اعترض قائد منطقة الخليل في الجيش الاسرائيلي، دودي بيرمان، على نيّة اقامة «حرس مدني» من المستوطنين، معتبراً ان ذلك سيؤدي الى «أعمال وحشية ضد الفلسطينيين»، في الوقت الذي تنشغل وحداته اصلاً بمنع سكان مستوطنة كريات أربع من الاعتداء المسلّح على العرب في الخليل وحلحول وغيرهما (**الحياة**، ٢٨/٦/١٩٩٠). وأضاف ان مرجع هذا القرار هو الدوافع السياسية للمسؤولين الاسرائيليين وليس الاعتبارات الامنية. ولعلّ أوضح برهان على المخاطر الكامنة في ذلك القرار وصحّة مخاوف القائد المحلي هو الكشف عن قيام مجموعة مجهولة من المستوطنين بطبع «دليل الارهابي اليهودي المثالي» ونشره داخل المستوطنات، وهو يحتوي على سبع صفحات تشرح طرق الهجوم على المواطنين الفلسطينيين وأملاكهم (**المصدر نفسه**، ٥/٧/١٩٩٠).

وقد دلّت حالة أخرى على حقيقة ترابط الدوافع السياسية بالتدابير المتبعة في مواجهة الانتفاضة؛ اذ قام الجيش الاسرائيلي، بأوامر من الوزير ارنس، بسحب قواته من داخل مدينة رفح، في أواسط تموز (يوليو)، ممّا أتاح سيطرة القوات الضاربة واللجان الشعبية الفلسطينية على الشوارع الداخلية والحياة اليومية، من جهة، وأدّى الى انخفاض نسبة وحجم المواجهات والاصابات بين الطرفين، من الجهة الاخرى. وقد أوضح ارنس انه اذا ثبت ان هناك علاقة مباشرة بين وجود الجيش ومستوى التوتر، فان سياسة تقليص التواجد سوف تستمر، وربما سيتمّ تطبيقها تدريجياً في أماكن أخرى (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٤ ـ ١٥/٧/١٩٩٠). والواضح ان هذا التحوّل، الهامّ بمغازيه وأبعاده المحتملة، قد نبع، أولاً، من الرغبة في تفادي الانتقادات الدولية، ولعله تماشى، أيضاً، مع التوجّه التدريجي نحو تفادي المناطق المكتظة بالسكان عبر شقّ الطرق الجديدة وتركيز الوحدات العسكرية لحمايتها.

الّا ان مختلف هذه التدابير والتوجّهات الاولية لا تشكل استراتيجية شاملة، أو كافية، بل تشكّل، في أحسن الحالات، عناصر لسياسة جديدة. وخير دليل على تلك الحقيقة ان التوجّه الحالي يخلي المبادرة الميدانية للقوات الضاربة الفلسطينية في الكثير من الاماكن دون ان يخرج بحل جذري يضمن اخضاع الانتفاضة. انما الدليل الاوضح هو كثرة الاعتراضات والخلافات الاسرائيلية حول الموضوع، ممّا يدل على الارتباك والفشل وتراجع الثقة بالذات. وأبسط ما يذكر هو اعتقاد بعض الاوساط الخبيرة بأن الاجراءات الجديدة، وخاصة نشر القوات على الطرق وانشاء الحرس المدني، سوف تتطلب انفاق تكاليف كبيرة، دون ضمان النجاح (**هآرتس**، ٢٧/٦/١٩٩٠).

غير ان المأزق هو أعمق وأخطر من ذلك، الى درجة قيام الوزير ارنس بحل مجموعة «منتدى الاراضي» المحتلة، وهي اللجنة المكلّفة بوضع استراتيجية قمع الانتفاضة (**المصدر نفسه**، ٨/٧/١٩٩٠). والمعروف ان ذلك «المنتدى...» هو برئاسة رئيس هيئة الاركان العامة، دان شومرون، وعضوية قادة المناطق العسكرية الرئيسة ورؤساء مكاتب الحاكمين العسكريين. وقد تمّ تعليق أعماله بعد استفحال الخلافات في أوساطه والتنافس على المناصب؛ اذ ربط المؤرخ العسكري يوري ميلشتاين بين «حرب الجنرالات»، حسب تسميته، وبين جولة التعيينات القيادية المقبلة (**الحياة**، ١٠/٧/١٩٩٠).

ويبدو ان ارنس يتّجه نحو استبدال ذلك الاطار عبر الاستعانة بمستشاريه الخاصين والمفضلين، وبمن يرتأيه من ضباط الجيش والاجهزة الأمنية. وعلى ذلك الاساس، أكدت المصادر الاسرائيلية ان ارنس يفكّر في اجراءات اضافية هدفها الحدّ من المجابهة المباشرة وترويض الرأي العام العالمي، ومنها تبنّي اسلوب «النفي» للناشطين الفلسطينيين داخل البلاد، بدلاً من ابعادهم كلياً الى الخارج، ونقل المدارس بعيداً من الطرق الرئيسة واحاطتها بالجدران، او السياجات، العالية لمنع قذف الحجارة (**المصدر نفسه**، ١٠/٧/١٩٩٠).

بين المقاومة الشعبية والعبوات

انطلاقاً من الاتجاهات الناشئة خلال الشهرين السابقين، ومن تضعضع السياسة الاسرائيلية

وعرقلة المسار الدبلوماسي الخارجي، قد أخذت خطوط عدة متميّزة تتبلور بنمط المجابهة اليومية في الاراضي الفلسطينية المحتلة خلال الشهر قيد المراجعة. فقد استمر سعي القوات الاسرائيلية، ضمن حدود نسبية، الى الحد من عدد المصابين الفلسطينيين بالرصاص، وخصوصاً بعد وصول العنف الى أوجه عقب مجزرة عمّال غزة في ريشون لتسيون، في ٢٠ أيار (مايو). وهكذا استمر سقوط الجرحى بمعدل مرتفع بسبب الضرب، مقابل تراجع واضح بعدد الشهداء وتضاؤل نسبة الجرحى بالرصاص كذلك. وبالمقابل، تصاعد استخدام العبوات الناسفة والقنابل اليدوية من قبل الخلايا السرية المسلّحة والقوات الضاربة الفلسطينية، التي لجأت، أيضاً، الى أعمال الحرق المتعمّد للاحراج والمنشآت والسيارات الاسرائيلية. بل ان أساليب العمل الشعبي شبه المسلّح قد ترسّخت بمعدل يومي مؤثر، من كمائن الحجارة والمولوتوف، ممّا شكّل خطاً متميّزاً بحدّ ذاته.

اتضحت هذه الخطوط الثلاثة ضمن الاحداث، في الآونة الاخيرة، من خلال مؤشرات عدة، هي:

أولاً، تراجع معدّل سقوط الشهداء الى ثمانية، بين ١٦ حزيران (يونيو) و١٥ تموز (يوليو)، ممّا رفع السجل، منذ بدء الانتفاضة، الى ٩١٩. وفي المقابل، ظلت وتيرة الاصابات، عموماً، على مستواها السابق، اذ تعرّض حوالى ١٤٠ فلسطينياً للاصابة بواسطة الرصاص (الحي والبلاستيكي - المعدني والمطاطي) أو الضرب او الاختناق بالغاز، خلال حزيران (يونيو)، على سبيل المثال. هذا ما دلّت عليه الاحصاءات المحلية، التي سجّلت سقوط ١٧ شهيداً خلال ذلك الشهر ككل، و٤٢١٣ جريحاً، فيما أكدت سقوط شهيدين واصابة ١٩٣٥ جريحاً في قطاع غزة وحده، من بينهم ١٤٥ جريحاً بالرصاص، أي أقل من ثمانية بالمئة من المجموع (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ٨/٧/١٩٩٠؛ و**نشرة بيسان**، ٤/٧/١٩٩٠).

ان اتضاح السياسة الاسرائيلية المزدوجة تجاه الاصابات البشرية (الضبط النسبي لاستخدام الرصاص ومواصلة العمليات الخاصة وأساليب الضرب وغيره) لم ينف حقيقة اشتداد عمليات القمع ومحاولات الارهاق بالطرق الاخرى، طبعاً؛ اذ بيّنت الاحصاءات، المشار اليها آنفاً، انه تمّ هدم ٩١ منزلاً وغلق ٢٥ بحجج مختلفة أمنية وقانونية، خلال شهر حزيران (يونيو)، فيما تمّ اقتلاع ٦٨٧٨ شجرة مثمرة ومصادرة ٦٢٠٩ دونمات من الارض (**المصدر نفسه**، ٤/٧/١٩٩٠).

ثانياً، ليس مفاجئاً ان تقابل الانتفاضة الشعبية هذه الممارسات الاسرائيلية بأشكال المقاومة الجماهيرية وشبه المسلّحة، ضمن خطة استنزاف مضادة. وقد أوضحت مراقبة البيانات الصادرة عن الطرفين ان قوات الاحتلال والمستوطنين في الارض الفلسطينية يتكبدون خسائر يومية لا تقل عن جريحين، أو ثلاثة، يومياً، غالبيتهم من الجنود. وقد أُحرقت، أو أُعطبت، ١٣ سيارة مدنية وعسكرية في ١٧ حزيران (يونيو) وحده، مثلاً، منها سبع في القدس (**الحياة**، ١٨/٦/١٩٩٠). وتعرّض العدد ذاته من السيارات لاضرار مختلفة في ٢٨ الشهر، فيما أُصيب ستة جنود. وتكرر الامر ذاته تقريباً في الرابع والسابع من تموز (يوليو)، حيث أُصيب أربعة وسبعة جنود ومستوطنين على التوالي، واعطبت ١٣ و١٨ سيارة، بينما ارتفع حجم الضرر ليشمل ٢٠ سيارة في التاسع من الشهر. كما امتدت هجمات القوات الضاربة، في السادس من الشهر عينه، لتشمل حرق مصنع دهان في القدس الغربية.

ثالثاً، ان الاتجاه الموازي اللافت للتصدي الفلسطيني للاحتلال قد تألف من سلسلة من العمليات العسكرية «التقليدية»، التي ضمّت عشر حالات زرع عبوات والقاء قنابل يدوية، الى جانب حادثة اطلاق نار وهجومين بآلات حادة. وقد ابتدأ المسلسل بانفجار عبوة صغيرة عند مفترق بين القدس وبيت لحم، في ١٧ حزيران (يونيو)، دون التسبّب باصابات أو اضرار تذكر. ثمّ أُلقيت قنبلة يدوية على هدف غير محدّد في القدس، ومثلها في رام الله، بتاريخ ٢٤ الشهر. غير ان أوج النشاط جاء بعد يوم؛ اذ انفجرت عبوة قُذفت على سيارة في القدس، وأخرى قرب مجموعة قوارير غاز في الرملة، فيما تمّ ابطال مفعول ثالثة اسطوانية في حي تجاري في القدس الغربية (**المصدر نفسه**، ١٨ و٢٥ و٢٦/٦/١٩٩٠). ولم يمض سوى يوم حتى أدّى انفجار عبوة الى جرح اسرائيليين في محطة

باصات في القدس. واللافت ان العملية الثامنة من هذا النوع وقعت قرب الناصرة؛ اذ انفجرت عبوة عند مفترق طرق مرج ابن عامر ـ نهلال، في ٢٨ الشهر (**المصدر نفسه**، ٢٧ و٢٩/٦/١٩٩٠). وأخيراً، جرحت فتاة بانفجار عبوة في القدس الغربية، في الاول من تموز (يوليو)، بينما نجا السكان من الاصابة عندما انفجرت شحنة ناسفة في بيتح تكفا، في الثامن من الشهر (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢/٧/١٩٩٠؛ **والحياة**، ٩/٧/١٩٩٠).

واشتمل سجل الاحداث العسكرية هذا على حادثة اطلاق نار على دورية اسرائيلية قرب الحدود الاردنية، في ٢٠ حزيران (يونيو). وقد ادّعت اسرائيل بأن ذلك تمّ من داخل الاردن، فيما نفى الناطق الاردني ذلك تماماً (**فلسطين الثورة**، ٨/٧/١٩٩٠). انما كانت النتيجة أوضح في الثامن من الشهر، اذ هاجم شاب فلسطيني احد أفراد الشرطة بسكين، وطعنه في معدته، قبل التمكّن من الفرار (**الحياة**، ٩/٧/١٩٩٠). وجاءت محاولة شبيهة بعد أربعة أيام، حين جرح جندي آخر بعد ضربه بقضيب حديد داخل باص في عسقلان (**المصدر نفسه**، ١٣/٧/١٩٩٠).

بعد هذه المراجعة، تبقى ملاحظة ان التكتيك الفلسطيني لم يتضح تماماً بعد؛ اذ لا تزال هذه العمليات تشكّل بادرات فردية، أو جزئية، ولا تعكس سياسة عامة، او منهجية، بالضرورة. وتظهر تلك السمة، أيضاً، باستمرار الاعمال الانتفاضية ضد العملاء، التي ارتفعت بنسبة صغيرة خلال الآونة الاخيرة، الى ست حالات. فقد أُعدم متعاون في الرابع من تموز (يوليو)، ثمّ عُثر على ثلاث جثث بين طولكرم ومخيم الامعري، في السادس من الشهر. وسقط قتيل، ربما للسبب عينه، في التاسع منه، بينما تمّ العثور على جثة سادسة في نابلس، في ١٥ منه (**المصدر نفسه**، ٢/٧/١٩٩٠).

جنوب لبنان

تراكمت المؤشرات الى احتمالات التصعيد العسكري في جنوب لبنان خلال الاسابيع والشهور المقبلة؛ اذ توتّر الوضع مع اسرائيل و«جيش لبنان الجنوبي» العميل لها، وحصل انهيار أمني مفاجىء في منطقة صيدا، فيما عادت الاشتباكات الخفيفة بين حركة «أمل» و«حزب الله» في اقليم التفاح. فمن جهة، حصلت محاولة لتنفيذ عملية بحرية ضد «حزام الامن» وأهداف داخل اسرائيل، ليلة ٢٣ حزيران (يونيو)؛ اذ أعلنت اسرائيل عن اغراق زورق مطاط وقتل فدائيّين مقابل رأس البيّاضة، فيما تبنّت الجماعة الاسلامية المسؤولية (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢٥/٦/١٩٩٠). ولاحقاً، دون وجود ثمة صلة بالعملية البحرية، أغار الطيران الاسرائيلي على قاعدتين للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة قرب الحدود السورية، ممّا أوقع ١١ جريحاً، في السادس من تموز (يوليو). وتكررت الضربة، بعد يوم، ضد مواقع لـ «حزب الله» قرب جرجوع وعين بسوار، ممّا خلّف شهيدين وجريحين (**المصدر نفسه**، ٧ ـ ٨/٧/١٩٩٠؛ **الحياة**، ٩/٧/١٩٩٠).

ومن جهة أخرى، وازاء الخطر الاسرائيلي المتنامي وتعزيزاً للقدرة على مواجهته، نفّذت القوات الفلسطينية مناورة عسكرية شرق صيدا، في ٢٢ حزيران (يونيو). فقد اشتركت وحدات تابعة لـ «فتح» في عملية وهمية تمثّل التصدي لانزال مظلي بواسطة المروحيات، حسب ما أعلنت قيادتها (**المصدر نفسه**، ٢٥/٦/١٩٩٠).

د. يزيد صايغ

اعتماد «رسمي» على المستوطنين في قمع الانتفاضة الفلسطينية

مع تسلّمه مهام منصبه في الحكومة الاسرائيلية الجديدة، بدأ وزير الدفاع، موشي ارنس، برسم معالم سياسة اسرائيلية جديدة ازاء الانتفاضة الفلسطينية ومستقبل الاراضي المحتلة، تمثّلت في زيادة الاعتماد على المستوطنين في القيام بـ «مهام الأمن»، والتخفيف من الاحتكاك مع الفلسطينيين، من خلال تعزيز الدوريات والحراسة على محاور الطرق الرئيسة، وشقّ طرق دائرية تبتعد من المراكز السكانية العربية، وبالتالي توظيف ذلك في القيام بتحرك سياسي، من أجل ايجاد قيادة بديلة، تقبل بالمبادرة الاسرائيلية بشأن الانتخابات في المناطق المحتلة.

سياسة جديدة

في هذا السياق، كان التوجيه الأول الذي أصدره ارنس، بوصفه وزيراً للدفاع، الطلب من هيئة الاركان العامة في الجيش الاسرائيلي اعداد خطة للدفاع عن المستوطنات اليهودية في المناطق المحتلة. وقد اعتبرت المصادر الامنية الاسرائيلية هذا التوجيه بمثابة الغاء لسياسة وزير الدفاع السابق، اسحق رابين، الذي خفض ميزانيات سلامة المستوطنات اليهودية. وأضافت المصادر نفسها، ان ارنس «يعتزم المحافظة على أمن المستوطنات في المناطق [المحتلة]، حتى لا تكون أقل أمناً من المستوطنات اليهودية الواقعة على الحدود الشمالية» (**هآرتس**، ٢١/٦/١٩٩٠). وكان وزير الدفاع الجديد، وفي اشارة واضحة الى طابع توجّهاته الجديدة، قام، في اليوم التالي لتولّي مهام منصبه، بزيارة مستوطنتي اريئيل ومعاليه أدوميم، في الضفة الفلسطينية، للتعرف، من المستوطنين، على مشاكل الأمن حول مستوطناتهم. وقد أدرك ارنس، خلال اجتماعه مع المستوطنين، ان «مشكلة الحجر الذي يتمّ رشقه على محاور الحركة هي من أكثر المشاكل الحاحاً». وبعد ذلك، التقى ارنس بقادة الجيش الاسرائيلي، حيث استمع الى توصياتهم بشأن «استخدام وسائل اضافية للتصدي للانتفاضة، وتوسيع استخدام طائرات مروحية، وفرض غرامات مالية على أولياء الامور الذين يشارك اطفالهم في نشاطات الانتفاضة، بناء على معلومات خلال التحقيق مع الاطفال، وتوسيع السجون وانشاء سجن جديد» (**دافار**، ٢٢/٦/١٩٩٠).

وبعد سلسلة لقاءات مع «طاقم المناطق» بدىء بها، تبنّى وزير الدفاع، في اجتماع «الطاقم»، الذي عقد بتاريخ ٢٢/٦/١٩٩٠، خمس توصيات طرحتها هيئة الاركان العامة في الجيش الاسرائيلي، وأصدر تعليماته بتنفيذها بالسرعة الممكنة. واشتملت هذه التوصيات على: «زيادة وتعزيز القوات لتأمين المحاور الرئيسة؛ واقامة حرس مدني في المستوطنات الكبرى في [الضفة الفلسطينية]؛ وشقّ خمسة محاور حركة دائرية في الأماكن الصعبة؛ وتركيب أضواء كاشفة عند التقاطعات القريبة من المستوطنات؛ ووضع نظام تصفيح لسيارات جميع المستوطنين في [الضفة الفلسطينية]، بتمويل كامل من جهاز الأمن» (**آفي بنيهو، عل همشمار**، ٢٤/٦/١٩٩٠).

واعتبر قرار اقامة «حرس مدني» في المستوطنات اليهودية في الضفة الفلسطينية تغييراً حقيقياً في السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة، وكذلك الأمر بالنسبة الى دور المستوطنين في تحمّل مسؤوليات «الامن» الجاري في تلك المناطق. وقال بعض المصادر، ان هذا القرار سيجلب ضرراً للجيش الاسرائيلي ولجهاز الأمن، الذي يملك تجارب سابقة مع سكان مستوطنتي اريئيل ومعاليه أدوميم. وأضافت المصادر نفسها، ان القرار «سيفتح ثغرة

لا يمكن ردعها في المستقبل، وهي سوف تكبر وتزداد اتساعاً» (المصدر نفسه، ٢٥/٦/١٩٩٠). ونقل عن عسكريين اسرائيليين كبار قولهم: «ان اقامة هيئات للحرس المدني في المستوطنات ستمكّن المستوطنين من التدخل، رسمياً تقريباً، في عمليات الامن، ويحتمل ان تتسبب في تشكيل ميليشيا يهودية مسلّحة تؤدي الى زيادة التوتر» (المصدر نفسه). وتوقّع العسكريون أنفسهم، ان يخرج هؤلاء المستوطنون الى خارج سياج المستوطنات؛ وان لا يتقيّدوا بالانظمة والقوانين التي وضعت لتحديد مجالات عملهم داخل أسوار مستوطناتهم. ويذكر في هذا السياق، ان قادة الجيش الاسرائيلي كانوا عارضوا، حتى الآن، فكرة اقامة حرس مدني في الضفة الفلسطينية.

ووضعت، كذلك، أمام وزير الدفاع، خطة شاملة لمعالجة مشكلة راشقي الحجارة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين. وقد قام بوضع تفاصيل الخطة منسّق النشاطات في المناطق المحتلة، شموئيل غورين. وهي تتضمّن عدداً من الاقتراحات لمعالجة ظاهرة رشق الحجارة، والتي تشكّل، حسب المصادر الاسرائيلية، ٧٥ بالمئة من مجمل أحداث الانتفاضة (هآرتس، ٦/٧/١٩٩٠). والمقصود بهذه الخطة احداث تغييرات في نظام الدراسة لـ ٣٥ مدرسة قائمة على محاور الحركة الرئيسة. ويعني ذلك استبدال صفوف الدراسة في المدارس تلك، حيث يتمّ نقل الطلاب في الصفوف المتوسطة، الذين يرشقون حجارة على طريق محدّد وتقع مدارسهم على محاور حركة رئيسة، الى مدارس تقع داخل قراهم؛ وان تنظّم عملية نقل معاكس من هذه المدارس الى المدارس الاعدادية الواقعة داخل القرى العربية. واقترحت الخطة، كذلك، اقامة أسوار حول المدارس، واحاطتها بالأسيجة، وتغيير مداخل المدارس، بحيث لا تكون مفتوحة باتجاه محاور الحركة الرئيسة. وتستند هذه الترتيبات الى تقويم عسكري اسرائيلي مفاده ان عمليات رشق الحجارة لا تشمل جميع المدارس في المناطق المحتلة، وان قسماً من التلاميذ يشاركون في رشق الحجارة، على الرغم من ان المقصود «ظاهرة واسعة وخطرة، لم ينجح الجيش الاسرائيلي في ايجاد حل لها حتى الآن» (المصدر نفسه).

ودرست قيادة الجيش الاسرائيلي طريقة جديدة لمعاقبة قادة الانتفاضة، وذلك باتباع أسلوب جديد في العقاب، أطلق عليه وصف «الابعاد الداخلي». وقد كلّف المدعي العسكري الاسرائيلي، العميد أمنون سترشانوف، بفحص الجوانب القانونية لهذه الفكرة. والمقصود بالعقوبة الجديدة ابعاد من يكتشف انه قائد في الانتفاضة من مكان سكنه الى مكان آخر داخل المناطق المحتلة، لفترة محدّدة. وسيبقى المبعد تحت المراقبة المتواصلة؛ فاذا لم يتابع نشاطه في اطار الانتفاضة سيسمح له بالعودة الى منزله؛ واذا استمر في العمل، في مكان ابعاده أيضاً، فانه سينقل ثانية الى مكان آخر (هآرتس، ١/٧/١٩٩٠).

ويتفحّص المدعي العام العسكري، أيضاً، الجوانب القانونية لقرار جديد يعتزم الجيش الاسرائيلي استصداره، بحيث يلتزم، في اطاره، كل فلسطيني ترشق حجارة من على سطح منزله باقامة سياج بارتفاع مترين ونصف المتر على سطح منزله. وعلى صاحب المنزل ان يكون مسؤولاً عن الّا ترشق الحجارة من على سطح منزله (المصدر نفسه).

واتساقاً مع التوجّهات الاسرائيلية الجديدة في وضع ترتيبات وأنظمة لقمع الانتفاضة، قدّم مجلس مستوطنات الضفة وقطاع غزة وحركة هتحياه خطة الى وزير الدفاع، بهدف «فرض النظام في الضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة بمساعدة قوات أمن عربية». وكتب واضعو الخطة، انه نظراً الى ان اسرائيل «نجحت في تشكيل قوة عربية مسلّحة قوامها ٢٥٠٠ رجل، في جنوب لبنان، وهي تعمل بنجاح، كذلك يجب فعل الشيء ذاته في المناطق [المحتلة]. فثمّة في الضفة وغزة عرب يحملون سلاحاً مرخّصاً، للدفاع الذاتي عن النفس، أكثر بعدة أضعاف من عدد جنود جيش جنوب لبنان، ويسعى جزء هامّ منهم، فعلاً، الى ان يسمح لهم، كما هو واضح، بالعمل في اطار القانون» (هآرتس، ١٣/٧/١٩٩٠).

وجاء في تفاصيل الخطة، انه يجب «اقامة قوة شرطة و/أو حرس مدني داخل القرى والاحياء والمدن. وستكون القوة مزوّدة بأسلحة اوتوماتيكية، وتمتلك أجهزة اتصال. وليس هناك حاجة الى

تواجد قوات الجيش الاسرائيلي، التي تتابع القيام بدوريات على الطرق». وحدّدت الخطة مهمة هذه القوة في «تصفية ظواهر السيطرة الواضحة لقوات الانتفاضة على الشارع العربي، بعد ان يتخلّى الجيش [الاسرائيلي]، عملياً، عن المنطقة، وينسحب الى الطرق المؤدية الى المستوطنات ومعسكرات الجيش» (**المصدر نفسه**).

وفي المقابل، حاول ارنس ان يعطي سياسته الجديدة في المناطق المحتلة بعداً آخر، تمثّل في اتخاذ خطوات عدة، فُهم منها ان توجّهات الوزير الجديد لا تخلو من طابع سياسي. فقد أطلق، بتاريخ ١٩٩٠/٧/١، سراح ٤١٦ معتقلاً فلسطينياً بمناسبة عيد الأضحى؛ وسمح بفتح بعض الجامعات في الضفة الفلسطينية؛ وكذلك أجرى سلسلة لقاءات مع بعض الشخصيات الفلسطينية، لاقناعها بقبول الخطة الاسرائيلية للانتخابات في المناطق المحتلة. وعلى الرغم من ذلك، فان توجّهات ارنس نحو الفلسطينيين سجّلت فشلاً منذ خطواتها الاولى. «فمعظم جامعات المناطق المحتلة ستبقى مغلقة الى فترة طويلة، لأن هذه الجامعات هي جامعات م.ت.ف. وتعتبر معاقل للمنظمة بكل فصائلها» (بنحاس عنباري، **عل همشمار**، ١٩٩٠/٧/٣).

أمّا بالنسبة الى اللقاءات مع شخصيات فلسطينية، فقد قرّر ارنس بنفسه مصير هذه اللقاءات، عندما أعرب، مسبقاً، عن حصر لقاءاته مع شخصيات لا تؤيد م.ت.ف. (**المصدر نفسه**، ١٩٩٠/٦/٢٦). كذلك، قرّر ارنس انه لا يعتزم اللقاء مع شخصيات فلسطينية «تقيم في القدس الشرقية، بدعوى ان هؤلاء غير مشمولين في خطة الانتخابات في المناطق المحتلة، في حين ان الوزير معنيّ بدفع موضوع الانتخابات؛ [لذلك]، فانه يتحادث مع عناصر ذات صلة بهذه الخطة» (**المصدر نفسه**، ١٩٩٠/٧/١٣).

ونقل عن تقارير «الادارة المدنية» وسلطات الامن التي تجري اتصالات دائمة مع الفلسطينيين، ان معظم الشخصيات الهامّة في المناطق المحتلة يرفض المباحثات التي يجريها وزير الدفاع مع فلسطينيين. وحسب التقارير ذاتها، فان معظم المنظمات، وكذلك القيادة الموحّدة، دانت هذه المباحثات، ودعت الى عدم الاستمرار فيها، بدعوى ان وزير الدفاع «يحاول ان يخلق، وينمّي، قيادة بديلة في المناطق [المحتلة]، من خلال تجاهل الواقع الذي يقول: ان مثل هذه القيادة غير موجودة» (**المصدر نفسه**).

الانتفاضة صاعق تفجير

الى ذلك، تناولت الصحافة الاسرائيلية، بالتقويم والتحليل، توجّهات ارنس ازاء المناطق المحتلة، وتساءلت عن مدى حظة في النجاح في ظل وجود الانتفاضة، من جهة، وضغط المستوطنين لتوسيع هامش صلاحياتهم خارج مستوطناتهم، من الجهة الاخرى؟ وفي هذا الاطار، شكّك المعلّق العسكري، زئيف شيف، في وجود خظة لدى ارنس لقمع الانتفاضة. فهو لن يستطيع ان يلبّي طلبات المستوطنين على المدى الطويل. ومع انه سيعرض عليهم أكثر ممّا عرضه رابين، الّا انه، حسب ما قاله شيف، سيجد «مستوطنين قصيري النفس، وبينهم مسلّحون كثيرون على استعداد لأخذ القانون بأيديهم، وهم الاشخاص الذين يضغطون على المستوى السياسي، ويطالبون باتباع سياسة عسكرية ملموسة ضد الفلسطينيين. وهو لا يستطيع ان يلبّي رغباتهم المقتصرة على تقوية المستوطنات، وتوسيعها؛ وفي مواجهتهم سيتظاهر، بكل تأكيد، افراد هيئات اليسار والسلام الآن، الذين سيزيدون، بدورهم، من الضغط على الجيش الاسرائيلي. وسوف يؤثر كل هذا، بالضرورة، في زيادة حدّة الوضع في المنطقة في مواجهة العرب» (**هآرتس**، ١٩٩٠/٦/١٧).

ولاحظ الصحفي افنير ريغف ان اشغال ارنس لوزارة الدفاع ترافق لدى كثيرين في اليمين السياسي، وخصوصاً لدى المستوطنين، بشعور مفاده، ان ساعة حل مشكلة الانتفاضة قد أزفت، وان سياسة اليد القوية «ستبدأ في ترك بصماتها على الارض. وقد تزايد هذا الشعور، عندما قرر ارنس ان يمضي يومه الاول كوزير للدفاع في مستوطنات المناطق [المحتلة]، حيث ترافقت الزيارة، تلك، مع تصريحات عن تعزيز القوات في المحاور الرئيسة، وزيادة فرض العقوبات على المتظاهرين» (**عل همشمار**، ١٩٩٠/٧/٢).

وأجمع بعض التعليقات على فكرة تقول ان

ارنس يخشى من استمرار الوضع الراهن، الذي سيقود، في النهاية، الى مواجهة عربية ـ اسرائيلية شاملة. لذلك، فانه يسعى الى نزع فتيل الانفجار عبر توجّهات سياسية ازاء الفلسطينيين في الاراضي المحتلة. وفي هذا السياق، كتب الصحفي أون بن ـ يشاي: «ان الانتفاضة تقف في مقدّم أولويات ارنس، لأنها ستتحول، في حالة استمرارها، الى صاعق يفجّر الحرب الشاملة المقبلة بين اسرائيل والدول العربية. وهي تشكّل، أيضاً، عاملاً رئيساً في قضم خطر لمكانة اسرائيل لدى الرأي العام الاميركي... ويؤمن ارنس بالضمانة التي توفّرها ' الجزرة ' أكثر من عبء ' العصا ' ، كوسيلة للتأثير في سكان المناطق [المحتلة]. فهو لا يتحدث بعبارات قمع الانتفاضة، أو تصفيتها التامّة والفورية. وحسب تقديره، فان سياسة القبضة الحديدية في المناطق [المحتلة] يمكنها ان تشجّع المسارات الخارجية التي يُخشى منها فقط». وأضاف بن ـ يشاي شارحاً خطوات ارنس على هذا الصعيد، فكتب: «ان وزير الدفاع يسعى الى تحسين ظروف، ونوعية، الحياة للفلسطينيين، وايقاف الاذلال والاحتكاك مع قوات الامن، اضافة الى البدء بحوار مع الزعماء المحليين يقود الى هدوء نسبي خلال فترة قصيرة. ومع مرور الزمن، يمكن، حسب رأيه، اقناع الفلسطينيين بايقاف العنف، والموافقة على الحكم الذاتي». ورأى بن ـ يشاي ان ثمّة تناقضاً بين الوسائل المتبعة لتحقيق الاهداف الاستراتيجية، التي حدّدها ارنس للمدى الطويل، وبين الهدف التكتيكي الفوري. ونقل عن جنرال قديم قوله، ان ارنس «يملك قائمة أهداف، وجدول أولويات واضحاً، واستراتيجية كذلك. وهو يعتقد بأن ذلك يقوده الى النقطة التي يريد الوصول اليها». وأضاف، لكنه «لا يملك خطة عمل مبلورة، التي من المفترض ان تتوفر له». وتابع الجنرال: «أنا لست واثقاً كثيراً بأننا نستطيع توفير البضاعة التي يريدها. لكننا سنحاول» (**يديعوت احرونوت**، ٦/٧/١٩٩٠). أمّا على الصعيد السياسي، فان ارنس يستند، في معالجة مسألة المناطق المحتلة، الى نظرية تزعم ان السكان «تعبوا من الانتفاضة». وانهم أصبحوا على «استعداد لقبول ما تقترحه اسرائيل عليهم، أي حكم ذاتي حقيقي، وواسع، حتى لو لم ينظر [ياسر] عرفات ورجاله بالرضى الى ذلك... وكخطوة أولى، بدأ ارنس المباحثات بنفسه مع من يعتبرهم زعماء معتدلين في المناطق [المحتلة]... غير متعاطفين مع م.ت.ف. لكنهم يتمتّعون بمكانة مرموقة في الشارع الفلسطيني، وصوتهم مسموع في تونس، أيضاً... وبما ان مباحثات القاهرة لم تعد مطروحة، عملياً، يفحص ارنس امكانية ان يقترح على الفلسطينيين، والاميركيين، مبادرة اجراء انتخابات للبلديات والسلطات المحلية في المناطق [المحتلة]. ومن ثمّ يتمّ انتخاب ممثلين للفلسطينيين للتفاوض مع السلطات الاسرائيلية. وربما يتمّ، بعد ذلك، أيضاً، التباحث حول الحكم الذاتي» (**المصدر نفسه**).

وكتب الصحفي افنير ريغف، ان سياسة ارنس تجاه سكان المناطق المحتلة تستهدف، بالتالي، الحاق المناطق باسرائيل. وذكّر الصحفي بأن ارنس كان طرح، قبل أربع سنوات، مثل هذه الافكار، ودعا، في حينه، الى «تمكين كل فلسطيني، اذا ما رغب، بالحصول على الجنسية الاسرائيلية، عندما تضمّ المناطق، وتنتقل الى السيادة الاسرائيلية» (**عل همشمار**، ٢/٧/١٩٩٠).

وأشار زئيف شيف الى ان ارنس يدرك ان الوضع الراهن الحالي يتضمّن اخطاراً كثيرة. ولكن وزير الدفاع لا يملك القرار الحاسم في التوجّه المستقبلي ازاء المناطق المحتلة. فأيديه مكبّلة، حسب شيف. لذلك، أضاف، ان توقّع ان يجلب ارنس معه سياسة جديدة تشكّل مفترق طرق سياسياً مبالغ فيها كثيراً. ولاحظ ان محاولات سابقة له لاحداث تغييرات جوهرية ذهبت أدراج الرياح. «وقد حدث ذلك عندما لم يكن في حكومة [اسرائيل] أعضاء اليمين المتطرّف، مثل [رفائيل ايتان]، ويوفال نئمان، وغيؤلاه كوهين. وطالما ان مصير الائتلاف [الحكومي] موجود، أيضاً، في أيدي غاندي، فان هؤلاء لن يمكّنوا ارنس من تطبيق سياسة منفتحة أكثر في المناطق [المحتلة]. فكل أسلوب، يبدو في نظرهم ليبرالياً قليلاً تجاه الفلسطينيين، سيتمّ رفضه فوراً». وسأل: «لماذا يمنح [اسحق] شامير و[اريئيل] شارون تأييدهما لارنس في صراع داخلي كهذا؟» (**هآرتس**، ١٥/٧/١٩٩٠). ورفض شيف الاوهام التي يمكن ان يبني ارنس مواقفه عليها، والمتعلقة بامكانية خلق قيادة بديلة من م.ت.ف. في المناطق المحتلة. وأضاف، ان الشخصيات التي

التقاها ارنس، حتى الآن، لا تملك صفة تمثيلية للسكان الفلسطينيين. وحيث ان الوزير «لا يستطيع الانحراف عن قرارات مركز الليكود، لذلك، فان ضيوف ارنس من الفلسطينيين لا يستطيعون الابتعاد من آرائهم. ومثلهم مثل ارنس، فان أيديهم مكبّلة، أيضاً. فقد كان عليهم الحصول على موافقة م.ت.ف. قبل اللقاء معه، وتقديم تقرير عن المباحثات بعد انتهائها». واذا كان ثمّة ايجابية لوجود ارنس في وزارة الدفاع، فهي، حسب شيف، انه «يمكنه، أكثر من أي زعيم ليكودي آخر، المحافظة على حقوق الانسان في المناطق [المحتلة]، ويخفّف من الاذلال المخجل، ويوقف الصخب المرتفع الذي لا يساعد في قمع الانتفاضة، بل يعمّق الكراهية؛ فهناك أشياء كثيرة جداً غير محتملة في نظرتنا تجاه الفلسطينيين في المناطق [المحتلة]. فهل يستطيع ارنس تغيير ذلك؟ وهذه ليست سياسة جديدة، وانما نهج مختلف. ولو كنّا اتّبعنا اسلوباً انسانياً قبل سنوات، فان من الممكن ان أشياء كثيرة كانت تبدو مختلفة. امّا اليوم، فان هذا لم يعد كافياً، والمطلوب نهج سياسي مختلف أيضاً» (**هآرتس**، ١٥/٧/١٩٩٠).

واتفق الصحفي بنحاس عنباري مع هذه التقويمات، وانْ تناولها من زاوية مختلفة. وحسب رأيه، انه ليس لدى ارنس نيّة للوصول الى حل وسط مع الفلسطينيين. وهو يسعى الى الحصول على ثقتهم لأسباب عدة، منها ان الحكومة الاسرائيلية الجديدة بحاجة الى فترة لاعادة التنظيم. لذلك، فانها تريد ان تبعد منها صفة من يعرقل المساعي السياسية. فهذه الحكومة «ليست معنيّة في تقدّم المسيرة السياسية حسب وصفة بيكر، او أية وصفة أخرى، التي لا تعتبر استهلاكاً لفظياً. فحسب، وهي تعرف ان موقفها يعرّضها للضغوطات، وان تحسين النظرة ازاء الفلسطينيين هي نوع من الستّرة الواقية تجاه الضغوطات الخارجية» (**عل همشمار**، ٣/٧/١٩٩٠).

مرحلة جديدة في الصراع

في حلقة دراسية عقدها مركز الدراسات اليهودية، وأُديرت حول الانتفاضة ومستقبل النزاع في الشرق الاوسط، وشارك فيها باحثون ومستشرقون وصحافيون واعضاء كنيست، أعرب معظم المشاركين عن رأيهم في انه لا يحتمل حدوث حل للنزاع من دون شريك فلسطيني. وحسب تقويم البروفيسور يهوشفاط هركابي، فانه، عاجلاً أم آجلاً، سوف تضطر اسرائيل الى الانسحاب من المناطق المحتلة. وحذّر من خطورة الأزمة التي ستعصف بالمجتمع الاسرائيلي (**هآرتس**، ٨/٧/١٩٩٠). وأشار رئيف شيف الى ان الانتفاضة منحت الفلسطينيين والاسرائيليين فرصة «لكبح [التدهور] واعادة تقويم الوضع». ومن دون مسار كهذا، توقّع شيف حدوث صدام عسكري جديد مع الدول العربية، «وسوف تسبّب الجبهة الشرقية، التي تنمو بسرعة، الى سحق كبير». ورفض شيف ادعاء بعض الاسرائيليين بأن الانتفاضة قد سحقت. وأكد انه، في نهاية الامر، «سيخرج القادة الفلسطينيون من السجن، وسنتفاوض معهم، كما جرى مع [أحمد] بن بلّه في الجزائر، و[المطران] مكاريوس في قبرص، ومع [جومو] كينياتا في كينيا، و[نلسون] مانديلا في جنوب افريقيا» (**المصدر نفسه**).

ومقابل الآراء التي أكدت حدوث تغيّر في الحركة الوطنية الفلسطينية بعد الانتفاضة، ادّعى المستشرق دان شيباتان بأنه لم يلاحظ تغيّراً كهذا، وان تركيبة اللاجئين داخل السكان في المناطق المحتلة لا تجعلهم يكتفون بحل اقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع. وحسب قوله، «يجب على اسرائيل ان تشجّع على انفراد السكان الدائمين في المناطق [المحتلة]، لأن مصالحهم تختلف عن مصالح اللاجئين». وحذّر شيباتان من ان التنازل عن الضفة سيمكّن الفلسطينيين من السيطرة، عاجلاً أم آجلاً، على الاردن. بمعنى بروز خطر جبهة شرقية بقيادة م.ت.ف. وقال ان الشرط الضروري لاية تسوية، يجب ان تستند الى قدرة الردع الاسرائيلية.

واستند مدير المكتب الصحافي الحكومي، يوسي اولمرت، الى الوضع العربي الضعيف في قدرة اسرائيل على قمع الانتفاضة. وفي رأيه، ان الانتفاضة «لم تتحوّل الى مركز للتضامن بين الدول العربية؛ وهي لم تستطع ان تبلور المسارات العربية» (**المصدر نفسه**).

وقد يكون اصحاب الرأي من الاسرائيليين

هم الأقدر من السياسيين على استشفاف معاني الانتفاضة، كتعبير عن ارادة الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال. فالانتفاضة لا يمكنها ان تتراجع أمام محاولات قمعها من قبل سلطات الاحتلال، بل انها ستتحوّل الى استخدام العنف، خصوصاً في ظل الاجواء العربية، والدولية، المعقّدة، حسب ما رآه الصحفي داني روبنشتاين. كتب: «ان ما يكتشفه الفلسطينيون من عدم الفاعلية العربية، مقابل النجاحات الاسرائيلية، يضغط، بصورة متزايدة، على م.ت.ف. باتجاه المواقف المتصلّبة للرئيس العراقي صدام حسين. وثمّة خيط مباشر بين الالفة التي يجدها الفلسطينيون في سياسة بغداد، وبين التطرّف في المناطق [المحتلة]، فكلاهما نتيجة الاحباط من الطريق السياسي الذي أدّى، فقط، الى نجاح اسرائيلي... وانّ من يستطيعون ان يكونوا مطمئنين الى الوضع الجديد هم مؤيدو أرض ـ اسرائيل الكاملة. فنبوءاتهم السوداوية عن التطرّف العربي، ولجوء الانتفاضة الى اتباع وسائل أكثر عنفاً، قد تحقّقت؛ لأنه عندما تغلق طريق المفاوضات السياسية، فان اللغة السائدة ستكون لغة العبوة الناسفة والبندقية» (هآرتس، ٤/٧/١٩٩٠).

وفي السياق ذاته، نقل الصحفي رؤوبين فدهتسور عن مصادر أمنية مطلعة تراقب ما يجرى في المناطق المحتلة عن كثب قولها، انه اذا ما استمر الجمود السياسي ولم يحدث تحرك في المسيرة السلمية، يضمّ سكان المناطق المحتلة، فثمّة احتمال كبير ان «تنتقل الاطراف الأكثر تطرّفاً داخل السكان الفلسطينيين، الى المسّ، بصورة مباشرة، بالمستوطنات القائمة في [الضفة الفلسطينية]». وحسب تقويمات المصادر تلك، فانه نظراً الى عدم وجود آمال لتقدّم حقيقي في المسيرة السلمية، يتوقّع حدوث تصعيد اضافي للعنف في المناطق المحتلة، وهو ما يمكن رؤية ملامحه منذ الآن. ويكمن سبب ذلك في وجود «مواقف متباعدة بين المؤسسات الأمنية والسياسية الاسرائيلية وبين زعماء المناطق من الفلسطينيين. فهؤلاء الزعماء لا يعيرون اهتماماً لأية مفاوضات تستند الى خطة تقود الى الحكم الذاتي، بينما كل ما تعرضه اسرائيل ـ حتى من قبل الاوساط المعتدلة فيها ـ يرتكز على مفاوضات من أجل مرحلة تمهيدية للحكم الذاتي» (المصدر نفسه).

ويبدو ان ثمّة قاعدة مشتركة بين الليكود والمعراخ، بالنسبة الى نظرتهم الى قضية الشعب الفلسطيني، والاسلوب الذي يجب على اسرائيل اتباعه لحل أزمة الشرق الأوسط. ويتجلّى هذا الموقف المشترك في النظر الى م.ت.ف. على انها يمكن ان تكون شيئين مختلفين، في داخل الارض المحتلة وخارجها، وتأسيس موقف اسرائيلي يستند الى هذا الفرز الخاطىء الذي يستهدف ـ حسب ما كتبته الصحفية ياعيل دايان ـ «تجهيل العقول بكل ما يتعلق بالشعب الفلسطيني». وأشارت دايان الى حقيقة اثبتتها تجربة الاتصالات بين شخصيات فلسطينية في المناطق المحتلة وبين سلطات الاحتلال الاسرائيلية، مفادها «ان التحادث مع د. سري نسيبة، أو مع الياس فريج، هو تماماً مثل من يقبل التحادث مع [صلاح خلف] «أبو اياد» أو مع نبيل شعث. فقد أدرك [شمعون] بيرس و [اسحق] رابين هذا الامر. لكن، وكما هي عادة حزب العمل، فقد اختار السفسطة والايماءات المبهمة الى الناخب. لذلك، فانهم لا يصلون الى الهدف عينه عند اتباع طريق متعرّج، بل انهم يخسرون احياناً... أمّا بالنسبة الى الليكود، فانه طالما يقول لكل الفلسطينيين أينما كانوا، وللدول العربية والى دول العالم، ان ليس ثمّة ما يجب التحدّث بشأنه، باستثناء الحكم الاداري الذاتي، فان احداً مثل [الرئيس حافظ] الأسد، أو [فيصل] الحسيني، أو [الملك الاردني] حسين، أو [د. سري] نسيبة، لن يكون على استعداد للاستجابة للدعوة الكريمة بالحضور الى القدس» (عل همشمار، ٥/٧/١٩٩٠).

الى هذا، فان الظروف السياسية على الساحتين، العربية والدولية، تفتح ـ حسب الصحفي زئيف شيف ـ صفحة جديدة في الصراع بين اسرائيل وم.ت.ف. في المناطق المحتلة. وكشف شيف عن ان قيادة المنظمة أرسلت تعليمات الى ممثليها في الاراضي المحتلة بافشال مساعي وزير الدفاع الاسرائيلي الجديد، الهادفة الى خلق قيادات بديلة من المنظمة، وذلك من خلال اللقاءات التي يجريها مع بعض الشخصيات الفلسطينية. وأكد شيف ان الفلسطينيين الذين التقاهم ارنس، أبلغوا اليه عدم موافقتهم على الاقدام على أية خطوة

باتجاه الانتخابات، أو المفاوضات، من دون مباركة وقبول م.ت.ف. والنتيجة التي وصل شيف اليها هي «ان الزعماء الفلسطينيين المحليين لن يكونوا، اليوم، كما انهم لم يكونوا في يوم من الايام، بديلاً من م.ت.ف. وان الفلسطينيين الذين التقاهم ارنس - وهم ليسوا من قيادة الانتفاضة - يطالبون، أيضاً، بأن يخلي الجيش الاسرائيلي المناطق [المحتلة]. وهذا ما جرى، أيضاً، مع ممثلي روابط القرى، الذين أبلغوا، في حينه، الى حكومة اسرائيل انهم حقاً مع السلام، لكنهم يريدون تحقيق الانسحاب الاسرائيلي، وهو الأمر الذي لا يمكن للحكومة الحالية ان تمنحه للفلسطينيين المحليين، ولن تمنحه، بالتأكيد، في أي يوم من الأيام».

وازاء هذا الواقع الملموس، الناجم عن التناقض الحادّ بين السياسة الاسرائيلية، من جهة، وبين مطالب الشعب الفلسطيني الوطنية المشروعة، من الجهة الاخرى، وطالما ان المسيرة السلمية متعثّرة، فقد وجّه شيف نصيحة الى وزير الدفاع الاسرائيلي، فهم منها قبول الوضع الحالي والتعايش مع الانتفاضة، وذلك بالاهتمام ببعض الجوانب التي يمكنه القيام بها في الظروف الراهنة، للتخفيف من حدّة عداء السكان الفلسطينيين. ويتمثّل ذلك بأن «يعطي تعليمات للجيش الاسرائيلي بتركيز جهده ضد الانتفاضة في نقاط معيّنة». وبالمقابل، فانه من المناسب، أيضاً، حسب شيف، ان يصدر ارنس أوامره الى الجيش لكي «يخفّف من اسلوب اذلال الفلسطينيين، وتقليص عدد القتلى، واتباع تصرّف انساني تجاه السكان، على الرغم من وجود الانتفاضة؛ اذ لا يكفي، اليوم، تحريك المسيرة السلمية فقط، بل يجب ان يكون هذا التزاماً ذاتياً، وله جانب اخلاقي، من أجل التخفيف من تعميق حدّة الكراهية» (**هآرتس**، ٦/٧/١٩٩٠).

محمد عبد الرحمن

بيرس، مجدداً، رئيساً لـ «العمل»

بأكثرية ٥٤ بالمئة، حسم مركز حزب «العمل» الاسرائيلي معركة التنافس بين زعيميه، شمعون بيرس، ووزير الدفاع السابق، اسحق رابين، لصالح الاول، وذلك في جلسته التي عقدت بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٢، في قاعة قصر المؤتمرات في تل ـ أبيب. وجاءت تلك النتيجة، غير المتوقعة من جانب العديد من أنصار رابين وبيرس على حدّ سواء، لتضع حدّاً، في الوقت الراهن على الاقل، للصراع الشخصي المحتدم بين الرجلين، منذ انهيار حكومة الوحدة الوطنية مع الليكود، على خلفية الحل السياسي ومشروع وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية، جيمس بيكر. وبلغ عدد الاصوات الصالحة المقترعة ١٢١٠، امتنع منها عشرة بالمئة عن التصويت لصالح أي من المتنافسين، في حين تغيّب عن عملية الاقتراع حوالى ١٧٠ عضواً من اصل ١٤٠٠ عضو يشكّلون مركز حزب «العمل» (دافار، ١٩٩٠/٧/٢٣). الموضوع المطروح على جدول الاعمال، والذي تعيّن على أعضاء مركز الحزب ابداء الرأي بشأنه، كان توصية اجتماع مكتب حزب «العمل»، الذي عقد بتاريخ ١٩٩٠/٧/١٢، بضرورة البتّ، عاجلاً، بمسألة التنافس بين بيرس ورابين، في مقابل اقتراح رئيس حزب «العمل» تأجيل ذلك لمدة سنة ونصف السنة، على الاقل. ولدى الانتهاء من عملية الاقتراع، وفرز الاصوات، تبيّن ان أكثرية مركز الحزب تؤيد موقف زعيمه، بيرس، التي طالبت بما يلي:

١ ـ يواصل رئيس الحزب الحالي القيام بوظيفته. وتجرى عملية انتخاب الرئيس المقبل لدى انعقاد مؤتمر الحزب في المستقبل القريب (نال ٥٤ بالمئة من الاصوات).

٢ ـ يتمّ انتخاب مرشح الحزب لرئاسة الحكومة المقبلة بعد انتخابات الكنيست الثالث عشر، وذلك قبل عام واحد من تلك الانتخابات، أو فور اتخاذ الكنيست قراراً بتقديم موعد الانتخابات (نال ٥٣,٦ بالمئة من الاصوات).

٣ ـ تأهباً للانتخابات المقبلة، يجوز تغيير دستور الحزب، في ما يتعلق بالهيئة التي ستنتخب رئيس الحزب ومرشحه لرئاسة الحكومة (نال ٥٤ بالمئة من الاصوات).

أمّا المغزى العملي، على صعيد الحزب وأجهزته، لهذه الهزيمة التي لحقت بتوصيات مكتب الحزب والتي لخّصت، في الوقت عينه، مطالب رابين، فقد حدّدتها صحيفة حزب «العمل» بالنقاط التالية:

١ ـ سيتمّ انتخاب رئيس الحزب في مؤتمر الحزب المقبل، المفترض عقده في أيار (مايو) ١٩٩١، ممّا سيمنح بيرس الوقت الكافي لاستعادة سيطرته على مختلف اجهزة الحزب ورصّ صفوف مؤيديه وزيادة عددهم.

٢ ـ يتمّ انتخاب مرشح الحزب لرئاسة الحكومة المقبلة فور اتخاذ الكنيست قراراً بتقديم موعد الانتخابات البرلمانية، أو قبل سنة على الاكثر، من الموعد الاقصى لاجراء تلك الانتخابات وهو أواخر العام ١٩٩٢. وسرعان ما اتضحت أهمية هذا القرار الذي أفسح في المجال لعدد من الوجوه الشابة في الحزب للتطلع الى خوض المنافسة على ذلك المنصب.

٣ ـ مع تأجيل معركة التنافس على رئاسة الحزب وهوية مرشحه لرئاسة الحكومة المقبلة، أصبح لدى بيرس الوقت الكافي لادخال تعديلات تنظيمية، وقانونية، الى هيكلية الحزب ودستوره، بحيث يصبح بالامكان اشراك أكبر عدد ممكن من اعضاء الحزب في انتخابات مرشحيه للمناصب القيادية، أو ما يعرف بأسلوب «primaries» على النمط الاميركي. هذا بالاضافة الى الافساح في المجال للوجوه الشابة والجيل الجديد من نشيطي الحزب للمشاركة في المنافسة الانتخابية، حيث أعلن كل من موشي شاحل وأورا نمير عن

عزمهما على خوض المعركة الانتخابية المقبلة، في حين يُنتظر ان يشارك فيها، أيضاً، جاد يعقوبي وموطي غور، وغيرهما.

نتيجة التصويت في مركز حزب «العمل» أعادت تأكيد ثقة أكثرية الاعضاء بزعامة بيرس ونهجه القيادي، على الرغم من حملات التشكيك والهجوم، على غير صعيد، التي شنّها ضده خصومه ومنافسوه داخل الحزب، وخارجه. وبهذا أثبت بيرس انه «حصان المعارك العتيق»، حسب قوله فور اعلان النتائج، أو كما علّق دانئيل بلوخ في صحيفة «دافار» بأنه القادر «على استخلاص الحلاوة من الشِّدَّة» (**المصدر نفسه**).

الاستعدادات داخل الحزب

معركة المنافسة هذه، بين بيرس ورابين، التي حسمها التصويت في مركز الحزب لصالح الرئيس الحالي لحزب «العمل»، هي الاولى بين الرجلين منذ عشر سنوات، وقد تكون الاخيرة أيضاً، اذا ما فترت همّة رابين وتراجع عن مواصلة التصدي التنظيمي والسياسي لبيرس، والعمل على زيادة التأييد له داخل صفوف الحزب. وبدون العودة الى التفاصيل التاريخية للخلاف العقائدي، والسياسي، بين حزب مباي (الذي تطوّر لاحقاً الى حزب «العمل») وكتلة رافي (بيرس) وجماعة احدوت هعفوداه (رابين)، وهو الخلاف الذي يشكّل أرضية العداء المعلن حيناً، والخفيّ احياناً، بين الرجلين، فالمؤكد ان رابين لم يغفر لخصمه بيرس دوره غير الواضح في اسقاطه (أي رابين) من رئاسة الحكومة وزعامة الحزب، في شباط (فبراير) ١٩٧٧، بسبب الكشف عن التجاوزات المالية لزوجة رابين وحساباتها المصرفية الخاصة في الولايات المتحدة الاميركية. ولاحت فرصة الانتقام لرابين، عندما فشل بيرس في تشكيل حكومة ائتلافية عمّالية، على اثر انسحابه من حكومة الوحدة الوطنية مع الليكود في نيسان (ابريل) من العام الحالي، بسبب الخلاف على الخط السياسي للحكومة وموقف اسحق شامير الرافض لمقترحات بيكر بشأن التفاوض مع الفلسطينيين. وعزّز قناعة رابين بضرورة تفجير المعركة، الآن، مع بيرس، التقرير الذي وضعته «لجنة استخلاص العبر من نتائج الانتخابات للكنيست الثاني عشر، ونتائج الانتخابات للسلطات المحلية»، والذي وجّه انتقادات مباشرة الى رئيس الحزب باعتباره المسؤول الاول عن تآكل القاعدة الجماهيرية للحزب، وبالتالي فشله في تلك الانتخابات (**هآرتس**، ٢٧/٥/١٩٩٠).

تقدّم رابين الى اللجنة الدستورية في حزب «العمل»، من طريق مكتب الحزب، بطلب اتخاذ قرار بشأن تقديم موعد انتخاب مرشحي الحزب لرئاسته ورئاسة الحكومة المقبلة، بالاضافة الى النظر في موضوع مواصلة زعيم الحزب عمله داخل الكنيست الحالي، حيث يجلس حزب «العمل» في صفوف المعارضة. وجاء قرار اللجنة الدستورية (**يديعوت احرونوت**، ٤/٧/١٩٩٠) مؤيداً، في مجمله، مطالب رابين، ومعتبراً ان قرار التنافس، حالياً، بين رابين وبيرس، لا يمكن اعتباره بمثابة «ازاحة» لبيرس عن منصبه في زعامة الحزب، وبالتالي لا يحتاج الى أكثرية ثلثي الاصوات في مركز الحزب، كما كان يطالب بيرس بذلك (**معاريف**، ٢/٧/١٩٩٠). ولعلّ أهمّ ما جاء في قرارات اللجنة الدستورية هو توصيتها بنقل الحسم، بشأن الخلاف بين رابين وبيرس، الى مركز الحزب، على اعتبار ان الخلاف سياسي في جوهره، وليس قضائياً، مع الاقرار، في الوقت عينه، بحق الحزب في انتخاب مرشح جديد لرئاسته خلال ولاية الكنيست الحالي (**هآرتس**، ٤/٧/١٩٩٠)، بالاضافة الى الاقرار بمشروعية المطالبة بخوض تنافس حزبي على منصب رئاسة الحزب، ومرشّحه لرئاسة الحكومة المقبلة، في أي وقت ممكن. وكان تعليق رئيس اللجنة الدستورية عضو الكنيست، دافيد ليبائي، على هذه القرارات قوله: «ان من يرغب في البدء بمسار التجديد داخل الحزب يجد الباب أمامه مفتوحاً الآن» (**دافار**، ٤/٧/١٩٩٠).

في تلك الاثناء، توزّع تأييد الكتل داخل حزب «العمل» بين المتنافسيْن، حيث أعلنت كتلة الحمائم «ميشوف»، بزعامة عضوي الكنيست يوسي بايلين وابراهام بورغ، تأييدها لبيرس، في حين أيّدت كتلة «المرحاف»، التي تضمّ عضوي الكنيست شوشانا أربيلي ـ ألموزلينو وعمانوئيل زيسمان، تأييدها لرابين. أمّا كتلة «الاتجاه الجديد»، بزعامة عضو الكنيست شمعون شطريت، فقد أيّدت خوض المنافسة، فوراً، بين بيرس ورابين، الامر الذي

وضعها، عملياً، في معسكر رابين. ولكن هذا لم يمنع سماع أصوات شابة داخل هذه الكتل أعربت عن رأي مخالف للاتجاه العام فيها. فقد طالبت ميكال كوهين، من كتلة «ميشوف» المؤيدة لبيرس، الناطقة سابقاً بلسان الحزب، بازاحة بيرس ورابين، على حدّ سواء، وتأييد مرشح ثالث من الجيل الشاب. كما شاركت كتلة «الاتجاه الجديد» في المطالبة بتشجيع الوجوه الشابة على المشاركة في مسؤوليات الحزب ومناصبه، وذلك بانتخاب طاقم قيادي جديد يكون نصف اعضائه، على الاقل، دون سن الخمسين (**يديعوت احرونوت**، ٢/٧/١٩٩٠). وللتأكيد على جدية المنافسة بين بيرس ورابين، وأهميتها، عمد كل منهما الى تشكيل طاقم انتخابي يتولّى تنظيم حملته الانتخابية داخل مؤسسات الحزب وبين اعضائه، فكان طاقم بيرس الإنتخابي برئاسة نسيم زويلي، مدير عام حركة الموشافيم، في حين ترأس مردخاي (موطي) غور طاقم رابين الانتخابي.

عقد مكتب حزب «العمل» اجتماعاً، بتاريخ ٥/٧/١٩٩٠، للبحث في الطلب الذي تقدّم به رابين بعدم تأخير المنافسة على زعامة الحزب الى موعد يتجاوز نهاية تموز (يوليو) ١٩٩٠. وجاء في اقتراح رابين، «في ضوء قرار اللجنة الدستورية، يقرّر مكتب الحزب التوصية أمام المركز بما يلي:

«١ ـ يجب اجراء انتخابات لا يتجاوز موعدها الاقصى ٣٠/٧/١٩٩٠، من أجل: (أ) انتخاب رئيس للحزب يحتل، في الوقت عينه، المركز الاول على قائمة مرشحي الحزب للكنيست الثالث عشر؛ (ب) انتخاب مرشح حزب العمل لرئاسة الحكومة المقبلة.

«٢ ـ يتولّى سكرتير عام الحزب تحديد اجراءات تقديم المرشحين الى الانتخابات، واجراءات انتخابهم» (**هآرتس**، ٦/٧/١٩٩٠).

عارض معسكر بيرس هذا الاقتراح، مطالباً بتأجيل التنافس الى ما بعد عقد مؤتمر الحزب في منتصف العام المقبل، من اجل اتاحة المجال لأكبر عدد من المرشحين للتنافس ومشاركة الاعضاء الجدد في الحملة الانتخابية أيضاً. وبعد مداولات اتّسمت بطابع التوتّر الشديد، والاتهامات المتبادلة، بين كتلتي بيرس ورابين، تمكّن سكرتير عام الحزب، ميخا حريش، من التوصّل الى قرار تسوية يقضي بدعوة مركز الحزب الى الانعقاد في ٢٢/٧/١٩٩٠، من اجل اتخاذ قرار بشأن المنافسة بين الرجلين وتحديد موعد لذلك (**دافار**، ٦/٧/١٩٩٠). ووافق كل من بيرس ورابين على جدول اعمال جلسة مركز الحزب الذي تضمّن البنود التالية:

١ ـ الاقتراع على السير في عملية انتخاب رئيس الحزب، وموعد ذلك الاقتراع.

٢ ـ تحديد موعد انتخاب مرشح لرئاسة الحكومة في الكنيست المقبل.

٣ ـ البحث في الحاجة الى تغيير دستور الحزب، في ما يتعلق بالهيئة التي ستنتخب رئيس الحزب ومرشحه لرئاسة الحكومة؛ أي ما اذا كان المطلوب نقل عملية الانتخاب من مركز الحزب الى المؤتمر العام، او اتباع اسلوب الانتخابات الاولية «primaries» (**معاريف**، ٦/٧/١٩٩٠).

وفيما اعتبر رابين هذا القرار مرضياً، تابع بيرس، المتمرس العتيق في المناورات والترتيبات التنظيمية، سعيه الى تأجيل المنافسة على زعامة الحزب وانتخاب مرشحه لرئاسة الحكومة المقبلة، حيث لجأ الى التنسيق مع عدد من شخصيات الحزب لتقديم ترشيحها الى منصب رئاسة الحزب، وبالتالي الحاجة الى تأجيل موعد الانتخابات حتى يتسنّى لهذه الشخصيات القيام بحملتها الانتخابية بين صفوف اعضاء الحزب. فقد أعلن موشي شاحل، في ٨/٧/١٩٩٠، عن عزمه على ترشيح نفسه لرئاسة حزب العمل؛ وانضمّ اليه عضو الكنيست جاد يعقوبي وأورا نمير، وطالبوا، جميعاً، بتأجيل المعركة الانتخابية لبضعة شهور، لكي يتمكّنوا من المشاركة في التنافس على زعامة الحزب (**هآرتس**، ٩/٧/١٩٩٠).

صراع شخصي أم عقائدي؟

مع احتدام معركة التنافس على زعامة حزب العمل، تلاحقت استطلاعات الراي العام لتحديد شعبية كل من المرشحين لزعامة الحزب، فأضفت المزيد من الطابع الشخصي على هذه المعركة الحزبية، وكانت أجريت بين أعضاء مركز حزب «العمل»، خلال حزيران (يونيو)، اختبارات عدة لتفحّص مكانة المرشحين لزعامة الحزب،

ودلّت، جميعها، على تقدّم رابين على منافسه بيرس؛ في حين احتل المركز الثالث سكرتير عام الهستدروت، يسرائيل كيسار، على الرغم من عدم ترشيحه للتنافس على زعامة الحزب؛ وجاء جاد يعقوبي في المركز الرابع؛ وموشي شاحل في المركز الخامس؛ وموطي غور في المركز السادس (**هآرتس**، ١٩٩٠/٧/٨).

وبادر معهد حانوخ ورافي سميث للدراسات الى اجراء استطلاع للرأي العام، دون أي تكليف من جهة حزبية، جاءت نتيجته قاطعة لصالح رابين كمرشح لرئاسة الحكومة المقبلة. وشمل الاستطلاع عينة تضمّ ١٢٠٠ شخص يمثّلون مختلف قطاعات اليهود البالغين، بمن في ذلك اعضاء الكيبوتسات والموشافيم والمستوطنات في المناطق المحتلة. وقد تفوّق رابين، في هذا الاستطلاع، بنسب التأييد التي نالها، على جميع الاسماء الاخرى المطروحة في الاستطلاع، سواء من الليكود أو من المعراخ (**دافار**، ١٩٩٠/٧/١١).

واستخدم المعلومات المتراكمة من هذا الاستطلاع عضو الكنيست عمانويل زيسمان أيضاً، للتوصل الى مزيد من الاستنتاجات بشأن توجهات الرأي العام في اسرائيل. واتضح، بالتالي، ان عينة الاستطلاع، آنفة الذكر، تضمّ ٣١٧ فقط من مؤيدي حزب «العمل»، بينهم ٥٠ بالمئة الى جانب رابين و٣٢ بالمئة الى جانب بيرس. أمّا بقية الاسماء المطروحة لزعامة الحزب (برعام وشاحل وغور ونمير ويعقوبي)، فقد حصلت، في مجموعها، على أقل من تسعة بالمئة من الاصوات المؤيدة. على ان النتائج تختلف بعض الشيء اذا ما خرج كل من بيرس ورابين من سباق التنافس، حيث احتلت، في تلك الحالة، عضو الكنيست، اورا نمير، المركز الاول، بنسبة ٣٨ بالمئة من أصوات العينة الكاملة، ونسبة ٥٧ بالمئة من أصوات مؤيدي حزب العمل. وتبعها، على التوالي، في نسب التأييد، كل من موطي غور وعوزي برعام ويسرائيل كيسار وموشي شاحل (**المصدر نفسه**).

وجاء في استطلاع آخر للرأي العام، اجراه معهد «سيكر»، بادارة مريم حونين، ان المعراخ، بزعامة رابين، يتفوّق على الليكود في أية انتخابات مقبلة، وان فائض الشعبية الانتخابية التي يتمتّع بها رابين تأتي، أساساً، من الناخبين ذوي الاعمار المتوسطة، ما بين ٣٠ ـ ٥٠ عاماً، ومن مواليد البلد الذين جاء آباؤهم من قارّتي آسيا وافريقيا. وتبيّن من نتيجة هذا الاستطلاع، أيضاً، الذي أُجري عبر خطوط الهاتف وشمل عينة ضمّت ٣٩٥ شخصاً، ان ترشيح رابين لن يؤدي الى انتقال اصوات من مؤيدي حزب العمل الى احزاب اليسار، في حين ان مثل ذلك الترشيح سيؤدي الى جذب اصوات من اليمين والشبيبة وأبناء الطوائف الشرقية (**يديعوت احرونوت**، ١٩٩٠/٧/١٧).

ضمن اجواء هذا التأييد الملحوظ لترشيح رابين زعيماً لحزب «العمل»، أجرى مكتب الحزب، بتاريخ ١٩٩٠/٧/١٢، وبناء على طلب رابين، اقتراعاً لاختبار مدى تأييد اعضاء المكتب لمطالب كل من بيرس ورابين. وعلى الرغم من ان هذا الاقتراع لا يتعدّى كونه «استعراضاً دعائياً» فقط، الّا ان أنصار رابين اعتبروه اختبار قوة حقيقياً جاءت نتائجه، كما كان متوقعاً، لصالح رابين، بنسبة ٦٠بالمئة، في حين حصل بيرس على تأييد ٤٠ بالمئة فقط من أعضاء المكتب البالغ عددهم ١١٥ شخصاً. وتميّز، في هذه الاجواء المنفعلة والمشدودة، صوت عضو الكنيست عيزر وايزمان، الذي أعلن عدم تأييده رابين وبيرس، على حدّ سواء، ورغبته في ظهور مرشّح ثالث بديل منهما، يمنحه الدعم والتأييد (**هآرتس**، ١٩٩٠/٧/١٣). ولكن التنافس على زعامة حزب «العمل» ظل محصوراً، تقريباً، بين بيرس ورابين، الى ان حسمه، بشكل مفاجىء تماماً، التصويت لصالح بيرس في مركز الحزب، بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٢.

ولكن هل اقتصر التنافس بين بيرس ورابين على الجانب الشخصي والنزاعات الفردية بين الرجلين؟ الملاحظ ان معظم التصريحات التي تناقلتها وسائل الاعلام الاسرائيلية، في هذا المجال، كانت تركز على جوانب الضعف والتقصير لدى كل من المتنافسين، وخاصة على الصعيد الحزبي والفردي. ولكن هذا لم يمنع، في الوقت عينه، الاشارة الى عدد من الفوارق الاساسية بينهما، على الصعيد السياسي، داخلياً وخارجياً، حيث احتل الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي مكانة بارزة وأهمية خاصة. ففي مقابلة خاصة مع صحيفة «دافار» (١٩٩٠/٧/٢٠)، أعلن

رئيس الحزب، بيرس، عن انه لن يعود ثانية الى أي تحالف مع الليكود، حيث ان ذلك يعني استحالة التقدّم نحو السلام. وأشار بيرس الى ان تلك الخطوة، في الماضي، كانت أكبر فشل واجه حزب «العمل»، حيث اعتقد رابين، آنذاك، بأنه في الامكان ايصال شامير الى القاهرة للتفاوض مع الفلسطينيين؛ ولكن شامير، في الواقع، أوصل حزب «العمل» الى «قلعة زئيف» (مقر الليكود في تل ـ أبيب). ورفض بيرس اتهام البعض له بأنه «حمائمي»، وقال: «لقد نجح الليكود في اثارة مخاوفنا من اننا دولة ضعيفة، وان العرب سوف يأخذون منّا القدس وتل ـ أبيب. ولكن اسرائيل، من الوجهة العسكرية، هي الدولة الاقوى في الشرق الاوسط، ولن يأخذوا منّا أي شيء لا نرغب نحن في تقديمه. وفي الوقت عينه، فان اسرائيل بحاجة الى مسار السلام، حيث ان الاقتصاد، في الوقت الحاضر، هو أهمّ من الاستراتيجية؛ ومن لا يفهم ذلك، فانه لا يفهم ما يدور حولنا». وتجدر الاشارة، هنا، الى التأييد الذي أعلنه بدو النقب، على لسان زعمائهم، لترشيح بيرس لزعامة الحزب، في اثناء جولته على مراكز تجمّع البدو في النقب (معاريف، ١٧/٧/١٩٩٠). وكرّر بيرس مطالبته بضرورة عقد مؤتمر عقائدي للحزب يضع الخطوط العريضة للنهج السياسي والخط الفكري الجديد الذي يستجيب للمتغيّرات المتلاحقة في المنطقة.

وفي المقابل، أجرت «دافار» (١٣/٧/١٩٩٠)، مقابلة خاصة مع رابين، دافع، خلالها، عن «مبادرة السلام» الاسرائيلية، التي شارك الليكود في وضعها، والتي ثبّتت، حسب رأيه، الحقائق التالية: «١ ـ ان تلك هي المبادرة الاسرائيلية؛ ٢ ـ ان المقصود بها، بصورة حادّة وقاطعة، هو الحوار والتفاوض مع الفلسطينيين وليس مع أي طرف آخر يمثّلهم، سواء أكان مصر أم الاردن؛ ٣ ـ ان المقصود هو اجراء انتخابات سياسية يشارك فيها، ويتمّ من خلالها، انتخاب ممثلي سكان المناطق [المحتلة]؛ ٤ ـ اننا وافقنا على نقاط بيكر الخمس التي تهدف الى ايجاد سبيل الى الانتخابات، من خلال لقاء بين الوفدين، الاسرائيلي والفلسطيني، يدعو الى عقده الرئيس المصري في القاهرة؛ ٥ ـ اننا نعمل على مواصلة ما انقطع في العام ١٩٨٢، أي التعاون الاسرائيلي ـ المصري ـ الاميركي، على أساس متفق عليه... واذا تمكّنا من العودة الى الحكم، خلال سنة أو أكثر بقليل، فاني اعتقد بأن في الامكان تجديد عملية السلام، حسب وجهة نظرنا... القائمة على أساس اعتبار الفلسطينيين في المناطق [المحتلة] العنوان والشريك [في المفاوضات]، وضمن اطار التقدّم باتجاه انتخابات لحكم ذاتي وحل دائم». وتابع رابين حديثه باسهاب عن الحل السياسي، كما يراه حسب قناعاته الصهيونية، فقال: «عندما نتحدث عن حل دائم، فاننا نتحدث، أولاً وقبل كل شيء، من وجهة نظر اسرائيل. اننا لا نرغب في ضمّ جميع المناطق [المحتلة]، حيث اننا نريد دولة يهودية ديمقراطية. ومثل هذه الدولة لا يمكن ان تكون يهودية وديمقراطية عندما يكون ٣٥ بالمئة من سكانها فلسطينيين يعارضون رسالتها، ليس فقط كدولة تجاه مواطنيها، بل، أيضاً، كدولة ذات رسالة يهودية عالمية ـ هي الصهيونية. ان ضمّ أرض ـ اسرائيل الكاملة يعني اقامة دولة ثنائية القومية. ويتوجب علينا، من اجل التوصل الى السلام ومنع اقامة دولة ثنائية القومية، ان نتوصل الى تسوية ونقدّم تنازلات. يجب عدم العودة الى خطوط [الرابع من حزيران ـ يونيو] ١٩٦٧، وعدم الموافقة على تقسيم القدس، بل ابقاؤها موحّدة تحت السيادة الاسرائيلية وعاصمة لاسرائيل؛ ولكن يجب التنازل عن معظم قطاع غزة، وعن اجزاء كبيرة في يهودا والسامرة [الضفة الفلسطينية] ذات الكثافة السكانية العالية... اني لا اعتقد بأن المشكلة، الآن، هي تحديد شكل وصورة الحل الدائم. اعتقد بأن الأهمّ، الآن، هو البدء بالمسار، وخلق حقائق جديدة، واقع جديد يتمثّل في اقامة حكم ذاتي للفلسطينيين لفترة انتقالية، ومراقبة التطوّر الذي ستتخذه الاوضاع بدون التفريط بأمن دولة اسرائيل. اني واثق من ان هناك اشكالاً عديدة من الحلول الدائمة، من الافضل عدم طرحها الآن: اتحاد فدرالي بشكل من الاشكال، باتجاه الشرق أو باتجاه الغرب، واقامة كيان فلسطيني لا يعتبر دولة بالضرورة».

ولكن الموضوع السياسي لا يحتل المكانة الاولى في قائمة اهتمامات بيرس، الذي توقّع دان مرغليت، في صحيفة «هآرتس» (٢٣/٧/١٩٩٠)، انه

سيتوجه، أساساً، نحو تعزيز الاوضاع الحزبية واحصاء الاعضاء وعقد مؤتمر فكري يحدّد النهج العقائدي الجديد للحزب في مختلف المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. امّا الجانب السياسي، فسوف يقتصر على مطالبة بيرس بالبدء من قطاع غزة نحو الحل السياسي، والعمل على «توسيع النواة الصغيرة من فلسطينيي المناطق الجديرين بالمشاركة في لقاء القاهرة المرتقب».

امّا تجمّع الليكود، فقد استقبل نتائج التصويت في مركز حزب «العمل» بموقفين متناقضين. فالبعض رحّب بنجاح بيرس في الاحتفاظ بزعامة الحزب، على أساس ان ذلك سيجعل من السهل على الليكود هزيمته، مجدداً، في أية انتخابات مقبلة؛ في حين اعتبر البعض الآخر ان نجاح رابين كان من شأنه ـ لو حصل ـ المساهمة في استمرار الاستقطاب والانشقاق والتنافس داخل صفوف حزب «العمل» (هآرتس، ٢٣/٧/١٩٩٠).

المغزى السياسي لاعادة انتخاب بيرس زعيماً لحزب «العمل»، تناولته صحيفة «عل همشمار» (٢٣/٧/١٩٩٠)، فكتبت: «ان أهمية التصويت في مركز حزب ' العمل' لا يمكن تفسيرها الّا كتعبير عن رغبة المركز، وأعضائه، في قيام معارضة مقاتلة ضد حكومة الليكود واليمين المتطرف. ان حزب ' العمل' لا يرغب في ان يكون ليكود ـ ب...». وأجرت الصحيفة مقارنة في المواقف والآراء بين الرجلين، فكتبت: «لقد اعتقد رابين، بأنه، من اجل استعادة ثقة غالبية الجمهور بحزب العمل، يجب التوجّه يميناً، والعمل على زيادة حدّة الملامح الأمنية للحزب، والفوز بتأييد جانب معيّن من ناخبي الليكود. الّا ان مركز حزب ' العمل' لم يوافق على هذا التصوّر، مقتنعاً بأن هدف التنافس على ناخبي الليكود يمكن تحقيقه من خلال تقديم بديل سياسي اجتماعي اليهم. وأوضح شمعون بيرس، في كلامه أمام المركز، ان على يسار حزب ' العمل' عدداً من الناخبين أكثر ممّا هو متوفّر بين أوساط الليكود ويمينه». وحدّدت الصحيفة المهمات التي سيواجهها بيرس، خلال المرحلة المقبلة، على النحو التالي: «بلورة حزبه كمعارضة مقاتلة وصلبة، بالتعاون مع اليسار الصهيوني، ليشكّل كتلة برلمانية وجبهة سياسية تجلب السلام الى اسرائيل، أو تأتي باسرائيل نحو ذلك الهدف الثمين. ويجب عليه، أيضاً، بلورة سياسة تؤمّن الحلول للمشاكل الاقتصادية، بحيث لا تكون، فقط، على حساب الطبقات العاملة».

يوئيل ماركوس، في صحيفة «هآرتس» (٢٤/٧/١٩٩٠)، كان أقل تفاؤلاً في امكانية احداث تغيير كبير داخل «العمل»، الذي ما يزال يقوده بيرس من فشل الى آخر، واعتبر ان الرابح الوحيد من هذه الفوضى والصراعات داخل «العمل» هو شامير، الذي لا يجد امامه أية معارضة حقيقية.

مع انتهاء هذا الفصل المثير من تاريخ الصراعات الفردية والكتلوية داخل «العمل»، يبدو ان المعركة حسمت، حالياً على الاقل، لصالح بيرس، صاحب الخبرة في المناورات الحزبية والاساليب التنظيمية. ومن الواضح، أيضاً، ان التيار الغالب داخل «العمل» يسير باتجاه رفض التعاون، مجدداً، مع الليكود، وتشكيل جبهة معارضة واسعة من الوسط واليسار، بحيث يجد داخلها بعض «حمائم» حزب «العمل» الذين أيّدوا رابين لغايات تكتيكية (ابرزهم لوبا اليـاف) فرصة العودة الى العمل السياسي داخل معسكر «العمل». كما ان هناك اهتماماً بضرورة تطعيم القيادات الكهلة في الحزب بوجوه شابة نشطة من الصف الثاني، أو الثالث، وهذا احد الدوافع في مطالبة بيرس تأجيل التنافس على زعامة الحزب وتطبيق الانتخابات المباشرة، من جانب الاعضاء جميعاً، لرئيس الحزب. واذا ما وضعنا جانباً القضايا الاقتصادية والاجتماعية والحزبية الشائكة، والمتشعّبة، التي يواجهها «العمل» في المرحلة المقبلة، فان السؤال الأهمّ يبقى في المجال السياسي: هل سيتمكّن حزب «العمل»، الذي عجز زعيمه طوال الاربعة عشر عاماً الماضية عن تحقيق أي انجاز يذكر في اتجاه حل الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، من تقديم شيء ايجابي جديد في المرحلة المقبلة؟

مها بسطامي

هجرة المسيحيين ومخاطرها

فيما توافد عشرات آلاف اليهود الى اسرائيل، بعد فتح الخزان السوفياتي لهجرة اليهود، وتزايد احتمالات مجيء آلاف أخرى من يهود الفلاشا الاثوبيين الى اسرائيل، وانشغال الاوساط المعنيّة في تأمين وسائل استيعاب هذه الموجة المتزايدة من اليهود القادمين الى اسرائيل والمناطق الفلسطينية المحتلة، عانت الضفة الفلسطينية المحتلة وقطاع غزة، ويعانيان، من هجرة أعداد كبيرة من المواطنين، وخصوصاً من بين ابناء الطائفة المسيحية في البلاد، ومن سكان القدس الشرقية أكثر من غيرهم من سكان المدن الفلسطينية الأخرى ذات التواجد المسيحي البارز. فقد فقدت القدس، في غضون سنوات قليلة، اكثر من أربعين في المئة من سكانها المسيحيين، فيما غادرت مدينتي بيت لحم ورام الله أعداد أخرى، وانْ بدرجة أقل، ممّا أدى الى انتقال مشكلة الهجرة المسيحية من البلاد الى واجهة اهتمام الحركة الوطنية الفلسطينية، والكنائس المحلية، التي قررت التوقف ازاء ظاهرة الهجرة، ودرس اسبابها ودوافعها، والتعاون مع الحركة الوطنية من أجل وضع حدّ لها.

القدس، أولاً

شكّلت هجرة المسيحيين من القدس، بسبب خصوصية المدينة ووجود العدد الاكبر من مسيحيي البلاد فيها، خطراً كبيراً على الاوضاع العامة في المدينة، التي تتعرض لعمليات تهويد مستمرة، ولمحاولات تغيير طابعها الجغرافي، والديمغرافي، بتكثيف بناء المستوطنات والاماكن السكنية الاخرى لليهود في منطقتها، خصوصاً بعد تزايد المعارضة الدولية لاسكان المهاجرين اليهود السوفيات في الضفة الفلسطينية، واصرار سلطات الاحتلال الاسرائيلية على فتح المدينة أمام المهاجرين الجدد، واستقطاع، ومصادرة، اراض في محيط القدس، لبناء مستوطنات اضافية عليها.

يقيم في القدس الشرقية حوالى ١٤٠ الف فلسطيني، مقابل ١٢٠ ألف يهودي يقيمون، حالياً، في مستوطنات بنيت في القدس والمناطق المحيطة بها، فيما بلغ اجمالي عدد اليهود في شطري المدينة ومناطقها ٣٦١ الفاً (**السفير**، بيروت، ١٠/٧/١٩٩٠). ووفقاً لخطط وضعتها لجان وزارية اسرائيلية خاصة، ظهر اتجاه لزيادة عدد السكان اليهود، في القدس، خلال السنوات القليلة المقبلة من ٣٦١ الف يهودي الى ٧٥٠ الفاً، للحفاظ على غالبية يهودية مطلقة (**المصدر نفسه**). وهذه النسبة معرّضة لتغيّر جديد لصالح تواجد يهودي أكبر، بسبب تزايد اعداد المهاجرين اليهود، من جهة، في مقابل تزايد هجرة المسيحيين، من جهة أخرى. وقد غادر القدس، حتى الآن، ستة آلاف واربعمئة مسيحي من اصل ١٤٤٠٠ كانوا يقيمون في المدينة العام ١٩٦٧؛ بينما كان مقدّراً، وفقاً لمعدّلات الزيادة الطبيعية للسكان، وللمستويات التقليدية للهجرة، ان يصل عدد المسيحيين، في القدس، في العام ١٩٩٠، الى ١٨ الفاً (**المصدر نفسه**).

أدّت التطورات هذه الى زيادة قلق الاوساط الكنسية المسيحية والاوساط الوطنية، خصوصاً بعد تزايد اعداد المسيحيين الراغبين في الهجرة الى الولايات المتحدة الأميركية، ووقوف طوابير طويلة، يومياً، عند ابواب القنصلية الاميركية في القدس، سعياً وراء الحصول على تأشيرات دخول الى الولايات المتحدة الاميركية؛ واعراب آلاف العائلات المسيحية عن رغبتها في الهجرة وترك البلاد. فقد أظهر مسح أُجري على ٥٥٠ عائلة مسيحية في القدس الشرقية وبيت لحم ورام الله ان نحو ثلاثة آلاف شخص، من أصل ٤٦ الفاً من المسيحيين، في هذه المناطق، يرغبون في السفر منها الى الخارج للعمل، او للدراسة، او للاقامة الدائمة (**الحياة**، لندن، ٢٨ ـ ٢٩/٧/١٩٩٠)؛ في وقت أصدرت القنصلية الاميركية في القدس ٩٨٣١ تأشيرة

دخول لشبان، ولعائلات فلسطينية، الى اراضيها، منذ بدء الانتفاضة في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧. كما يحاول اكثر من ١٠٣٧٨ فلسطينياً، سبق ورفضت طلباتهم للحصول على تأشيرات دخول الى الولايات المتحدة الاميركية، اعادة الكرّة للخروج من البلاد (**المصدر نفسه**، ١٩٩٠/٧/٢٥).

وذكرت مديرة قسم التأشيرات، في القنصلية الاميركية، التي رفضت ان تذكر اسمها، ان هناك «عشرين الف تأشيرة سفر [تمنح] سنوياً للفلسطينيين، لكنه لا يتمّ استغلالها جميعها بسبب عدم ملاءمة الملتمسين للشروط المطلوبة». ولا تصدر القنصلية الاميركية الاّ تأشيرات مؤقتة لاغراض التعليم؛ غير ان الاقامة المؤقتة تتحول الى دائمة عندما يتمّ تجديد اقامة الملتمس مرات عدة، وعندما يحصل على الجنسية الاميركية.

وقال الناطق الاعلامي في القنصلية الاميركية، جيل شيرمان: «ان عدد الفلسطينيين الذين يراجعون [القنصلية] للاستيضاح [حول] التأشيرات زاد منذ بداية الانتفاضة». وكانت القيادة الموحدة للانتفاضة دعت، في بيان لها اصدرته في ايار (مايو) الماضي، الى اضراب، لمدة يوم واحد، «احتجاجاً على تشجيع القنصلية الاميركية الفلسطينيين على الهجرة، بمنحهم المزيد من تأشيرات الدخول». وسارعت القنصلية الاميركية الى نشر اعلانات مدفوعة الأجر في الصحف العربية الصادرة في القدس اكدت فيها عدم حصول أي تغيير في سياسة منح التأشيرات. وقال الناطق الاعلامي في القنصلية: «اننا مستقلّون تماماً. وكل شخص يرغب في المغادرة [الى] الولايات المتحدة [الاميركية] عليه ان يثبت لنا هدفاً معيّناً؛ واذا كان لدينا شك، فاننا لا نمنحه تأشيرة» (**المصدر نفسه**).

في الاطار عينه، تحدثت مصادر محلية في القدس عن تناقص عدد العائلات المسيحية التي تقيم في القدس الى ١٤٣٠ عائلة فقط تعيش، حالياً، في حي النصارى، منها ٣١٦ عائلة قررت الهجرة مؤخراً؛ كذلك قررت ٣٥٥ عائلة من أصل ١١٩٠ عائلة تقيم في القدس الشرقية الهجرة من البلاد. وفي رام الله، قررت ٥٤١ عائلة من أصل ٢٩٩٠ الهجرة؛ وكذلك فعلت ٤٩٣ عائلة من اصل ٢٥٠٠ عائلة مسيحية تعيش في بيت لحم؛ و٢٧٠ عائلة في بيت جالا؛ و ٢٥٤ عائلة من أصل ١٠٩٤ عائلة في بيت ساحور. وبلغ اجمالي عدد العائلات المسيحية التي عبّرت عن رغبة في الهجرة، خلال العامين المقبلين، ٢٢٢٨ عائلة، من اصل ١١ الف عائلة مسيحية في القدس والضفة الفلسطينية (**السفير**، ١٩٩٠/٧/١٩).

اتهم الفلسطينيون جهات اسرائيلية بالترويج للهجرة، حيث تعد الراغبين في الهجرة بمستقبل باهر في الولايات المتحدة الاميركية. ويجد فلسطينيون في صناديق بريدهم اعلانات تتحدث عن اغراءات الهجرة الى الولايات المتحدة الاميركية، أو كندا. وجاء في بعضها: «نحن نساعدك، ونضمن لك مستقبلاً. اتصل بنا... صندوق بريد...، تلفون...» (**الحياة**، ١٩٩٠/٧/٢٥).

مؤتمر اللاهوت والكنيسة

لمواجهة الحقائق هذه، عقد مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الاراضي المقدسة دورته الرابعة، واستغرقت ثلاثة أيام، من ٥ ـ ٧ تموز (يوليو)، حيث استمع الحاضرون، خلالها، الى محاضرات ودراسات تناولت موضوع الهجرة المسيحية ودوافعها. وأجمع الحاضرون على ان ظاهرة الهجرة من الخطورة بمكان بحيث يفوق تأثيرها مستوى التهجير الذي قامت، وما تزال تقوم، به الحكومة الاسرائيلية، باعتبار الهجرة «ظاهرة تهدّد كياننا الوطني كله» (**الاتحاد**، حيفا، ١٩٩٠/٧/١١).

ابرز الموضوعات التي طرحت خلال المؤتمر جاء ضمن دراسة تقدم بها استاذ علم الاجتماع في جامعة بيت لحم، د. برنار سابيلا، الذي اكد ان «تحقيق الاستقرار السياسي هو من أهم العوامل التي ستوقف نزيف الهجرة». واعادت دراسة د. سابيلا اسباب هجرة المسيحيين الى عوامل عدة، اهمها العامل الاقتصادي الناجم عن عدم الاستقرار السياسي الذي فرضه الاحتلال. وقسم د. سابيلا دوافع الهجرة الى الفئات التالية: الفئة الاولى، وتضم ٤٦,٣ بالمئة من المهاجرين، لاسباب تتعلق بالبحث عن عمل؛ والفئة الثانية، وتضم ١٧ بالمئة، وهي مهاجرون دائمون؛ أمّا الفئة الثالثة

(١٢,٨ بالمئة)، فقد هاجروا لاسباب عائلية، اي وجود اقارب لهم في الخارج؛ والرابعة، وتضم ١١,٧ بالمئة، من الشبان الراغبين في الدراسة؛ والخامسة وتشمل ١٢,٣ بالمئة هاجروا لاسباب أخرى (**السفير**، ١٩/٧/١٩٩٠). واكدت دراسة د. سابيلا ان ٥٨,٢ بالمئة من المهاجرين هم من المتزوجين، ممّا يجعل الهجرة هجرة عائلات اكثر منها هجرة أفراد. وطالبت الدراسة المسؤولين الروحيين، والرسميين، الفلسطينيين باتخاذ الاجراءات اللازمة التي من شأنها ايقاف نزيف الهجرة فوراً؛ وذلك لأنه «اذا استمرت الهجرة [بالمعدّل عينه] من دون ان يصاحب ذلك زيادة طبيعية في الولادة، او العمل على وقف الهجرة، فان [الامر سينتهي بـ] هجرة كل المسيحيين من وطنهم خلال الاعوام الـ ٢٥ المقبلة» (**المصدر نفسه**).

ومن جهته، أشار د. سليم الزعبي، الذي تحدث في المؤتمر، الى ان الشبان من سن ١٥ الى ٣٠ سنة «هم اكثر الفئات التي تتخذ قرار الهجرة، نتيجة تعرضهم لظروف سياسية واقتصادية ضاغطة». واضاف ان هذه الفئة العمرية تشكل النسبة الاكبر ضمن موجات المهاجرين (**المصدر نفسه**).

وفي محاضرة ثانية القاها د. سابيلا، بعنوان «الهجرة في فلسطين منذ العام ١٩٤٨ وحتى اليوم»، اوضح المحاضر ان الاحصاءات الأقرب الى الدقّة تشير الى ان عدد الفلسطينيين الذين هاجروا من الضفة والقطاع، في الفترة ما بين العامين ١٩٦٧ و١٩٨٦، وصل الى ٢٦٩١٠٠ شخص، منهم ١٦٦٠٠٠ من الضفة و ١٠٣١٠٠ من غزة، أي ان متوسط الهجرة السنوي بلغ، في هذه الفترة، حوالى ١٤١٦٣ مهاجراً، بينما بلغت الهجرة، منذ العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٦٧، في عهد الحكم الاردني للضفة، ٤٠٠ ألف شخص غادروا الى الاردن والدول العربية الأخرى. ويعود سبب ارتفاع معدّل الهجرة ابّان الحكم الاردني الى «الظروف الاقتصادية الصعبة آنذاك». واشار د. سابيلا الى ان هجرة الفلسطينيين المسيحيين، خلال الفترة ما بين ١٩٤٨ و١٩٦٧، كانت مرتفعة جداً؛ وذكر ان خمسين الف مسيحي هاجروا في العام ١٩٤٨، من أصل ١٤٣ ألف مسيحي. واستخلص د. سابيلا ان الهجرة «تؤدي الى تحويل المجتمع الى مجتمع هرم، حيث تكون غالبية المواطنين غير منتجة، أي عاطلة عن العمل، او متقاعدة (**المصدر نفسه**).

وأورد مشاركون في الدورة الرابعة لمؤتمر اللاهوت والكنيسة في الاراضي المقدسة ان غالبية المهاجرين المسيحيين اتجهت، منذ بداية القرن الحالي، الى اميركا الشمالية واميركا الجنوبية، حيث استوطنت هناك. ومنذ ذلك الحين، أصبحت القارّتان نقطتي جذب لمزيد من المهاجرين. واضافوا ان عدد المهاجرين من رام الله، مثلاً، الذين استقروا في الولايات المتحدة الاميركية، فاق العدد الحالي لسكان المدينة من المسيحيين (**الحياة**، ٢٨ ـ ٢٩/٧/١٩٩٠). ولا تعتبر اوضاع الفلسطينيين هؤلاء جيدة باستمرار. فقد اشار د. سليم الزعبي الى ما يعاني منه الفلسطينيون في بلدان أميركا اللاتينية؛ ورسم صورة قاتمة للوضع، حيث يعيش أكثر من مئة الف فلسطيني. وقال د. الزعبي: «انه في حالات كثيرة تبدو اوضاعهم الاقتصادية غير جيدة؛ وحتى لو كانت كذلك، فانهم ليسوا على ما يرام مع أنفسهم» (داود كتاب. «مشكلة الهجرة»، **ميدل ايست انترناشونال**، العدد ٣٨٠، ٢٠/٧/١٩٩٠). وقال زائر من هندوراس، حضر المؤتمر، ان فلسطينيين كثيرين، من بيت لحم وبيت جالا، يعيشون في هندوراس وتشيلي وفنزويلا ونيكاراغوا، يرغبون في العودة الى البلاد، لكنهم يعانون من مشكلات عدة في المغادرة، وتحول الجهود الاسرائيلية دون عودتهم (**المصدر نفسه**).

قرارات المؤتمر

في ختام اعمال المؤتمر، ناشد المؤتمرون أبناء الشعب الفلسطيني في فلسطين المحتلة «التفكير بجدية ومسؤولية بعدم ترك الوطن، مهما كلف الامر من تضحيات وصعوبات، خصوصاً في هذه المرحلة بالذات، حيث تصلنا أمواج متلاحقة من المهاجرين اليهود للاستيطان في أرضنا الفلسطينية عامة، وفي قدسنا خاصة» (**الاتحاد**، ١١/٧/١٩٩٠). وانتهى المؤتمر الى توجيه نداء الى المؤسسات الوطنية، للمبادرة الى تطوير مشاريع من شأنها توفير فرص عمل للشبان الفلسطينيين. ووجّه، كذلك، نداء الى الفلسطينيين في الخارج لزيادة مساعداتهم المادية

لاقاربهم في الضفة والقطاع (**جيروزاليم بوست**، ١٣/٧/١٩٩٠).

وتبنّى المؤتمرون التوصيات التالية، ممّا اعتبر ضرورياً لمكافحة الهجرة: ان يعمل كل فرد على تشجيع اقاربه وأصحابه بوضع مسألة الهجرة جانباً، مهما كانت الظروف؛ مناشدة رؤساء الكنائس المحلية العمل على تبنّي موضوع الهجرة وتجسيد امكاناتهم كافة في سبيل دفع مخاطرها؛ تشكيل لجنة مشتركة من رجال الدين والعلمانيين بهدف التوعية؛ مناشدة مركز اللقاء الاهتمام المتواصل بالهجرة وشؤون المهاجرين بعقد المزيد من الندوات والحلقات الدراسية؛ تقوية الروابط الاجتماعية بين ابناء الشعب وتوظيف منابر الكنائس والمساجد لتعميق المواطنة بين القطاعات الشعبية وتجاوز الطائفية الدينية والفئوية السياسية؛ مناشدة الاخوة المهاجرين العمل على توثيق علاقاتهم مع اهلهم وذويهم في الوطن الأم؛ دعوة المؤسسات الوطنية الى العمل الوطني المتكامل؛ مناشدة دول الخليج عدم انهاء خدمات الفلسطينيين الذين يعملون هناك (**السفير**، ١٩/٧/١٩٩٠).

ربعي المدهون

موجز الوقائع الفلسطينية
من ١٦/٦/١٩٩٠ الى ١٥/٧/١٩٩٠

١٦/٦/١٩٩٠

• تواصلت الاشتباكات والصدامات العنيفة بين المواطنين في مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة كافة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن اصابة سبعين فلسطينياً بجروح، واعتقال عشرات آخرين، خصوصاً في خان يونس، حيث اعتقل أكثر من ثلاثين شخصاً، بعد ان حاصرت القوات الاسرائيلية المدينة ودهمت عدداً من منازلها. من جهة أخرى، أحرقت القوات الضاربة الفلسطينية خمس سيارات اسرائيلية في المنطقة الصناعية، في القدس؛ وبذلك بلغ عدد السيارات التي أُحرقت، أو حطّم زجاجها، على امتداد اليوم وفي مختلف المناطق، ثلاثين سيارة (**الدستور**، عمّان، ١٧/٦/١٩٩٠).

• نصب أربعة اسرائيليين من كيبوتس «أيل» كميناً لمشعلي النيران في الحقول القريبة من الكيبوتس، وتمكّنوا من القاء القبض على خلية من خمسة فلسطينيين، تتراوح أعمارهم بين ١٤ و١٧ سنة، كانوا عبروا «الخط الاخضر» بهدف القيام بأعمال ضد اسرائيل. وعثر في حوزة اعضاء الخلية على سكاكين وفؤوس وبلطات وخرائط لاسرائيل وبوصلة وبعض المواد الغذائية. وذكرت مصادر اسرائيلية ان غالبية اعضاء الخلية هم من سكان قرية عزّون، الواقعة شرق قلقيلية (**هآرتس**، ١٧/٦/١٩٩٠).

١٧/٦/١٩٩٠

• تصاعدت الاشتباكات والصدامات بين المواطنين في المناطق المحتلة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، في وقت ساد اضراب شامل في مختلف مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، تخليداً لذكرى الشهداء الفلسطينيين الثلاثة، شهداء «الثلثاء الحمراء» الذين أعدمتهم سلطات الانتداب البريطاني في سجن عكا، في العام ١٩٢٩، واحتجاجاً على هجرة اليهود السوفيات. وذكرت التقارير ان عشرات المواطنين اصيبوا بجروح خلال الصدامات، بينهم أكثر من ستين مواطناً من مخيم طولكرم، الذي شهد اطلاق قنابل غاز بكثافة. من جهة أخرى، انفجرت عبوة ناسفة في محطة للباصات في منطقة التلة الفرنسية، في القدس، ادّت الى الحاق ضرر بالمحطة؛ كما أُصيب ضابط اسرائيلي بجروح في غزة، ومستوطن في عزّون (**الدستور**، ١٨/٦/١٩٩٠).

• قال عضو الليكود السابق، موشي عميراف، الذي سبق وشارك في لقاء مع اعضاء في م.ت.ف. ان لقاءات عدة مع أعضاء في م.ت.ف. أُجريت في منزله، في القدس، في آب (اغسطس) ١٩٨٧، شارك فيها ايهود اولمرت ودان ميريدور، وتمّت بموافقة رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير (**عل همشمار**، ١٨/٦/١٩٩٠).

• ثارت في حزب العمل الاسرائيلي عاصفة في أعقاب توجّه مشترك لاعضاء كنيست من حزب العمل واعضاء كنيست من الليكود الى سفير الولايات المتحدة الاميركية لدى اسرائيل بطلب ايقاف الحوار الاميركي مع م.ت.ف. (**عل همشمار**، ١٨/٦/١٩٩٠).

١٨/٦/١٩٩٠

• هاجم شبان الانتفاضة أحد النوادي الاسرائيلية قرب بيت صفافا، مستخدمين الزجاجات الحارقة، في الوقت الذي شهدت مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة مواجهات وصدامات عنيفة، أُصيب خلالها عدد من المواطنين، وكان أعنفها في مخيم شعفاط، حيث اطلقت قوات الاحتلال الاسرائيلية قنابل الغاز على المواطنين الذين سدّوا الطرق بالحجارة والمتاريس المشتعلة، احتجاجاً على استمرار قطع المياه عن المخيم، لليوم السادس على التوالي. وقد حطّم سكان المخيم تمديدات المياه الى مستعمرة اسرائيلية مجاورة. من جهة أخرى، عُلم ان وطنيين في قرية برقين شنقوا مختار القرية المعيّن من

قبل سلطات الاحتلال. وعثر على جثة المختار القتيل (٤٥ عاماً) متدلّية من شجرة زيتون خارج القرية. يذكر ان أهالي برقين أجبروا المختار على مغادرة قريتهم منذ عامين، بسبب علاقته مع القوات الاسرائيلية، غير انه عاد قبل شهرين (**الدستور**، ١٩/٦/١٩٩٠).

• جدّد الرئيس العراقي، صدام حسين، تحذيراته لاسرائيل من شنّ أي هجوم على العراق أو أي بلد عربي آخر. وهدّد، في كلمة القاها في مؤتمر اسلامي عقد في بغداد، بالرد على اسرائيل بكل ما يملكه العراق من أسلحة، في حال شنّت هجوماً ما. وأكد ان الاعلام الغربي أساء فهم تصريحاته المشابهة التي أدلى بها قبل ذلك، لأنه لم يشر فيها الى ان العراق سوف لا يكون البادىء بأي هجوم في كل الاحوال (**الأهرام**، القاهرة، ١٩/٦/١٩٩٠).

• وجّه رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، نقداً شديداً الى سياسة الولايات المتحدة الاميركية تجاه م.ت.ف. واتهم واشنطن بالمماطلة وتأجيل قرارها في ما يتعلق بتحديد الموقف من المنظمة وما اذا كانت «ارهابية»، وانتظار الحصول من المنظمة على صيغة تندّد بعملية الشاطىء البحرية (**هآرتس**، ١٩/٦/١٩٩٠).

• مارس بعض الدول الاوروبية، لا سيّما السويد وبريطانيا، ضغوطاً على الولايات المتحدة الاميركية لثنيها عن ايقاف الحوار مع م.ت.ف. وتعتقد أوساط سياسية، في القدس، بأنه اذا رفضت الولايات المتحدة الاميركية تلك الضغوط، فان الدول الاوروبية سوف «تملأ هذا الفراغ» (**هآرتس**، ١٩/٦/١٩٩٠).

• أشارت مصادر اميركية مطلعة الى ان تصريحات وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، التي حمّل فيها اسرائيل، بصفة خاصة، مسؤولية عدم توصّل الجهود التي بذلتها الادارة الى تقدّم، عكست تحوّلاً جدياً في الموقف الاميركي تجاه عملية التسوية برمّتها؛ وأكدت ان الادارة باتت تجري عملية مراجعة شاملة لسياستها الشرق أوسطية، في ضوء التطورات الاخيرة، قد تؤدي، في فترة لاحقة، الى اعلان واشنطن عن مبادرة تظهر تصوّرها لحل النزاع العربي - الاسرائيلي (**الواشنطن بوست**، ١٩/٦/١٩٩٠).

١٩/٦/١٩٩٠

• تواصلت المواجهات والاشتباكات العنيفة في مختلف مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين، الذين استخدموا الحجارة والزجاجات الحارقة والفارغة، وبين جنود الاحتلال الاسرائيلي وقطعان المستوطنين الذين استخدموا الرصاص بأنواعه والغاز والهراوات، ممّا أدّى الى اصابة عشرات الفلسطينيين بجروح. كما واصلت القوات الاسرائيلية حملات القمع، المتمثّلة في عمليات الاقتحام والدهم والاعتقال العشوائي وغلق المدارس. واعتصمت حوالى مئة وخمسين امرأة فلسطينية من بلدة ذنّابة، قضاء طولكرم، في مقر الصليب الأحمر الدولي، احتجاجاً على تصرّفات قوات الاسرائيلية الاسرائيلية (**الدستور**، ٢٠/٦/١٩٩٠).

• أُطلقت رصاصات عدة باتجاه دورية تابعة للجيش الاسرائيلي، كانت تتحرك على الحدود مع الاردن، على بعد سبعة كيلومترات شمال مدينة بيسان. وردّ جنود الدورية على مصادر النيران. غير ان أعمال التمشيط، التي تمّت لاحقاً، لم تكشف عن أي دليل أو مصادر اطلاق النار (**معاريف**، ٢٠/٦/١٩٩٠).

• نفى مصدر مسؤول في وزارة الخارجية المصرية الانباء التي ذكرت ان شركة «ايريسيناء قامت بنقل يهود سوفيات الى اسرائيل عبر الاجواء المصرية. وأكد المصدر ان هذه الانباء لا أساس لها من الصحة، وانه ليس لدى مصر أية مصلحة في القيام بعمل كهذا (**الاهرام**، ٢٠/٦/١٩٩٠).

• أبلغت اسرائيل، مؤخراً، الى الدول العربية انه ليس لديها أية نوايا عدوانية ضد جاراتها. وطالبت اسرائيل، في رسائلها الى الدول العربية، عدم الانجرار وراء ما وصفته بـ «الأجواء التي يخلقها العراق» وعدم جرّ المنطقة الى توتّر عسكري. يذكر ان تهديدات الرئيس العراقي، صدام حسين، أثارت قلقاً في اسرائيل (**معاريف**، ٢٠/٦/١٩٩٠).

• ادعى رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، بأن تصريحات الرئيس الليبي، معمّر القذافي، حول انشاء مصنع ثانٍ لانتاج اسلحة كيميائية خطرة ومقلقة من شأنها ان تجلب المخاطر. ودعا العالم الى ابعاد تلك المخاطر (**معاريف**، ٢٠/٦/١٩٩٠).

• أفادت مصادر دبلوماسية، في واشنطن، بأن الرئيس الاميركي، جورج بوش، بعث برسالة مطوّلة الى رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، تضمّنت خطوطاً عريضة لعملية السلام. وأفادت، أيضاً، بأن

بوش كرر، في رسالته، استمرار التزام الادارة الاميركية السعي الى تنفيذ المبادرة الاسرائيلية المتعلقة بعملية الانتخابات في الارض المحتلة، بدءاً بالحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي المقترح اجراؤه في القاهرة (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٠/٦/١٩٩٠).

٢٠/٦/١٩٩٠

• أعلن الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، عن ان اعتراف الحكومة اليونانية الكامل باسرائيل، بتاريخ ٢١ آيار (مايو) ١٩٩٠، تسبّب بـ «ضرر كبير» للعالم العربي كله. وأعرب الرئيس عرفات، في مقابلة نشرتها صحيفة «انيا» اليونانية، عن أسفه الشديد لهذا الاعتراف، مشيراً الى ان هذا الموضوع كان من المسائل التي استحوذت على اهتمام القمّة العربية الاخيرة، التي عقدت في بغداد؛ غير انه أضاف قائلاً: «نأمل في ان يستمر اليونانيون في تأييدنا حتى تحقيق الانتصار» (**الدستور**، ٢١/٦/١٩٩٠).

• عمّ الاضراب الشامل مرافق الحياة في الاراضي الفلسطينية المحتلة كافة، وذلك تلبية لنداء القيادة الموحّدة بمناسبة مرور شهر على مجزرة ريشون لتسيون (عيون قارة) ضد عدد من العمّال الفلسطينيين. ووقعت صدامات واسعة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية أدّت الى اصابة ٦٥ فلسطينياً بجروح، في حين أُصيب أربعة جنود اسرائيليين بحجارة في قباطية والغبيرة وصوريف. وعمّ شبان الانتفاضة أربع عشرة سيارة اسرائيلية تابعة للجيش والمستوطنين، وتعرّضت دوريتان اسرائيليتان لهجومين بقنابل مولوتوف، في الخليل وخان يونس (**الدستور**، ٢١/٦/١٩٩٠).

• ساد اعتقاد لدى أوساط قوات الامن الاسرائيلية، بأن مطلق النيران على الدورية الاسرائيلية، في الأول من أمس، قرب بيسان، هو جندي اردني «غريب الاطوار»، أطلق النار بدوافع ذاتية لا علاقة لها بأية أوامر عسكرية اردنية (**هآرتس**، ٢١/٦/١٩٩٠). من جهته، نفى مصدر رسمي أردني، نفياً قاطعاً، ان تكون رشقات نارية أُطلقت، الليلة الماضية، من على الاراضي الاردنية باتجاه دورية اسرائيلية. وقال المصدر ان وحدات الجيش الاردني المنتشرة على طول خط الهدنة لم تلحظ «أي تحرك مشبوه، ولم تسمع طلقات نارية» (**الاتحاد**، حيفا، ٢١/٦/١٩٩٠).

• أعرب نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية المصرية، د. عصمت عبدالمجيد، عن تقدير مصر وارتياحها الكامل لموقف المجموعة الاوروبية الايجابي والبنّاء، خلال اجتماع وزراء خارجيات المجموعة الذي عقد، مؤخراً، في لوكسمبرغ، خصوصاً في ما يتعلق بمساندة اوروبا للمجموعة العربية وضرورة احترام حقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة. وأكد عبدالمجيد أهمية الدور الاوروبي في دعم وتنشيط عملية السلام في منطقة الشرق الاوسط (**الاهرام**، ٢١/٦/١٩٩٠).

• دعا رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، الاتحاد السوفياتي الى عدم الخضوع للضغوطات العربية بشأن هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل. وادّعى شامير بأن اسرائيل لا تقوم بتحويل المهاجرين الى الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وقال انه «ليس لاسرائيل مثل هذه السياسة»، داعياً الاتحاد السوفياتي الى ان يقوم بالتحقق من ذلك بنفسه (**هآرتس**، ٢١/٦/١٩٩٠).

• أعلن الرئيس الاميركي، جورج بوش، «تعليق» الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية الى ان تتخذ الاخيرة «الاجراءات اللازمة لحل المشاكل المرتبطة بالارهاب»، مشيراً، مباشرة، الى عملية الانزال البحري التي حاولت القيام بها مجموعة مسلّحة تابعة لجبهة التحرير الفلسطينية على شواطىء تل ـ أبيب. وقال: «منحنا م.ت.ف. وقتاً كافياً لتسوية هذه المسألة. لكن بيان المنظمة، الذي اكتفى بإدانة أي هجوم يستهدف المدنيين، ليس كافياً»، زاعماً أن «حجم القوة [في عملية الانزال]، والهدف الجغرافي، يشيران الى ان مدنيين كانوا مستهدفين في العملية». وأضاف: «بمجرد ان تصبح م.ت.ف. مستعدة لاتخاذ الاجراءات اللازمة، سنكون على استعداد، من جانبنا، لمعاودة الحوار». واعترف بوش بأن قراره يمكن ان يؤدي الى عودة العنف الى الشرق الاوسط؛ لكنه أعرب عن أمله في ألّا يحدث ذلك، مؤكداً انه يودّ «رؤية عملية السلام تتقدّم» في المنطقة (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢١/٦/١٩٩٠).

٢١/٦/١٩٩٠

• انضمّ المواطن محمد نعيم فطافطة (١٨ عاماً)، من سلوان، الى قافلة شهداء الانتفاضة، اثر اصابته بعيار ناري في الرأس. وأعلنت القدس وجوارها الحداد ثلاثة أيام على روح الشهيد، في الوقت الذي

ساد في الاراضي الفلسطينية المحتلة تعتيم ليلي شامل لمدة ربع ساعة حداداً على شهداء مذبحة ريشون لتسيون (عيون قارة)؛ كما نُظّمت مسيرات جماهيرية حاشدة في الشوارع، وعروض عسكرية في عدد من المناطق، في حين دهمت قوات الاحتلال الاسرائيلية قرية العساكرة واحياء في بيت ساحور ومخيم عين بيت الماء وقراوة بني حسن (**الدستور**، ٢٢/٦/١٩٩٠).

• ذكر بيان اصدرته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، رداً على القرار الاميركي بتعليق الحوار مع المنظمة، ان القرار «يتناقض مع الموقف المسؤول الذي يفترض ان تضطلع به دولة عظمى بحجم الولايات المتحدة [الاميركية] تجاه عملية السلام في الشرق الاوسط والسلام العالمي بشكل عام». واتهم البيان الموقف الاميركي بتوجيه ضربة الى «عملية السلام كلها، والى مصداقية الادارة الاميركية» (**الدستور**، ٢٢/٦/١٩٩٠).

• كشفت قوات الامن الاسرائيلية خلية فدائية في مدينة ام الفحم ضمّت عشرة أشخاص تتراوح أعمارهم بين ١٤ و١٧ عاماً، ويقودهم شاب في السادسة والعشرين من عمره. واتُهم الفدائيون بالتخطيط لخطف حافلة اسرائيلية تعمل على خط الخضيرة، والمطالبة بالافراج عن معتقلين فلسطينيين مقابل اطلاق سراح الرهائن من ركاب الحافلة (**عل همشمار**، ٢٢/٦/١٩٩٠).

• قال العقيد يهودا مئير، في شهادته في المحكمة العسكرية الخاصة في الكرياه، في تل ـ أبيب، والتي تحقق في ممارسة سياسة «تكسير العظام» في المناطق المحتلة، انه كان ينفّذ سياسة وزير الدفاع الاسرائيلي السابق، اسحق رابين، الذي «قال لنا: ابدأوا بتحطيم العظام، وأنا أتكفل بمعالجة [الموقف تجاه] وسائط الاعلام والمحامين» (**عل همشمار**، ٢٢/٦/١٩٩٠).

• منعت الشرطة الاسرائيلية رئيس حركة «كاخ» العنصرية، مئير كهانا، من دخول قرية الطيبة في المثلّث، فاحتج كهانا أمام حشد من الصحافيين، رتّبت له حركته مسبقاً، على موقف الشرطة وعدم سماحها له بدخول القرية ورفع علم اسرائيل فيها (**عل همشمار**، ٢٢/٦/١٩٩٠).

• صرّح وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، بأن بلاده علّقت حوارها مع م.ت.ف. لأن «مكافحة الارهاب» لها الاولوية على مساعي السلام في المنطقة. وقال: «ان اللجوء الى الارهاب ينسف أي عملية سلام» يمكن للادارة الشروع فيها. وأضاف، ان بلاده ستمضي في محاولاتها اقناع رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، بالموافقة على الشروط الاميركية لاجراء محادثات مع الفلسطينيين، وقال: «نحن لا نسعى الى اقامة حوار بين اسرائيل وم.ت.ف.»؛ الّا انه أضاف، ان الجميع «يعترف بأنه من دون قبول منظمة التحرير الفلسطينية لن يحظى الاسرائيليون بحوار» (**الواشنطن بوست**، ٢٢/٦/١٩٩٠).

١٩٩٠/٦/٢٢

• انضمّ المواطن زهدي ابراهيم الشويكي (١٧ عاماً) الى قائمة شهداء الانتفاضة اثر اصابته بالرصاص، في اثناء صدام بين المواطنين والقوات الاسرائيلية وقع في أعقاب صلاة الجمعة في القدس. ويعتبر الشويكي ثاني مواطن، من سلوان، يستشهد خلال ثلاثة أيام. وذكر مواطنون ان الشهيد كان ضمن حشد من الشبان تصدّى لسيارات الشرطة الاسرائيلية بالحجارة فور خروج المصلّين من احد مساجد المنطقة؛ وان اشتباكات عنيفة بين المواطنين وقوات الشرطة الاسرائيلية اندلعت في أعقاب اصابة الشويكي، وقد رشق ملثّمون الشرطة الاسرائيلية بالحجارة، وفرضت سلطات الاحتلال حظر التجوّل على سلوان (**الدستور**، ٢٣/٦/١٩٩٠).

١٩٩٠/٦/٢٣

• استشهد المواطن رشدي عبد الحافظ ابو سرية (٥٦ عاماً)، من بلدة سلوان، متأثراً بتسمّم، جراء قنابل الغاز التي اطلقها جنود الاحتلال الاسرائيلي خلال الصدامات الدامية التي شهدتها البلدة في اليومين الماضيين، فيما تواصلت الاشتباكات، وازدادت حدّة، في أعقاب استشهاد ابو سرية. وذكرت مصادر قوات الاحتلال الاسرائيلية انها اعتقلت ثلاثين فلسطينياً من سلوان، التي أُخضعت لحظر التجول، في حين ذكرت وكالة الصحافة الفرنسية ان أكثر من عشرين مواطناً من سكان البلدة اصيبوا بجروح خلال المواجهات. في الوقت عينه، تواصلت الاشتباكات في مناطق متفرّقة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وتمكّنت القوات الضاربة الفلسطينية من مهاجمة عدد من السيارات العسكرية الاسرائيلية والحاق أضرار بها (**الدستور**، ٢٤/٦/١٩٩٠).

• وصل جان كلود ايميه المستشار الخاص للامين العام للامم المتحدة، خافيير بيريز ديكويلار

الى اسرائيل آتياً من جنيف، عبر زيوريخ، وكان في استقباله ممثلون عن قيادة قوات الامم المتحدة في القدس المحتلة، اضافة الى ممثل عن الجيش الاسرائيلي. وقال ايميه انه جاء الى اسرائيل «بناء على طلب من الامين العام للامم المتحدة للاستقصاء حول الوضع في الاراضي المحتلة». وكان ايميه اطلع من مسؤولين في اللجنة الدولية للصليب الأحمر على فعاليات وبرامج عمل اللجنة في الاراضي العربية المحتلة، ونشاطاتها الخاصة بزيارة المعتقلين الفلسطينيين، وتنظيم زيارات عائلية لهم (**الحياة**، لندن، ٢٣ ـ ٢٤/٦/١٩٩٠).

• ذكر الناطق بلسان الجيش الاسرائيلي ان زورق «دبورا» تابعاً لسلاح البحرية الاسرائيلية دمّر زورقاً على متنه فدائيان كانا في طريقهما الى تنفيذ عملية على الشواطىء في اسرائيل. وكان الزورق «دبورا» يقوم بدورية أمنية عادية مقابل شواطىء جنوب لبنان عندما اكتشف زورق الفدائيين الذي كان يسير بسرعة ثلاثين عقدة بحرية. وقد فتح الفدائيان النار من سلاح خفيف، واطلقا، كذلك، صواريخ آر.بي.جي. باتجاه «دبورا»؛ عندها اعترض الزورق الاسرائيلي، باسناد بحري وجوي وبرّي، زورق الفدائيين ودمّره (**هآرتس**، ٢٤/٦/١٩٩٠).

• دعا وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، جهاز الدفاع الاسرائيلي والجيش الى تحقيق عدد من التوصيات لضمان أمن المستوطنات في الضفة الفلسطينية. من بين التوصيات اقامة حرس مدني في مناطق الضفة الفلسطينية. وينوي ارنس مطالبة وزير القضاء الاسرائيلي، دان ميريدور، باحداث تغيير تشريعي في القانون الخاص بانشاء حرس مدني، والذي يمنع تشكيل حرس مدني في المناطق الواقعة خلف «الخط الاخضر» (**هآرتس**، ٢٤/٦/١٩٩٠).

• أفادت مصادر اميركية مطلعة بأن وجهة النظر الاميركية، في شأن معاودة الحوار مع م.ت.ف. ترتكز على شرطين، هما: ادانة المنظمة، بصورة مباشرة، عملية الانزال البحري على شاطىء تل ـ أبيب، واتخاذ الاجراءات الضرورية لـ «تأديب» المسؤول عن هذه العملية (**الواشنطن بوست**، ٢٣ ـ ٢٤/٦/١٩٩٠).

١٩٩٠/٦/٢٤

• تواصلت المواجهات والصدامات العنيفة في مختلف انحاء الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، ممّا أدّى الى اصابة ٦٥ مواطناً. وشنّت القوات الاسرائيلية حملة اعتقالات طاولت عشرات المواطنين تركّزت في بلدة بني نعيم، في الوقت الذي حذّرت الشرطة الاسرائيلية المناضلين الفلسطينيين في القدس المحتلة من انها ستقتل المزيد منهم ان هم واصلوا مشاركتهم في الانتفاضة. من جهة أخرى، تمكّنت القوات الضاربة الفلسطينية من تحطيم، واعطاب، ثلاثين سيارة للعدو، منها ١٦ سيارة عسكرية و١٤ أخرى تابعة لمستوطنين. كما القى شبان الانتفاضة زجاجات حارقة على احدى البنايات السكنية في حي غفعات زئيف، شمال القدس، الذي يقطنه مستوطنون (**الدستور**، ٢٥/٦/١٩٩٠).

• أشادت م.ت.ف. والحزب الشيوعي الكوبي، في بيان أُصدر عقب مباحثاتهما الرسمية في تونس والتي أُجريت بين ٢٠ و٢٣ حزيران (يونيو)، بالدعم المتبادل لمواجهة مخططات ومؤامرات الاوساط الصهيونية والامبريالية التي تستهدف «النيل من صمود الشعبين، الفلسطيني والكوبي». كما دان الطرفان المحاولات الرامية الى حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه الوطنية الثابتة، ومحاولة ضرب مكاسب الثورة الكوبية (**الحياة**، ٢٥/٦/١٩٩٠).

• أكد وزير الشرطة الاسرائيلية، روني ميلو في جلسة الحكومة الاسبوعية، ان ارتفاعاً حادّاً طرأ على معدّل الحوادث التي تقع على خلفية قومية. فقد سُجّل خلال الاسبوع، ٢١٨ حادثاً، مقابل ١٧٢، في الاسبوع الذي سبقه. وأشار ميلو الى ان معظم الحوادث التي سجلت كان أعمال رشق حجارة (**عل همشمار**، ٢٥/٦/١٩٩٠).

• ادّعى وزير البناء والاسكان الاسرائيلي، اريئيل شارون، في حديث له، في حضور امانة السر التابعة للوكالة اليهودية، بأن اسرائيل لن تقوم بتوطين مهاجرين جدد وراء «الخط الاخضر». وقال ان الحكومة الاسرائيلية بلورت سياسة تقوم على توجيه المهاجرين الجدد الى الجليل والنقب ووادي عارة والى وسط البلاد، وليس الى المستوطنات اليهودية القائمة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، على الرغم من أهمية تلك المستوطنات الاستراتيجية (**عل همشمار**، ٢٥/٦/١٩٩٠).

• حذّرت أوساط عسكرية اسرائيلية رفيعة المستوى من نتائج قرار وزير الدفاع الاسرائيلي،

موشي ارنس، اقامة حرس مدني في المستوطنات اليهودية الكبيرة في الضفة الفلسطينية. وقالت هذه الاوساط ان «اقامة اجهزة حرس مدني في المستوطنات سوف تمكّن من التدخل شبه الرسمي للمستوطنين في أنشطة الامن»، ويحتمل ان تؤدي اقامة ميليشيات يهودية مسلّحة الى تصعيد الوضع في المناطق المحتلة (**عل همشمار**، ٢٥/٦/١٩٩٠).

• شبّ حريق هائل في احراج الكرمل استمر بضع ساعات وتسبّب في اتلاف حوال مئتي دونم من الاشجار الحرجية. وقد أمكن السيطرة على الحريق في وقت قصير نسبياً، وحيل دون وصوله احراج بيت - اورن (**عل همشمار**، ٢٥/٦/١٩٩٠).

١٩٩٠/٦/٢٥

• أكد الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، أهمية عقد المجلس الوزاري للجامعة العربية للبحث في قرار الادارة الاميركية تعليق حوارها مع م.ت.ف. وكان الرئيس عرفات بحث، أمس، مع السفراء العرب المعتمدين في بغداد، في آخر المستجدات على الساحتين، العربية والدولية، وتطوّرات الاوضاع في الاراضي الفلسطينية، والممارسات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ضد ابناء الشعب الفلسطيني (**الحياة**، ٢٦/٦/١٩٩٠).

• استشهدت الطفلة زهيّة عبدالكريم المسيمي (تسعة أعوام)، من مخيم طولكرم. وأفادت مصادر مستشفى المقاصد في القدس ان زهيّة فارقت الحياة متأثرة باصابتها بعيار ناري في الرأس، بتاريخ ٢٣ حزيران (يونيو)، خلال صدامات وقعت في المخيم بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. على الصعيد ذاته، تواصلت الاشتباكات والصدامات في مناطق مختلفة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، فأسفرت عن جرح ستين مواطناً، واعتقال خمسين آخرين (**الدستور**، ٢٦/٦/١٩٩٠).

• ذكرت صحيفة «جيروزاليم بوست» الاسرائيلية ان السفير المصري لدى اسرائيل، محمد بسيوني، استبعد اجراء محادثات فلسطينية - اسرائيلية في القاهرة، اثر تعليق الادارة الاميركية الحوار مع م.ت.ف. وذكرت الصحيفة ان بسيوني انتقد قرار الادارة الاميركية، وقال: «من المستحيل بدء محادثات فلسطينية - اسرائيلية في الوقت الذي يتمّ تجميد الحوار بين الولايات المتحدة [الاميركية] وم.ت.ف. ومن المستحيل بدء حوار القاهرة قبل ان تعطي م.ت.ف. الضوء الاخضر» (**الحياة**، ٢٦/٦/١٩٩٠).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في لقائه مع جان كلود ايميه، مستشار السكرتير العام للامم المتحدة، الذي بدأ، أمس، جولة على اسرائيل والمناطق المحتلة، ان اسرائيل مستعدة للاستمرار في المسيرة السلمية وفقاً لخطوط مبادرة السلام الاسرائيلية التي أُقرت في أيار (مايو) الماضي؛ وهي مستعدة للدخول، فوراً، في مفاوضات مع الدول العربية ومع فلسطينيين من سكان المناطق المحتلة، بهدف التوصل الى سبل لتحقيق السلام (**هآرتس**، ٢٦/٦/١٩٩٠).

• ذكر رئيس ادارة الوكالة اليهودية، سيمحا دنيتس، ان الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي سجّلت رقماً قياسياً خلال حزيران (يونيو)، حيث وصل اسرائيل حوالي عشرة آلاف مهاجر. وتوقّع دنيتس ان يصل الف مهاجر آخر حتى نهاية الشهر عينه. وقال ان حوالى ٥٠ الف مهاجر من الاتحاد السوفياتي وحوالى ١٥ ألفاً آخرين من دول اخرى وصلوا اسرائيل منذ بداية العام ١٩٩٠ (**هآرتس**، ٢٦/٦/١٩٩٠).

• ذكر رئيس «الجباية اليهودية الموحّدة»، مرفين لندن، ان أكثر من ٧٠ بالمئة من المبالغ التي تعهدت «الجباية اليهودية الموحّدة» جمعها من الطوائف اليهودية في جميع ارجاء العالم، خلال السنوات الثلاث المقبلة، في اطار «حملة اكسودوس»، قد تمّ جمعها، بالفعل، وأخذت طريقها الى تمويل هجرة واستيعاب يهود الاتحاد السوفياتي في اسرائيل (**هآرتس**، ٢٦/٦/١٩٩٠).

• أعربت مصادر اميركية مطلعة عن اعتقادها بأن موقف وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، بشأن «الحوار» مع اسرائيل بعد تشكيل الحكومة الجديدة، برئاسة اسحق شامير، يلتقي مع موقف الرئيس الاميركي، جورج بوش، من «الحوار» مع م.ت.ف. وهدفهما ممارسة ضغط على «الصقور» من الجانبين (**نيويورك تايمز**، ٢٦/٦/١٩٩٠).

١٩٩٠/٦/٢٦

• صرّح الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، بأن تعليق الادارة الاميركية الحوار مع م.ت.ف. أدّى الى زيادة التوتر في المنطقة، واعطى قوة جديدة للتطرف

فيها. وكشف عرفات عن «انحياز واشنطن الاعمى» الى جانب اسرائيل. وأضاف، في رسالة بعث بها الى لجنة الحقوق الفلسطينية التابعة للامم المتحدة، ان المنظمة تحمّل الولايات المتحدة الاميركية مسؤولية عدم احراز تقدّم في عملية التسوية، ومسؤولية تدهور الوضع في الشرق الاوسط (**الحياة**، ٢٧/٦/١٩٩٠).

• استشهدت، متأثرة بجروحها، المواطنة هيا سعود عبدالرحيم خليل (٢٥ عاماً)، وهي ثاني شهيدة من طولكرم خلال يومين، بعد استشهاد الطفلة زهيّة المسيمي، في الوقت الذي عنفت الاشتباكات والصدامات في مختلف مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، ممّا ادّى الى اصابة ٥٥ مواطناً، واعتقال أكثر من ستين آخرين. وفي القدس، انفجرت عبوة ناسفة في محطة للباصات في تلبيوت، وادّى انفجارها الى اصابة اسرائيليين بجروح متوسطة (**الدستور**، ٢٧/٦/١٩٩٠).

• ندّد زعماء السوق الاوروبية المشتركة الاثني عشر، بشدة، بسياسة اسرائيل في مجال حقوق الانسان في المناطق المحتلة؛ كما أكدوا تأييدهم لحل النزاع في الشرق الاوسط، من خلال عقد مؤتمر دولي برعاية الامم المتحدة، بمشاركة م.ت.ف. وتعهّد الزعماء الاوروبيون مضاعفة مساعدتهم للفلسطينيين في المناطق المحتلة حتى العام ١٩٩٢، وفتح ممثليات دائمة للسوق (**عل همشمار**، ٢٧/٦/١٩٩٠).

• التقى جان كلود ايميه، مستشار سكرتير عام الامم المتحدة، بوزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس. وقد عبّر ايميه عن اهتمامه بالعدد الكبير للمصابين في قطاع غزة، في أعقاب مذبحة ريشون لتسيون، وكذلك عن اهتمامه بمدى استعداد اسرائيل لفتح الجامعات في المناطق المحتلة، بعد التصريح الذي ادلى به رئيس الحكومة، اسحق شامير حول هذا الموضوع قبل حوالى الشهر. ومن جانبه، قال ارنس لضيفه ان الجامعات أُغلقت «لأنها تحوّلت الى بؤر للعنف» (**عل همشمار**، ٢٧/٦/١٩٩٠).

• قُررت خطة مفصّلة لاستيعاب ١٥٠ ألف مهاجر من الاتحاد السوفياتي سنوياً، خلال السنوات الثلاث المقبلة، بتكلفة ٢,٣ مليار دولار. وقد تمّ التصديق على الخطة خلال جلسة لجنة التنسيق المشتركة، المشكّلة من الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية، التي عقدت في مكتب رئيس الحكومة (**عل همشمار**، ٢٧/٦/١٩٩٠).

• تحدثت أوساط اميركية مسؤولة، في معرض تعليقها على قرار الرئيس الاميركي، جورج بوش، «تعليق» الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، بأن ثمة رغبة من جانب الادارة الاميركية في طمأنة الحكومة الاسرائيلية الجديدة بأنها جادّة في «محاربة الارهاب»، وجادّة، أيضاً، في طمأنتها بأنها لن تضغط على اسرائيل للتعامل، مباشرة، مع منظمة التحرير الفلسطينية (**نيويورك تايمز**، ٢٧/٦/١٩٩٠).

٢٧/٦/١٩٩٠

• أُصيب ثلاثة جنود اسرائيليين ومجنّدة بجروح، في اثناء مواجهات وقعت بين المواطنين، في بيت ساحور وبيت لحم وجنين وقباطية وعقابا، وقوات الاحتلال الاسرائيلية؛ كما أصيب ٢٥ مواطناً بجروح وكسور وحالات اختناق وتسمّم، في انحاء متفرقة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وهدمت قوات الاحتلال الاسرائيلية مدرسة قلنديا الاعدادية، وألقت فيها قنابل غاز، ممّا ادّى الى اصابة عدد من الطلبة باختناق وتسمّم؛ كما تمّ اعلان مدينتي رام الله والبيرة منطقتين عسكريتين مغلقتين (**الدستور**، ٢٨/٦/١٩٩٠). وفي مجال مقاومة الاحتلال، أوضحت أوساط عسكرية اسرائيلية ان عدد راشقي الحجارة في المناطق المحتلة يصل الى حوالى ٨٠ بالمئة من مجموع الشبان الذين يساهمون في نشاطات الانتفاضة (**هآرتس**، ٢٨/٦/١٩٩٠).

• أوضح استفتاء للرأي العام، أجرته مجلة «الاسبوع الجديد» المقدسية، ان ٢٦ بالمئة، فقط، من مجموع العرب في اسرائيل يعتقدون باحتمال انتقال الانتفاضة الفلسطينية الى داخل «الخط الاخضر»، وان ٣٧ بالمئة لا يعتقدن بذلك، وحوالى ٢٥ بالمئة امتنعوا عن الاجابة عن هذا السؤال، و٨٠ بالمئة يعارضون هجرة يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل (**هآرتس**، ٢٨/٦/١٩٩٠).

• انتشرت قوات الجيش الاسرائيلي في الضفة الفلسطينية، وفقاً لسلّم أفضليات جديد أملاه وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس. فمن الآن فصاعداً، تمّ التشديد على ضرورة الدفاع عن أربع طرق رئيسة، يكثر المستوطنون اليهود من تحركهم عليها (**هآرتس**، ٢٨/٦/١٩٩٠).

١٩٩٠/٦/٢٨

• عمّ الاضراب الشامل في جميع مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، بناء على دعوة من القيادة الموحّدة للانتفاضة لاعلان الاحتجاج بمناسبة ضمّ مدينة القدس الى اسرائيل. وقد توقّفت حركة النقل العام، والتزم العمّال الفلسطينيون منازلهم، وأُقفلت أبواب المحال التجارية، وخلت الشوارع من المارة، الاّ من شبان الانتفاضة الذين واجهوا قوات الاحتلال الاسرائيلية بالحجارة والزجاجات الحارقة والفارغة، وتمّ احراق، وتدمير، ٣٢ سيارة للعدو. وأُصيب، خلال المجابهات هذه، ٥٧ فلسطينياً بجروح، وأُجهضت امرأتان في رفح، بسبب استنشاقهما غازات سامّة (**الدستور**، ٢٩/٦/١٩٩٠).

• قرّر الاتحاد اللوثري العالمي ارسال وفد الى اسرائيل والاراضي المحتلة لمعرفة ما يمكن للاتحاد ان يقوم به للمساعدة في احلال السلام والعدل في الشرق الاوسط. وذكر بيان للاتحاد ان الوفد سيتوجه الى اسرائيل في وقت لاحق من هذا العام (**الحياة**، ٢٩/٦/١٩٩٠).

• بعث رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، برسالة الى الرئيس الاميركي، جورج بوش، تناول فيها ثلاث قضايا أساسية، هي: الحوار مع فلسطينيين من المناطق المحتلة؛ والسلام بين اسرائيل وجاراتها؛ والاستيطان. وفي ردّه على اسئلة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ذكر شامير ان اسرائيل مستعدة للاستمرار والتعاون مع وزير الخارجية الاميركية في موضوع الحوار مع وفد فلسطيني، وانها معنيّة بالوصول الى القاهرة للقاء مع الوفد. وأبدى شامير تحفظ حكومته من مشاركة مبعدين وفلسطينيين من القدس الشرقية، في الوفد الفلسطيني (**عل همشمار**، ٢٩/٦/١٩٩٠).

• قررت الحكومة الاسرائيلية اعداد اراضٍ، خلال بضعة أيام، لبناء عشرات الآلاف من الوحدات السكنية. كذلك قُرّر، في لقاء بين وزير البناء والاسكان الاسرائيلي، اريئيل شارون، ورئيس اتحاد المقاولين، مردخاي يونا، ان تقوم «ادارة اراضي اسرائيل» بالسماح لاتحاد المقاولين بالبدء في تخطيط الوحدات السكنية، والقيام ببناء عشرات الآلاف من الوحدات السكنية، خلال العام المقبل (**عل همشمار**، ٢٩/٦/١٩٩٠).

• أفادت مصادر امريكية مطلعة بأن وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، لوّح الى اسرائيل بأن الادارة الاميركية يمكن ان تمنح ضمانات خطية بأن مساعيها السلمية لا تهدف الى اجبار اسرائيل على التعامل المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية (**نيويورك تايمز**، ٢٩/٦/١٩٩٠).

١٩٩٠/٦/٢٩

• استشهد محمد سالم ديب شراب (١٣ عاماً)، من خان يونس، جرّاء صعقة كهربائية، في اثناء محاولته، ورفاق له، تعليق علم فلسطين على عمود كهرباء في المدينة؛ كما أُصيب حوالى خمسين مواطناً بجروح في اشتباكات وصدامات وقعت بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في غير منطقة، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، واعتقل ثلاثون آخرون. وهاجم شبان الانتفاضة عدداً من السيارات العسكرية الاسرائيلية، وأشعلوا النار بنادٍ للفنون تابع لبلدية القدس الغربية؛ وأُلقيت زجاجة حارقة على حافلة اسرائيلية في المدينة؛ فيما واصلت سلطات الاحتلال الاسرائيلية فرض حظر التجول والحصار العسكري على المخيمات الفلسطينية في مناطق القدس وطولكرم ونابلس ورام الله والخليل ورفح (**الدستور**، ٣٠/٦/١٩٩٠).

• ذكرت مصادر فلسطينية ان المستشار الخاص للامين العام للامم المتحدة لشؤون الشرق الاوسط، جان كلود ايميه، التقى، في القدس الشرقية، بشخصيات من الضفة الفلسطينية. وتباحث ايميه، بشكل خاص، مع عميد جامعة بيرزيت، د. غابرييل برامكي، ومع رئيس بلدية الخليل السابق، مصطفى النتشة. وفي اثناء اللقاء، عبّرت الشخصيتان عن قلقهما ازاء القمع الاسرائيلي للفلسطينيين وانتهاك اسرائيل حقوق الانسان (**الحياة**، ٣٠/٦/١٩٩٠ - ١/٧/١٩٩٠).

١٩٩٠/٦/٣٠

• تواصلت المواجهات والصدامات في عدد من مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، فأسفرت عن جرح أكثر من اربعين فلسطينياً واعتقال عشرات آخرين. وألقت القوات الضاربة الفلسطينية زجاجة حارقة باتجاه حافلة اسرائيلية في حي المغاربة، في القدس؛ كما حطمت زجاج سبع عشرة سيارة عسكرية. ولا تزال سلطات الاحتلال الاسرائيلية تفرض حظر

التجوّل على مخيم طولكرم، لليوم السادس على التوالي؛ كما فرضت حظر التجول على بلدة شويكة، في قضاء طولكرم، وأعلنت مدينتي رام الله والبيرة والمناطق المجاورة لهما مناطق عسكرية مغلقة (**الدستور**، ١/٧/١٩٩٠).

• أُطلق، في الاول من أمس، عدد من صواريخ الكاتيوشا باتجاه «حزام الأمن» في جنوب لبنان، حيث سقطت في القطاع الغربي قرب الناقورة، على مسافة قصيرة من الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية. ولم تقع اصابات أو أضرار (**دافار**، ١/٧/١٩٩٠).

• انطلقت تظاهرة نسائية يهودية ـ عربية ضمّت حوالى ٧٠٠ امرأة ارتدين الملابس السوداء من مداخل مدينة عكا باتجاه شارع عكا ـ صفد. وقد رفعت المتظاهرات شعارات: «ينبغي وضع حدّ للاحتلال»، و«محادثات مع م.ت.ف.» و«لا نريد العُنف، نريد السلام» (**عل همشمار**، ١/٧/١٩٩٠).

• صرّح رئيس دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية، اوري غوردون، بأنه، منذ بداية الشهر الجاري وحتى يوم أمس، وصل اسرائيل ١٠٦٤٢ مهاجراً يهودياً، من بينهم ٩٣٠٢ من الاتحاد السوفياتي. وبهذا بلغ عدد المهاجرين الذين وصلوا منذ بداية هذا العام ٥٥٩٣٨، من بينهم ٤٨٢٧٦ من الاتحاد السوفياتي (**دافار**، ١/٧/١٩٩٠).

١/٧/١٩٩٠

• وقع المزيد من الاشتباكات بين المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، على الرغم من الانتشار العسكري الاسرائيلي، والحصار الذي تعرّضت له المدن وبعض القرى والمخيمات الفلسطينية. وذكرت تقارير ان أكثر من ٤٣ مواطناً اصيبوا بجروح، في حين تمّ اعتقال عشرات آخرين، خصوصاً في رام الله وقرية بيت لقيا وبلدة شويكة. وأشارت التقارير ذاتها الى تحطيم ٢١ سيارة اسرائيلية (**الرأي**، عمّان، ٢/٧/١٩٩٠). من ناحية أخرى، صادق وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، على اعتماد اسلوب جديد يتيح للسلطات العسكرية الاسرائيلية نفي نشطاء الانتفاضة بشكل مؤقت. وطبقاً للاسلوب الجديد يتمّ نفي النشطاء من مناطق سكنهم الى اماكن أخرى في المناطق المحتلة ولفترة محدّدة. وأوضحت مصادر أمنية ان الهدف من ذلك هو الامتناع عن ابعاد النشطاء الى الخارج، وبالتالي، تجنّب اجراءات محكمة العدل العليا الاسرائيلية (**هآرتس**، ٢/٧/١٩٩٠).

• قالت قوات الامن الاسرائيلية انها كشفت شبكة تنظيمية فدائية تابعة لـ «فتح»، عملت في منطقة اريحا، ووجّهت اليها تهمة تهريب أسلحة باخفائها في سيارات ونقلها عبر نهر الاردن الى الضفة الفلسطينية (**هآرتس**، ٢/٧/١٩٩٠).

• نقلت صحيفة «يديعوت احرونوت» الاسرائيلية عن مصادر فلسطينية انه من المتوقع عقد صفقة تبادل أسرى بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل خلال أيام. وذكرت المصادر ان المنظمات الفلسطينية قامت باعداد قوائم بأسماء المرشحين لاطلاق سراحهم (**الاهرام**، ٢/٧/١٩٩٠).

• أعلن النائب الاردني، ذيب مرجي، تشكيل حزب اردني ذي قيادة مستقلة متفرع من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. اتخذ القرار، الاول من أمس، في ختام أعمال اللجنة المركزية للجبهة الشعبية التي عقدت في دمشق، واستغرقت أربعة أيام (**الحياة**، ٢/٧/١٩٩٠).

• ذكر وزير الاستيعاب الاسرائيلي، اسحق بيرتس، ان ٥٧٧٤٣ مهاجراً، من بينهم حوالى خمسين ألفاً من الاتحاد السوفياتي، وصلوا اسرائيل في النصف الاول من العام ١٩٩٠؛ كما سجّلت معدّلات الهجرة رقماً قياسياً في حزيران (يونيو) الماضي، حيث وصل اسرائيل ١٢٤٥٧ مهاجراً، منهم أحد عشر ألفاً من الاتحاد السوفياتي (**هآرتس**، ٢/٧/١٩٩٠).

٢/٧/١٩٩٠

• فرضت سلطات الاحتلال الاسرائيلية حصاراً عسكرياً مشدّداً على مدينة القدس المحتلة، وحوّلتها الى ثكنة عسكرية، ومنعت المواطنين، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، من دخولها لاداء صلاة العيد. وذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان مواجهات عنيفة وقعت في رام الله وبلدتي الظاهرية وترقوميا، قرب الخليل، وان السلطات الاسرائيلية فرضت حظر تجوّل على مخيمات عدة في قطاع غزة، فيما استمر حظر التجول مفروضاً على مدينة طولكرم (**الشرق الاوسط**، ٣/٧/١٩٩٠).

• اجتمع مستشار رئيس الاركان العامة الاسرائيلية لشؤون استخلاص العبر، اللواء موشي باركوخفا، بوزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس،

في مكتب ارنس، في تل ـ أبيب، حيث طرح عليه الصعوبات التي يواجهها الجيش في محاولاته القضاء على الانتفاضة، وقال انه لا تتوفّر امكانية لذلك. وذكرت مصادر اسرائيلية مقرّبة من باركوخفا انه أكد لوزير الدفاع انه «كلّما مرّ الوقت اصبح الوضع في غير صالحنا». وفي ختام الاجتماع، عرض باركوخفا على ارنس خطة لقمع الانتفاضة (هآرتس، ٣/٧/١٩٩٠).

• كشف رئيس ادارة الوكالة اليهودية، سيمحا دينتس، النقاب عن تزايد وتيرة الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي، حيث وصل اسرائيل في الساعات الاربع والعشرين الاخيرة ١٤٠٠ مهاجر. وكذّب دينتس الانباء التي ذكرت ان السوفيات بدأوا يضعون العراقيل في وجه طالبي تصاريح المغادرة الى اسرائيل (هآرتس، ٣/٧/١٩٩٠).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في حضور وفد «ايباك»: «ان زعيماً مثل الرئيس المصري، حسني مبارك، يحظى بالقبول لدى شعبه وشعوب الشرق الاوسط، هو وحده الذي يستطيع دفع السلام الى أمام، من خلال عمل مشترك مع اسرائيل» (عل همشمار، ٣/٧/١٩٩٠).

٣/٧/١٩٩٠

• أقسم الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، على ان تستمر الانتفاضة الفلسطينية الى ان يرتفع علم فلسطين فوق القدس عاصمة دولة فلسطين. وأدّى عرفات هذا القسم خلال احتفال أُقيم عند نصب الشهداء الفلسطينيين في مقبرة الشهداء، في ضاحية تونس الجنوبية، بمناسبة عيد الأضحى، قال: «باسم الشهداء، وعلى رأسهم الشهيد الكبير [خليل الوزير] ' ابو جهاد ' اقسم على متابعة النضال حتى تحرير الاراضي الفلسطينية من الاحتلال الاسرائيلي» (الحياة، ٤/٧/١٩٩٠).

• ألقى مستوطنون قنبلة وسط تجمّع للمواطنين في قرية اذنا، ممّا ادّى الى استشهاد كل من محمد عبدالله محمود رضوان فرج الله (١٩ عاماً)، وحازم سلامة الطميزي (١٩ عاماً)، ومحمود احمد نمر ابو جحيشة (١١ عاماً)؛ كما أصيب بجروح عدد آخر من المواطنين. وفي مدينة خان يونس، استشهد المواطن علّام محمود ابوحداید (١٦ عاماً)، في اثناء قيامه برفع علم فلسطين على عمود كهرباء، حيث صعقه التيار الكهربائي. وكانت مدن وقرى ومخيمات عدة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة شهدت تظاهرات واشتباكات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية، حين انطلقت مسيرات ضخمة في أول أيام عيد الاضحى، حيث قام المواطنون بزيارة قبور الشهداء. وقد فرضت السلطات الاسرائيلية حظر التجول على مناطق عدة (وفا، ٣/٧/١٩٩٠).

• قرر رئيس الاركان الاسرائيلية، الجنرال دان شومرون، عدم توزيع تقرير خاص حول مرور عامين على انطلاقة الانتفاضة على الجيش الاسرائيلي. وكان قسم التاريخ التابع لرئاسة الاركان الاسرائيلية، الذي يرأسه العقيد بيلي ميخلسون، قام باعداد هذا التقرير، الذي تناول أساليب عمل الجيش الاسرائيلي في المراحل الاولى، واللاحقة، للانتفاضة الفلسطينية (عل همشمار، ٤/٧/١٩٩٠).

• قدّم سفير اسرائيل لدى مصر، شمعون شامير، استقالته الى وزير خارجية اسرائيل، دافيد ليفي. وقال شامير، في تصريح أدلى به للاذاعة الاسرائيلية، انه قرّر الاستقالة في اليوم الذي تمّ فيه تشكيل حكومة جديدة، لأنه لا يؤيدها، ولا يؤيد، أيضاً، برنامجها (الاهرام، ٤/٧/١٩٩٠).

• صرّح وزير الصناعة والتجارة الاسرائيلية، موشي نسيم، في حضور اللجنة الاقتصادية التابعة للكنيست، بأنه لا توجد سياسة اقتصادية اسرائيلية بعيدة المدى. «وفي الاقتصاد، لا تعتبر السياسة قصيرة المدى بمثابة سياسة. لهذا، ينبغي على حكومة اسرائيل وضع سياسة اقتصادية طويلة الأجل» (هآرتس، ٤/٧/١٩٩٠).

• أعلنت حكومة فنلندا عن عزمها على السماح بقيام رحلات انتقالية للمهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي وهم في طريقهم الى اسرائيل، أو الى دول أخرى. وأشار بيان رسمي الى ان فنلندا اعتمدت، في اتخاذ هذا القرار، على اعتقادها بأن اسرائيل لن تقوم بتوطين المهاجرين في المناطق المحتلة. من جانبها، أعربت الدوائر الاسرائيلية المختصة عن ارتياحها للقرار الفنلندي (عل همشمار، ٤/٧/١٩٩٠).

٤/٧/١٩٩٠

• وصل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، أمس، الى العاصمة اليمنية، صنعاء، في زيارة تستمر أياماً عدة. وذكر مصدر رسمي يمني ان عرفات سوف

يبحث مع الرئيس اليمني، علي عبدالله صالح، في التطورات الاخيرة، على صعيد القضية الفلسطينية، وكذلك في الوضع في الاراضي المحتلة وفي المنطقة العربية (الحياة، ٥/٧/١٩٩٠).

• زيّنت الشعارات الوطنية وعلم فلسطين مختلف مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، فيما استمرت مظاهر الاحتفالات، الخاصة بعيد الاضحى المبارك، بالمسيرات وزيارة المقابر، وخصوصاً أضرحة الشهداء، وتقديم الحلوى والمواد التموينية وهدايا والعاب الاطفال الى ذوي ضحايا الاحتلال من الشهداء والجرحى والمعتقلين. وسجّلت أعمال قمع اسرائيلية لتظاهرات ومسيرات عدة، خصوصاً في البيرة، حيث اشترك مستوطنون، الى جانب الجيش، في تفريق مسيرة تجمّعت حول نصب الجندي المجهول. وأسفرت الصدامات بين المستوطنين وأهالي البيرة عن اصابة ثلاثة مواطنين بجروح. كما وقعت اشتباكات متفرقة أخرى عنفت في مخيمات جباليا وخان يونس وحيّ الصبرة وحيّ الشيخ رضوان في غزة، وامتدت حتى منتصف الليل في الشابورة، في رفح، حيث وقعت اصابات عدة (الاتحاد، ٥/٧/١٩٩٠).

• استشهد ثلاثة فدائيين، في اثناء اشتباك مع جنود من «جيش جنوب لبنان»، وقع غرب بلدة جزّين (هآرتس، ٥/٧/١٩٩٠).

• أكد وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، استعداد اسرائيل للتفاوض مع سوريا، قائلاً ان «ليس ثمّة ما يحول دون ذلك الآن». وأضاف: «اننا نأمل في ان تكون سوريا قد بدأت تتحوّل في الاتجاه البراغماتي، والاهتمام بمسيرة السلام» (عل همشمار، ٥/٧/١٩٩٠).

١٩٩٠/٧/٥

• دعا الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، الولايات المتحدة الاميركية، مجدداً، الى الكفّ عن سياستها المنحازة الى جانب اسرائيل، وحمّلها مسؤولية أي تدهور في الوضع، وازدياد العنف في المنطقة، وعدم التقدّم على طريق السلام. جاء ذلك في رسالة بعث بها الرئيس عرفات، أمس، الى رئيسة لجنة ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف سفيرة السنغال لدى الامم المتحدة، عبسه كلود ديالو، في مناسبة عقد ندوة خبراء المنظمات غير الحكومية تحت شعار «م.ت.ف. ودورها في التنمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للشعب الفلسطيني، وبرنامجها السياسي من اجل تحقيق الدولة للشعب الفلسطيني» (الحياة، ٦/٧/١٩٩٠).

• استشهدت الطالبة وفاء خميس صالح عليّان (١٧ عاماً)، من مخيم الشاطىء، اثر اصابتها بعيار ناري في رأسها عند مدخل مدرستها الثانوية، بتاريخ ١٠/٦/١٩٩٠. وقد تنقّلت وفاء بين مستشفيات عدة قبل وفاتها وأُجريت لها اربع عمليات جراحية، ونقلت، أخيراً، الى مستشفى الهلال الاحمر الفلسطيني في القاهرة، حيث فارقت الحياة هناك. من جهة أخرى، تواصلت الاشتباكات الواسعة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن اصابة عدد من المواطنين بجروح (الاتحاد، ٦/٧/١٩٩٠).

• زعم رئيس شعبة القوى البشرية في الجيش الاسرائيلي، ران غورن، ان الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة يسيطر على الارض ويملك زمام المبادرة؛ «أمّا امكانات استخدام القمع التامّ للعنف والاستخدام الكامل والمنظم للجهاز المدني، فانها لم تتحقق بعد». وأضاف: «لم يفشل الجيش الاسرائيلي في تصديه للانتفاضة، التي لا تعتبر حرباً بالمفهوم الشائع والتقليدي للحرب؛ ولذلك، يجب عدم قياس نجاح، او فشل، الجيش الاسرائيلي وفقاً لمعايير الحرب العادية» (معاريف، ٦/٧/١٩٩٠).

• انتقد رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، رؤساء الادارة الاميركية، وقال انهم «يعتقدون، احياناً، بامكان التوصل الى حل لأي مشكلة بسرعة البرق؛ لكن الوضع في الشرق الاوسط، للأسف، ليس على هذا النحو». وأضاف شامير: «لا يكفي حل مشاكلنا مع الفلسطينيين وحدهم. فحتى لو توصّلنا الى اتفاق مع الفلسطينيين، فقد تعارضه دولة عربية هامّة، أو مجموعة من الدول العربية. ومثل هذا سوف يؤدي الى زيادة التوتّر في المنطقة، وما صدر من تصريحات في بغداد، في الفترة الاخيرة، يكفي لتأكيد ذلك» (هآرتس، ٦/٧/١٩٩٠).

• أبدى وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، قلقه من تطوّر القوة العراقية. وقال، في خلال جولة قام بها على قطاع غزة، ان الرئيس العراقي، صدام حسين، يثير قلق اسرائيل، لأنه يلقي، بشكل يومي، خطباً يتحدث فيها عن احتمال نشوب الحرب. وأضاف ارنس، ان اسرائيل تملك القدرة على الرد على

تهديدات العراق، وسوف تبذل قصارى جهدها لردعه عن القيام بهجوم ضدها. وتحدث ارنس عن مسيرة السلام، فقال انه يجري جولات ولقاءات، اسبوعياً، في المناطق المحتلة، بهدف خلق الأسس التي تتيح «لنا مواصلة التحدث والتفاوض، وفقاً لمبادرة السلام الاسرائيلية» (هآرتس، ٦/٧/١٩٩٠).

• بعث وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، برسالة الى نظيره الاسرائيلي، دافيد ليفي، أعرب فيها عن رغبته في التعاون معه، ووصفه بأنه «شخص قادر على حل المشاكل»، من اجل ازالة العقبات التي تتعلق بتشكيل الوفد الفلسطيني الى الحوار مع اسرائيل (نيويورك تايمز، ٦/٧/١٩٩٠).

١٩٩٠/٧/٦

• اكد الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، ان التحرك المصري الاخير لاقناع الولايات المتحدة الاميركية بمعاودة الحوار مع م.ت.ف. تمّ بالتفاهم مع المنظمة. وقال عرفات «انني على اتصال بالرئيس المصري، حسني مبارك، وان هناك تنسيقاً كاملاً بين مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية حول هذا الموضوع» (الاهرام، ٧/٧/١٩٩٠).

• تواصلت المواجهات والصدامات بين المواطنين في المناطق المحتلة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن جرح ثلاثين مواطناً، واصابة جندي اسرائيلي بحجر في رأسه، في اثناء اشتباك وقع في يَعْبَد، واصابة مستوطن، اثر رشق سيارته بالحجارة، في اثناء مرورها في الخليل. وفرضت السلطات الاسرائيلية حظر التجول على قرية بديا، قضاء نابلس، في أعقاب القاء زجاجتين حارقتين على دورية عسكرية اسرائيلية مرّت في القرية. كما أعلنت السلطات الاسرائيلية الخليل منطقة عسكرية مغلقة، وأغلقت شارع فيصل، في نابلس، بعد انفجار جسم مشبوه (الرأي، ٧/٧/١٩٩٠).

• دعا الرئيس الاميركي، جورج بوش، الى محادثات «تنتهي الى السلام» يجب ان يشترك فيها الفلسطينيون؛ مكرراً مطالبته الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، باتخاذ اجراء ضد «الشخص الذي ارتكب العملية [البحرية]» شرطاً لاستئناف الحوار. كما طلب «ايضاحات صريحة» في شأن اسئلة طرحها على اسحق شامير، و«أمل في ان تتحرك اسرائيل الى أمام، مجدداً» (نيويورك تايمز، ٧ ـ ٨/٧/١٩٩٠).

١٩٩٠/٧/٧

• اجتمع الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، مع الرئيس المصري، حسني مبارك، في صنعاء، وتمّ، خلال الاجتماع، الذي عقد في مقر الجناح الخاص بالرئيس اليمني في القصر الجمهوري، في تعز، بحث في آخر تطورات القضية الفلسطينية، بشكل خاص، والمستجدات على الساحة العربية، بوجه عام (الاهرام، ٦/٧/١٩٩٠).

• انضمّ مواطن الى قافلة شهداء الانتفاضة بعد اصابته برصاص قوات الاحتلال الاسرائيلية. فقد استشهد شاب حاول الهرب من السجن، فأطلق الجنود الاسرائيليون النار عليه وأصابوه بطلقات عدة. غير ان الرواية هذه لم تتأكد؛ اذ سبق للقوات الاسرائيلية ان قتلت معتقلين فلسطينيين في السجون بشكل متعمّد، واختلقت روايات لتبرير جرائمها. من جهة أخرى، عمّت المواجهات والاشتباكات مناطق عدة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، وأُصيب، في خلالها، ستون مواطناً، وجندي اسرائيلي، وتمّ تحطيم ٢٥ سيارة اسرائيلية؛ كما هاجم شبان الانتفاضة، في بيت لحم، سيارة اسرائيلية تابعة لجهاز المخابرات وحطّموا زجاج حافلة للمستوطنين في قرية حوسان (الرأي، ٨/٧/١٩٩٠).

• استشهد سجين فلسطيني بعد محاولة هرب لم يكتب لها النجاح من سجن عوفر القريب من رام الله، حيث اطلق حراس السجن النار عليه، في اثناء المحاولة (عل همشمار، ٨/٧/١٩٩٠).

• اعلن المتحدث باسم الجيش الاسرائيلي استناداً الى مصادر لبنانية، ان ثمانية اشخاص أصيبوا خلال غارة قامت بها طائرات سلاح الجو الاسرائيلي ضد مواقع تابعة للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة تقع جنوب بلدة السلطان يعقوب وشمال مدينة طرابلس (هآرتس، ٨/٧/١٩٩٠).

١٩٩٠/٧/٨

• طُعن شرطي اسرائيلي فأُصيب بجروح خطرة قرب كنيسة القيامة في القدس، في الوقت الذي تصاعد التوتر الشديد في الاراضي المحتلة. فقد ذكر شهود عيان ان مهاجماً مجهولاً طعن أحد شرطيَيْن كانا يقومان بدورية في الأزقة الضيّقة المزدحمة بالمتسوّقين، فسقط الشرطي عند باب كنيسة القيامة وسط مجموعة من السياح. وأغلقت القوات الاسرائيلية المداخل

المؤدية الى القدس، واعتقلت عدداً من الفلسطينيين. من جهة أخرى، شهدت مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة مواجهات وصدامات أدّت الى اصابة أكثر من ٣٥ مواطناً، واعتقال حوالى ٥٥ آخرين (**الرأي**، ٩/٧/١٩٩٠).

• انفجرت شحنة ناسفة في بيتح تكفا. وذكرت مصادر اسرائيلية ان الانفجار لم يسفر عن اصابات أو أضرار (**هآرتس**، ٩/٧/١٩٩٠).

• قال رئيس الدائرة الاقتصادية في م.ت.ف. «ابو علاء»، ان المنظمة تريد استثمارات اوروبية خاصة في الاراضي المحتلة. وكان ابو علاء يتحدث عن الاجراءات الاقتصادية الاخيرة التي اتخذتها المجموعة الاوروبية من اجل الفلسطينيين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، من خلال «قمة دبلن» الشهر الماضي. وأضاف ابو علاء ان الاجراءات هذه أظهرت ان المجموعة الاوروبية أدركت ضرورة الفصل بين الاقتصادين، الاسرائيلي والفلسطيني، ودعم المؤسسات الاقتصادية الفلسطينية (**الحياة**، ٩/٧/١٩٩٠).

• وعد وزير الخارجية الهنغارية، يسبلفيسكي، وزير التعليم الاسرائيلي، زفولون هامر، بأن تواصل الحكومة الهنغارية تقديم مساعداتها في مجال تأمين انتقال اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل. وكان الوزيران، الهنغاري والاسرائيلي، عقدا اجتماعاً في مكتب يسبلفيسكي، في بودابست، في حضور سفير اسرائيل لدى هنغاريا، شلومو ماروم. وكان هامر سافر الى هنغاريا لتمثيل حكومة اسرائيل في حفل ازاحة الستار عن النصب التذكاري لذكرى يهود هنغاريا الذين قتلهم النازيون في اثناء الحرب العالمية الثانية (**هآرتس**، ٩/٧/١٩٩٠).

• أعلن وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، عن ان هناك حاجة ماسّة الى عملية سلام في المنطقة يمكن ان تتمّ من خلال حوار بين الفلسطينيين والاسرائيليين، وأعرب عن أمله في امكان بدء هذا الحوار، لأنه «أمر جوهري لدفع عملية السلام الى أمام» (**الواشنطن بوست**، ٩/٧/١٩٩٠).

٩/٧/١٩٩٠

• شهدت الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين اضراباً عاماً، بمناسبة مرور ٣١ شهراً على انطلاقة الانتفاضة، فيما تواصلت المصادمات والمواجهات العنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن اصابة واعتقال عشرات المواطنين؛ كما أُصيب جنديان اسرائيليان، في اثناء مواجهات وقعت في قرية بلعه، شوهدا والدماء تنزف من رأسيهما. وقامت القوات الاسرائيلية بهدم منزلين في حي الرمال، في غزة؛ كما فرضت حظر التجول على ميدان فلسطين وشارع عمر المختار في المدينة، ولا تزال تفرض حظر التجول على قرية بديا، لليوم الرابع على التوالي (**الرأي**، ١٠/٧/١٩٩٠).

• أكد وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، تلقّي اسرائيل تحذيرات من احتمال قيام منظمات فدائية بنشاطات ضدها، مستخدمة طائرات شراعية (**هآرتس**، ١٠/٧/١٩٩٠).

• احترق القمر الاصطناعي الاسرائيلي «افق ـ ٢» عند دخوله الغلاف الجوي للارض، في اثناء عودته من رحلته التي بدأت في نيسان (ابريل) ١٩٩٠، بعد ان مكث في الفضاء ٩٧ يوماً، متجاوزاً المدة المقرّرة له وهي ما بين ٥٠ ـ ٦٠ يوماً (**هآرتس**، ١٠/٧/١٩٩٠).

• رأت مصادر مقرّبة من الادارة الاميركية ان رسالة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، الى نظيره الاسرائيلي، دافيد ليفي، لا تعني، في أي حال، موافقة اميركية على رفض رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، اشراك مبعد فلسطيني، أو احد سكان القدس الشرقية في الوفد الفلسطيني، الى الحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني المزمع عقده في القاهرة (**انترناشونال هيرالد تريبون**، ١٠/٧/١٩٩٠).

١٠/٧/١٩٩٠

• استقبل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، عبدالقادر ياسين، مستشار الشؤون العربية للرئيس التشادي، حسين حبري. وكشف المستشار ياسين، في أعقاب الاجتماع، عن انه حمل رسالة من الرئيس حبري الى الرئيس عرفات «تتعلّق بجهود عرفات الخيّرة لانهاء حالة التوتر في المنطقة، وكذلك بالعلاقات الثنائية [بين تشاد وفلسطين] وسبل تطويرها» (**وفا**، ١٠/٧/١٩٩٠).

• استشهد، أمس، المواطن سمير صبري غريب (٢٥ عاماً)، من بيت اجزا، قضاء رام الله، اثر اصابته برصاص احد عملاء المخابرات الاسرائيلية، في اثناء تواجده في قرية قطنة المجاورة. وفي غضون

ذلك، واصلت قوات الاحتلال الاسرائيلية حملات الارهاب والقمع والتنكيل ضد المواطنين في الاراضي المحتلة، فأصابت، بجروح، أكثر من سبعين مواطناً، منهم ٢٧ اصيبوا في قباطية؛ كما قامت القوات الاسرائيلية بحملة اعتقالات واسعة تركّزت على قرى كفرعين وكوبر ودير جرير ودير ابزيع والسمّوع وكفر شوفة، في مناطق رام الله؛ وكذلك على مدن الخليل وطولكرم وجنين (**الرأي**، ١١/٧/١٩٩٠). وفي صحراء النقب، أُلقيت ثلاث زجاجات حارقة خلف السور الالكتروني القريب من كيبوتس «كيسوفيم»، ممّا ادّى الى اشعال النار بأحد الحقول القريبة من الكيبوتس (**هآرتس**، ١١/٧/١٩٩٠).

• ذكر التقرير السنوي لمنظمة «امنيستي»، في فصله المتعلق باسرائيل، ان أكثر من ٢٦٠ فلسطينياً قتلوا بالذخيرة الحيّة على أيدي قوات الامن الاسرائيلية في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة خلال الانتفاضة. واستخلص التقرير ان حكومة اسرائيل تشجّع عمليات الاعدام دون محاكمة. وأكد التقرير، كذلك، اعتقال ٢٥ ألف فلسطيني منذ بداية الانتفاضة، منهم أربعة آلاف معتقل اداري من دون محاكمة، وبدون تقديم لوائح اتهام ضدهم. وحسب التقرير، بلغ عدد المعتقلين، في أواخر العام ١٩٨٩، أكثر من ١٣ ألف معتقل (**هآرتس**، ١١/٧/١٩٩٠).

• قرّر وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، بناء على نصائح اطبائه، تأجيل اجتماعه بنظيره الاميركي، جيمس بيكر، الذي كان من المقرر عقده في الثامن عشر من تموز (يوليو) الجاري، في باريس (**هآرتس**، ١١/٧/١٩٩٠).

• أوضحت معطيات مكتب الاحصاء المركزي الاسرائيلي ان العجز التجاري الاسرائيلي ازداد، في الفترة من كانون الثاني (يناير) حتى حزيران (يونيو) من هذا العام، بنسبة ٢١ بالمئة، مقارنة بالفترة من تموز (يوليو) وحتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩. فقد بلغ العجز التجاري، خلال النصف الاول من العام الجاري ١,٥ مليار دولار (**هآرتس**، ١١/٧/١٩٩٠).

١١/٧/١٩٩٠

• صرّح رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، بأن أية محاولة لتجاوز م.ت.ف. «تشكّل أفضل وصفة للقضاء على فرص السلام في المنطقة، بالاضافة الى كونها أمراً مستحيلاً». وأكد الرئيس عرفات، في رسالة وجّهها بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها الثاني والثلاثين، ان «لا أمن في الشرق الاوسط الّا من خلال الامن الفلسطيني واقرار الحقوق الفلسطينية». ودعا عرفات الفلسطينيين في الاراضي المحتلة الى «التزام أقصى درجات الحيطة والحذر ازاء المؤامرات التي تستهدف ضرب الوحدة الوطنية الفلسطينية» (**الحياة**، ١٢/٧/١٩٩٠).

• استشهد، أمس، منذر زهدي الضابط (١٥ عاماً)، من سكان مخيم شعفاط، بعد اصابته برصاصة خلال صدامات وقعت بين المواطنين في المخيم وبين قوات الاحتلال الاسرائيلية؛ كما أُصيب ما لا يقل عن ثلاثين مواطناً واعتقل خمسون آخرون في اشتباكات وصدامات وقعت في مدن وقرى ومخيمات أخرى في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وتمكّنت القوات الضاربة الفلسطينية من مهاجمة عدد من السيارات الاسرائيلية، المدنية والعسكرية، والحاق اضرار مادية بها، وتفجير عبوة ناسفة في قرية بيت حانون، في اثناء مرور دورية عسكرية اسرائيلية في المنطقة (**الرأي**، ١٢/٧/١٩٩٠).

• رفض الكنيست الاسرائيلي، بأغلبية الاصوات، اقتراحين من جانب كتل اليمين واليسار لتشكيل لجنة تحقيق لتقصّي الحقائق حول مسؤولية وزير الدفاع الاسرائيلي السابق، اسحق رابين، عن تجاوزات قوات الامن الاسرائيلية في محاولة اخماد الانتفاضة في المناطق المحتلة (**دافار**، ١٢/٧/١٩٩٠).

• ذكر رئيس مجلس ادارة شركة المياه الاسرائيلية «مكوروت»، بيما بينبلوم، ان نقص المياه في اسرائيل بلغ كميّة متراكمة تقدر بمليارى متر مكعب، وان استهلاك المياه يفوق الكميّة التي تستطيع اسرائيل توفيرها، وان الوضع ينذر بكارثة (**هآرتس**، ١٢/٧/١٩٩٠).

• قال وزير البناء والاسكان الاسرائيلي، اريئيل شارون، في جلسة المدراء العامّين لوزارته، انه قرّر تطبيق اجراءات طوارىء فورية تشمل شراء ٤٥ ألف منزل جاهز، بتكلفة تتراوح بين ٢٠ ـ ٢٥ ألف دولار لكل وحدة سكنية، منها اربعون الفاً سوف يتمّ شراؤها من الخارج، وحوالى خمسة آلاف سوف يتمّ انتاجها في الداخل، وذلك للتغلّب على النقص الشديد في الشقق اللازمة لاسكان المهاجرين اليهود الجدد والازواج

والشباب (هآرتس، ١٢/٧/١٩٩٠).

١٢/٧/١٩٩٠

• استقبل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في تونس، وفداً برلمانياً من حزب المحافظين البريطاني، برئاسة النائب روبرت هيكس، وعضوية النائبين، سريل تاونسند وريتشارد الكسندر. وأعرب الوفد البريطاني، الذي كان في جولة على الاراضي المحتلة، للرئيس عرفات عن اعجابه وتقديره لروح المقاومة والصمود العالية التي يتحلّى بها الشعب الفلسطيني، على الرغم من الممارسات الوحشية الاسرائيلية. من جانبه، استعرض الرئيس عرفات الوضع داخل المناطق المحتلة، وحذّر من مخاطر انفجار الوضع، جرّاء تشكيل الحكومة الارهابية الاسرائيلية وتصاعد الجرائم والمجازر ضد ابناء الشعب الفلسطيني، ونبّه الى خطورة تدفّق موجات المهاجرين اليهود من مختلف انحاء العالم، وتوطينهم في الاراضي المحتلة (وفا، ١٢/٧/١٩٩٠).

• تواصلت المواجهات والصدامات العنيفة في الاراضي المحتلة، فنجم عنها جرح ما يقارب ٣٥ مواطناً واعتقال ٤٢ آخرين. وصعّدت القوات الضاربة الفلسطينية ضرباتها ضد سيارات وآليات العدو، حيث حطّمت، وأعطبت، منذ يومين وحتى الآن، أربعين سيارة، منها ١٨ سيارة حُطّمت في مخيم شعفاط (الراي، ١٣/٧/١٩٩٠).

• وضع مجلس مستوطنات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، بالتعاون مع حركة «هتحياه»، خطة تتألف من ثلاثة وعشرين بنداً لـ «التصدي للانتفاضة». وقد قدّمت الخطة الى وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، والى أوساط أمنية اسرائيلية. ويقترح الخط الاساسي في الخطة «فرض النظام في الضفة وغزة بمساعدة قوات أمن عربية»، وذلك على غرار «جيش جنوب لبنان». وذكر واضعو الخطة انه «مثلما نجحت اسرائيل في اقامة قوة مسلّحة عربية في جنوب لبنان، ينبغي عليها ان تفعل ذلك في المناطق [المحتلة]» (هآرتس، ١٣/٧/١٩٩٠).

• انتحر جندي اسرائيلي شنقاً في المعتقل ـ ٦، ليصبح الجندي العاشر الذي ينتحر منذ بداية نيسان (ابريل) الماضي. وقد عبّرت قيادة الجيش الاسرائيلي عن قلقها ازاء هذا العدد المرتفع من المنتحرين (معاريف، ١٣/٧/١٩٩٠).

• قال وزير البناء والاسكان الاسرائيلي، اريئيل شارون، في حضور اتحاد المقاولين والبنّائين الاسرائيليين، في رمات ـ غان، ان طاقم شؤون الهجرة قرّر خطة طوارىء لاسكان مهاجرين في مضافات الشباب ومصحّات الجيش الاسرائيلي وبيوت الضيافة في الكيبوتسات والمنازل غير المأهولة التابعة للحكومة. ووفقاً لاستقصاء اجرته وزارة البناء والاسكان، يحتمل ان توفّر هذه الاماكن ما بين ٥٠ ـ ٧٠ الف غرفة لحل مشاكل اسكان المهاجرين اليهود (يديعوت احرونوت، ١٣/٧/١٩٩٠).

• أفاد مصدر اميركي مطلع على المحادثات السوفياتية ـ الاميركية، التي أجريت في واشنطن بشأن قضية الشرق الاوسط، بأن المحادثات انحصرت في تبادل الآراء في شؤون المنطقة، خصوصاً في سبل احياء عملية السلام المتعثّرة، اضافة الى تبادل الآراء في شأن هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل (الواشنطن بوست، ١٣/٧/١٩٩٠).

١٣/٧/١٩٩٠

• استمرت الاشتباكات عنيفة في المناطق الفلسطينية المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن اصابة أكثر من ٩٥ مواطناً بالرصاص والغاز، أو جرّاء الاعتداء عليهم بالضرب المبرّح. ووقع أعنف الصدامات في قباطية ومخيم شعفاط ومخيم البريج. وذكرت تقارير ان جنديين اسرائيليين أُصيبا بجروح في بلدة قباطية؛ كما دُمّرت أربع سيارات عسكرية اسرائيلية، عندما هاجمت قوات ضاربة فلسطينية دوريات اسرائيلية مرّت في قباطية؛ وبذلك وصل عدد السيارات والحافلات الاسرائيلية التي دُمّرت، أو حُطّم زجاجها، ٢١ على الاقل (وفا، ١٠/٧/١٩٩٠).

١٤/٧/١٩٩٠

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، مع الرئيس السوداني، عمر احمد البشير. وأُجري، خلال الاجتماع، بحث في آخر التطورات السياسية الراهنة والمستجدة على الوضع في منطقة الشرق الاوسط، وآخر التطوّرات في المناطق الفلسطينية المحتلة، في ضوء التصعيد الاسرائيلي ضد الانتفاضة الشعبية الفلسطينية. وكان الرئيس عرفات وصل الخرطوم مساء، في زيارة للسودان، رافقه فيها عدد من مستشاريه (وفا، ١٤/٧/١٩٩٠).

• فرضت قوات الاحتلال الاسرائيلية حظر التجول على رام الله، في أعقاب القاء زجاجة حارقة على نقطة عسكرية قرب سوق الخضار في المدينة. كما اصيب جندي اسرائيلي بجروح في بيت ساحور، وآخر في قرية سيلة الظهر، في منطقة جنين، اثر رشق دوريات اسرائيلية بالحجارة. وصدمت سيارة عسكرية، عمداً، في حي الشيخ رضوان، في غزة، وفي قرية الرشايدة، وفي بيت لحم، أربعة مواطنين، ممّا ادّى الى اصابتهم بجروح وكسور خطرة. وأُصيب، كذلك، سبعة مواطنين آخرين باختناق، جرّاء استنشاق الغاز في بيت حانون وفي حي الزيتون في غزة؛ وأُصيب ثمانية آخرون بكسور ورضوض، جراء الضرب بالهراوات في مخيم جباليا واحياء صبرة والرمال والتفاح في غزة. وبذلك، بلغ اجمالي جرحى الانتفاضة الفلسطينية، اليوم، ٤٥ جريحاً (**الراي**، ١٥/٧/١٩٩٠).

• نشب خلاف بين الوقف الاسلامي وبين وزارة الاديان الاسرائيلية، على خلفية تبرّع ملك المغرب، الحسن الثاني، للمجلس الاسلامي الاعلى بثمانية آلاف متر مربع من السجاد للمسجد الاقصى. فقد وافقت وزارة الاديان الاسرائيلية على دفع القيمة الجمركية على دخول السجاد، والتي تزيد على مليون شيكل، حتى انها نقلت طلباً الى المسؤولين في الموانىء لتحويل الطلب الى وزارة الاديان، لكن اوساط الوقف الاسلامي طلبت ان يصل السجاد عبر جسر اللنبي لعدم اعترافها بسيادة اسرائيل على القدس (**هآرتس**، ١٥/٧/١٩٩٠).

• تقوم قوات كبيرة من الجيش الاسرائيلي منذ صباح يوم الجمعة الماضي، بأعمال بحث وتفتيش واسعة عن طائرة دورية تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي من نوع «عاغور»، اقلعت من قاعدتها في وسط اسرائيل دون اذن واختفت آثارها بعد الاقلاع. وقد شكّل قائد سلاح الجو الاسرائيلي، افيهو بن ـ نون، طواقم للتحقيق. وعلم ان الطيار، وهو نقيب في قوات الاحتياط، يبلغ من العمر ٣٣ عاماً، كان في حالة استعداد داخل القاعدة، حين دخل طائرته وأقلع بها دون اذن قبيل انبلاج الفجر (**معاريف**، ١٥/٧/١٩٩٠).

• تقدّم وزير البناء والاسكان الاسرائيلي، اريئيل شارون، بطلب الى قيادة الجيش الاسرائيلي لاخلاء قواعد الجيش وتحويلها الى مراكز استيعاب مؤقتة. وقال مصدر رفيع المستوى في وزارة الاسكان، ان قيادة الجيش الاسرائيلي وعدت بالمساعدة قدر المستطاع، لأن عملية اخلاء قواعد الجيش قد تستمر بضعة أسابيع، ريثما يتمّ العثور على قواعد بديلة ونقل العتاد اللوجستي اليها (**هآرتس**، ١٥/٧/١٩٩٠).

• صرّح رئيس هيئة الاركان المشتركة للجيش الاميركي، الجنرال كولين باويل، في ختام زيارته لاسرائيل، بأن كميات ضخمة من السلاح المتطوّر باتت متوفّرة في منطقة الشرق الاوسط؛ كما ان اعداد الجيوش اصبحت في تزايد مستمر، بدلاً من تقليصها، خلافاً لما نراه في باقي مناطق العالم. لهذا ينبغي على أي حكومة، ومن بينها الحكومة الاسرائيلية، ان تكون قلقة تجاه زيادة قوة تلك الجيوش. وأضاف كولين: «اعتقد بأن اسرائيل تمتلك القوة الاعظم، وليس ثمّة احتمال لهزيمتها، ولا أرى احتمالاً بنشوب حرب في المنطقة» (**هآرتس**، ١٥/٧/١٩٩٠).

• بعث وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، الى نظيره الاميركي، جيمس بيكر، برسالة عبّر فيها عن شكره له ازاء «جهوده الفعّالة» في المسيرة السلمية، وعن أمله واعتقاده الراسخ بوجود امكانية للسير قدماً بهذا المسار. وأوضح ليفي انه لم يستطع السفر للقاء بيكر في باريس بناء لاقتراح بيكر، بسبب مشاكل ليفي الصحية. وأعرب ليفي عن سروره لتحديد موعد للقاء بيكر في أي وقت يراه، ابتداء من الاول من آب (اغسطس) المقبل (**يديعوت احرونوت**، ١٥/٧/١٩٩٠).

• شدّد الرئيس الاميركي، جورج بوش، على ان حكومته لن تتخلّى عن مساعيها السلمية لتحريك «عملية السلام»، مؤكداً دعمه لمبادرة وزير خارجيته، جيمس بيكر؛ كما لمّح بأن رفض اسرائيل للمبادرة الاميركية سيرغم الادارة الاميركية على العودة الى نقطة البداية، والبحث في الخيارات الاخرى، «لأننا لن نجلس، هنا، من دون ان نفعل شيئاً» (**نيويورك تايمز**، ١٤ ـ ١٥/٧/١٩٩٠).

١٥/٧/١٩٩٠

• استمرت المواجهات والصدامات العنيفة في عموم الاراضي الفلسطينية المحتلة، ونجم عنها جرح حوالى ٥٥ مواطناً واعتقال ٤٥ آخرين. وتمكّنت القوات الضاربة الفلسطينية من تحطيم زجاج، واعطاب، ١٧ سيارة تابعة لقوات الاحتلال الاسرائيلية؛ كما أُصيب اثنان من جنود الاحتلال، جرّاء رشقهم بحجارة.

ودهمت القوات الاسرائيلية مناطق عدة، منها قرية تقوع ومخيم الأمعري؛ كما فرضت الحصار العسكري على قرى كوبر وابو شخيدم وسقّارين وارتاح وشوفة وبيت ليد وبيت حانون وعزبة بيت حانون، فيما استمر الحصار العسكري مفروضاً على وسط مدينة رام الله؛ واستمر غلق سوق خان الزيت، في القدس القديمة، وسوق الخضار وشارع الشهداء، في الخليل (**الرأي**، ١٦/٧/١٩٩٠).

• أجرى وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، مناقشات مع طاقم وزارته حول علاقات اسرائيل مع دول السوق الاوروبية المشتركة، تمهيداً لزيارة وزراء «التـرويكـا» الذين يتـزعّمـون، حاليـاً، دول اوروبا الغـربيـة، وهم وزراء خارجيـات ايـطاليـا وايـرلندا ولكسمبـورغ. وقد أعلن الوزراء الثلاثة عن قدومهم الى اسرائيل، بعد اعتذار ليفي عن تلبية دعوتهم له الى اللقاء بتاريخ ٢٣ من الشهر الجاري، في روما، لأسباب صحيـة. من جهـة أخرى، رأت أوساط سياسية، في القـدس، في قرار وزراء السوق المشتركة عزمهم على زيـارة اسرائـيـل، ضغـطاً غير مبـاشر من جانـب الولايـات المتحـدة الاميركية على اسرائيل (**معاريف**، ١٦/٧/١٩٩٠).

• طلب الاتحاد السوفياتي من اسرائيل، مجدداً، تقـديم ضمـانـات واضحة بأنها لن توطّن المهاجرين اليهـود من الاتحـاد السـوفياتي في المناطق المحتلة. وطالب السوفيات، ايضاً، بالتأكد من ان تصريح وزير البنـاء والاسكـان الاسرائيـلي، اريئيل شارون، عدم توطين المهـاجـرين في المناطق المحتلة، يشمل، ايضاً، القدس الشرقية (**هآرتس**، ١٦/٧/١٩٩٠).

بيبليوغرافيا

القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي

(قائمة مختارة)

اسرائيل

○ الاجتماع

١ حلاوة، احمد؛ «الهجرة اليهودية من المنظور التاريخي؛ (٢)»، **الهدف** (دمشق)، السنة ٢١، العدد ١٠١٠، ١٩٩٠/٦/١٧، ص ١٨ ـ ٢٠.

٢ ـــ ، ـــ ؛ «الهجرة اليهودية من المنظور التاريخي؛ (٣)»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠١١، ١٩٩٠/٦/٢٤، ص ١١ ـ ١٣.

٣ عبدالعال، حسن؛ «الهجرة اليهودية الثامنة؛ (٢) من كبح الارتداد الى كبح خطر النزوح»، **الحرية** (دمشق)، العدد ٣٦٤، ١٩٩٠/٦/١٧، ص ٣٣ ـ ٤٠.

٤ «مذكرة تدعو الى فتح الحدود الدولية؛ الهجرة اليهودية السوفياتية تدعم الاستيطان في القدس الكبرى»، **اليوم السابع** (باريس)، السنة ٧، العدد ٣٢٢، ١٩٩٠/٧/٩، ص ١٦ ـ ١٧.

٥ Adams, Paul; "Israel; Where Will they Live?", *Middle East International*, No. 379, 6/7/1990, pp. 6 - 7.

٦ "All Ethiopian Jews Here Next Year", *The Jerusalem Post International Edition*, 16/6/1990, p. 5.

٧ Lurie, Jesse Zel; "Russian Jews Hurry up and Wait to Leave", *The Jerusalem Post International Edition*, 23/7/1990, p. 11.

○ الاحزاب والتكتلات

٨ «الايام الحكومية للثلاثي ليفي ـ شارون ـ ارنس؛ كلام للاستهلاك الدولي، وتطوير لخطط الاستيطان والقمع»، **اليوم السابع**، السنة ٧، العدد ٣٢٣، ١٩٩٠/٧/١٦، ص ٢٤ ـ ٢٥.

٩ الحسيني، مصطفى محمد؛ «توجّهات حكومة شامير بين التكتيك والاستراتيجية [تقرير]»، **الملف** (نيقوسيا)، المجلد ٧، العدد ٤/٧٦، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٣٠٥ ـ ٣١٧.

١٠ رحايمة، عماد؛ «حكومة ' اسرائيل الكبرى ' نهاية ' اللاحرب واللاسلم ' »، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠١١، ١٩٩٠/٦/٢٤، ص ٤ ـ ٦.

١١ روزنتال، روفيك؛ «الستارة الحمائمية لحكومة شامير»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ٤/٧٦، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٣٥١ ـ ٣٥٣؛ نقلاً عن **عل همشمار**، ١٩٩٠/٦/٢٧.

١٢ سماحة، جوزيف؛ «حكومة شامير؛ المناورة في كل الاتجاهات، كسباً للوقت واستعداداً للحرب»، **اليوم السابع**، السنة ٧، العدد ٣٢٠، ١٩٩٠/٦/٢٥، ص ١٠ ـ ١٢.

١٣ السيد، يونس؛ «الليكود، تنظيماً وممارسة»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٤٤ ـ ٦٤.

١٤ العبدالله، هاني؛ «الحكومة فازت بثقة الكنيست [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١٣٨ ـ ١٤٣.

١٥ عمر، علي؛ «الحكومة الاسرائيلية؛ اليمين المسلّح»، **الحرية**، العدد ٣٦٧، ١٩٩٠/٧/١٥، ص ١٨ ـ ١٩.

١٦ "Document; The New Government's Policy Guidelines", *The Jerusalem Post International Edition*, 23/6/1990, p. 2.

١٧ Krivine, David; "Shamir's Four Challenges", *The Jerusalem Post International Edition*, 14/7/1990, p. 8.

○ الاستيطان والمستوطنات

١٨ خالد، محمود؛ «الكيان الصهيوني؛ ارهاب 'الدولة' والمستوطنين في مواجهة الانتفاضة»، **الى الأمام** (دمشق)، السنة ١٩، العدد ٢٠٤٧، ١٣/٧/١٩٩٠، ص ١٨ ـ ١٩.

١٩ شرغاي، نداف؛ «'تكثيف' المستوطنات»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ٧٦/٤، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٣٤٦ ـ ٣٥١؛ نقلاً عن **هآرتس**، ٢٢/٦/١٩٩٠.

٢٠ عميقام، بتسلال؛ «دليل المستوطن في المناطق؛ كيف تطلق النار على عربي من دون ان يلقى القبض عليك [وثيقة]»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ٧٦/٤، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٣٥٧ ـ ٣٦٢؛ نقلاً عن **عل همشمار**، ٥/٧/١٩٩٠.

٢١ المدهون، ربعي؛ «المناطق المحتلة؛ متغيّرات كبرى وردود متباينة [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١٤٤ ـ ١٤٨.

٢٢ "Explanation of U.S. Vote on the U.N. Commission on Human Rights Resolution, 'Israeli Settlements in the Occupied Territories' by the U.S. Permanent Representative to the United Nations in Geneva, Geneva, 16 February 1990 [Document]", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 193 - 194.

٢٣ "United Nations Commission on Human Rights; 'Resolution on Israeli Settlements in the Occupied Territories'; Geneva, 16 February 1990", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, p. 150.

○ الاقتصاد

٢٤ حيدري، نبيل؛ «نظرة مغايرة الى الاقتصاد الاسرائيلي»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٦٥ ـ ٧٧.

○ الشؤون العسكرية

٢٥ ابو صبيح، عمران؛ «اثر الانتفاضة على الجيش الاسرائيلي [تقرير]»، **صامد الاقتصادي** (عمّان)، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ٢٥٥ ـ ٢٦٢.

٢٦ صايغ، يزيد؛ «الشؤون العسكرية الاسرائيلية؛ خطة عمل وصفقات أسلحة [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٩٥ ـ ٩٨.

٢٧ Argaman, Yosef; "New Concept in Israeli Tank Warfare", *IDF Journal*, No. 20, Summer 1990, pp. 12 - 18.

٢٨ Levite, Ariel; "Offense and Defense in Israeli Military Doctrine", *IDF Journal*, No. 20, Summer 1990, pp. 6 - 11.

٢٩ Parnes, Sharone; "BARAK; Israeli Navy's Anti - Missile System", *IDF Journal*, No. 20, Summer 1990, pp. 41 - 47.

○ العلاقات الخارجية

٣٠ الدحلي، احمد حسن؛ «تفاصيل الاتفاق الاستراتيجي بين أديس ابابا وتل ـ أبيب»، **اليوم السابع**، السنة ٧، العدد ٣٢١، ٢/٧/١٩٩٠، ص ٢٠ ـ ٢١.

٣١ Hunter, Jane; "The U.S. and Israel Fall Out Over Ethiopia", *Middle East International*, No. 379, 6/7/1990, pp. 16 - 17.

٣٢ "Letter to President Bush from 73 U.S. Senators on Aid to Israel and Egypt; Washington, D.C., 30 January 1990 [Document]", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 192 - 193.

٣٣ "Reprinted Version of Draft Letter from U.S. Secretary of State Baker to Israeli Cabinet [Document]", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 162 - 163.

فلسطين

○ الاجتماع

٣٤ «اتحاد الجمعيات الخيرية مقرّه القدس»،

فلسطين الثورة (نيقوسيا)، السنة ١٩، العدد ٨٠٣، ٨/٧/١٩٩٠، ص ٣٠ ـ ٣١.

٣٥ خليل، سمير سلامة؛ «المؤسسات الصحية الوطنية في الاراضي الفلسطينية المحتلة بين واقع الاحتلال وآفاق الانتفاضة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ٣٨ ـ ٥١.

٣٦ «٣٥ مليون دولار لبناء مستشفى غزة العام»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٥، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ٢٤ ـ ٢٥.

٣٧ السهلي، نبيل محمود؛ «الممارسات الصهيونية بحق الاطفال الفلسطينيين انتهاك فاضح لشرعة القانون الدولي»، **بلسم** (نيقوسيا)، السنة ١٦، العدد ١٨١، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٤٧ ـ ٤٩.

٣٨ «صندوق دعم الاسرة الفلسطينية»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٣، ٨/٧/١٩٩٠، ص ٢٨ ـ ٣٠.

٣٩ عبدالحق، يوسف؛ «الاسكان والصمود الاقتصادي في الاراضي الفلسطينية المحتلة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ١١٩ ـ ١٣٢.

٤٠ عقل، عبداللطيف ويحيى جبر؛ «واقع الطفل الفلسطيني في الاراضي المحتلة من البؤس الى الانتفاضة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ١٣٣ ـ ١٦٥.

٤١ مراد، قيس؛ «[مقدمة تقرير ' المنظمة الاميركية لحماية الطفولة' بعنوان ' اوضاع الاطفال الفلسطينيين في ظل الانتفاضة في الاراضي المحتلة' ؛ (١)]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ١٦ ـ ١٨.

٤٢ ـــ ، ـــ ؛ «[مقدمة تقرير ' المنظمة الاميركية لحماية الطفولة' بعنوان ' اوضاع الاطفال الفلسطينيين في ظل الانتفاضة في الاراضي المحتلة' ؛ (٢)]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٨٠٢، ٢٤/٦/١٩٩٠، ص ٢٠ ـ ٢٢.

٤٣ ـــ ، ـــ ؛ «[مقدمة تقرير ' المنظمة الاميركية لحماية الطفولة' بعنوان ' اوضاع الاطفال الفلسطينيين في ظل الانتفاضة في الاراضي المحتلة' ؛ (٣)]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٨٠٣، ٨/٧/١٩٩٠، ص ٢٣ ـ ٢٤.

٤٤ ـــ ، ـــ ؛ «[مقدمة تقرير ' المنظمة الاميركية لحماية الطفولة' بعنوان ' اوضاع الاطفال الفلسطينيين في ظل الانتفاضة في الاراضي المحتلة' ؛ (٤)]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٥، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ٣٠ ـ ٣١.

٤٥ «المرأة الفلسطينية والانتفاضة؛ ألف معتقلة خلال عام واحد فقط»، **الحرية**، العدد ٣٦٥، ٢٤/٦/١٩٩٠، ص ٢١ ـ ٢٣.

٤٦ «ملاحظات أولية حول ندوة المكتب المركزي للاحصاء الفلسطيني بدمشق»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠١٣، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ١٨ ـ ١٩.

٤٧ نافع، جمال؛ «جمعية انعاش الاسرة ودورها الاجتماعي والاقتصادي في ظل الانتفاضة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ١٠٤ ـ ١١٨.

○ الاحزاب والتكتلات

٤٨ عبدالرحمن، خيرالدين؛ «الحركات الاسلامية في فلسطين»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٢٠ ـ ٢٩.

٤٩ «لكي لا تضيع الحقيقة؛ ردّنا على ' الحماسيين' »، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٣، ٨/٧/١٩٩٠، ص ١ ـ ٨ (ترقيم مستقل).

○ الاقتصاد

٥٠ الاسطل، عوّاد؛ «[السوق الاوروبية ومنتجات قطاع غزة الزراعية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٤، ٨/٧/١٩٩٠،

ص ١٦ ـ ١٧؛ نقلاً عن **البيادر السياسي** (القدس)، ٧/٤/١٩٩٠.

٥١ ستيتية، عدنان؛ دراسة بعض المؤشرات الاحصائية ودلالتها للخطة التنموية الفلسطينية»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ٢٢٢ ـ ٢٣٠.

٥٢ طوف، امري؛ «اقتصاد الانتفاضة»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ٧٦/٤، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٣٤١ ـ ٣٤٦؛ نقلاً عن **بمحانيه**، ٢٣/٥/١٩٩٠.

٥٣ علاونة، عاطف؛ «تدعيم غرف التجارة والصناعة في الاراضي الفلسطينية المحتلة [تقرير]»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ٢٣١ ـ ٢٣٦.

○ تراجم

٥٤ بركات، جميل؛ «الشاعر راشد حسين (١٩٣٦ ـ ١٩٧٧)»، **القدس الشريف** (عمّان)، السنة ٤، العدد ٦٠، آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ٣٦ ـ ٤٩.

٥٥ «بهجت ابو غربية يروي مذكراته؛ الحلقة ٢٧»، **القدس الشريف**، السنة ٤، العدد ٦٠، آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ١٧ ـ ٣٤.

○ التعليم

٥٦ «احتياجات الشعب الفلسطيني في مجالات اختصاصات ' اليونسكو' ؛ الكليات المتوسطة والكليات الجامعية»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ٣٥ ـ ٣٨.

٥٧ حيدر، عزيز؛ «التعليم العربي في اسرائيل وأثره على وضع العرب في سوق العمل»، **قضايا** (القدس)، العدد ٢، شباط (فبراير) ١٩٩٠، ص ٢٣ ـ ٣٤.

٥٨ الزرو، نوّاف؛ «مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية في الاراضي المحتلة بين اجراءات القمع ومواصلة الانتفاضة [تقرير]»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ٢٣٧ ـ ٢٤٨.

٥٩ عبدالرحمن، خلدون؛ «مجلس التعليم العالي في الارض الفلسطينية المحتلة [تقرير]»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٤.

٦٠ كناعنة، شريف؛ «واقع البحث العلمي ومؤسساته في الاراضي الفلسطينية المحتلة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ٨٢ ـ ١٠٣.

○ الثقافة

٦١ الجريري، علي؛ «مسرحية ' انصار' عمل ابداعي خلّاق، ولكنه عمل مكثّف وصعب ودون المتوقع»، **الكاتب** (القدس)، السنة ١٠، العدد ١٢٣، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٧٦ ـ ٨٢.

٦٢ عبدالله، وسيم؛ «حول فيلم ' نشيد الحجر' للفلسطيني ميشيل خليفي»، **اليوم السابع**، السنة ٧، العدد ٣٢٠، ٢٥/٦/١٩٩٠، ص ٣٩.

الفلسطينيون

○ الاضرابات والتظاهرات

٦٣ ابراش، ابراهيم؛ «بعد عامين على [انطلاقة] الانتفاضة؛ القضية الفلسطينية الى أين؟»، **الوحدة** (الرباط)، السنة ٦، العدد ٦٥، شباط (فبراير) ١٩٩٠، ص ١١٣ ـ ١١٩.

٦٤ ابو حسنة، نافذ؛ «بعد فشل رابين في قمع الانتفاضة، ارنس الفشل المحتوم»، **الى الأمام**، السنة ١٩، العدد ٢٠٤٧، ١٣/٧/١٩٩٠، ص ١٢ ـ ١٤.

٦٥ «احصاءات الانتفاضة والقمع الاسرائيلي خلال شهر حزيران (يونيو) ١٩٩٠»، **الصخرة** (الكويت)، السنة ٦، العدد ٣٠٤، ٩/٧/١٩٩٠، ص ٢٤ ـ ٢٥.

٦٦ «احصائيات؛ تقرير من غزة»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٣، ٨/٧/١٩٩٠، ص ٢٠ ـ ٢٣.

٦٧ «بيان الشخصيات الفلسطينية في القدس بمقاطعة القنصلية الاميركية»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ١٤ ـ ١٥.

٦٨ «[تقرير وكالة 'سنابل' في الارض المحتلة بشأن مجزرة ريشون لتسيون]»، **الحرية**، العدد ٣٦٥، ٢٤/٦/١٩٩٠، ص ١٤ ـ ١٧.

٦٩ الجمالي، محمد خير؛ «'حروب' الصهيونية المتعددة ضد الانتفاضة؛ الاتجاهات الاساسية والخلفية الاستراتيجية»، **الى الامام**، السنة ١٩، العدد ٢٠٤٦، ٢٩/٦/١٩٩٠، ص ١٥ ـ ١٧.

٧٠ حطّاب، يونس؛ «الانتفاضة في شهرها الثلاثين؛ الشهداء يصعّدون الانتفاضة»، **الحرية**، العدد ٣٦٤، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ١٩ ـ ٢٠.

٧١ خمايسي، راسم؛ «سياسة هدم المباني 'غير المرخّصة' بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٣ ـ ١٩.

٧٢ الريس، ناهض منير؛ «اسبوعيات فلسطينية؛ الانتفاضة بين الغاء قوانين الحرب وتهدئة اللعبة الاعلامية»، **الى الامام**، السنة ١٩، العدد ٢٠٤٦، ٢٩/٦/١٩٩٠، ص ٩ ـ ١١.

٧٣ شنان، عبدالباقي؛ «اللجان الشعبية ذراع الانتفاضة في الاراضي الفلسطينية المحتلة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ٢٠ ـ ٢٩.

٧٤ «شهداء [قرية] جبلة في ظل الانتفاضة»، **وطني** (سيراجيفو)، السنة ٧، العدد ١٠٧، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٢٢ ـ ٢٣.

٧٥ «صورة من اليوم الانتفاضة؛ مخيم رفح»، **وطني**، السنة ٧، العدد ١٠٧، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١٨ ـ ٢١.

٧٦ «صور من التحوّلات الاجتماعية في زمن الانتفاضة»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠٧، ٢٤/٦/١٩٩٠، ص ١٦ ـ ١٨.

٧٧ عبدالخالق، اياد؛ «العدو والانتفاضة؛ موشي ارنس: ترانسفير داخلي [للفلسطينيين]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٥، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ١٤ ـ ١٥.

٧٨ «قائمة بأسماء شهداء الشهر الحادي والثلاثين للانتفاضة»، **الكاتب**، السنة ١٠، العدد ١٢٣، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١٠ ـ ١١.

٧٩ «قصة صمود 'خربة سكة' في مواجهة المستوطنين»، **وطني**، السنة ٧، العدد ١٠٧، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٢٨ ـ ٢٩.

٨٠ «قطاع غزة والبطاقات المغنطة؛ مقدّمات، وردود فعل، ونتائج»، **الصخرة**، السنة ٦، العدد ٣٠٢، ٢٥/٦/١٩٩٠، ص ٢٣ ـ ٢٥.

٨١ لجنة المحامين العرب في الارض المحتلة؛ «[مقتطفات من مذكرة قانونية حول أوضاع المعتقلين في السجون والمعتقلات الاسرائيلية]»، **الحرية**، العدد ٣٦٥، ٢٤/٦/١٩٩٠، ص ١٩ ـ ٢١.

٨٢ Hiltermann, Joost R.; "Deaths in Israeli Prisons [Report]", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 101 - 110.

٨٣ Kuttab, Daoud; "Occupied Palestine; Softer Glove, Firmer Purpose", *Middle East International*, No. 379, 6/7/1990, pp. 9 - 11.

٨٤ Rabbani, Mouin; "Intifadah Profiles; Narratives of a Small Proprietor and a Fugitive", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 89 - 100.

٨٥ Rouhana, Nadim; "The Intifadah and the Palestinians of Israel; Resurrecting the Green Line", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 58 - 75.

٨٦ U.S. Department of State; "Country Reports of Human Rights Practices for 1989; The Occupied Territories [Report]", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), pp. 76 - 88.

٨٧ Whittome, Candy; "A Death in Gaza", *Middle East International*, 22/6/1990, p. 20.

○ بيانات وتصريحات وخطب

٨٨ القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة: «[نص النداء الرقم ٥٨؛ نداء التحدي للحكومة العنصرية، بتاريخ ١٣/٦/١٩٩٠]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٨٠٢، ٢٤/٦/١٩٩٠، ص ٦ ـ ٧.

٨٩ ـــــ : «[نص النداء الرقم ٥٩؛ بعنوان ' نحو وضع الاراضي الفلسطينية المحتلة تحت الحماية الدولية المؤقتة ' ، بتاريخ ٣/٧/١٩٩٠]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٥، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ٦ ـ ٧.

(انظر، أيضاً، ٦٧، ٨١).

القضية الفلسطينية

٩٠ احمد، طلال: «المجموعة الاوروبية والقضية الفلسطينية؛ من البندقية الى دبلن»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠١٣، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ٥ ـ ٧.

٩١ البير، يوسف: « ' الاردن هو فلسطين ' مغامرة خطيرة وباهظة الثمن»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ٧٦/٤، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٩؛ نقلاً عن **دافار**، ٢٩/٦/١٩٩٠.

٩٢ الجندي، محمد: «الصراع العربي ـ الاسرائيلي والتطوّرات في اوروبا الشرقية»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٣٠ ـ ٤٣.

٩٣ حجازي، حسين: «بيان دبلن»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٤، ٨/٧/١٩٩٠، ص ١٠ ـ ١١.

٩٤ درور، يحزقئيل: «المشكلة الفلسطينية؛ مخطط عام للخروج من الورطة»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ٧٦/٤، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٢٩١ ـ ٣٠٣؛ نقلاً عن **استراتيجيا شاملة لاسرائيل**، القدس: أكدمون، ١٩٨٩.

٩٥ ربابعة، غازي: «المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط»، **المجلة العربية للدراسات الدولية** (واشنطن)، السنة ٣، العدد ١، شتاء ١٩٩٠، ص ٣٨ ـ ٧٠.

٩٦ الرملاوي، نبيل: «الامم المتحدة ـ فلسطين؛ قرار في اطار ' الاتحاد من أجل السلام ' »، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ١٠ ـ ١١.

٩٧ ـــــ ، ـــــ : «رأي؛ هذه غايات واشنطن [من استخدامها ' الفيتو ' في مجلس الامن الدولي، ضد قرار يتعلق بالاوضاع في فلسطين المحتلة، اثر مذبحة ريشون لتسيون]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ١٢.

٩٨ «النص الحرفي لاعلان ' قمة دبلن ' عن الشرق الاوسط»، **الافق** (نيقوسيا)، السنة ١٠، العدد ٢٩٧، ٥/٧/١٩٩٠، ص ٣٢ ـ ٣٣.

٩٩ "Arab League Council, Closing Statement; Tunis, 30 November 1989 [Document]", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 151 - 153.

١٠٠ Ben Talal, Hussein (King); "Prospects for Peace in the Middle East", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 3 - 13.

١٠١ "British Prime Minister Margaret Thatcher's Remarks on the Middle East to the Board of Deputies of British Jews; London, 18 February 1990", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 150 - 151.

١٠٢ "Declaration on the Middle East Issued by the Heads of State of the Twelve European Community Members at their Meeting in Dublin on 25 - 26 June", *Middle East International*, No. 379, 6/7/1990, p. 23.

١٠٣ Ellis, March H.; "Jewish Theology and the Palestinians", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp.

١٠٤ "European Council, Declaration, Strasboug, France, 9 December 1989 [Document]", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 149 - 150.

١٠٥ "The First Year of the Bush Administration and the Arab-Israeli Conflict; A Chronology", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 117 - 130.

١٠٦ Holt, Maria; "The British Press and the Palestinian - Israeli Conflict", *Middle East International*, No. 378, 22/7/1990, pp. 18 - 19.

١٠٧ Khalidi, Walid; "The Half - Empty Glass of Middle East Peace", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 14 - 38.

منظمة التحرير الفلسطينية

١٠٨ الخفاجي، عصام؛ «... ملف الاصلاح الديمقراطي في م.ت.ف.: النظرية الخضراء والحياة الرمادية»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠١٢، ١/٧/١٩٩٠، ص ١٣ ـ ١٦.

١٠٩ عبدالمجيد، خالد؛ «تجربتنا الفلسطينية بحاجة الى عملية نقدية مسؤولة»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠١٠، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ١٦ ـ ١٧.

١١٠ قطيش، عمر؛ «... ملف الاصلاح الديمقراطي في م.ت.ف.: المطلوب ثورة على الذات ومراجعة نقدية جريئة ومسؤولة»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠١٣، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ٩ ـ ١١.

○ بيانات وتصريحات وخطب

١١١ «بيان م.ت.ف. حول تعليق الحوار الاميركي ـ الفلسطيني»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١٤٩ ـ ١٥١.

١١٢ "PLO's Reply to Baker's Five-Point Plan; Tunis, 1 December 1989", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 153 - 155.

١١٣ عبدربّه، ياسر؛ «لن نقبل بأن يكون الحوار مع واشنطن غطاء لنفاقها»، **الحرية**، العدد ٣٦٣، ١٠/٦/١٩٩٠، ص ١١.

▷ حزب العمّال الشيوعي الفلسطيني

١١٤ «بيان سياسي هام حول مهمات الانتفاضة والحركة الوطنية الفلسطينية في ضوء الوضع الدولي الجديد»، **طريق الانتصار** (نيقوسيا)، السنة ١٣، العدد ٢١٩، حزيران / تموز (يونيو / يوليو) ١٩٩٠، ص ٤ ـ ٧.

▷ اللجنة التنفيذية

١١٥ «[نص تصريح مصدر مسؤول حول اجتماعات اللجنة في بغداد، خلال الفترة ٤ ـ ٧/٦/١٩٩٠]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ٦ ـ ٧.

١١٦ "PLO Executive Committee Statement; Tunis, 3 February 1990", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 155 - 158.

▷ عرفات، ياسر (ابو عمار)

١١٧ «[نص رسالته الى السيدة عبسة كلود ديالو، سفيرة السنغال في الامم المتحدة رئيسة لجنة ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف]»، **الصخرة**، السنة ٦، العدد ٣٠٤، ٩/٧/١٩٩٠، ص ٨ ـ ١٠.

١١٨ «[نص رسالته الى الشعب الفلسطيني، بتاريخ ٩/٦/١٩٩٠، بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها الحادي والثلاثين]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ٤ ـ ٥.

١١٩ "Letter [from Arafat] to the International Conference of World Jewish Leaders; Tunis, 17 February 1990", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 158 - 161.

▷ مصدر رسمي

١٢٠ «[نص تصريحه بتاريخ ٦/٦/١٩٩٠، بشأن تهديد الحكومة الاميركية بقطع حوارها مع م.ت.ف.]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ٧.

١٢١ «[نص تصريحه بتاريخ ١١/٦/١٩٩٠، بشأن تشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ٧.

○ العلاقات الخارجية

١٢٢ احمد، طلال؛ «أي مصير ينتظر الحوار الفلسطيني ـ الاميركي»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠١٠، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ٦ ـ ٧.

١٢٣ الاسعد، اسعد؛ «انتهى حوار الطرشان»، **الكاتب**، السنة ١٠، العدد ١٢٣، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٤ ـ ٦.

١٢٤ خالد، عاطف؛ «الحوار الاميركي مع وفد قيادة المنظمة؛ مجريات واحداث وأسباب التعليق»، **الى الامام**، السنة ١٩، العدد ٢٠٤٧، ١٣/٧/١٩٩٠، ص ٢٠ ـ ٢٢.

١٢٥ سلام، منير؛ «قطع الحوار يؤكد، مجدداً، على ضرورة عقد المؤتمر الدولي»، **الكاتب**، السنة ١٠، العدد ١٢٣، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٧ ـ ٩.

١٢٦ شاهين، احمد؛ «المقاومة الفلسطينية ـ عربياً؛ 'أسف' عربي على تعليق الحوار الاميركي ـ الفلسطيني [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١١٠ ـ ١١٥.

١٢٧ شبيب، سميح؛ «المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً؛ ثلاثة احداث بارزة [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١٠٦ ـ ١٠٩.

١٢٨ عبدالحق، احمد؛ «فلسطين ـ الولايات المتحدة [الاميركية]: حالة خلاف ليس الأ...»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ٨ ـ ٩.

١٢٩ عبدالرحمن، محمد؛ «تعليق الحوار انجاز جديد لسياسة الرفض الاسرائيلية [تقرير]»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ٧٦/٤، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٣١٧ ـ ٣٢٦.

١٣٠ المدهون، ربعي؛ «واشنطن علّقت الحوار وثل ـ أبيب تبحث عن الحكم الذاتي؛ الولاء الكامل لنمط 'السلام الاسرائيلي' »، **الافق**، السنة ١٠، العدد ٢٩٦، ٢٨/٦/١٩٩٠، ص ٨ ـ ١٠.

١٣١ ن. ح.؛ «المقاومة الفلسطينية ـ دولياً؛ مرحلة كسب الوقت [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١١٦ ـ ١٢٤.

١٣٢ «'الواجب المقدس' التركي تجاه فلسطين»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٢، ٢٤/٦/١٩٩٠، ص ٣٨.

١٣٣ Makovsky, David; "Focus Remains on Jerusalem After U.S. Suspends PLO Talks,", *The Jerusalem Post International Edition*, 30/6/1990, p. 1, 4.

○ العمليات الفدائية

١٣٤ عبدالرحمن، محمد؛ «العملية البحرية الفلسطينية؛ خيار التطرّف في غياب السلام [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١٣٠ ـ ١٣٧.

١٣٥ «العملية البحرية تؤكد قدرة المقاتل الفلسطيني على الوصول الى الوطن»، **طريق الانتصار**، السنة ١٣، العدد ٢١٩، حزيران / تموز (يونيو / يوليو) ١٩٩٠، ص ٢٣.

١٣٦ ي. ص.؛ «المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً؛ تآكل في الموقف الاسرائيلي [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ١٢٥ ـ ١٢٩.

اليهود في العالم

١٣٧ الحسن، نزيه؛ «مراحل من تاريخ أرض كنعان»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٧٨ ـ ٩٤.

١٣٨ شبلاق، عباس؛ «حول شعور العداء لليهود في الدول العربية؛ مناقشة لوجهات النظر السائدة»، **مجلة الدراسات الفلسطينية** (بيروت)، العدد ٢، ربيع ١٩٩٠، ص ٨٢ ـ ٩٨.

١٣٩ Kampeas, Ron; "[Yemenite Jews] The Ones Who Missed the Magic Carpet", *The Jerusalem Post International Edition*, 7/7/1990, p. 9.

المقابلات

١٤٠ ابراهيم، حيدر؛ «فروع [لاتحاد عمّال فلسطين] حيث توجد جاليات»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٠٣، ١/٧/١٩٩٠، ص ٢٨ ـ ٣٠.

١٤١ ابـو الحمص، نعيم (مـديـر مكتب مجلس التعليم العالي في الارض المحتلة)؛ «تمديد اغلاق الجـامعـات لا مبرر له ويلحق الاضرار بالحركة التعليمية»، **وطني**، السنة ٧، العدد ١٠٧، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٢٦ ـ ٢٧.

١٤٢ ابـو عيـاش، رضـوان؛ «امكـانـات السلام معدومة ما لم تحصل عملية انقاذ دولي»، **اليوم السابع**، السنة ٧، العدد ٣٢٠، ٢٥/٦/١٩٩٠، ص ١٨ ـ ١٩.

١٤٣ ايمبيني، رينسـو (رئيس لجنة العلاقات مع الكنيست الاسرائيـلي في البـرلمـان الاوروبي)؛ «[عـلى اوروبا ان تمارس دورها في المنطقة مع الاطراف المعنيّة بالقضية الفلسطينية، لا سيما اسرائيـل وم.ت.ف. من اجـل اقـامـة الدولة الفلسـطينية الى جانب دولة اسرائيل]»، **الافق**، السنـة ١٠، العدد ٢٩٥، ٢١/٦/١٩٩٠، ص ٢٧ ـ ٢٨.

١٤٤ جبريل، احمد؛ «تركيزنا على تحقيق التوازن الاستـراتيجي ينصبّ على استمـرار الكفـاح المسلّح ودعم الانتفاضة ورفض قرارات قمّة فاس وحشـد طاقـات القوى الاسلامية»، **الى الامام**، السنة ١٩، العدد ٢٠٤٥، ٢٢/٦/١٩٩٠، ٨ ـ ١١.

١٤٥ حبش، جورج؛ غسان كنفاني نمط فريد من الرجـال»، **الهـدف**، السنة ٢١، العدد ١٠١٣، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ٣٤ ـ ٣٧.

١٤٦ الحسن، هاني؛ «تطابق وجهات النظر العربية حول المواجهة مع الكيان الصهيوني»، **الصخرة**، السنة ٦، العدد ٣٠٢، ٢٥/٦/١٩٩٠، ص ٨ ـ ١٣.

١٤٧ حواتمة، نايف؛ «حكومة شامير وضعت قضية السلام في طريق مسدود»، **الحرية**، العدد ٣٦٥، ٣٤/٦/١٩٩٠، ص ٦ ـ ٨؛ نقـلاً عن **اللواء** (بيروت)، بدون ذكر تاريخ النشر.

١٤٨ حواتمـة، نايف؛ «عـلى المجلس المركزي ان يجـري مراجعة جريئة لسياسة العشرين شهراً الاخيرة»، **الحرية**، العدد ٣٦٧، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ٦ ـ ٨.

١٤٩ خميس، ارنـا؛ «التعليم الشعبي في جنـين استـوعب ثلاثـة آلاف طفـل، وتوسيع التجربة يخدم مواجهة اسرائيل»، **اليوم السابع**، السنة ٧، العدد ٣٢١، ٢/٧/١٩٩٠، ص ١٨ ـ ١٩.

١٥٠ شيسون، كلود؛ «اسرائيل في مأزق، وزعماؤها غارقون في مشاكلهم الخاصة»، **اليوم السابع**، السنة ٧، العدد ٣١٩، ١٨/٦/١٩٩٠، ص ١٦ ـ ١٧.

١٥١ صالح، علي عبـدالله؛ «اسرائيـل خطر على جميع الاقطار العربية، والامن في البحر الاحمر مسؤولية كل الدول المطلّة عليه»، **اليوم السابع**، السنة ٧، العدد ٣٢٣، ١٦/٧/١٩٩٠، ص ٨ ـ ٩.

١٥٢ عرفات، ياسر (ابو عمار)؛ «انتهت، في قمة بغداد، حالة اللاحرب واللاسلم»، **اليوم السابع**، السنة ٧، العدد ٣٢٢، ٩/٧/١٩٩٠، ص ١٢ ـ ١٤.

١٥٣ الغـنـوشي، راشـد؛ «الاسـلام حرب على الصهيـونيـة ودعوة الى الحرية»، **الافق**، السنة ١٠، العدد ٢٩٥، ٢١/٦/١٩٩٠، ص ٢٨ ـ ٣١.

١٥٤ كبـوجـي، ايـلاريـون؛ «نعم للسـلام! ولا للاستسـلام»، **الافق**، السنة ١٠، العدد ٢٩٦، ٢٨/٦/١٩٩٠، ص ٢٢ ـ ٢٣.

١٥٥ كوريـزنتيسكي، ثيـو (رئيس اللجنة العلمية والثقافية في البرلمان النرويجي)؛ «الماء الثقيل لم ينجز في اسرائيل»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٨٠١، ١٧/٦/١٩٩٠، ص ٢٦ ـ ٢٧.

١٥٦ Abba, Eban; "The U.S. was One of 159 Countries that Wanted Peres", *The Jerusalem Post International Edition*, 14/7/1990, p. 2.

١٥٧ Shamir, Yitzhak; "Arabs Have No Need to Fear Israel", *The Jerusalem Post International Edition*, 23/7/1990, p. 5.

١٥٨ ——, ——; "Interview on the Peace Process in Yedi'ot Aharonot, 8 December 1989 [Excerpts]", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 161 - 162.

١٥٩ Sharansky, Natan; "Veteran Prisoner's Met to Exchange Views", *The Jerusalem Post International Edition*, 14/7/1990, p. 2.

١٦٠ Vilnai, Matan; "The Intifadah is Pitting Israelis Against Palestinians for the First Time in Many Years", *IDF Journal*, No. 20, Summer 1990, pp. 3 - 5.

الكتب ـ عروض ومراجعات

١٦١ جلادي، جدع؛ اسرائيل نحو الانفجار الداخلي، **المستقبل العربي**، السنة ١٣، العدد ١٣٦، حزيران (يونيو) ١٩٩٠، ص ١٤٧ ـ ١٥٢ (مراجعة عماد جاد).

١٦٢ الديك، احمد؛ سوسيولوجيا الانتفاضة، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٢، العدد ٨٠، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩٠، ص ٢٦٣ ـ ٢٧٣ (مراجعة حلمي ساري).

١٦٣ غارودي، روجيه؛ فلسطين أرض الرسالات السماوية (ترجمة قصيّ أتاسي وميشيل واكيم)؛ **الى الامام**، السنة ١٩، العدد ٢٠٤٦، ٢٩/٦/١٩٩٠، ص ٤٤ ـ ٤٦.

١٦٤ Abdel-Hamid, Dina; *Duet for Freedom*، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٨، تموز (يوليو) ١٩٩٠، ص ٩٩ ـ ١٠٥ (مراجعة مها بسطامي).

١٦٥ Cohen, Michael J.; *The Origins and Evolution of the Arab - Zionist Conflict*, ***Journal of Palestine Studies***, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 137 - 139 (Reviewed by Neil Caplan).

١٦٦ Flusser, David; *Judaism and the Origins of Christianity*, ***The Jerusalem Post International Edition***, 14/7/1990, p. 16 (Reviewed by Geoffrey Wigoder).

١٦٧ Graham - Brown, Sarah; *The Palestinian Situation*, ***Middle East International***, No. 379, 6/7/1990, p. 21 (Reviewed by David McDowall).

١٦٨ Hertzberg, Arthur; *The Jews in America; Four Centuries of an Uneasy Encounter*, ***The Jerusalem Post International Edition***, 23/6/1990, p. 16 (Reviewed by Geoffrey Wigoder).

١٦٩ Hollis, Rosemary; *Israel on the Brink of Decision; Division, Unity and Crosscurrents in the Israeli Body Politics*, ***Middle East International***, No. 379, 6/7/1990, pp. 21 - 22 (Reviewed by Paul Harper).

١٧٠ Leshem, Moshe; *Balaam's Curse; How Israel Lost Its Way and How It Can Find It again*, ***The Jerusalem Post International Edition***, 16/6/1990, p. 15 (Reviewed by Yosef Yaakov).

١٧١ Lukacs, Yehuda and Abdalla M. Battah (Eds); *The Arab - Israeli Conflict*, ***Journal of Palestine Studies***, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 139 - 143 (Reviewed by Charles D. Smith).

١٧٢ Morris, Henry; *We will Remember them; A Record of the Jews Who Died in the Armed Forces of the Crown, 1939 - 1945*, ***The Jerusalem Post International Edition***, 23/6/1990, p. 16 (Reviewed by Gabriel Sivan).

١٧٣ Mozeson, Isaac E.; *The Word; The Dictionary that Reveals the Hebrew Source of English*, ***Middle East International***, No. 379, 7/7/1990, p. 14 (Reviewed by Reuven Ben Dov).

١٧٤ Muhawi, Ibrahim and Sharif Kanaana; *Speak Bird, Speak Again; Palestinian Arab Folktales*, ***Journal of Palestine Studies***, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 133 - 135 (Reviewed by Inea Bushnaq).

١٧٥ *The Palestine Yearbook of International Law*, Vols III (1986) and IV (1987/88), ***Journal of Palestine Studies***, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 130 - 133 (Reviewed by Sally V. Mallison).

١٧٦ Ramras - Rauch, Gila; *The Arab in Israeli Literature*, ***Middle East International***, 6/7/1990, p. 22 (Reviewed by Akiva Orr).

١٧٧ Rogers, Mary Eliza; *Domestic Life in Palestine*, ***Journal of Palestine Studies***, Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 135 - 137 (Reviewed by Judith E. Tucker).

١٧٨ Smooha, Sammy; *Arabs and Jews in Israel; Volume 1, Conflicting and Shared Attitudes in a Divided Society,* ***Journal of Palestine Studies,*** Vol. XIX, No. 3 (75), Spring 1990, pp. 143 - 144 (Reviewed by Don Peretz).

الكتب

١٧٩ ابو ديّة، سعد؛ **عملية اتخاذ القرار في سياسة الاردن الخارجية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠، ٢٥٩ صفحة.

١٨٠ البس، زكريا أحمد؛ **صيدون قرية الاجداد في فلسطين**، عمّان: المؤلف، ١٩٨٩، ١٤٠ صفحة.

١٨١ تراكي، ليزا (محررة)؛ **المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة**، عكا: دار الاسوار، ١٩٩٠، ٢٢٠ صفحة.

١٨٢ حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)؛ **صور وحكايات في ظل الانتفاضة**، الجزء الثاني، تونس: «فتح»، ١٩٩٠، ٣٦٨ صفحة.

١٨٣ ـــــ ؛ **مدينة طولكرم ومخيماتها بعد ستة وعشرين شهراً من الانتفاضة (شويكة وذنابة)**، تونس: «فتح»، ١٩٩٠، ٥٧٦ صفحة.

١٨٤ الخطيب، سعادة؛ **منظمة التحرير الفلسطينية وحركة عدم الانحياز**، عمّان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، ١٩٩٠، ٨٤ صفحة.

١٨٥ ربيع، محمد عبدالعزيز؛ **صنع السياسة الاميركية والعرب**، عمّان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، ١٩٩٠، ٢٥٠ صفحة.

١٨٦ ـــــ ، ـــــ ؛ **المعونات الاميركية لاسرائيل**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠، ٢٧٩ صفحة.

١٨٧ سرحان، نمر؛ **المباني الكنعانية في فلسطين**، عمّان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ١٢٤ صفحة.

١٨٨ الشارتري، فوشيه؛ **تاريخ الحملة الى القدس** (ترجمة زياد العسلي)، عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.

١٨٩ عودة، نبيل؛ **يوميات الفلسطيني الذي لم يعد تائهاً**، عكا: دار الاسوار، ١٩٩٠، ١٠٠ صفحة.

١٩٠ **القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني**، الجزء الاول، [بغداد]: اتحاد الجامعات العربية ـ الامانة العامة، بلا تاريخ نشر، ٥٦٣ صفحة.

١٩١ **القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني**، الجزء الثاني، القسم الاول، عمّان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، ١٩٩٠، ٣٨٩ صفحة.

١٩٢ الفرّا، محمد علي؛ **تراث فلسطين؛ لوحات تصوّر جوانب متعددة من حياة المجتمع الفلسطيني قبل النكبة**، عمّان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ٢٨٣ صفحة.

١٩٣ **الكتاب السنوي لاحداث العام ١٩٨٨**، بغداد: مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي، ١٩٨٩، ٣٣٤ صفحة.

١٩٤ Abdel - Hamid, Dina; *Duet for Freedom,* London: Quartet Books, 1988, 288 Pages.

١٩٥ Viorst, Milton; *Reaching for Middle East,* Bloomington: Indiana University Press, 1989, 122 Pages.

اعداد: ماجد الزبيدي

مركز الابحاث
منظمة التحرير الفلسطينية

قائمة المنشورات

نشر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، منذ انشائه سنة ١٩٦٥، العديد من الكتب والكراريس والدراسات، في سلاسل مختلفة، وبلغات مختلفة. وقد نفد معظم تلك الكتب. وتضم هذه القائمة، فقط تلك الكتب التي لا تزال نسخ محدودة متوفرة منها، ويمكن بيعها.

- ابو رجيلي، خليل؛ **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، ١٩٧٢، ١١٨ ص (دولار).
- ابو النمل، حسين؛ **بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي** ، ١٩٧٥، ٢٠٨ ص (دولاران).
- بدران، نبيل؛ **التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني** ، الجزء الثاني (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧)، ١٩٧٩، ٢٠٤ ص (٣ دولارات).
- بشير، تحسين؛ **النشاط الاعلامي العربي في الولايات المتحدة** ، ١٩٦٩، ٥٥ ص (دولار).
- بوتاني، سمير؛ **الدول الاسكندنافية واسرائيل** ، ١٩٦٩، ١٤٢ ص (دولار).
- جبر، مروّه؛ **جامعة الدول العربية وقضية فلسطين (١٩٤٥ ـ ١٩٦٥)** ، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص (٦ دولارات).
- جريس، صبري؛ **تاريخ الصهيونية**، الجزء الثاني (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)، ١٩٨٦، ٥٨٧ ص (١٥ دولاراً).
- جريس، صبري؛ **اليمين الصهيوني، نشأة وعقيدة وسياسة**، ١٩٧٨، ٨٧ ص (دولاران).
- حداد، يوسف؛ **المجتمع والتراث في فلسطين، قرية البصة** ، ١٩٨٥، ٢٦٨ ص (٨ دولارات).
- الحسن، بلال؛ **الفلسطينيون في الكويت** ، ١٩٧٤، ١٨٠ ص (دولار).
- حلاق، د. حسان؛ **موقف لبنان من القضية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٥٢)**، ١٩٨٢، ٤٢١ ص (١٠ دولارات).
- حوراني، فيصل؛ **الفكر السياسي الفلسطيني (١٩٦٤ ـ ١٩٧٤)**، ١٩٨٠، ٢٤٧ ص (٤ دولارات).
- رزوق، د. اسعد؛ **المجلس الاميركي لليهودية**، دراسة في البديل اليهودي للصهيونية، ١٩٧٠، ٢٧١ ص (دولاران).
- سرية، د. صالح عبدالله؛ **تعليم العرب في اسرائيل** ، ١٩٧٣، ٢٢٥ ص (٣ دولارات).
- سخنيني، عصام؛ **فلسطين الدولة، جذور المسألة في التاريخ الفلسطيني** ، ١٩٨٥، ٢٧٤ ص (٥ دولارات).
- شبيب، سميح؛ **حزب الاستقلال العربي في فلسطين (١٩٣٢ ـ ١٩٣٣)**، ١٩٨١، ١٤٨ ص (٤ دولارات).

مركز الابحاث
منظمة التحرير الفلسطينية ٢

قائمة المنشورات

- الشريف، د. ماهر؛ **الشيوعية والمسالة القومية العربية في فلسطين (١٩١٩ ـ ١٩٤٨)**، ١٩٨١، ٢١٦ ص (٥ دولارات).
- الشعيبي، عيسى؛ **الكيانية الفلسطينية ـ الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي (١٩٤٧ ـ ١٩٧٧)**، ١٩٨٠، ٢٧٠ ص (٣ دولارات).
- الشقيري، احمد؛ **مشروع الدولة العربية المتحدة**، ١٩٦٧، ٤٦ ص (دولار).
- صايغ، انيس؛ **الجهل بالقضية الفلسطينية**، ١٩٧٠، ٧٩ ص (دولار).
- طنوس، د. عزت؛ **الفلسطينيون: ماض مجيد ومستقبل باهر**، ١٩٨٢، ٦١٦ ص (١٠ دولارات).
- عبدالحميد، عيسى؛ **ست سنوات من سياسة الجسور المفتوحة**، ١٩٧٣، ٢٠٨ ص (دولار).
- عبدالرحمن، د. اسعد؛ **منظمة التحرير الفلسطينية ـ جذورها، تاسيسها، مساراتها**، ١٩٨٧، ٤٠٥ ص (١٠ دولارات).
- عزمي، محمود؛ **القوات الاسرائيلية المحمولة جواً**، ١٩٨١، ١٧٤ ص (دولار).
- قدري، قيس مراد؛ **الصهيونية وأثرها على السياسة الاميركية**، ١٩٨٢، ١٦٣ ص (٥ دولارات).
- **قرارات وتوصيات وبيانات منظمة الوحدة الافريقية بشأن الشرق الأوسط وفلسطين (١٩٦٤ ـ ١٩٨٧)**، ١٩٨٨، ١٢٤ و ٢٦١ ص (بالعربية والانكليزية والفرنسية)، (١٠ دولارات).
- قوره، نزيه؛ **تعليم الفلسطينيين، الواقع والمشكلات**، ١٩٨١، ١٤٨ ص (٤ دولارات).
- محارب، عبدالحفيظ؛ **هاغاناه، اتسل، ليحي، العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨**، ١٩٨١، ٤٤٣ ص (٨ دولارات).
- **من الارشيف الصهيوني**؛ ١٩٧٥، ٩٣ ص (دولاران).
- هداوي، سامي؛ **الاعلام العربي والقضية الفلسطينية**، ١٩٦٩، ٦٣ ص (دولار).
- هلال، علي الدين؛ **كندا وقضية فلسطين**، ١٩٧٠، ١٦٧ ص (دولار).
- ياسين، موفق؛ **مشكلات تعليم ابناء فلسطين في مراكز تجمعاتهم الكبرى في الدول العربية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٣)**، ١٩٧٦، ١٦٨ ص (دولاران).

● ●

Al - Abid, Ibrahim; *A Handbook to the Palestine Question.* 1971, 168 p ($3.00).

Al - Abid, Ibrahim; *Human Rihgts in the Occupied Territories 1971.* 1973, 239 p ($2.00).

قائمة المنشورات

Al - Abid, Ibrahim; *Israel and Human Rights.* 1969, 173 p ($3.00).

Al - Abid, Ibrahim; *Israel and Negotiations.* 1970, 29 p ($1.00).

Amad, Adnan; *Documents and Reports on the Israeli Violations of Human and Civil Rights.* 1975, 144 p ($1.00).

Baramki, Demerti; *The Art and Architecture of Ancient Palestine.* 1969, 208 p ($3.00).

Black September; 1970, 156 p ($3.00).

Dajani, Ahmad Sidqi; *The P.L.O. and Euro - Arab Dialogue,* 1981, 61 p ($1.00).

Darwish, Mahmoud (Ed.); *Palestinian Leaders Discuss the New Challenges for the Resistance.* 1974, 80 p ($1.00).

The Holy Land Under Israeli Occupation. 1969, 48 p ($1.00).

John, Robert & Sami Hadawi; *The Palestine Diary, Vol. 1, 1914 - 1945.* 1970, 421 p ($6.95).

Jansen, Michael; *The Three Basic American Decisions on Palestine.* 1970, 54 p ($1.00).

Qadi, Leila *S.; Arab Summit Conferences and the Palestine Problem.* 1966, 221 p ($3.00).

Qadi, Leila S.; *The Arab - Israeli Conflict: The Peaceful Proposals 1948 - 1972.* 1973, 108 p ($1.00).

Kishtainy, Khalid; *The New Statesman and the Middle East.* 1972, 124 p ($3.00).

Kishtainy, Khalid; *Verdict in Absentia : A Study of the Palestine Case as Represented to the Western World.* 1969, 118 p ($1.00).

Kishtainy, Khalid; *Whither Israel: A Study of Zionist Expansionism.* 1970, 220 p ($3.00).

Razzouk, As'ad; *Greater Israel.* 1970, 326 p ($3.00).

Razzouk, As'ad; *The Partisan Views of Reverend James Parkes.* 1970, 56 p ($1.00).

Resolutions, Recommendations and Declarations of the Organization of African Unity on the Middle East and Palestine (1964 - 1987); [in English, French and Arabic], 1988, 261 & 124 p ($10.00).

Sayegh, Anis; *Palestine and Arab Nationalism.* 1970, 86 p ($1.00).

Shibl, Yusuf (Ed.); *Essays on the Israeli Economy.* 1969, 277 p ($3.00).

Sirhan, Bassim; *Palestinian Children: "The Generation of Liberation".* 1970, 53 p ($1.00).

Stevens, Richard P.; *Zionism, South Africa and Apartheid: The Paradoxical Triangle.* 1969, 37 p ($1.00).

قائمة المنشورات

Tomeh, George J.; *Immigration or Mobilization. The 28th Zionist Congress: January 18 - 28, 1972.* 1973, 199 p ($1.00).

A Verdict on Sponsored Terrorism: The Bouchiki Case. 1974, 64 p ($1.00).

Yahia, F.; *The Palestine Question in International Law.* 1970, 222 p ($3.00).

Al-Abid, Ibrahim; *Militarisme, Racisme et Expansionnisme: Trois Aspects Fondamentaus De L'Etat Israelien.* 1970, 62 p ($1.00).

Dajani, Ahmad Sidqi; *L'O.L.P. et le dialogue Euro-Arabe,* 1981, 50 p ($1.00).

Koch, Howard; *Six Cents Jours une Reevaluation de la Confrontation israelo - Arabe Depuis juin 1967.* 1970, 80 p ($1.00).

Sayegh, Fayez A.; *La Palestine, Israel et la Paix.* 1970, 48 p ($1.00).

Sayegh, Anis; *Darstellungen zum Pallastina Problem Verschiedene Aspette der Tragodie* 1968, 370 p ($1.00).

ترسل الطلبات، مع شيك او حواله بريدية، الى:

P.L.O. Cultural Section
16 Artemidos Street, Strovolos
P. O. Box 5614
Nicosia, Cyprus
Tel. 429396, Fax 312104, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

دعـوة

الى الجغرافيين الفلسطينيين ومن يهمه الامر

ندعوكم الى حضور المؤتمر التاسيسي لاقامة
الجمعية الجغرافية الفلسطينية

من ٢٨ - ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٠

مكان المؤتمر قبرص

لمزيد من المعلومات نرجو الاتصال بالمبادرين

د. غازي فلاح
Dr. Ghazi Falah
Galilee Center for Social Resarch
507/2 Street, P.O. Box 2485
Nazareth 16124, Israel
Fax No. (06) 569343

د. بشير نجم
Dr. Basheer K. Nijim
Department of Geography
University of Northern Iowa
Cedar Falls, IA 50614, U.S.A.
Fax No. (319) 273 - 3509

شؤون فلسطينية

ترحّب مجلة شؤون فلسطينية بالمواد التي تصلها للنشر من الباحثين والكتاب، سواء الدراسات أو المقالات أو مراجعات الكتب أو التقارير عن الندوات واللقاءات الفكرية والمجالات المختلفة الاخرى، على ان يكون لموضوعاتها صلة باهتمامات المجلة بالقضية الفلسطينية، بابعادها المختلفة خاصة والصراع العربي ـ الصهيوني عامة.

وترجو شؤون فلسطينية من الراغبين في المساهمة في موضوعاتها ملاحظة ان المجلة لا تعيد نشر أي مادة سبق نشرها بأي طريقة من طرق النشر، ولا تنشر مواد مترجمة. كما ترجو مراعاة ما يلي:

١ ـ يفضّل ان ترسل المادة مطبوعة على الآلة الكاتبة، على وجه واحد من الورقة مع فراغ مضاعف بين السطور.

٢ ـ في الكتابة اليدوية، ينبغي ترك سطر فراغ بين كل سطرين مكتوبين، مع توخي كتابة الاسماء والارقام، وكذلك الكلمات المدرجة بلغات أجنبية، بشكل واضح لا التباس فيه، وان تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة أيضاً.

٣ ـ عند اقتباس نصوص أو معلومات من مصدر ما، ينبغي الاشارة إلى المصدر وفق قواعد الاقتباس المتعارف عليها أكاديمياً. ونشير، فيما يلي، إلى أكثرها شيوعاً:

- بالنسبة إلى الكتب، يذكر اسم المؤلف (واسم المترجم اذا اقتضى الأمر)، والعنوان الكامل للكتاب مع ذكر رقم الجزء أو المجلّد أو الطبعة ان وجدت، واسم المدينة التي صدر فيها، واسم الناشر، وتاريخ النشر، ثم رقم الصفحة أو الصفحات المقتبس منها. واذا غابت عن الكتاب أي من هذه المعلومات، ينبغي الاشارة إلى ذلك، كأن يكتب: بلا ناشر، بلا تاريخ نشر، الخ.
- بالنسبة إلى الصحف اليومية، يذكر اسم الصحيفة، والمدينة التي تصدر فيها، وتاريخ صدورها. اما اذا تمّ الاقتباس من مقالة أو دراسة منشورة في صحيفة يومية، فلا بدّ من ذكر عنوانها واسم كاتبها.
- بالنسبة إلى المجلات الاسبوعية والشهرية والدورية، تذكر اسماؤها، والمدن التي تصدر فيها، وتواريخها، وأرقام الاعداد أو المجلدات، وكذلك اسماء كُتّاب الموضوعات المقتبس منها، وعناوينها، وارقام الصفحات.
- عند الاقتباس من مصدر باحدى اللغتين، الانجليزية أو الفرنسية، تكتب المعلومات عنه بلغته هذه. اما الكتب باللغات الأخرى، فتترجم المعلومات بشأنها إلى اللغة العربية.
- في الدراسات والمقالات، تذكر المصادر في حواش تحمل أرقاماً متسلسلة وتوضع في نهاية الدراسة أو المقالة.
- في التقارير والمراجعات وما شابه توضع المصادر في مكانها، في سياق المتن.

ISSN 0258 - 4026

SHU'UN FILASTINIYAH

(Palestine Affairs)

No. 209 , August 1990

Published monthly in Arabic, for the P.L.O. Research Center, by

Al - Abhath Publishing Co. Ltd

16 Artemidos Street, Strovolos

P.O.Box 5614, Nicosia, Cyprus

Tel 429396, Fax 312104, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

Annual Subscription

Surface Mail: Arab countries & Europe - Individuals: $40, Institutions: $50 (add $30 for airmail postage); Other countries - Individuals: $50, Institutions: $60 (add $50 for airmail postage).

الثمن

دينار في الاردن والكويت ▪ ١,٥ جنيه في مصر والسودان ▪ ١,٥ دينار في العراق
وليبيا ▪ ١٥ درهماً في دولة الامارات العربية المتحدة ▪ دينار في تونس ▪ ١٠
دراهم في المغرب ▪ ١٠ دنانير في الجزائر ▪ دولاران في الاقطار العربية الاخرى